

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

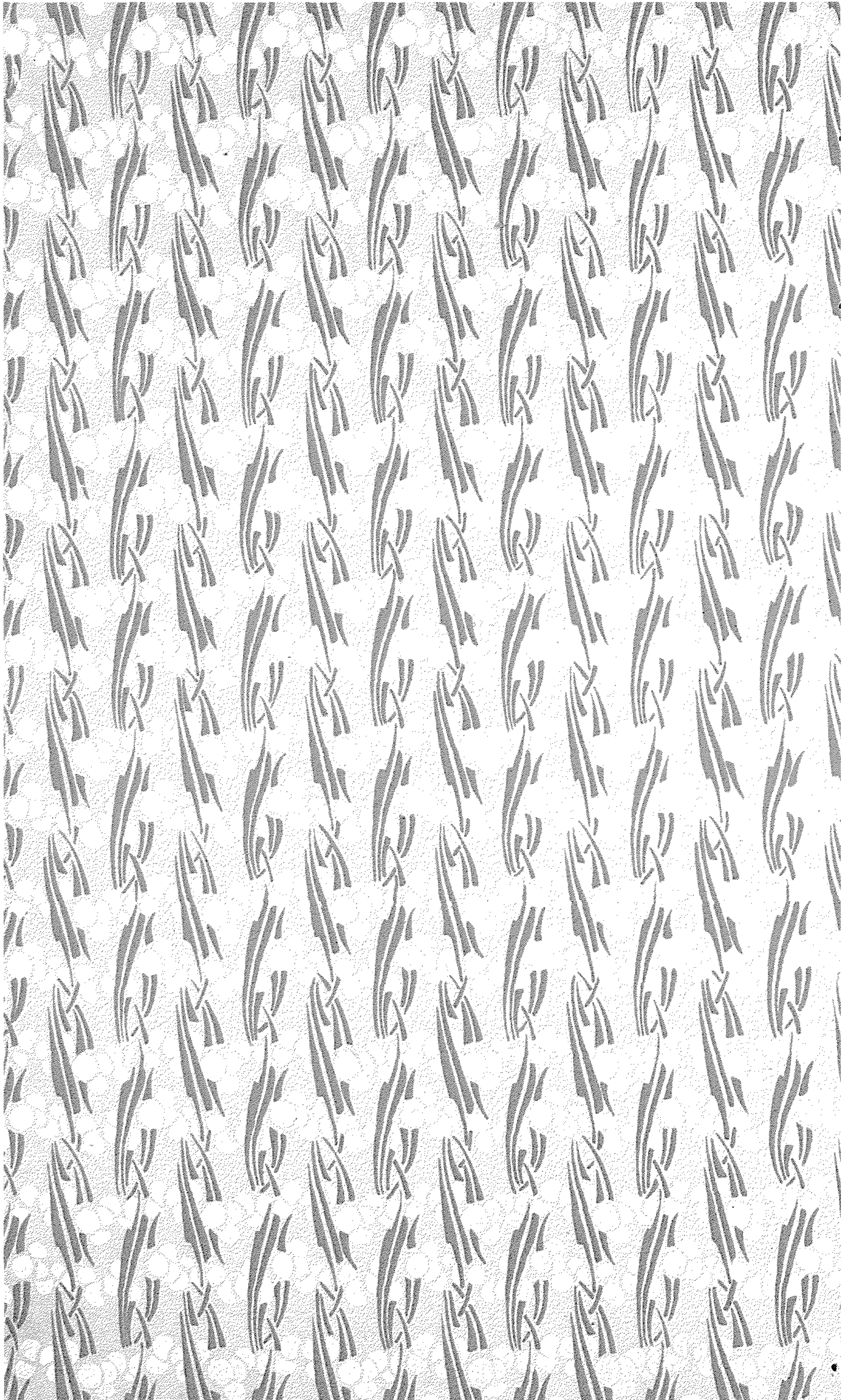
عَلَى الرَّعِيَّةِ الْمَغْنُورَةِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

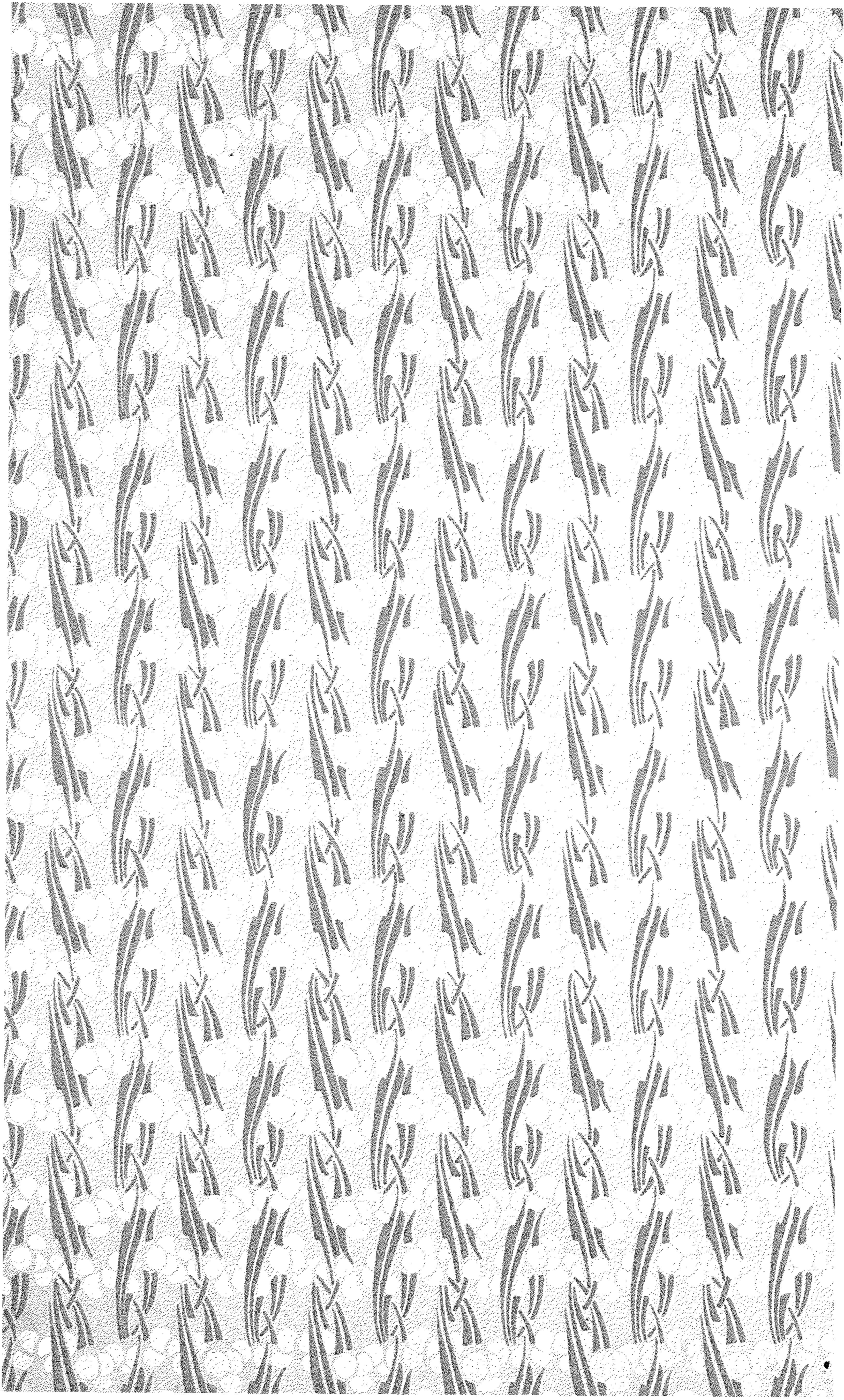
مَا يَخْفَى إِذَا ارْتَبَاهُ وَأَقْرَبَ الْكِتَابَ وَالْمَعْرُوفَ تَابِعَهُ

تَصْنِيفُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ







عَلَّامُ الْغُيُوبِ

عَلَى الرَّعِيْمِ الْمَغِيْبُورِ لَهُ سَعْدٌ غُلُوْلٌ بِشَا

تَايَحُهُ فِي أَدْوَارِ حَيَاتِهِ وَأَقْوَالِ كِتَابِ وَالسَّعَادَةِ فِي تَأْيِينِهِ

تَصْنِيفُ

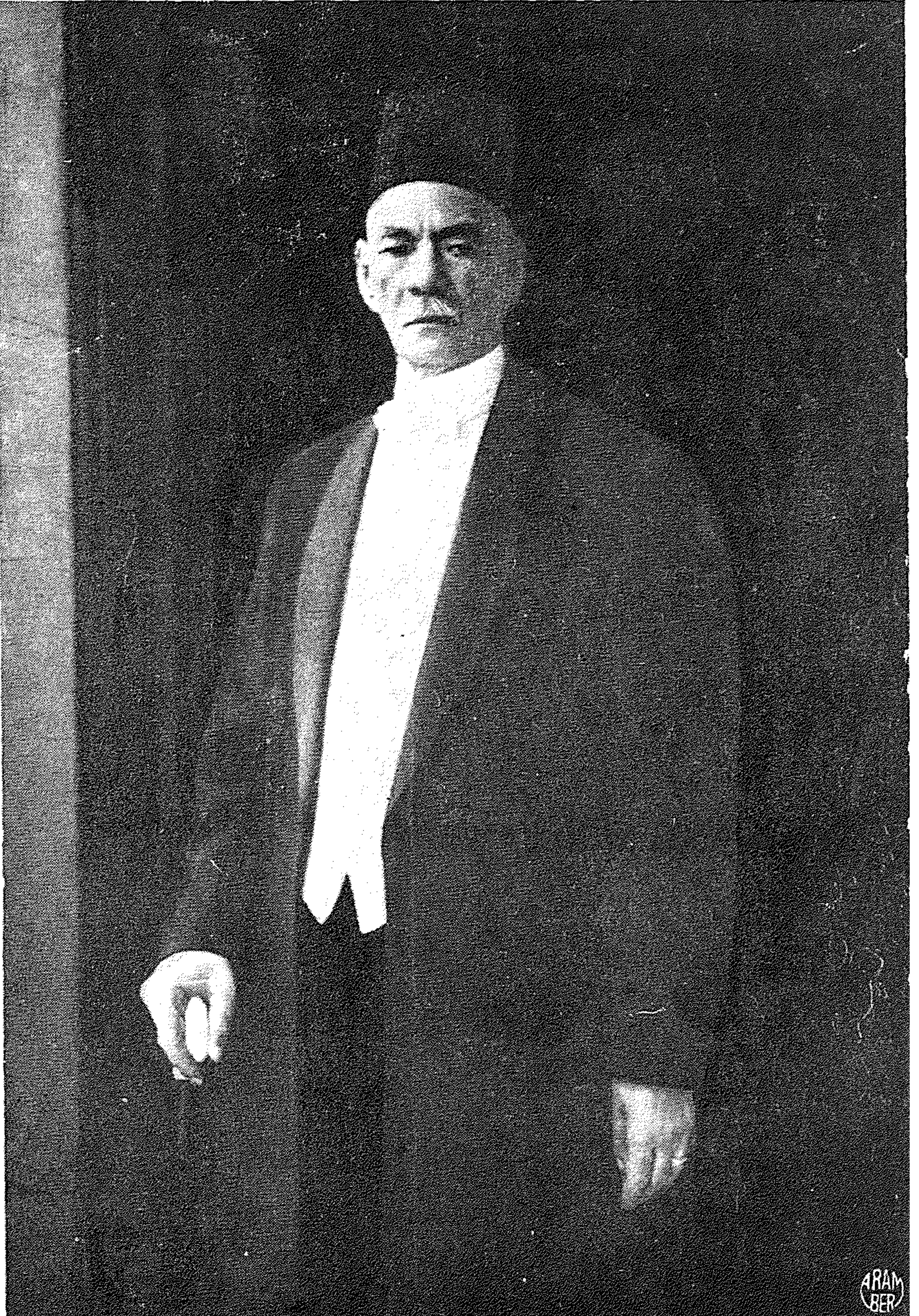
مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبْرِ

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمصنف

﴿ الطبعة الأولى ﴾

(سنة ١٣٤٧ هـ — سنة ١٩٢٧ م)

مطبعة النعانة بدمشق



الزعيم الراحل صاحب الدولة سعد زغلول باشا
ولد بآبينه سنة ١٨٥٩ وتوفي بالقاهرة في ٢٥ اغسطس سنة ١٩٧٢ (ص ٠٠)

الاهراء

إلى روح الزعيم الراحل
إلى الأب المجاهد
إلى الرئيس المحبوب محط آمالنا ومركز قوتنا
إلى ثمرة دموعنا ومشاعرنا
نهدي عبرات الشرق الكليم . وأتات الامة الحزينة ودموع
الشعب الثا كل
فتقبل من أبنائك الاوفياء وأنت في عالم الارواح هذا الواجب
الضئيل الذي تؤديه لك
تعمدك الله بالرحمة والرضوان وأسكنك فراديس جناته . وسرك
في عالمك بنجاة هذا الوطن الحزين

محمد اسماعيل البحري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد النبي الأُمي
وعلى آله وصحبه القائل عند نزوع قلذة كبده « ابراهيم »
« إن العين لتدمع وإن القلب ليخشع وأنا بك يا ابراهيم لمحزون
إنا لله وإنا اليه راجعون »

* *

شعبتنا هموم الزمن وأرقتنا الاحزان القاسية للفاجعة الأليمة .
والنازلة المدهمة في حامل لوائنا وباعث نهضتنا والمدافع عن قضيتنا « فقيد
الوطن المغفور له سعد زغلول باشا »
ولن يسعنا الا أن نصبر لقضاء الله وأن تتأسى بمن سبقونا في نعي
الرسول صلوات الله عليه

* *

والآن نتقدم الى أبناء وطننا « بعبرات الشرق » جمعناها ذكرى
للزعيم الراحل فهي دموع الوفاء وعهود الاخلاص صنفناها من أقوال
الكتاب والشعراء واستعنا في ذلك بصحف مصر ومجلاتها فلقد كانت
أكبر عون لنا في إصدار هذا (الأثر) وكان مرجعنا في كتابة حياة
الفقيد ملفات خدمته . وأقوال الثقات من معاصريه . وتقارير الوفد

وسجلاته. والصحف المصرية في العهد الاخير . وحوليات مصر السياسية
لسعادة احمد شفيق باشا . وتاريخ الثورة العراقية . وتاريخ مصر السياسي
للدكتور أبوظائلة . والمسألة المصرية. وصوت مصر . وفي سبيل الاستقلال
ومذكرات مازالت في طي الخفاء . والحق إنا كأبدنا صعوبات جمة في البحث
والتنقيب وهو أمر ليس بالهين

*
* *

وها نحن الآن نضع كتابنا أمام الآباء والاحفاد ليكون مناراً
يهتدى به . وغاية تتوجه اليها النفوس والقلوب . ومنبع أدب يستمد منه
الأديب . وعلم هداية لابناء الوطن المخلصين
فان وفقنا ونال الرضاء فبفضل الله ونعمته وإن أسأنا فمن عجزنا
نسأله العون والهداية إنه أكرم مسؤل

محمد اسماعيل البحري



موجز عن ترجمة الفقيد

مولده ونشأته

ولد الفقيد تغمده الله بالرحمة والرضوان في قرية صغيرة هي ابيانه مركز فوه يوم ١٣ ربيع الثاني سنة ١٢٧٦ الموافق سنة ١٨٥٩ . ولما أن ترعرع عوده وقوى صلبه وبلغ السابعة من عمره أدخله والده ابراهيم زغلول مكتب القرية فظل به خمس سنوات ثم أرسل الى دسوق لتجويد القرآن الكريم كي يكون تحت رعاية أخيه الأ كبر الشناوى افندى زغلول وكان في ذلك الحين رئيس مركز دسوق . أخذ الفقيد في تجويد القرآن فجوده على استاذة المرحوم الشيخ عبدالله عبد العظيم . ولكن قعيدنا النابه لم يمكث في دسوق طويلا بل قصد الى القاهرة موطن عظمته ومهد نباهته ومركز شهرته فدخل الازهر وظل يتلقى فيه العلوم خمس سنوات ، وفي اثناء ذلك وفد على مصر فيلسوف الشرق وحكيمه المرحوم السيد جمال الدين الافغانى فتعرف سعد اليه وحضر دروسه وعقدت منذ ذلك الوقت الصداقة به وبتلاميذه أمثال الطيب الذكر المرحوم الشيخ محمد عبده والاستاذ الباجورى والشيخ عبد الكريم سلمان والاستاذ ابراهيم الهلباوى

* *

بدأ رحمه الله يشعر من وقته انه خلق لحياة غير حياة الأزهر وكان الاستاذ الامام من علماء الازهر ويرأس تحرير الوقائع المصرية فاختاره الاستاذ الامام في ١٥ اكتوبر سنة ١٨٨٠ زميلا ومساعدًا بمرتبة قدره ٨٠٠ قرش في الشهر وكان من بين كتابها ومحريها المرحوم عبد الكريم سلمان والسيد وفا زغلول شقيق نصر بك زغلول المحامى وأقام الفقيد في تحرير الوقائع المصرية حوالى ١٨ شهرا حتى بلغ

مرتبته الى ٩٣٣ قرشا وعلى الرغم من أن هذه الجريده كانت حكوميه والمفروض انها لا تنشر ما يخالف نزعة القائلين بالأمر في ذلك الوقت كان لعلهم قهيدا جولات ناريه انتقاديه فهو لا يخطئه ألافى كل صالح وفي كل ماهو في صف الحريه والاستقلال . فكتب في الاستبداد ، والشورى ، والأخلاق واختصر كتاب « ابن مسكويه » في فلسفه الاخلاق ونشره . ووافى صحفا عده بكتاباتة . ففي صحيفه مصر ايام المرحوم « أديب اسحاق » وفي صحيفه البرهان والمحروسه والتجاره وكانت كلها للكاتب المأسوف عليه « سليم قماش » ولئن مضى على هذه الكتابه حوالى نصف قرن تنوعت فيه اساليب الكتاب واختلفت فيه طرق أبحاثهم فان كثيرا مما كتبه بقلمه في الوقائع وغيرها لو أعيد نشره الآن لراه القراء في الصف الأول كان يكتب بوحى الضمير ودافع الروح فاستنفذ مادة ذهنه القوى واستعان بروح الزمن وكان لمهارته الساميه وقلبه الفياض أكبر أثر وحسبك ايها القارئ الكريم أن تعرف أن هذه الكتابه كتابه شاب نارى في منتصف عقده الثالث حتى لقد كانت من مهيئات الثورة العرابيه واذا كان جان جاك روسو يعتبره المؤرخون من أسباب الثورة الفرنسيه لما لقلبه النارى وافكاره الحره وتعاليمه الفلسفيه فكذلك كان قلم سعد وكأنه استبدل يراعه بيراع روسو



وبعد تحرير الوقائع عين معاونا في الداخليه في ٣ مايو سنة ١٨٨٢ وبلغت ماهيته ١٥ جنيتها ، ثم ناظرا لقلم قضايا الجيزه ولكن لم يلبث في وظيفته الا بضع أسابيع ثم فصل منها بدعوى انه من تلاميذ الاستاذ الامام ومن مشايخ محمود باشا سامي البارودى في الثورة العرابيه فعوقب بالعزل جزاء على هذا الاتهام فخرج الى حياة جديده غير مقيدة ليس لبشر عليها من سلطان اللهم الا وازع الضمير والقانون



الفقيه الراحل سعد زغلول في المحاماة سنة ١٨٨٩ ص ٩

استفاد الحماماء

انخرط في سلك الحماماء مع المرحوم حسين افندي صقر الذي كان رئيس قلم في نظارة الداخلية وفصل بسبب الثورة ولم تكن الحماماء في ذلك العهد مرافعات شفهية كما هي الآن . بل كانت مذكرات وتقاير تتبادل بين طرفي الخصوم أو وكلاهما

اتهم سعد اثناء ذلك بالاشتراك هو وزميله حسين افندي صقر في جمعية سرية أسموها « جمعية الانتقام »

ولم تكن هذه التهمة لتروعة أو ترهيبه وهو ذلك الرجل العظيم بل ذلك المتهم البريء فما أبه لاتهامهم وما استكان لظلمهم وهل كانت الطبيعة القوية لتستطيع أن تعمل في الظلام أوفى ظل المكامن والمخابي !

* * *

ولما ان اكتشفت الحكومة أمر هذه الجمعية سنحت لحكامها فرصة الانتقام ، وكان سعد رضوان الله عليه وزميله حسين افندي صقر من الذين استهدفوا لشر هذا الانتقام وتألقت لجنة برئاسة قاض بلجيكي يدعى « فلنكش » وعضوية أربعة أحدهم أجنبي وهو مسيو دو هلس الذي كان أخيرا مستشارا في محكمة الاستئناف العليا والثلاثة مصريون وهم حسين باشا واصف ، وحامد محمود بك ، ومحمود بك سالم ، وبعد أن قضيا في السجن سبعة أيام بحثت اللجنة في اثباتها القضية فتبين لها براءة سعد وزميله فذهبت لإدخالها في هذه التهمة النكراء وقررت بانه لا وجه مطلقا لأقامة الدعوى عليهما وأمرت بإخلاء سبيلهما في الحال . ولكن الحكومة لم تنفذ هذا الأمر في وقته بل ابقيا في السجن ثمان وتسعين يوما حاولت في اثباتها ففشلتا الى السودان . وأعد حينذاك محافظ مصر المرحوم عثمان باشا ماهر المعروف (بالسنيورة) مشروعا بالثني قدم الى مجلس النظار

وكاد المجلس يقر على النفي وينزع بالارواح البريئة الى منأى بعيد لا لذنوب جنوه ولا لسيئة اقترفوها

ولكن المرحوم نخرى باشا ناظر الحاقانية اعترض قائلاً : (ان النفي الذى ترجونه للبريئين يعد ضربة للقضاة الاجانب الذين استعانتم بهم مصر) ومع هذا فلقد ظل الفقيه فى غيابة السجن حتى رفعت ظلامته الى النائب العمومى فاخذته العجب وأمر من فوره باطلاق سراحه هو وزميله

* *

فعاد الى المحاماة يحمل وسام الشرف والبراءة وكان قعيدنا أول محام قيد اسمه فى جدول المحامين سنة ١٨٨٤ فانفسح المجال أمامه فى مرافعات القضايا وبدأ المحامى سعد يدلى بذقائه أمام منصة القضاء ويبسط حججه بلسانه فيبهر سامعيه ويتملك قلوبهم ويستولى على أفئدتهم فى تضاعيف صوته ومقاطيع حلقه موهبة عظيمة الشأن هى قوة الجذب العام

وكيف بك وحديث نفسه عن المحاماة يوضح لك بجلاء شعور روحه وقوة إيمانه وعقيدته الخالصة وطهارة خلقه العالى فهو يقول : « لما هممت بالاشتغال بفن المحاماة وحدثتني نفسى بشأنها . نظرت فاذا من رزئت به من الذين كانوا عنوان سمعتها وذكروا كأنهم الشوك يؤذى الناس ويعذبهم وذلك أنهم كانوا يسيئون الى عباد الله بخيانتهم وزيفهم عن طريق الحق والهدى ولذلك ترددت بحدى بدء ثم قلت فى نفسى ماضرك لو كنت ورده بين هاتيك الاشواك فلما استقر بخاطرى أن القيام بالواجب خير للمرء وان كان بحرقه هى بأهلها من سقط المتاع أقدمت موطن العزم على الاشتغال بها بين أولئك الذين عذبهم شوكا »

وفى هذا الوسط وعلى أساس هذا الاعتقاد - اعتقاد القيام بالواجب - اشتغل بالمحاماة فكان حقا ورده بين الاشواك يضيع شذاها فتكسب ماحولها طيبا وعطرا . وما على هذه النفس وأروعها اذ نبئت بجانبها ورود جمة فازدهرت



الزعيم الراحل سعد زغلول في القضاء سنة ١٨٩٢ ص ١١

وأينعت واطمأنت الناس على حياتهم وبعد الاذى عنهم فأكرم سعد النابه وبولغ في إكرامه فكان مدد الاعلاء ومظهر النجاح وكان لعالم المحاماه ان عرفت لشيخه هذا الفضل فعُد « النقيب » وان كان هذا الاسم لم تجربه الالسن بعد في ذلك العهد الفائت

* *

لبث « سعد المحامى » يرفع من شأن المحاماة برفعة شأنه ويظهر من ذكرها بطهارة ذكره حتى عام ١٨٩٢ وبذلك سمت مكاتبتها وشرفت سمعتها كان هذا السمو ينمو بمرور الايام فارتقى سعد مدارج الرقى ودخل حياة أخرى

استئناف القضاء

وفى يوم ٢٧ يونيو سنة ١٨٩٢ عين سعد القدير بمحكمة الاستئناف الاهلية (نائب قاض) بمرتبة قدره ٤٥ جنيها فكان أول محام فى مصر رفع قاضياً وكان لهذا التعيين نشوة ابتهاج ومسرة: فأدبت له مائدة باهرة بمحديقة الازبكية تجلى فيها التكريم بأجلى معانيه وكان ذلك فى يوليو سنة ١٨٩٢ واشترك فى اقامتها رئيس محكمة الاستئناف فى ذلك العهد المرحوم (احمد بليغ باشا) ووكيل الحقانية « المرحوم اسماعيل بك عاصم » « والاستاذ القانى » « والاستاذ الهلباوى » وكثيرون غيرهم . ففاضت خطبهم بالنقاب وبأعلى المديح وأعلاه يصفون فيها سعدا باستمساكه بالحق ويتحدثون عن عبقريته النادرة وعن ذكائه الحاد

ولكن القيد الجليل رد عليهم بخطبة مؤثرة رقيقة فيها اعترافات بليغه من قلبه الخلاق وروحه العالى وجاشت لها نفس عبقرية تدعو الى الايمان بالحق والشعور بالواجب ومنايذة الباطل ونصرة المظلوم ووفرة الكرامة

* *

دخل القضاء بتلك الشخصية القوية وما اروعها في منصة القضاء وما اشد جلال القاضى المهيب اذا اجتمع جلاله بجلال مقعده . وما اروع شخصيته ازاء المجرمين والجناة لقد يخيل للمتهم امام تلك القوة الخفية ان مغاليق نفسه انفتحت أمام القاضى ومسالك الشر انفضحت بين يديه فلا يهوى الا وقد أبان الحقيقة ووضحها وادلى الى القاضى باعترافاته وهو هادئ ساكن كى يتخلص من ذلك التأثير الشخصى الذى يصدمه به القاضى ويهدم فيه كل عزيمة تمحض على الانكار والاصرار على التضليل

هذا هو سعد فى منصة القضاء صاحب الرأى السديد والحكمة البالغة . هذا هو سعد ذو التأثير الشخصى ذو العين التى تظهر الحق وتخفى الباطل وكيف بالقارىء الكريم وجريدة التمس كتبت عن سعد فى ذلك الحين ما يأتى :

« انه من شيعة المرحوم محمد عبده الذين امتازوا بالارقاء والتهذيب وهم الذين اساهم اللورد كرومر فريق (الجيرونند) فى النهضة المصرية الوطنية وان سعدا عريق فى وطنيته اجمع الناس على اكرامه والاعجاب به لما اشتهر عنه من الاستقامة والاستقلال بالرأى »

* *

كان طيب الله ثراه عبقرىا كبير النفس قوى الشعور متصفا بسجية كبرى هى حرية الرأى والصراحة فى القول والاخلاص فى العمل مع قوة فى العزيمة ونصرة للمبدأ . حديدى الارادة فقد تعلم الفرنسية وهو يكاد يناهز الاربعين . ولم يلبث غير قليل حتى حذقها واهن معرقها وحسبك ان تتشوق كيف تعلم القعيد الفرنسية ؟ وكيف نال الليسانس ؟

* *



الزعيم الراحل سعد زغلول
دهو مستشار بمحكمة الاستئناف سنة ١٨٩٣ ص ١٣

ولما ان كان زعيمنا الراحل مستشارا بالاستئناف ورئيس المحكمة اذ ذاك قاض يدعى « بوند بك » واثناء مداولة قضية هامه كان « سعد المشرع » عضوا من اعضاء هيئتها فادلى برأى قانونى تشريعى عظيم الأهمية فالتفت اليه بوند قائلا :

« أن هذا الرأى خلىق أن يبدر عن قاسم أمين، أو عن غيره من حملة اللسانس »
فقاطعه سعد قائلا :

« يعنى ما فيش الا حامل اللسانس ؟ »

فقال بوند : طبعا

فصمت سعد الجبار طويلا وفكر فى نفسه أخيرا أن يتعلم الفرنسية وأن ينال اللسانس

وهنا أكب سعد على تعلم الفرنسية وتحصيلها هى وعلم الحقوق . فكان ينزل من منصة القضاء ليجلس مجلس التلميذ . ذلك لان العظمة لا تنجل أن تستخدم كل أمر فى سبيل كمالها والناس كما تعرف أيها القارئ طلاب معرفه وأشهدهم فى طلبها أقوياء العزيمة

فظل سعد بين جد وعمل حتى فاز باحراز اللسانس من جامعة باريس

*
*
*

وكان فى مقعد القضاء يحمل المحامين على احترامه لابقوة القانون بل بوازع الضمير والوجدان وعلى ذلك توقفت عرى المودة بينه وبين نفس من طرازه فى السمو والتشبع بنزعة الإصلاح

هى نفس المصلح الكبير « المرحوم قاسم بك أمين »

فلقد كانت وايم الحق نفسا وادعة مطمئنة ترجو الإصلاح بكل ما أوتيت من قوة وتنزع الى فك القيود أيا كانت فتوادا وتآلفا وترى هذه الصداقة فى كتابى قاسم بك أمين « تحرير المرأة » « والمرأة الجديدة » وفى الدعوة لانشاء الجامعة

للمصرية فكانا يسميان جهد الطاقة لبث روح جديدة في التعليم الاهلى حتى لا يكون مقيداً بسلطان الاجنبى فتحبس الكفاءة وقصر الجهود ويقضى على الذكاء المصرى فتمت الغاية بفضلها وخرجت « الجامعة المصرية » القديمة كما يبنى الفقيه الراحل

اختياره لوزارة المعارف

ترك منصة القضاء الى منصة الوزارة فى ٢٧ اكتوبر سنة ١٩٠٦ وهى عمل بالطبع خطير فأخذت اراؤه تتجلى ووثب ونبته فكان دليلاً بينا على علو شأنه ورفعة مكانته وليس بدعاً ان روحاً امتازت باستقلال الرأى واحترام الذات والبعد عن الزلفى واحتقار الملق لاصحاب السلطات ان يكون هذا شأنها فترقى وتعلو الى ذروة المجد

وما أعجبك أيها القارىء اذ ترى أن سعداً حتى يوم اختياره لوزارة المعارف كان أبعد الناس عن فكرة مفارقة وظيفته التى ألفها وألفته واطمأنت نفسه اليها وحبس آماله وكفاءته عليها

ولقد أخبرنا بعض العارفين أن سعداً يوم أن سيق نبأ تعيينه وزيراً حسب مزاح أو دعاية أذ كان بعيداً عن القابضين على أزمة الامور قليل الاختلاط بهم فى معزل عنهم . واذا كانت الكلمة فى هذا الوقت العصيب « كلمة اللورد كرومر » تمثل السياسة البريطانية فى مصر وهو رجل البطش والجبروت ، ذو النزعة الاستعمارية ومع مافيه من غلو فلقد كان على جانب من النزاهة نوعاً ما ولهذا ليس غريباً أن يتبين مزايى سعد فى ذكائه وجلده فى استقامته وقوة روحه . لذا اختاره وزيراً وتصريح كرومر فى خطبة وداعه تريك فضل « سعد

الراحل » والفضل ماشهت به الاعداء

ماذا قال كرومر عن سعد الوزير ؟



الفقيه الراحل صاحب المعالي سعد زغلول

١٤ ص

وزير المعارف سنة ١٩٠٧

وبأى وصف وصفه ؟

لقد قال « انى لا ذكر لكم ايها الساده اسم رجل لم اشتغل معه الامن عهد قريب لكن معاشرتى له قد علمتني أن احترامه احتراماً عظيماً واذا أصاب ظنى ولم اخطئ يكون امام ناظر المعارف الجذيد سعد زغلول مستقبل عظيم فى نبيل خدمته هذه البلاد ومنفعتها لانه حائز لجميع الصفات اللازمة لخدمة بلاده فهو رجل كف مقتدر بل هو رجل شجاع فيما هو مقتنع به »

* *

دخل وزارة المعارف فبث فيها روحاً حارة وذهناً كبيراً ونشاطاً مستمراً وسيراً فى طريق الإصلاح جديداً

ولم تكن حياته فى المعارف هادئة بل كانت حياة شاقة متعبة محوطة بكثير من العقبات فلم يكن امامه (دنلوب) وحده بل كان مضطراً أن يجاهد الوزراء الوطنيين ذى الوظائف الكبيرة مملوءة باذئاب الانجليز وكانت مصالح هؤلاء الأذئاب فى ممالة سادتهم على رجل لا ينفى الا الإصلاح

فاحيا فى وزارته اللغة العربية وكادت ان تصبح لغة اضافية ولساناً اثرياً وكانت العلوم على اختلافها تدرس بالانجليزية ، والطلبة فى ذلك يعاتون الآلام من هذا العنت فبدل سعد هذه العجمة وعمل على احياء اللغة العربية فى جميع مدارسها ، ومهد السبيل لذلك فلقد فكر بانشاء قسم بالوزارة للترجمة والنشر . وبذلك صد التيار الجارف الذى كان يريد ان يقد قومية البلاد ويقضى على شخصيتها ويجردها من مكوناتها

وكان الوزراء قبيل عهده مغلولى الايدى . ضعيفى السلطان . خاصة وزارة المعارف . فالوزير فيها لا يعرف غير شيئين الختم والتوقيع . فلما ان وزر سعد كان محادثاً جديداً ونزعة عالية من عظمة النفس والشعور بالمسئولية أبى أن تصغر نفسه . وأن تكون آلة فى يد غيرها

فكان الوزير العامل المحتفظ بشخصيته واطلق نفسه من قيد الاغلال والسلاسل حتى لقد اصبحت السلطة كلها في يده يصرفها كيف شاء عقله وذنه ، فكان حقا الوزير المضرى الاوحد ، وكان عهده عهد التهذيب والرقى الاجتماعى والادبى

فى وزارة الحفانية

انحلت الوزارة البطرسية عام ١٩١٠ على اثر حادثه الشاب القدائى ابراهيم ناصف الوردانى . وتألفت الوزارة السعيديه واصاب فيها « سعد » وزارة الحفانية فى ٢٣ فبراير سنة ١٩١٠ ولما ان قلد زمام الأمر فيها قال :
« الآن اشتغل مع من افهمهم ويفهمونى » وكانت حياته فيها حياة الهدوء وتمت على يديه اصلاحات جمه . اظهرها نقابة المحامين
ولما ان تعاقبت الآلام عليه من خارج النظارة وأرادت هيئة التدخل فى شؤون وظيفته خدمة لمصلحتها على حساب القانون ابت نفسه الاذعان وكان من وراء ذلك ان استقال لان الحق عنده اكبر من كل شئ والشركا يقولون يستطيع زمانا أن يطفى لمعة الخير ويقضى على الفضيلة ويحول بينها وبين الذبوع وبعد استقالته ادركه الحنين الى المحاماة وكاد أن يشتغل بها لولا ان صدر فى ذلك العهد قانون الجمعية التشريعية واعلنت الدعوة للانتخاب

فى الجمعية التشريعية

خلد الفريد الى العزلة اشهرا . بعيدا عن ضجة الحياة السياسية ومناصب الحكومة . قوى العزم على ان يغامر بحياة جديده هى حياته النيابية وتاريخه فيها ناصع وصحيفته بيضاء ودفاعه مجيد ولسانه حاد ضد الظلم والاستعباد وكيف بك ايها القارئ وقهيدنا انتصر على القوى الرجعية ففاز فى الدائرتين

(السيد زينب وبولاقي) العضو المنتخب عن الأمة وكان بجانب العضو المنتخب عن الحكومة فظفر بمنصب الوكالة رغم الخصوم والاعداء ورغم ما ناله من عمل السوء وتآلب الخونة فكم أرادوا ان يحولوا بينه وبين الفوز ولكن أبي الحق الا بان يصدع الباطل وينتصر الهدى على الضلال ويضيء النور مكان الظلماء فدار دورته وجال جولته فكان قلبا خفاقا على مصر يدعو الى الاصلاح ما استطاع الى ذلك سبيلا ولقد قال في موقف من مواقفه :

« اعترف اني وانا وزير عملت بحسن نية واخلاص عملا لو عرض على اليوم لكنت اول المعارضين فيه قد عرض على قانون المطبوعات. فعارضت فيه أولائهم لم ألبث ان واقعت عليه واشتركت في تطبيقه لظروف بررتها في ذلك الوقت امام نفسي وهأنا اليوم نادى على ما فعلت بالأمس »

له اعمال جليلة في الجمعية يعرفها من راجع « مضبطة الجمعية التشريعية » ولقد تصدى في ذلك الحين لوليم برونيت المستشار القضائي يوم اعد مشروعا لتعديل قانون العقوبات دعا اليه كبار الاساتذة والمحامين فقال له قهيدنا (ومن وكلكم عن الأمة المصرية لتسنوا لها القوانين ومن حقها وحدها سن القوانين لنفسها ؟)

كان منطقيا يميل الى حكمة العقل فهو يعتمد على الحقائق ولن تستهويه العواطف ولا افكار الخيال بل يحب الرأي مشفوعا بالحجة والبرهان ومع هذا فله اسلوبه الرقيق وعباراته السلسلة العذبة

أيام الحرب الكبرى

نشبت الحرب الكبرى وتغيرت الحكومة من خديوية الى سلطنة واعتقلت السلطة العسكرية البريطانية خلقا كثيرين من مختلف الطبقات فغربتهم عن

الاطمان وطاح القدر بهم فبدل أمنهم خوفا وسلامهم رعبا « وكان الشر مضطرم
والباس محتدم والمعدو منتقم والخصم محكم » وكان لدموع العذارى من التأثير
ما يأخذ باللب ولصواعق القوة الغاشمة حيرة قنذر بالويل والثبور .

كان الامن فى خطر وهكذا القوة تعمل فى الضعفاء الآمنين ماشاء لها من
سخر ونذالة وسيطرة وسلطان

ورأت السلطة حينذاك أن الوقت غير مناسب لعقد الجمعية التشريعية (١)
فصدر أمر عال فى ٨ اكتوبر من قائم مقام الخديوى يقضى بالتأجيل الى أول
يناير سنة ١٩١٥ ثم تأجل موعد انعقادها لمدد أخرى حتى جاء فى نهايتها مرسوم
٢٧ اكتوبر يقضى بتأجيلها الى موعد يحدد فيما بعد

تخرجت البلاد من كل الوجوه وتحكم فيها الضيق ولكن طرق الاكتابات
كانت قهرية تارة باسم الصليب الاحمر وآونة باسم المساعدات لأسر الجنود
المنكوبين . وفى ٢ نوفمبر رقت الصحافة وأعلنت الاحكام العرفية وفى ٧ منه
قطعت العلاقات بين انكلترا والدولة العلية وتلتها حوادث جسام والناس واجمون
حيرة من أمرها .

وكان الانقلاب السياسى فى مصر بخلع الخديوى عباس وتولية السلطان حسين
كامل فى ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ . وفى ٢٨ يناير سنة ١٩١٥ هجم الاتراك على
قناة السويس . ولقد خاب ظنهم بخديعة الملازم احمد أفندى جلى ولكنه لقي
حتفه منهم ثم اشتد كساد الاعمال فى البلاد واشتدت فظائع الانجليز على الاهالى (٢)
واقطع الذهب وجمع العمال المصريون لخدمة الجيش وأخذت السلطة العسكرية
الدواب والمحصولات . وفى ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٦ حلقت طيارات الالمان فى جو
مصر واقت تسعة قتابل قتل ١٤ شخصا وجرح ٢٥ من عابرى السبيل .

(١) راجع نظام القضاء والادارة للاستاذين قحه بك وعبد الفتاح السيد بك

(٢) راجع حوليات مصر السياسية لشفيق باشا ص ٨٥

وفي ٢٠ مايو سنة ١٩١٧ صدر قانون نزع السلاح وفي ٩ أكتوبر نعى المنفور له
السلطان حسين كامل وتنحى الامير كمال الدين حسين عن قبول العرش وقبله
الامير احمد فؤاد «جلالة الملك الآن»

*
**

ومن نعمة الله ومنتهان كان قعيدنا الراحل وسط تلك الزوابع السياسية الهوجاء
معتزلا الدنيا . ناعما في ظل الوحده هادئا لا يعبأ بالقلقل التي حوله ولن تثيره تلك
الضجة التي بجواره فلم تمسه السلطة العسكرية بسوء ولم تفكر في اعتقاله . وما
درت أن وراء الآكمة ما وراءها . وأن بين طيات السكون العميق ثورة بركانية
ستفجر بعد قليل أن لم تنل البلاد حقها من الحرية المغصوبة

ظل هادئا لا ينهض بشرنحو المستعمرين الغاصبين وانهز فرصة السكوت في
تعلم الألمانية وهو في الخامس والخمسين من سنه حيث حبت اليه لغتهم . فوثبتهم وايقادهم
شعلة النار واختراعهم الاعاجيب زاد العالم اعجابا بهم خاصة زعيمنا الراحل
ظل طوال ايام الحرب بين هدوء ودرس حتى عقدت الهدنة وخرج الرئيس
ولسن يحمل رسالة الوحي ويصرخ في العالم صرخته ويدعو الشعوب الضعيفة الى
مبادئه ويبذر بين الامم بذرة السلام كي يقتل شبح الحرب من الأرض وتتنسم
الشعوب الصغيرة بنسيم الحرية وتتنوق طعم الاستقلال بدل الاستعباد

هناخرج سعد من مكمنه وكانت مبادئ ولسن قد تغلغلت في اعماق قلبه فجمع
حوله انصاره وأصحابه وألف الوفد المصري بتوكيل من الشعب . ولما أن تم
التوكيل وضع قانون الوفد^(١) . فتدخلت السلطة لمنع تداول التوكيلات في أنحاء
البلاد . فكتب سعد الى وزير الداخلية والى رئيس الوزراء معترضا ولكن الأمر

(١) للوفد المصري قانون مواده ست وعشرون تراجع في كتاب مع
الوفد المصري ، وفي حوليات مصر ، وفي سجلات الوفد

ليس بيدهم فهم تحت أمرة قوة عليا وسلطان قاهر وكانت حجة رئيس مجلس الوزراء ان البلاد ما زالت تحت الاحكام العرفية

وفي يوم الأربعاء ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ ذهب الرئيس الفقيه الى دار الحماية بصحبة المرحوم شعراوي باشا ، وعبد العزيز فهمي بك . ذهبوا وفدا عن الأمة لتبليغ الحكومة مطالب الشعب المصري^(١) . وطلبوا أيضا التصريح لهم بالسفر الى أوروبا لحل المسألة المصرية . فرفضت حكومة إنجلترا وأبت ان تسمح لهم بالسفر . فخرج سعد ورفاقه مغضبا وتوالت الاحتجاجات وكثرت الاجتماعات على أثر ذلك وفي الوقت عينه أرسل الفقيه الى المعتمد يخبره بتأليف الوفد المصري وغايته والمسألة التي نيظ بها

وكتب الى رئيس وزراء إنجلترا^(٢) وأرسل نداء بليغا الى معتمدى الدول الأجنبية بمصر وكان من جراء هذا المنع ان استقالت وزارة رشدي باشا في ٣ و ٢٣ و ٣٠ ديسمبر فلقد منعت هي أيضا من السفر الى أوروبا وظلت مصر بغير وزارة مدة ثلاثة شهور . ولكن القائد العام حمل الوفد المصري مسئولية هذه الازمة وفي ١٤ ديسمبر أرسل برقية الى الدكتور ولسن وكان قد وصل الى باريس . أبان في هذه البرقية حالة البلاد وما بذلته أثناء الحرب من المساعدات^(٤) . وعاد فأرسل برقية أخرى للدكتور ولسن عند وصوله الى لندن^(٥) وتبعه ببيان مستفيض أتبعه بمذكره بخصوص مستقبل مصر نشرها بالصحف الفرنسية يوم ١٠ يناير سنة ١٩١٩^(٦)

وفي يوم ١١ يناير سنة ١٩١٩ أرسل برقية الى رئيس مؤتمر السلام الميسو

- (١) راجع محادثات الوفد ومناقشات السير ونجت في سجلات الوفد وفي
حوليات مصر جزءا ص ١٣٧-١٤٣ (٢) راجع حوليات ص ١٧٠ (٣) راجع
نص النداء ص ١٦٦ بحوليات مصر (٤) راجع نص البرقية ص ١٨٢ من الحوليات
(٥) راجع النص في ص ١٨٥ حوليات (٦) راجع لبيان ص ١٨٩ حوليات

كلنسو^(١) ناشده فيها الا يتخذ من سكوت المصريين على المطالبة بحقوقهم دليلا
لرضائهم لانهم مرغمون على السكوت
وأرسل في ١٢ يناير الى المندوب السامي والى رئيس وزراء إنجلترا وإيطاليا
وأمریکا وكثير غيرهم ييسط لهم الحالة ومعاملة السلطة العسكرية من ضغط وتشريد
ومن تفريق بين الامم المتجاورة^(٢)

* * *

وفي تلك الاثناء خطب خطبته الرنانة فى حفلة الشاى التى أقامها سعادة حمد
باشا الباسل فى ١٣ يناير وله فيها أقواله المأثورة وحكمه البليغة فمنها بقول :
« ليست فكرة الاستقلال جديدة فى مصر بل هى قديمة يتأجج فى قلوب
المصريين الشوق الى تحقيقها كلما بدت بارقة أمل فيه وتخبو ناره كلما استطاعت
القوة أن تخذل انقاس الحق »

« هذا عصر احترام الانسانية فى الشعوب الضعيفة والقوية على السواء . فلا
سيادة لقوى على ضعيف بل الكل أعضاء حقوقهم متساوية فى الاخاء الانسانى »
« ان بلادنا خلوا الآن أمام القانون الدولى من كل سيادة أجنبية »
« أن إيماننا بقواعد الحق والعدل هو عدتنا »^(٣)

* * *

بعد حفلة الباسل رغب الرئيس ان يقيم حفلة شاى أخرى بداره فى ٣١ يناير
سنة ١٩١٩ فأبّت السلطة العسكرية إقامة الاجتماع ومنعته قهرا وعنوة . فعند
هذا المنع اعتداء على الحرية الشخصية وارسل فى الحال برقية الى كبير وزراء
إنجلترا . وظل يرسل الرسائل قلو الرسائل وينشر الدعوة عن طريق البرق علّه

(١) راجع النص ص ١٩٤ حوليات مصر (٢) راجع نص الرسائل بسجلات
الوفد المصرى (٣) راجع نص الخطبة الاولى للفقيد فى حوليات مصر السياسية
جزء ١ ص ٢٠٢ - ٢١٢

ينال اذنا بالسفر الى أوربا ولكنه لم يستطع الى ذلك سبيلا
فاستدعى القائد العام سعد ورفاقه في ٦ مارس سنة ١٩١٩ والتقى عليهم بلاغا
بالانجليزية آخر فقراته : —

(أن أى عمل منهم يرمى الى عرقلة سير الاداره يجعلهم عرضة الى المعاملة
الشديدة بموجب الاحكام العرفية)

فلم يدعن سعد لهذا الانذار ولم يخش بأس السلطة ولم يرهبه وعدها ووعيدها
فأبرق في اليوم نفسه احتجاجا الى رئيس وزراء انكلترا فأتخذت السلطة
من هذه الشكوى أهانة لها وطريقا للقبض على سعد ورفاقه . وخيل لها في حساباتها
ارهاب المصريين وزعزعة لعقيدتهم . وما دروا أن الحق يعلو وأن المعتقد بأحقية
مطلبه لن يثنيه عن عزمه نفى أو تشريد . اهانة أو عذاب . وفي سبيل الأوطان
يحلو العذاب ويسهل الهوان . وتخف وطأة الآلام ويكون للنفي والتشريد لذة
لا ينوقها الا المنفيون والمعتقلون

الزعيم بين مصر ومالط

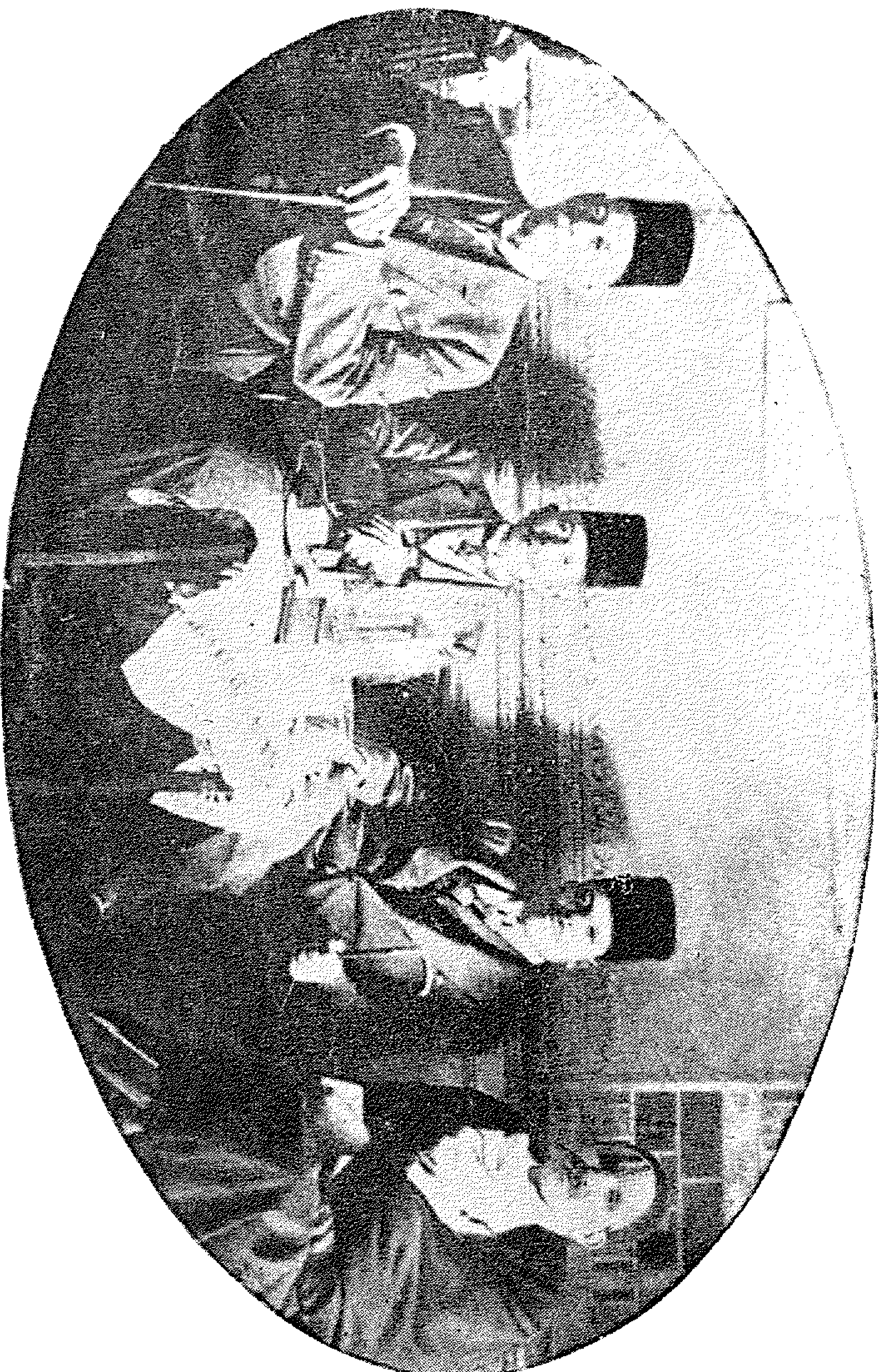
قبض على سعد في عقر داره في ٨ مارس سنة ١٩١٩ هو وصحابه الثلاثة
المرحوم شعراوى باشا . وصدقي باشا . وحمد الباسل باشا . ومحمد محمود باشا . فنقلوا
الى ثكنات قصر النيل وهناك أبلغوا بالسفر في صباح الغد وعليهم أن يستعدوا
لاخذ ما يكفيهم من ثياب — فسألوا القوة :

الى أى طريق نحن مسوقون ؟؟

فلم يجدهم فى سؤالهم نفعا وكان الجواب الى جهة مجهولة !!

* *

وفي صباح اليوم التالى أى في مارس سنة ١٩١٩ وضعت أمتعة المنفيين فى



الزعيم وصحبه في المنفى الاول بالطه سنة ١٩١٩

معالى العقيد الراحل سعد زغلول . مهالى اسماعيل صدقي . سمادة محمد محمود . سمادة حمد الباسل ص ٢٢

سيارة من سيارات الجيش وركبوا هم في سيارة صغيرة نقلتهم الى محطة العاصمة فركبوا قطار بورسعيد في الساعة ١١ وكان في حراستهم أربعة من الجنود الشاكي السلاح واثنان من الضباط ولما دنا سعد الى بورسعيد هو وصحابه ركبوا الباخرة (كاللونيا) وهى من بواخر (البنسيولا روزينتال) وحولتها ٧٥٧٢ طنا وطولها ٥٥٢ قدما وعمقها ٧ و ٣٧ قدما وقوة محركاتها ٥ و ١٤ حصان

وعند تمثال (دلسبس) جاء الضابط المكلف بالحراسة الى سعد وأصحابه قائلا : أن طريقكم مالطه :

وهنا عرفوا طريق نفهم فوصلوا اليها واقاموا بقشلاق فرداله وكان للقوة الغاصبة سلطان قاهر . اذ الحرية مغصوبة والاخبار المصرية ممنوعة والترهة محدوده — وكان من قوة ارادة قيادنا أن تعلم الانجليزية على رجل المانى — فبقى فى منفاه هو والصحاب لا يعلمون عن أمر مصر شيئا حتى بدأهم حارسهم :

« أنكم غادرتم مصر بعد أن صيرتموها شعلة من نار »



وحقا فلقد اهتزت البلاد من اقصاها الى اقصاها وارتعدت وقامت الثورة فى كل مكان وقسم المصريون أنفسهم وأرواحهم فدية لزعمائهم بل فدية لأوطانهم فأضرب طلاب القطر احتجاجا على هذا الاعتقال والفت مظاهرة كبرى وكان الاعتصاب العام . وزاد الشبان حماسا والقائمون بالحركة المصرية أقداما وأصدرت السلطة الى جنودها المسلحين بمناهضة هذه المظاهرات وفى ١١ مارس اضرب المحامون وفى ١٣ مارس قطعت المواصلات وفى ١٥ كانت موقعة الحسين قتل فيها اثني عشر شخصا وجرح كثيرون . ثم موقعة السيدة قتل ١٣ شخصا وجرح سبع وعشرون وفيه أيضا اعتصب عمال العنابر . وفى ١٦ كانت مظاهرة السيدات ثم أعقبها اعتصاب عمال النور ثم الهجوم على مرا كزالبوايس . وعلى كل فلقد اشتدت حركة العصيان حتى قتل من عرب البدون نحو الاربعمئة ومن ميت القرشى نحو المائة

أما فظائع القوة المستبدة فلقد اشتهت لظاها يضيق عن تعدادها الحضر . والصحف المصرية ملأت بهذه الآلام والنكبات وما نكبة العزيزية والبدرشين الاصفحة سوداء في جبين الغاصب وما أحراق قرية الشابات مركز الزقازيق ونزلة الشوبك مركز العياط الافظيعة من فظائع الاستعمار

بهذه الآلام المرة زادت الحالة تخرجاً ودعا المندوب السامي في ٢٦ مارس أعضاء الوفد للاستفسار عن الحالة قدموا تقريراً يقع في عشر صفحات^(١)

وفي ١٢ ابريل احتج شيخ الازهر على اغلاقه . والمحامون على اعتداء الجنود عليهم . وفي ١٦ ابريل اقيم احتفال عظيم بمجازة فتى صغير لم يتجاوز سنه عشر سنوات يدعى « ابن القباقي » وهو من حي طيلون

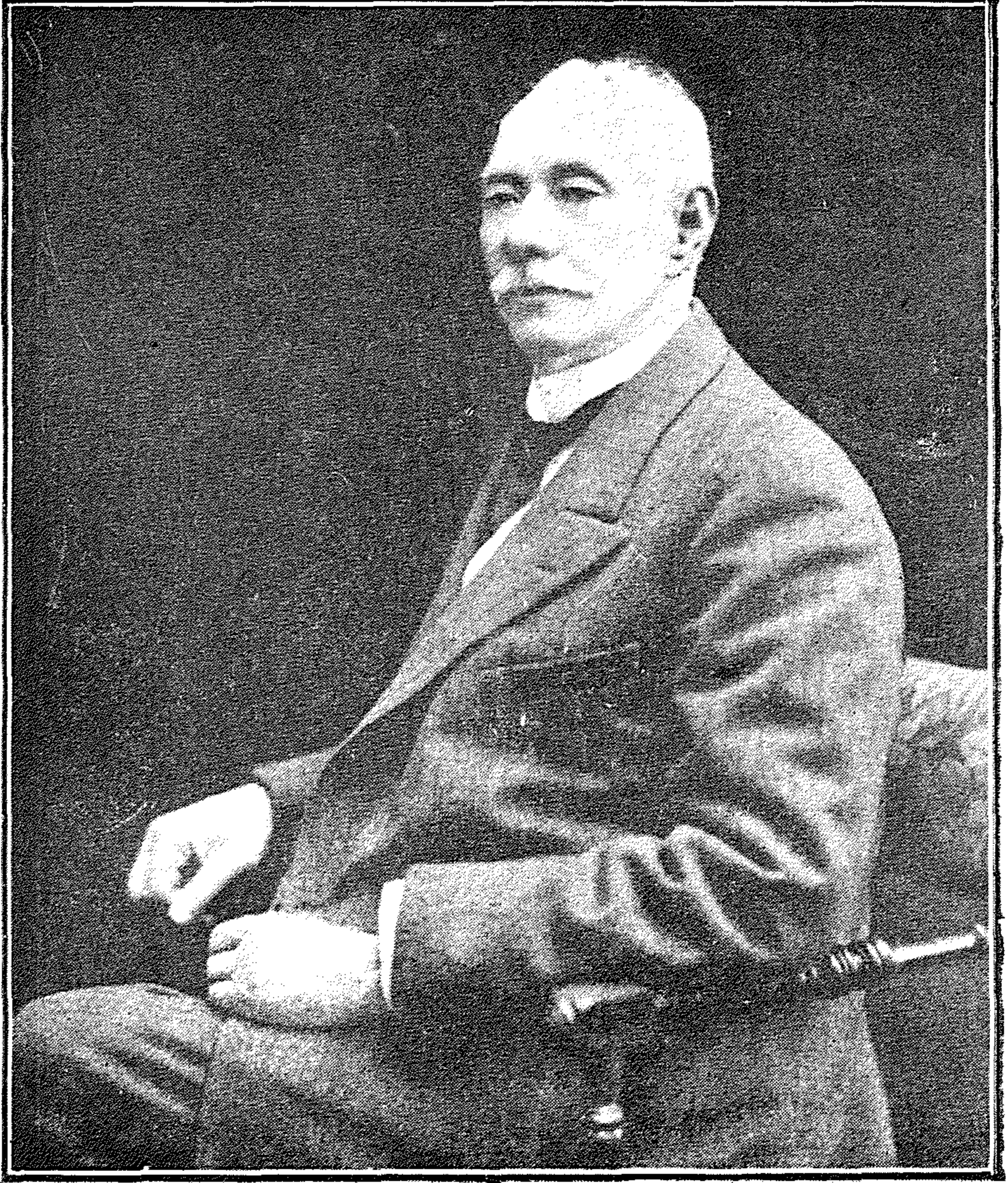
وبعد هذا خمدت نار الثورة من الوجهة العسكرية ولكن النفوس مازالت تذكر فظائم الالم غير أن الشعب الحكيم الذي فطر على التسامح كظم غيظه على مفضض مستعد لوثبة أخرى وكان المنشور عظمة السلطان في مساء ٦ ابريل رنة من الاطمئنان تنبئ عن أمر جديد^(٢)

ولهذا اضطر الانجليز اضطراراً الى الافراج عن سعد وصحبه ففي ٧ ابريل سنة ١٩١٩ أفرج عن سعد ودخل على الزعيم وصحبه في منفاه ضابط كبير قائلاً : استعدادوا للسفر فسيطلق سراحكم ويسمح لكم بالسفر الى باريس . وهناك في مالطه أقيمت حفلة شاي كبيره حضرها كثير من الالمان والمصريين المعتقلين تكريماً لسعد واصحابه

على أثر ذلك سافر الوفد من مصر الى مالطة ومنها الى باريس وكان عند اللقاء روعة من الحزن العميق سالت فيها الدموع وفاضت . ويقول في ذلك « الاستاذ محمود افندي ابو الفتح » ليس يدرى القلم ساعة اللقاء كنه هذه الدموع

(١) راجع التقرير في حويات مصر السياسية ص ٢٩٥ - ٣٠٥

(٢) راجع نص المنشور في اهرام ٧ ابريل سنة ١٩١٩



الزعيم الراحل سعد زغلول
في بدء الحركة الوطنية سنة ١٩١٩ وهو في باريس ٢٤ ص

ولا ما انطوت عليه

وليس عجيباً أن كنا نحن هنا في مصر نبكي من فرط الفرحنة وحسبي أن
أحدثك عن أستاذ في الاخلاق كبير هو الآن أستاذ بالجامعة المصرية . كان
يحمل على صدره شريطاً حريزاً - وسام المسره - كتب عليه « كوميدى
المعلمين »

وكنت ترى في مقدمة المظاهرات شيخاً من علماء المسلمين أخذ بيد
قسيس ، وقسيساً يعانق شيخاً ، فكانت مناظر كثير كوامن الشجون وتريق
دموع الغبطة والفرح

* *

سار الوفد وعلى رأسه الزعيم الفقيد فكان ما كان من ايصاد الابواب . على
أنها ما كانت لتفت في عضد الرئيس أو تضعف من عزيمته فواصلوا الجهاد
وواصلت البلاد حركتها الاستقلالية دعائماً فيها نصر الله وقوته
وأرسل الانجليز حينذاك للمصريين (لجنة ملتر) قاطعتها مصر وعلى رأسها
الامراء وقد كان جواب الجميع أن لنا وفداً قد وكلناه في الدفاع عنا فما وسع الانجليز
الا أن دعواً سعداً للمفاوضة واجتمع (بملتر) ذلك الخصم السياسى العنيد وحوله
أعضاء الوفد ولما أن دخلوا بهم باب المراوغة والمخادعة . علمت (اللجنة الملترية)
انها تفاوض زعيماً قوى الحجة ذرب اللسان فصيح البيان يؤيده الشعب من وراءه
قطع الرئيس الفقيد باب المفاوضات حيث لم يجد هناك أملاً في الاتفاق ورفض
المشروع عملاً بإرادة الامة . ومن ثم عاد الى باريس لتجديد الدعوة ونشر مطالبه
وفي هذا الاثناء تشكلت وزارة عدلى ونشر برنامجها ووعدت بانها تسير على ارادة
الوفد ورغبات الامة فارسلت الى قهيدنا فحضر الى مصر واستقبلته الامة استقبالا
لم يعرفه زعيم من زعماء الامم واحتفلت بمقدمه احتفالاً مهيباً فهو رمز النهضة ورسول
الوطنية وبطل التضحية

رفعت الاعلام وثرت الازهار ونصبت أقواس النصر وزينت بثريات الكهزباء
وكان للجاليات الاجنبية نصيب في هذا الاحتفاء فأضحى موضع الامم والشعوب
ولن نجد ناديا من النوادي ولا قصرا من القصور ولا منزلا من المنازل ولا
كوخا من أكواخ الفقراء الامزينة يصورته. أما أوصمة الفخار وأنا شيد المجد فتلا
صورة القعيد يتحلى بها صدر كل فتى وفتاة

*
*
*

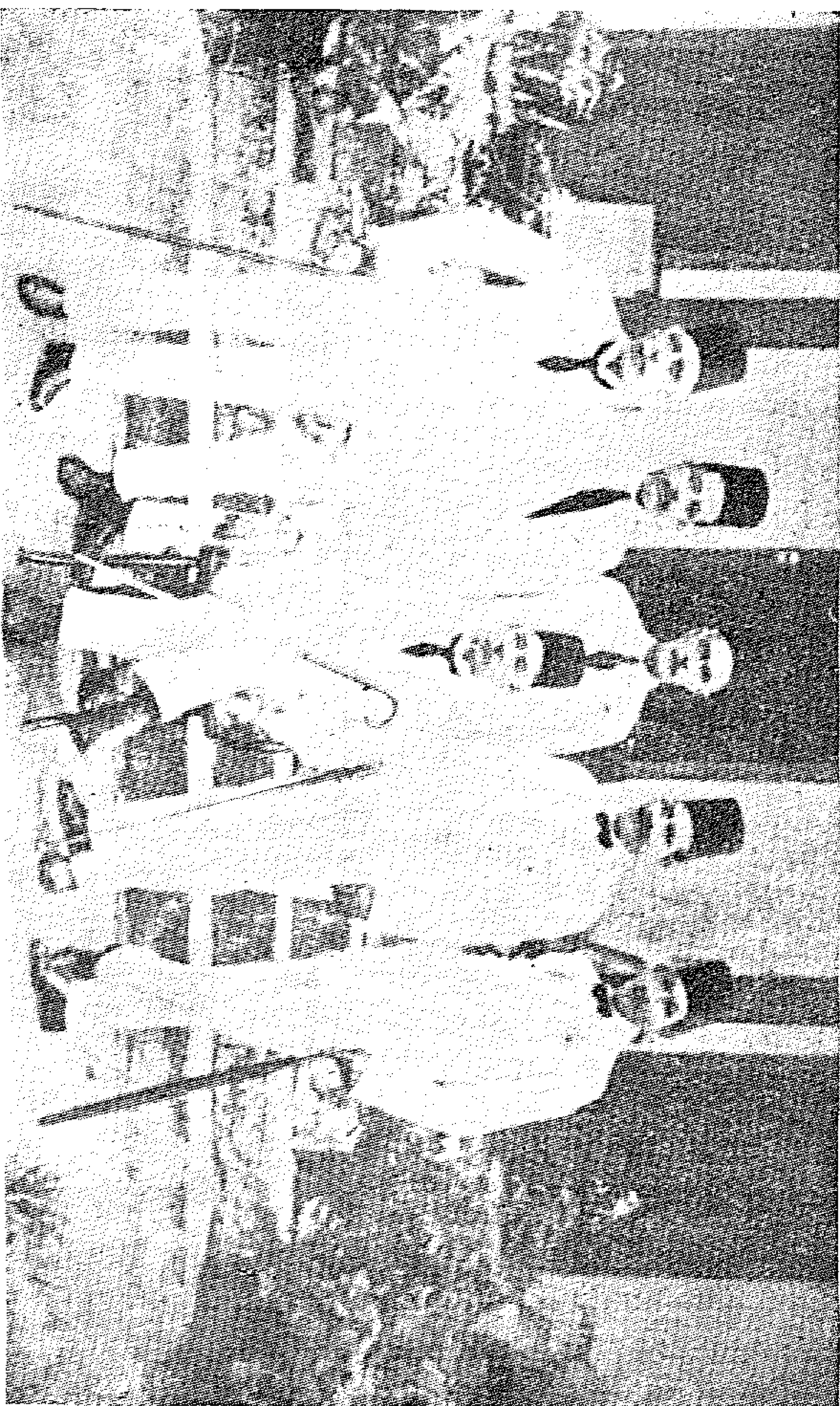
وأراد الانجليز صرف نظرهم عن سعد فرغبوا في وزارة عدلى ودعوا للمفاوضة
الرسمية ووعدوها بالعود الخلابه ولعب الساسة الانجليز بالبلاد فبذروا بنورا لاقسام
وكان ما كان من خصام بين الزعماء وتفرق للكلمة ولكن الامة الحكيمة ظلت
في جانب سعد تنصره وتؤيده

وكذلك في سبيل الحق والحرية صاح عدلى صيحته وانتشل الشعب من وهدة
الضعف والفتور واتقذه من حضيض التواني والاسترخاء ققطع بشمم واباء وعزة
وكبرياء المفاوضات الرسمية ورفض مشروعهم بمنتهى الالفة والنخوة وعاد الى الامة
موفورا الكرامه فاعتزلا للسياسة

الزعيم بين مصر وسيشل

ثارت البلاد ثورتها وعلى رأسها الزعيم القعيد فماوسع المندوب العميد الا أن
أرسل لعظمة السلطان مذكرة اللورد كرزن وبها قررت الغاء الحماية وقبل ذلك
مهدوا طريق النفي والتشريد بالشيخ الهادى* الوقور الذى لا يحمل الا سلاح الحق
فأبعدوه عن البلاد!

واليك حياة الزعيم بين مصر وسيشل اجزأناها من أقواله وكتابات له لنذكر
الشعب المكلوم كيف قاسى الزعيم وأساءت اليه القوة
قال تغمده الله بالرحمة فى نادى سيروس :



•عالى الرئيس وصحبه فى منقام فى جزيرة سيدى شبل .علاء بس الصيف
الجالس معالى العقيد الراحل والواقفون معالى فتح الله باشا . ومكرم بك عبيد . والمرحوم
عاطف بك بركات . ومصطفى الانحاس بك . وسنيوت حنا بك ص ٢٦

« في مثل هذا اليوم من عامين سطت القوة الغاشمة في عنفها على الحق في مأمنه . أحاطت منزلي من كل جوانبه بعساكر مدججين بالسلاح وأدخلت جانباً منهم فيه فملأوا قاعاته وطبقاته وأقاموا بينهم أربطة على أبوابه ومنافذه وصعد بعضهم إلى مخدعي فأزعجونني من نومي . وأرادوا أن يقبضوا على قبل أن ألبس ثيابي فلم أمكنهم حتى لبستها ثم أنزلوني وهم يحيطون بي وحرمني من خلفي تريد مزاملتي فمنعوها

وأركبوني عربة من عربات الاسعاف تتقدمها سيارات أخرى يملؤها جماعة من الضباط والعسكر وبأيديهم البنادق مصوبة من خلفنا لاطلاقها على كل من يتبع خطواتنا . فعلوا ذلك من غير حكم أعلنوه ولا قرار تلوه ، ولا كتابة أطلعوني عليها ولا تعيين للجهة التي وجهوني إليها وساروا بنا إلى السويس في طريق غير مهيأ بماء ولا زاد إلا قليلاً من الخبز تكرم على بعض الضباط بقطعة منه مع شيء من الجبن فتبلغت بهما وما زال السير يجد بنا في هذا السير العاثر يحطنا تارة ويرفعنا أخرى من الساعة الثامنة صباحاً إلى الساعة الخامسة بعد الظهر حيث أوصلونا إلى معسكر الهنود وتلقاني بعض الضباط وأنزلوني في خيمة تعصف الرياح من خروقتها بعد أن قدموا لي شيئاً من الطعام فأكلت ونمت بملابسي اذ لم يسمحوا لي بأخذ شيء معي ولكني بحمد الله لم أشعر بتعب مع أنني كنت أتعب من سير ساعة واحدة بالسيارة في الطريق

ولكن الله أمدني بقوته وجعلني أتحمل كل هذه المشقات من غير أن أشعر بشدتها . وفي الليلة التالية اتصل بي صبحي الذين قبضوا عليهم من بعدى فأنتست بلقائهم وسرني ما رأيتهم عليه من رباطة الجأش ومقابلة هذه الشدة بالثغور الباسمة والنفوس المطمئنة ومكثنا في هذا المعسكر إلى ٢٩ ديسمبر حيث أمرنا في العشاء بالاستعداد بالسفر في ظرف نصف ساعة فدهشنا لهذه المفاجأة وانصرف كل منا يحزم متاعه ثم أركبونا في سيارة مغلقة إلى المرفأ وكانت السفينة المعدة لركوبنا

خارج الميناء فأنزلونا الى زورق فيه بعض الوطنيين الذين بكوا للقائنا في تلك الساعة بكاء مرّاً وكنا نطمئن خواطرهم بالاشارة تارة وبالكلمات تارة أخرى ووصل بنا الزورق الى السفينة وإذا بها مملوءة بالجنود الهندية ونزل كل منا في الحجرة المعدة له وعلمنا حينئذ بان وجهتنا عدن التي وصلناها في مساء يوم الاربعاء ٤ يناير ثم بعد أن أقمنا بها الى ٢٨ فبراير نفوئنا الى سيشل

فجاءوا بي في الساعة التاسعة صباحاً وكنا في قلعة عدن مسجونين وقالوا يجب أن تنزلوا في الساعة العاشرة والنصف في مركب حربية تنتظر لي توجه بك الى سيشل وأمامك ساعة ونصف تحزم متاعك فيها تركوني وتولينا حزم متاعنا . وفي هذا الوقت القصير نزلنا في مركب حربي (كزورن) حولته ٩٠٠ طن ولكننا لم نساغر في هذا اليوم الاربعاء بل مكثنا فيه الاربعاء والخميس

أنزلنا يوم الاربعاء ولكننا لم نساغر إلا في يوم الجمعة لأجل أن يقال أن زغلول نزل الى البحر وهو في طريقه الى سيشل . فعلاوا ذلك في اليوم الذي أعلنوا فيه تصريح ٢٨ فبراير وأن مصر استقلت والغيت الحماية التي ضربت بها

* *

أنزلنا في السفينة وأنا يصيبنى الدوار في البحر فكانت السفينة تهتز وتميل وكنت دائماً على الفراش لم أملك نفسي وكان حضرة مكرم بك عبيد بجاني هو الذي بواسيني بلطفه وحسن مجاملته . كان حقيقة لي أبر من ابن أخنونا في ذلك اليوم وقد كان من المقرر أن نساغر جميعاً بعد خمسة أو ستة أيام ولكنهم ما انتظروا بنا حتى يأتي هذا اليوم : ما انتظروا بل عجلوا بسفري مع مكرم ومع خادمي وسرنا في هذه السفينة مسافة ستة أيام كست اشرف فيها على الهلاك

وأخيراً وصلنا الى جزيرة سيشل ولا أحدثكم عن حرارتها ورطوبتها وبعدها.

وبعد ستة أيام وصل اخواننا الباقون فكان لوصولهم سرور لا يوصف عندهم وعندنا
ومكثنا معا في هذه القرية وكان وجودنا معا يخفف كثيراً من الألم وكان اخوانى
يبدلون غاية جهدهم فى مواساتى ومجاملتى

* *

كانوا يشددون علينا تشديداً كبيراً الى حد أنهم حرموا علينا أن نتكلم فى
الصحة والهواء وحجروا علينا هذا فكان لا ينبغي لنا أن نقول أن صحتنا غير
جيدة ولا يصح ان نقول ان هواء سيشل غير مناسب لانه معتبر أن التكلم فى هذا
ضد النظام العام

مكثنا ممنوعين عن الكلام فى الصحة وكنا نختار حيرة شديدة عندما نسال
تلغرافياً من مصر عن الصحة والطقس الى أن كتب لنا الحاكم العام للجزيرة بان
حكومة جلالة الملك قررت أن يسافر زغلول مع خادمه سفرا يطول أمره واحد
وعشرون يوما على سفينة حربية تأتى غدا الى سيشل متحملة الى حيث هذه الوجهة

غضب اخوانى وحزنوا لهذا التقسيم وطلبوا أن يسافروا معى . مع أن الجواب
يقول انه لضعف صحة زغلول قرر نقله الى جهة اخرى كأن صحة اخوانى لم تكن تقتضى
ذلك . والحقيقة أنها كانت تقتضيه لكنهم لم يريدوا أن يشعروا بهذا الاقتضاء
أما اخوانى فحزنوا واستاءوا . احتجاجا لانهم شعروا بحزن شديد لافصالى
عنهم وكانت نتيجة هذا الاجتماع أنهم منعوهم من السفر وابعادوا طبائخى أن يسافر
معى . لم يريدوا ان ينزلونى فى السفينة نهرا خشية احتشاد سكان الجزيرة فأنزلت
فى زورق ومنع اخوانى أن يصحبونى الى السفينة الحربية . سرت بهذا الزورق
الى السفينة ولما وصلت اليها وجدت القومندان والضابط فى انتظارنا .

ولما أدخلت فيها جاءنى القومندان وسلم على سلاما طيبا ولكنه قشنى بعد
ذلك وسلمنى الى ضابط ليرشدنى الى الحجرة التى اعدت لى . سار بى الضابط الى

هذه الحجرة فرأيت أنها حجرة ليست ضيقة وليست متسعة . نظيفة نوعا ما ولو أنها ليست من أحسن الحجر
قال لي الضابط :

« أن هنا محل نومك وقد أعد لك محل آخر عند المدخنة يمكنك أن تصعد إليه عند اللزوم . ولا يمكن أن تدخل غير هذين المكانين »
والسفينة حربية ليس فيها غير العساكر والضباط وكلهم انجليز
وقال لي :

« يجب عليك أن تتبع هذه التعليمات وهي الاتخاطب أحدا في السفينة ولا ينبغي لأى واحد ان يخاطبك »
ثم قال لي :

« لقد وضع في خدمتك صف ضابط لأجل توفر لوازمك وخدمتك »
ففرحت ولكن زاد على ذلك أننى لا أستطيع أن أكلفه بأمر يقتضى قضاؤه البعد عني « وأذا عرضت لك حاجة عند القومندان فلا تكلمه بنفسك وإنما تكلم هذا الصف ضابط وهو يرفعه الى وأنا أرفعه إلى القومندان »
« ويجب عليك الا تحمل شيئا من أدوات الكتابة » لا قلم ولا دواة ولا ورق ويجب الا تكتب الا اذا استأذنت القومندان . ولا ينبغي لك أن ترسل الكتابة الى محلها الا بعد عرضها على والأذن لك بأرسالها . ولا ينبغي لك الا تأكل الا في أحد هذين المحلين . وان أكلك يجب ان يفحص عند احضاره بمعرفة ضابط مخصوص وأن هذه التعليمات يجب أن تستمر في المرحلة الاولى من سفرك ويمكن ان تعدل بعدها في المراحل الأخرى

وأنه يجب عليك ان تلتزم الحجرة والا تخرج منها الا اذا أمرت بذلك

* * *

سألت عن الجهة التى نحن متوجهون او مساقون اليها فقالوا لا يمكننا ان نقول



معالى الرئيس فى منفاه بجبل طارق سنة ١٩١٣

ص ٣١

لك ذلك . مكثت وحدي بين السماء والماء لاجليس ولا أنيس مطلقا . وكان فكرى محصورا فيها هي الجهة التي أنا مساق اليها وكنت سمعت قبل السفر باشاعة « انها جبل طارق » التي سمعت عنها من بعض اخواني بانها صخرة جرداء شديدة الحر . بها حصن وبجانبها قرية صغيرة لبيع الدجاج والبيض مكثت عاثرا في أمر الجهة التي أنا مساق اليها وكما تصورت انها جبل طارق اشتد كربى . مكثت ١٦ يوما أتصور جبل طارق ولم يحدث لى في حياتى مدة تأملت فيها أكثر من هذه المدة

انما الشهادة لله ان الطبيب كان معتيا بى وكان يزورنى كل يوم وقبل وصولنا الى السويس أمرت بالتزول الى الحجرة واغلقوا نوافذها . وقطعت السفينة القنال بسرعة غير عادية . سافرت السفينة بمقدار عشرين عقدة حتى عبرنا القنال فى مسافة ٧ ساعات ونصف او ثمان وهو يقطع عادة فى ١١ أو ١٢ وسرنا توا الى جبل طارق وبعد أن وصلنا اليه اخبرت أن هناك منزلا معدا لانتزل فيه كضيف لا سجين . وحقيقة رأيت استقبالا جميلا وأخذت الى منزل فسيح فيه حديقة

* *

هذه اسوأ مدة مرت بى فى السجن وأما المدة التى تلتها فأتى كنت متألما جدا لانفصالى عن اخوانى حتى اضطرت الى رجاء حرمى أن تلحق بى وبعد حضورها خف عنى الألم ولقد اقيمت فى جبل طارق من ٣ سبتمبر سنة ١٩٢١ الى ٣٠ مارس سنة ١٩٢٢ ثم أفرج عنى فى ذلك التاريخ

* *

قضينا كل هذه المدة فى سجون ومعازل تختلف ضيقا وسعة باختلاف الجهات فحسيناها بمعزل عن الناس لا يجتمع بنا أحد منهم الا باذن ولا نرى أحدا الا تحت أعين الرقباء . ولا تروض أجسامنا الا كما يريدون ولا نتحرك فى مكان الا حسب ما يرممون ولا نعلم من أمور الدنيا شيئا الا بمقدار ما يسمحون ولا نتلقى كتابا من أهلنا الا اذا فتحوه وبحثوه ولا اشاره الا قرءوها وحكموا بصحة تبليغنا اياها بنصها

أو بمقادها ولا تصدر منا رسالة الا بعد اطلاعهم عليها وسماحهم بارسالها . وحظروا علينا . الانتكلم حتى عن الصحة ! حتى عن الهواء ! فحرموا على كل مصرى أن ينزل الى جبل طارق ومنعونا أن نستخدم أى انسان بدون سلطتهم أو تعامل أحد من غير اطلاعهم ولكن هذه القيود على شديتها . هذه المعاملات على قسوتها لم تحدث فى نفسنا ألما ولا فى قلوبنا حزنا ولا فى إيماننا ضعفا ولا فى يقيننا بالمستقبل شكاً بل نستعذب ألامها ونرتاح لمضايقتها اعتقاداً منا بشرف العمل الذى من أجله نفينا ونبالة المقصد الذى بسببه وقعنا فى هذا العذاب »

* *

وكان الرئيس فى منفاه يستيقظ على التبكير ليطالع درسه الانجليزى بمساعدة الاستاذ مكرم بك السكرتير العام للوفد المصرى الآن . وكانت رغبة قعيدنا على أشدها فمن مغالاته فى الاتهامك بالدرس ان كان يقرأه على فراشه . حتى لقد أنهى صحاب سعد بالأئمة على الاستاذ مكرم رغبة منهم فى راحة الرئيس وعلى الرغم من اعتراضات الاخوان فلقد اشتدت رغبة الرئيس وقوى عزمه واتخذ مساعداً آخر هو استاذنا المرحوم عاطف بك بركات

* *

اما قعيدنا الراحل فكان لشدة رغبته فى الحرية لا يرتاح لمظاهر التقييد فكان يكره النظر الى (الديدانات) وعند فرقه وفصله عن صحابه قال فى ختام كلام طويل « دعونى اذهب الى سيشل وارجعوا أتم الى مصر وابلغوا ابناءها الاعزاء ان زعلوا لا يحییهم ويوصیهم بالاتحاد وتوحيد الجهود الى ما فيه خير الوطن ولما ان وطئت قدما سعد الزورق قال منشداً والعبرات تسيل
وقد يجمع الله الشيتين بعدما * يظنان كل الظن ألا تلاقيا

* *

الحقت السلطة الصحاب بالزعيم فوصلوا الى جبل طارق وهنا اخنت صحة



الفقيه الراحل صاحب الدولة
سعد زغلول باشا
رئيس مجلس الوزراء سنة ١٩٢٤ ص ٣٣

الرئيس في التقدم منذ وصولهم اليه حتى تم الشفاء وبشر بذلك حرمه تلغرافيا ولكن
ألم الغربة شديد وعذابها مر

وصلت ام المصريين الى جبل طارق في ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٢ مع المرحوم
سعيد بك زغلول والسيدة فهيمة هانم

أما وصف منظر اللقاء فتكلم الى خادم القيد الامين فلقد قال لقد بكى الكل
بكاء مرا ولم يتمالك احد من الحاضرين دموعه ذكرى لهذا النفي الطويل . وعاد
الكل الى منزل النفي فلبست الدار حلة من السرور والسعادة لم تك به من قبل

الزعيم ورئيسة الوزارة

وضع الدستور وسعد في المنفى واستقالت وزارة ثروت التي قبلت تصريح ٢٨
فبراير وهو كما يقول دولة ثروت باشا « لقد قبلت التصريح لانه يحقق آماني
مصر بل لانه خطوة قط نحو تلك الاماني »

ثم اعتزل ثروت الوزارة فلقد ابت نفسه قبول التعديل الذي طلبه الانجليز
بشأن السودان وتلك منه لن تنسي لوزيرنا الخطير وان هذه الاستقالة لدليل واضح
على الاقدام والجرأة وحسن الاعتقاد

عاد الزعيم من منفاه الى ربوع مصر فذهب اليأس من القلوب نوعا ما وقوى
حب الرجاء وسرى عنا بعض مالا قيناه في غيبته . عاد ولشد ما يؤلم فلقد قاسى
اهو الاجساما قصى فترة ليست بالقصيرة محظور عليه ان يقابل الجماهير التي يطل
عليها فتستلمى من نظراته وخطبة قوة وعزما واثباتا

فكت الاغلال والقيود ودارت رحي الانتخابات وكان فيها ما فيها من وعد

ووعيد وغش وشدليس ولكن الحق فوق كل قوة . فأدلى سعد الخطيب المفوه بخطبه الرنانة وحسبك من الزعيم انه اذا خطب قاد آراءهم وقاد معها ارادتهم . وهب قوة البيان فهو أميره فلئن خطب رفع سامعيه فوق انفسهم واحث فيهم قوة جديدة . لم تكن تجرى في أعروقهم وما تعهدوها من قبل . ثر فيهم من روحه الصادقة وقلبه القوي شعاعا حتى جعلهم قطعة منه . ولقد كانت هذه الفترة نصحا وارشادا للناخبين ورجعة الى هذه الخطب تريك قوة المغناطيسية التي حباها الله لزعيمنا الراحل

فلز القيد في الانتخابات وانتصر على مخالفيه وكانت الاكثرية للوفد رغم ما حاق بالبلاد في معركة الانتخابات من تزوير وافك وبهتان « وقل جاء الحق وزهق الباطل أن الباطل كان زهوقا »

ولم يكن من بد ان يتولى سعد في ٢٧ يناير سنة ١٩٢٤ رئاسة الوزارة وكانت هي الوزارة الدستورية الاولى . قهلهل الشعب بالبشر . وسرت في الناس روح الطمأنينة وامنت البلاد شرور المخالفين « غير الوطنيين » الذين استهانوا بالبلاد فأضاعوا حقوقها

وكان من جميل ما قلته في برنامج وزارته الذي قدمه الى جلالة ملك البلاد « ان الانتخابات لاعضاء مجلس النواب أظهر بكل جلاء اجتماع الامة على تمسكها بمبادئ الوفد التي ترمي الى ضرورة تمتع البلاد بحقها الطبيعي بالاستقلال الحقيقي لمصر والسودان مع احترام المصالح الأجنبية التي لا تتعارض مع هذا الاستقلال »

وسارت الوزارة الشعبية على أحسن طريق وتضاعفت محبتها ولقب زعيمنا الراحل بلقب جديد « ذو الرئاستين » رئاسة الحكومة ورئاسة الامة



الزعيم الراحل سعد زغلول
بمكتبه بمجلس النواب سنة ١٩٢٥
ص ٣٥

الاستدراف ورئاسة البرلمان

ساء المستبدون المغتصبون ان يدبر دفة البلاد ابناؤها المخلصون الوطنيون
فما راقهم وزارة الشعب فدبروا لها المكائد في السر وأذوها في العلن وحسبوا انهم
يفلحون في تحويل الشعب عن السودان فخاب ظنهم وما علموا ان في السويدياء
رجالا يرضون بالنزلة وأن « وادي النيل لا يتجرأ » « وان مصر دون السودان
كالجسم بلا روح

وقهيدنا الحديدي وكيل الأمة أبي أن يعير هذه المناقشات التي رغبها
الانجليز ودعوه اليها أي التفات فهو القائل تلك الحكمة
لو كنت أطالب بغير الحق لرضيت بالمناقشة والجدال لكني اطلب حقا والحق
لا يقبل جد الاولا مناقشة

*
*
*

ثم كان الانذار المشؤم الذي وجه الى وزارة الشعب عقب حادثة السردار
وتلاها من احزان متعاقبة حلت بالقطر وبعد ايام امتلاً طريق مجلس النواب حيث
كانت رئاسة مجلس الوزراء بالجنود البريطانية وهم مدججون بالسلاح واقبل اللورد
النبى (بجلته) غير الرسمية مع ستائة من الجنود السوارى يتقدمه البورى « حامل
النفير » كى يبلغ الانذار

ولما ان اقبل اللورد الى الباب الخارجى نفخ البورى ودخل اللورد بين
صفوف الجنود المتراصه

ولكن سعدا الزعيم . سعدا المثل الاعلى للبطولة جلس في مكتبه هادئا مطمئنا
غير جازع فما أبه للباطل وما استكان للقوة الضالة
دخل اللورد حتى اقترب من مكتب الزعيم وهنا وقف البطل قائلاً في صوت

هادئ وابتسامة ذات معنى وروح مملوءة بالأمل فى نصره الحق غير هياية
ولا وجهه

ماذا هل أعلنت الحرب ؟؟

وكانما اللورد شعر بخطورة موقفه وبغت من هذه المقابلة الهادئة . فصمت
برهة حائرا واجاثم قال للزعيم الراحل :
هل تعرف الانجليزية ؟؟

فاجاب . . قليلا . . وهنا اخرج اللورد من جيبه الانذار البريطانى وقلاه
على الرئيس ثم ناوله اياه ولقد صمم الفقيد رحمه الله على الاستقالة وعرف ان
الامر مدبر والفكره مخبوءه وان المقصود بالذات ان ينزل « سعد البلاد عن
الحكم » ولقد افترض الامر المدبر وما فضحه المصريون ولكن سير التحقيق
فى هذه القضية ظهر فى اقوال المتهمين وظهر ايضا فى رسالة محرر التيمس التى
وجهها الى مجلة العالم الاسلامى واللورد اللبى نفسه كان له نصيب فى بيان الفضيحة
فلقد داريننه وبين المسيوييرو الفرنسوى محادثات قال فيها

(ان الانذار كان عند مقتل السردار معدا فى مكتبى لاقدمه عند
سنوح الفرصه)

*
*
*

اعتزل الفقيد الوزارة وتولت « وزارة التفريط » الحكم وكان من أمرها ما كان
فلقد حرمت ما أحله الدستور . طرد للاحرار فى كل موطن . رقابة على المخلصين
كانهم أشقياء . تهم باطله تساق اليهم وبعلم الله انهم ابرياء . حصار للدور . تشريد
للقوم فالجيش موزع بعصيه وبنادقه وقد كان للقوة أن تسيطر بسلطانها فتجبر
الكثيرين من أنصار الوفد بالانفصال عنه ووقفت حدا فاصلا تمنع التزاور وتضيق
الحناق . ولقد كان قعيدنا رحمه الله فى ذلك الحين فى أزمة نفسية شديدة وكان
اليأس فى بعض الاحايين يكاد يملأ نفسه حتى لقد قال خبير بان الزعيم كتب فى

مذكراته بذلك الشأن (وانهاالت على الاستقالات من أنصار الوفد من كل صوب وحذب وأظلمت الدنيا في وجهي) ومن هذه الجملة الأليمة ترى القلب المعذب والعين الدامعة بل ترى أثر الحزن العميق الذي تركته حادثة السردار المشتومة وما تلاها من خروج الكثيرين من أنصار الوفد واستقالتهم وعلى ذلك الاستقالات اذكر أيها القارئ الكريم بحكمة لفقيدنا حيث قال

« يجب أن يسقط من حساب الامة هؤلاء الاشخاص الذين يعضدون كل حكومة ويشايعون كل دولة ويعبدون القوة في أى مظهر ظهرت به » ولقد وصف الفقيد عام الآلام في ختام خطبة خالدة قالها في ١٣ نوفمبر سنة ١٩٢٥ :-

« لقد مضى على الوفد زهاء عام ولسانه معقول بعقال الاستبداد واجتماعه ممنوع بحكم القهر والاضطهاد ولكن الله جعل له من سخف خصومه وعسفهم ومن كذبهم وسوء صنيعهم أبلغ خطيب وأفصح مبین . فلم يزد الناس باعتقاله وانطلاقهم وانكماشه وانتشارهم الا استمساكا بمبدئه وتعلقا بغايته شأن كل من يعمل ضد الحرية لا يفيد أصولها الا رسوخا ولا فروعها الا امتدادا ولو لم تكن الاعمال بالنيات لكان لخصومنا منا أعظم الشكر على سخفهم وسوء تدبيرهم ولكن الله جعل لنا منهم خداما غير مأجورين وعمالا غير مشكورين . فليستمر وافي طريقهم ولنستمر في طريقنا فلهم الندامة حتما ولنا السلامة حقا والله ولى الصابرين »

* *

وان تعجب أيها السيد الكريم فعجبك من حكومة تربعت كراسي الوزارة اغتصابا فعطلت الدستور واستباححت لنفسها ما لا يبرره قانون أو يرتضيه ضمير رغبت أن تحول الامة عن سعد وسياسته أو تحوله عن السياسة فما وسعها ذلك وكيف تتمكن وسعد يقول

« انى رجل قد وطنت نفسى على الدفاع عن الحق وان اتحمل فيه كل مكروه ولو كان آتيا من الذين ادافع عنهم »

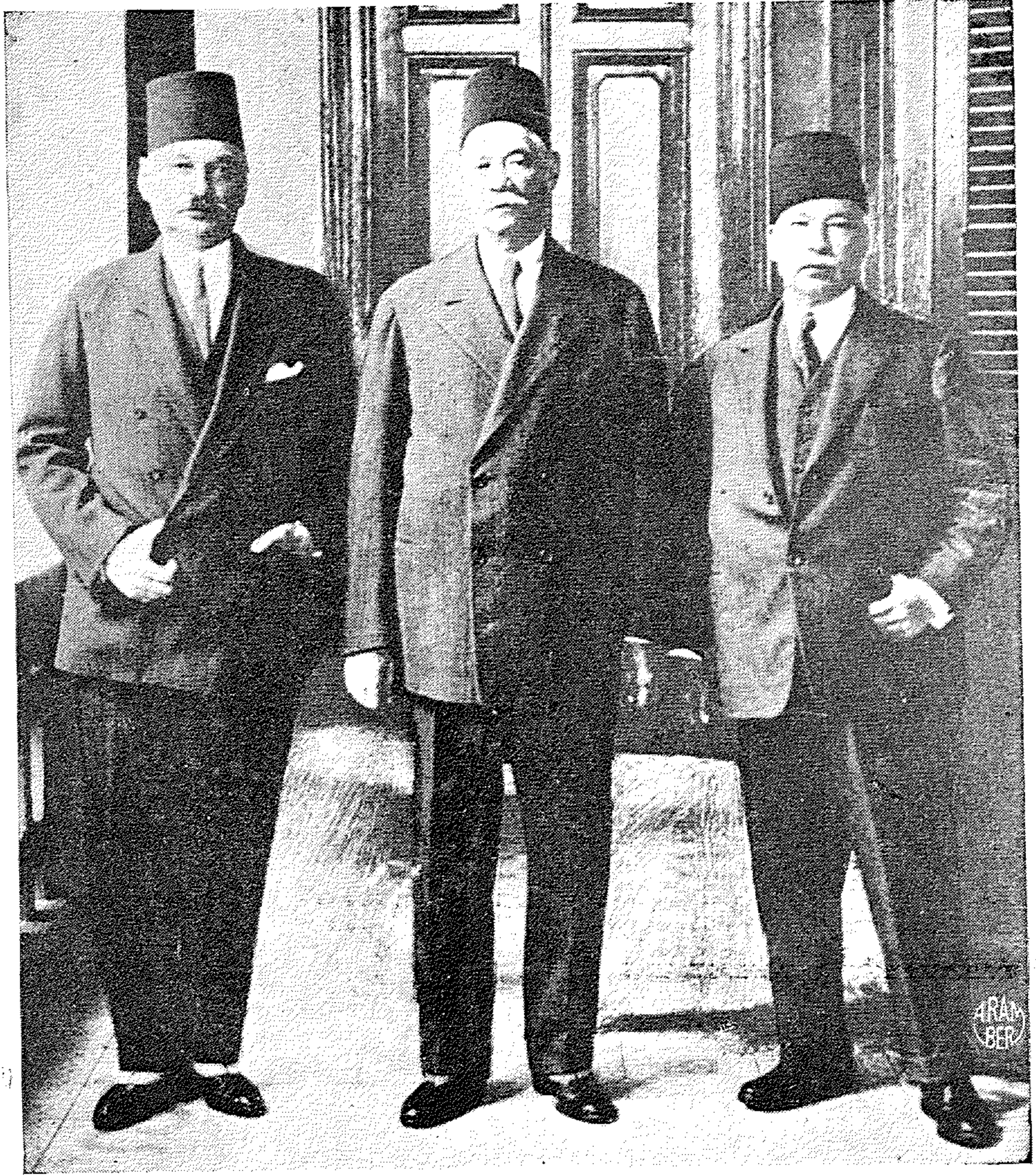
ولقد كان (لوزارة التفریط) طريقا لذكرى أيام مضت نذكرها أيام ان
انقلب عملها بالضد عليها فالتف الجميع وتوحدت الرابطة وتصافح الزعماء وندم
المسيء على ما فرط والتف الكل حول سعد وتحت جناحة وحمل العب وحده والالم
بمفرده وكادت الحركة المصرية في سنة ١٩١٩ تعود سيرتها في سنة ١٩٢٥ حيث
عقد المؤتمر الوطني في ١٩ فبراير سنة ١٩٢٥ تحت رئاسة الزعيم الفقيه

لذلك انصاع الانجليز لارادة الامة وأمروا وزارة « زيور » بتنفيذ قانون
الانتخاب كما وضعه البرلمان سنة ١٩٢٤ دون تحوير فيه أو تبديل لمواده
جرى الانتخاب الثاني وكانت الامة في انتخابها على سياسة سعدومبدئه لن
يحولها قهر قاهر ولا سلطان غاصب وكان الانتخاب في هذه المرة أيضا بالاغلبية
المطلقة للوفديين

ثم عين رئيسا لمجلس النواب في الدفعة الاولى في ٢٣ مارس سنة ١٩٢٥
وانتخب رئيسا لمجلس النواب في الدفعة الثانية ١٠ يونيه سنة ١٩٢٦ وله في الرئاسة
جولاته وحكمته لم فيها رزائته حتى اذا ثارت ثورة الجدل أدلى برأيه الناصع رأى
المجرب الحكيم واتبعه بقوله هذا رأيي ولكم رأيكم

وحسبك من شيخ انهك التعب وقامى من الآلام اشدها يدعوه داعى
الواجب أن يحافظ على جلسات المجلس فكان يذهب اليه ويرأس جلساته
وقل ان اتقطع عنها رغم ما كان به من ضعف أو مرض فلقد كان رحمه الله وأدخله
فراديس جناته يلوم النواب الذين ينقطعون عن الجلسات لغير عذر قاهر وبهذا ضرب
لهم بنفسه خير مثال في النشاط والمثابرة وتحمل الألم في سبيل المصلحة الوطنية
واليك موقفه الاخير في مجلس النواب بريك روح الشفقة والحنان وأعتبرها في رأيي
« خطبة الوداع » فهي نصيح من أعماق القلب يبثه في نواب الامة

قال طيب الله ثراه في ختام خطبة الوداع



الرئيس الجليل سعد زغلولي باشا
قبيل انعقاد المؤتمر الوطني سنة ١٩٢٥
عن يمينه دولة عدلي يكن باشا وعن يساره دولة عبد الخالق ثروت باشا ص ٣٨

اخواني

ان مجلسكم في مركز من ادق المراكز وأخرجها بل لا أعرف في العالم مجلسا
نيايا أخرج مركزا وموقفه أشد خطرا منه لانه أحيط من يوم نشأته برعوس ماكرة
وعيون غادرة احيط بأقلام جرت وتجرى بقشويه سمعته وتسوى سيرته ونسبة كل
المصائب اليه وقلب كل محاسنه سيئات واحيط بالسنة تدوى بمعايه وباختلاق
الاكاذيب عليه ومن وراء هؤلاء وهؤلاء قوى تسندهم وهو يسمع من حين الى
حين تهديدات بالحل بل بالاعدام

أى مجلس في العالم مهدد بمثل هذه التهديدات على السنة أقوام من هنا ومن هناك
هناك يعيبون عليه ويرمون ويتهمون بانه مجلس متهور متطرف . وهنا يرمونه
بالخنوع والاستسلام وما به من تهور ولكنه الحق يدفعه في كل حين الى التمسك
باستقلال البلاد

يرمونكم بالخضوع والخنوع والاستسلام بل بالاستعداد لبيع حقوق البلاد
وما بكم من خنوع ولا خضوع ولكنكم لستم أطفالا تلعبون بالسياسة ، وانما
أنتم رجال سياسة مسئولون . يجب أن تكون في رموسكم حكمة وفي سيركم اعتدال .
وها هو هذا الذى تمسكتم به وسرتم عليه فخيلا لاولئك الاغرار أنكم خاضعون مستسلمون

وفى ختامها يقول

قلت لحضراتكم أن قادمكم كثيرون ودأبهم أن يفتروا الكذب عليكم
ويشوهوا محاسنكم ويظهروا فضائلكم رذائل وليكن سلوككم ذلك السلوك
الحكيم قد أضاع عليهم أمرهم وأبطل كيدهم لان الله سبحانه وتعالى قد وقهم
الى اتخاذ أوفق القرارات . حقا لقد كانت المناقشات تحتد وتشتد بينكم وقد

ينحرف بعض المتناقشين عن الجادة أحيانا ولكن قراراتكم وهى معيار اخلاصكم وكفاءتكم وحكمتكم كانت دائما مقترنة بالحكمة والسداد فلم يجد خصومكم من أعمالكم مغزا ولم يجدوا فى سيرتكم حجة يرتكنون عليها لاعتاتكم وسوف لا يجدون فى المستقبل شيئا من هذا القبيل يتلمسون به مس كيانكم أو النيل من أعمالكم ومجهوداتكم وبذلك يثبت الدستور أركانه فى البلاد وتتغلغل مبادئه فى النفوس ويكون الفضل فى ذلك لكم على مدى الايام

لقد كنت أود أن أتحدث اليكم كثيرا ولكنى أشعر بأنى تعبت وأتعبتكم أيضاً ولا أريد أن أجعل أحداً يمل منى ولكنى قبل ان أختم كلامى أرجو منكم حينما تغادرون هذا المكان ألا تنسوا وظائفكم لا تنسوا انكم نواب دائما لى يخدمكم هذا العلم الى البعث عن آمال مواطنيكم واحتياجاتهم ورغباتهم لى تيدوها للحكومة اما مباشرة أو بطريق المجلس فى الدورة القادمة ان شاء الله

والآن استودعكم الله جميعا واسأله لكم الصحة والعافية ، وأرجو أن أراكم قريبا وأن يهينى الله جل وعلا من القوة ما يعيننى على مشاركتكم فى خدمة البلاد حتى نصل بها الى ما نوده جميعا

ايام الراحة

ختمت الدورة البرلمانية فكانت أيام الراحة وهى أيام نادرة فى حياة الزعيم اذ أن مهمته العظيمة لم تكن لتمنحه متسعا من الوقت للرياضة على شدة حاجته اليها فاعتزم أن يقضى شطرا من هذه الرياضة فى « بساتين بركات » مع بعض خواصه الذين اختارهم لصحبته فأقلته الباخرة النيلية وكان لعطفه على خواصه أكبر من ان يوصف والعطف دائما طريق الحب أو هو الحب نفسه



الزعيم الراحل في بساتين بركات
في أوائل اغسطس سنة ١٩٢٨ ص ٤٠

وحسبك أيها القارئ الكريم أن ترى هذا الشيخ المحنك والسياسي القدير
له من لطف الحديث ورقته وحضور البديهة وذكائها ما به تخرج فكاهة نادرة
المثال دقيقة المبنى لها معناها السامي

ولقد تحدثت الى صفى من أصفياء الزعيم عن هذه « الرحلة الاخيره »
وكيف كانت مجالس الزعيم فيها فحدثني بما معناه

لقد كانت مجالس الزعيم في هذه الرحلة تذكرونا بمجالس الرشيد ولأمنون اذ
فيها مناقشات في الادب والاجتماع فيها ممر ومزاح فيها شعر وحكمة فيها ابجاث
في التوحيد فلقد كان أحد الصحاب يشك في صحة البعث وحاول أن يستخرج
من النظريات العلمية الحديثة ادله تنقضه فدارت رحى المناقشة بينه وبين الزعيم
والذين يعرفون السمر يشهدون بحواره وقوة حجته ومتين جدله

فادلى له الفقيد وهو مؤمن ثابت الايمان فسد جميع الطرق واثبت صحة البعث
من وجهة الفقه ومن وجهة التوحيد ومن وجهة الفلسفة ورماه بالحجة وراء الحجة
والدليل تلو الدليل حتي اقتنع وذهب شكه

* * *

وكان في رقعة الفقيد شاعر النيل حافظ بك ابراهيم ولقد بهرة من شمائل سعد
فلجال وحى الشعر بخاطره وافاض بالفيض الروحي من شعر رصين متين فمن قوله
لما مثلت على أنس بحضرته رأيت بين الندامى وجه (هارون)
رأيت وجها صبوحا حوله فخر من الميامين من شم القرانين

* * *

ومن ثم انتقل الى قصره بمسجد وصيف وقدر لصفونا أن يعكر ولمسراتنا ان
تبدل بحزان ولا مالنا أن يروها اليأس والجزع

الزعيم في مرضه الأخير

في ساعات الصفاء بينا القعيد في مسجد وصيف يروض نفسه من عناء الاعمال اذ شكى في يوم الاثنين ١٥ اغسطس سنة ٢٧ من التهاب في جلد الاذن واتسع الالتهاب في يوم الثلاثاء والاربعاء وتناول جلد الرأس وارتفعت الحرارة وكان الظن انها (أ كزيميا) فدعى أحد الاخصائيين لمعالجته بالكهرباء ولكن الاطباء فحصوه فوجدوا أن الرئيس « مصاب بالحمرة » فبادروا الى اتخاذ وسائل العلاج اللازمة وحقنوه بالمصل المضاد لهذا الداء دون أن يطلعوه على حقيقة المرض فناديا من ازعاجه وافق لحسن الحظ أن تحسنت صحة الرئيس وهبطت الحرارة في يوم الخميس فاشار الاطباء بانتقاله الى القاهرة ليسهل عليهم الاشراف على صحته ومباشرة علاجه براحة فعاد يوم الجمعة الى القاهرة وهو على أتم مايكون من الراحة . وقضى ليلته وهو في حالة حسنة ! ولما عاد الاطباء في صباح السبت سروا مما رأوه من التحسن واصدروا نشره طبية تبشر بتحسن الحالة حتى ان الرئيس لما شعر بتحسن صحته قال لاطبائه لماذا اذن جئتم بي الى هنا وحرمتوني من نسيم العزبة البليل وهنا بالحواله بانه مصاب بحمرة وقد نجاه الله منها . وكان لنشرة الاطباء تطيب للخواطر مما الم بها من هذه النازلة

وفي يوم الاحد تحسنت صحة الرئيس وكان التفاؤل بشفاؤه كبيرا . ولكن الاقدار ما زالت تحوط المرء بما لا تحمد عقباه وتسوء نتيجته وتكدر صفو خاطره . ففي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل استيقظ الزعيم من نومه وشعر بألم في المعدة شديد ومغص بلغ حده . وفي الساعة الثالثة من صباح الاثنين أخذ يتقايا واستمر حتى الصباح بين قيء وألم وارتفعت درجة الحرارة ورئيسنا على ما به من تعب وألم ورغم النازلة الشديدة التي حلت به صار ينافس اطباءه في ألمه ويباحثهم في مرضه اما الامل فاخذ يتضائل فلقد سرى المرض الى الدم وتشاءم الاطباء تشاؤما بلغ



عده ولكنهم لم يأسوا من رحمة الله وأخذوا يبذلون جهدهم من علم وخبرة حتى هبطت الحرارة بضع خطوط

وفي يوم الاثنين عاد الاطباء وخرجوا من لدنه وامارات الهم بادية على وجوههم والعبوسة حلت بنفوسهم فالداء تناول الرئين وتلك علامة الخطر خاصة من كان في سن الرئيس وشيخوخته . صحة ضعفتها متاعب الجهاد وكادت تقضى عليها الآلام والأمراض فكان يقاوم الزعيم الداء ويصدمه الا ان صدمة المرض الاولى لم تبق من قوة لتقاوم صدمة المرض الثانية

وفي منتصف الليل من مساء الاثنين استدعى الزعيم الفقيه الدكتور حامد محمود فجاءه وتحدث اليه في أمر مرضه ثم عاده في الصباح وكانت بجوار الزعيم أم المصريين ووصيفته وفي تلك الساعة وقفت أم المصريين في قليل من الصبر يستره كثير من الهلع . ووقفت في قباب من الشجاعة يستره كثير من الجزع وهنا ساءلت سعدا

كيف صحتك الآن ؟ ؟

فاجاب وهو مغمض العيون : أنا انتهيت

فشجعت بكلمات عطفها ومرت بيدها مرورا خفيفا ملؤه الخنو وقالت : بل أنت بخير !

ولكنه كرر قوله مرة ثانية أنا انتهيت

وكانت هاتان الكلمتان هما آخر ما تحرك به ذلك اللسان الذرب الفصيح الذي يحرك أوتار القلوب ويلهب نار الحماسة في الصدور

اجتمع الاطباء حول فراش سعد وسعد الذي كان يرج صوته القطر بل أقطاراً عدة لا يستطيع نطقا وسعد الذي كان كله حياة لا يستطيع حركة

اشتدت الحرارة وارتفعت الى ٤١ درجة وسبعة خطوط وتناول المرض

الرئتين ووصل الى حد لم تعد تنفع فيه حيلة الطب وبذلوا الجهد في استخدامه لا تقاذ آمال الامة فما . وسعهم . تسمم الدم وقل البول قلة واضحة وحقن الزعيم بمحقنة تحت الجلد بمادة « الجلو كوز » وهي آخر سهم بقي في قوس الألم

انصرف الاطباء على أمل العودة حتى قال أحد الاطباء وهو في كثير من الحزن العميق « لقد قال الطب كلمته الاخيرة ولم يعد هناك أمل إلا في معجزة »

عاد الاطباء كما وعدوا للمرة الرابعة حول سرير الزعيم ولكنهم تأكدوا ان الطب لم يفلح وان المعجزة لم تقع والزعيم في دور الاحتضار

فاشتدت حيرة الاطباء وزاد بهم العجب واجتمعوا لاصدار النشرة ماذا يكتبون ؟ وما الذي يذيعونه لشعب يرجو شفاء زعيمه ويأمل تمام عافيته ؟ وبينما الاطباء في حوار وجدل اذ قضاء الله نفذ والامة قد نكبت في زعيمها وسعد العظيم أسلم الروح والتحق بالرفيق الاعلى في الساعة التاسعة والدقيقة الخمسين بين يدى أم المصريين وشقيقتها وكريمة شقيقتها. والوصيفة

فكان النعي كاقضاض الصاعقة على البلد الامين أو كالليلة الصافية اذا عكرتها زلازل الكون فخطمت دورها وبدلت مسراتها بكاء وعويلا

وما ذاع خبر الفجيعة حتى وجفت القلوب ووجمت الوجوه وانقعت الألسنة ونخقت الافئدة وطارت العقول شعاعا وجزعت النفوس حزنا والتبعا وملك على الناس مشاعرهم فبدل الرجاء يأساً والطمأنينة هماً وانزعاجاً. فلقد دك طود الزعامة الوطنية واغتالت المنون بطل التهضة المصرية فخر صريعاً وسقط في الميدان حامل لواء الاستقلال وهو لا يزال يجاهد

ولئن عز علينا أن نرى العظمة تهوى من شاق ذراها فتسلمها القبر جبراً لا اختياراً وقهراً لا رضاً فذلك أمر الله



صاحبة المتحف ام المصريين
حرم الفقيد الراحل صفيه هانم زغلول

ففي سبيل الله روحك يأسعد . وفي سبيل الله جهادك المقدس . كنت أبونا
البار كنت مناط آمالنا في أوقات الكروب ومعقد الرجاء في أعصب الاوقات
كنت القوى التي نستمل منها خطة السير وطريق السلام . وهذه أيدينا
موتفورونا واسماعنا وعيوتنا قد خلت من مصافحتك وقبيل يدك ورنه صوتك
الساحر

استودعناك الله أيها الاب البار قد كنت عنادنا وزخرنا في الحياة ولكن
الدهر قلس والزمان غادر

ها هي العيون دامة والقلوب دامية والحسرات تنقثها الصدور وآهات الاسى
تردها الافواه

فنصينا منك زفرة تتأجج في القلب ولوعة ينطوى عليها الفؤاد وحرقة الهبت
الصدر قاضحى الشباب شعلة لا ينى عن حقه فننظر مجاهدين فاما ان تنال
استقلالنا غير مشوب بشائبة زيغ أو بهتان واما ان نلحق بك
هذه دماؤنا وهبناها للوطن فنسعمل جهدنا ما حيننا في اقاذه من يد
المستعمرين الغاصبين

« سنترسم خطاك ثم نرخص نفوسنا ونفنى اشخاصنا حتى يتخطفنا الموت
واحدا بعد واحد وراية الشرف خفاقة تتلقفها الايدي وتهدىها النفوس »

النعي

سيق النعي الى القصر الملكي والى الحكومة ورجالها والى الامراء والعظماء
فحضر من بلغه النعي الى بيت الامة وكان البكاء فيه يصل عنان السماء . فما كنت
ترى الا غريقا في دموعه أو مغنى عليه أو صامتا من الدهول . ووسط هذه الدموع
والاحزان حضر الى بيت الامة رئيس الديوان الملكي ووزير الحرية ورئيس
الوزراء بالنيابة ووكيل الداخلية وعلى الاثر اصدرت رئاسة الوزراء بلاغا

بلاغ رئاسة الوزراء

مجلس الوزراء ينعى الى الأمة المصرية مع الاسف الشديد والحزن العميق
« حضرة صاحب الدولة الرئيس الجليل وزعيم الأمة العظيم ورئيس مجلس النواب
سعد زغلول باشا »

فقد وافاه الاجل المحتوم حوالى الساعة العاشرة من مساء يوم الثلاثاء الموافق
٢٣ اغسطس سنة ١٩٢٧ عقب مرض لم يممه طويلا ولم يتعطف على مستودع
آمال الأمة ومحمل رجائها وقائد نهضتها وحامل لواء الدفاع عن حقوقها والى الله
مرجه وله منه الرحمة والرضوان والى الشعب المصرى جميل العزاء
ثم تلى هذا البلاغ ببلاغ آخر :

قرر مجلس الوزراء أن يكون يوم غد « الاربعاء ٢٤ أغسطس سنة ١٩٢٧ »
يوم عطلة رسمية لدواوين الحكومة فى القاهرة . وأن يكون تشييع الجنازة باحتفال
رسمى تشترك فيه الحكومة بوزرائها ووكلاء وزاراتها موظفيها وأورطة من جيشها
ثم صدر بلاغ آخر
بتنكيس الاعلام على دور الحكومة جميعها ثلاثة أيام

* *

ثم ورد على دولة نسيم باشا برقية عزاء من جلالة الملك يأمر أن يكون الاحتفال
عسكريا

وحوالى الساعة الثالثة بعد ظهر الاربعاء دعا بيت الأمة بعض كبار العلماء
للاشراف على غسل جثمان سعد الطاهر ومباشرة تكفينه

وفى الساعة الثالثة وعشر دقائق جاء كبار ضباط وزارة الحربية بمركبة «مدفع
لحمل النعش وهنا كانت الجموع من أصفياء القعيد فى داخل بيت الأمة تنرف

الدمع السخين وحسبك أن ترى أم المصريين وقد طلعت على أبنائها صارخة
أسيفة تنهب سعدا وتبكي رجاءها فكان اشرافها مظهراً من مظاهر الجزع
والحزن لدى الوزراء والشيوخ والنواب ونابهي الشبان واستمرت ثورة الحزن بالغة
غائتها حتى موعده تحرك المشهد

فانزل القعيد محمولا على اكتاف الاصفياء ثم لف في العلم المصري ووضع على
عربة مدفع تجرها الجياد وتحرسها الفرسان

اوصدت المحال التجارية والمصارف على اختلافها ونكست الاعلام ووقف
الشعب في طريق السير يرمي آخر نظرة الى منقذ مصر ويندرف دموعه على محبي
التهضة ورافع اللواء

فسارت في مقدمة النعش مواكب العمال والنقابات العامة والكشافات والملاجئ
والمدارس على اختلافها من ثانوية وعالية وخصوصية ثم وحدات الجيش بأعلامها
وموسيقاها منكسة البنادق ثم نعش القيد وله روعة وجلال ثم تلاها المشيعون من
نائب جلالة الملك فاصحاب السمو الامراء فالملفوضون للدول الاجنبية وموظفيها
فخضرات الشيوخ والنواب فحضرات رؤساء الوزراء والوزراء السابقين فاعضاء
صندوق الدين فرجال القضاء فرجال النيابات فقضاة المختلط فالمحامون فوكلاء النيابات
فال مستشارون ومساعدوهم فمديرو المصالح فالعلماء فالرؤساء الروحانيون فنقابة الصحافة
فاعضاء المحافل الماسونية فالمدبزون فالمحافظون فموظفو وزارات الحكومة ومصالحها
فأعيان القاهرة وتجارها فاعيان الاقاليم ثم تنابعت الجماهير من مختلف الطبقات ثم
صلى على « الزعيم الراحل » في مسجد قيسون

وفي تلك البقعة الناطقة بصمتها المعربة باستعجامها انزل النعش عن مركبة
المدفع بين الزفرات المتصاعدة والدموع المنحدرة وقد اطلقت المدافع ايذانا
« بالوداع »

ثم وقف صاحب المعالي جعفر والى باشا وألقى باسم الحكومة الكلمة الآتية

مات سعد . فيا له من خطب قادح . ومصاب جل عن العزاء . ان المبادئ السامية التي أفنى عمره في نشرها قد تأصلت في قلوب هذه الامة المجيدة . فاذا كان هذا الفقيه العظيم قد رحل اليوم بجسمه . فانه لا يزال حياً في قلوبنا بمبادئه وتعاليمه . كلنا سنفتي أفراداً : ولكن الامة بفضل جهود هذا الراحل الكريم . وتقانيه . في الاخلاص لها . ستعيش حرة خالدة : هذه كلمة الحكومة الآن . وللبرلمان كلمة سيلقيها حضرة وكيل مجلس الشيوخ . أما الرثاء والتأبين فسيحدد لها ميعاد آخر يعلن عنه فيما بعد

ثم تلاه حضرة محمود بسيوني بك وكيل مجلس الشيوخ وألقى الكلمة الآتية :
مات زعيم الامة : مات الرجل العظيم . فما أشد وقع هذا المصاب على نفوسنا نحن النواب والشيوخ . وعلى الامة بأسرها

قضى بعد جهاد طويل في سبيل حرية بلاده وفي سبيل انشاء الحياة النيابية وتوطيد أركان الدستور جاهد لا نبل قصد وأشرف غاية

وقد أراد الله أن يكمل جهاده بالنجاح . فنالت الامة بغيثها من الحياة الدستورية

وقضى وهي في أشد الحاجة الى جهاده لتستكمل حقوقها . وتحقق أمانها . ولئن مات فستبقى ذكراه خالدة في نفوسنا . ندكي فيها محبة الوطن الذي عاش من أجله ومات في سبيله فانا لله وإنا اليه راجعون

وعلى هذه الذكرى الالهية وضع استاذنا وملاذنا شيخ مشايخ الطريقة الحامدية الشاذلية سيدي ومولاي أبو حامد سلامه افندي الراضى تاريخاً للزعيم بجيبك جمع جملة عن عام وفاة الزعيم

سعد باشا رمز الاستقلال التام والوطنية

١٣٤ ٣٠٤ ٢٤٧ ٦٥٣ ٤٧٢ ١١٧

سنة ١٩٢٧



حضرة صاحب المعالي مصطفى النحاس باشا

الرئيس الجديد للوفد المصرى

دموع الرئيس الجديد

مصطفى الخامس باناً

عهد وميثاق على قبر الزعيم

بقلم الكاتب الحزين صاحب الامضاء

على قبر الزعيم سكون رهيب ، وحزن بلغ قرارة النفوس ، وعيون منهمة بالدموع ، وخشوع تملك القلوب وآهات من الاسى تداولتها الافواه وقد خيم جلال الموت فوق جلال العظمة واتصل صمت الحياة بصمت الابدية وأشرقت الحياة على الفناء فما أربب الموقف وما أشد وقعه على القلوب الكسيرة جلال يشيعه خشوع وعبرات تعقبها آهات من « الرئيس الجديد » على زعيم النيل ونحن حوله ساهمون متفجعون نائحون مرثية جد محزنة حتى لقد أجهش « زائر القبر » بالبكاء فطلق حزني المكتوم تتفجر بنايعة أذنبدت المأساة الأليمة . ووضعت لى تلك الحقيقة القاسية بان سعدا زعيمنا قد مات وما الى عودته من سبيل آ كنت ان سعدا الذى ملأ عنان السماء وطبق صيته الخالقين يضمه قبر مظلم الآن فقط تحققت ان سعدا التحق بربه فلن يسمع له صوت فى مضرولين يشترك مع مواطنيه فى تسيير دقة أمورهم



حول هذا القبر تجددت المناحة فجاشت الصنوبر بالاسى واكتوت بحسرة ولوعة وافتحت عيون المآقى بالعبرات ووقف الرئيس « مصطفى » يندب « الزعيم سعد » ويبكى حظ مصر وشقاءها والنازلة وشذتها والحمل وقسوته والمسئولية وتبعيتها وحسبكم يا ابناء النيل ان تروا « مصطفى » يشغل بكلماته القلوب نارا ويلهبها

صعيرا قال اطلال الله بقاءه والدموع تبلاه :-

« كان سعد يحمل الحب عنا جميعا وقد القاه الآن علينا جميعا . ان سعدا يريد منا العمل . أنه يريد من الاربعة عشر مليونا ان يعملوا . فلنكن جميعا ملتفين حول روحه . ان روحك يا سعد أمامنا انت الامام دائما »

* *

آه يا سعد : لقد استرحت يا سعد وتركتنا تتعب ، تركت الحمل لابنائك كلهم ، كنت زاهدا في الدنيا وها أنت الآن في الزهد الاخير ، لم تم مأموريتك يا سعد ولكن روحك ستتمها معنا . اتنا جميعا على عهدك حتى الممات ، واذا متنا فندرارينا سيقتفون الأثر . سنعمل حتى نصل الى ما كنت تصبو اليه لتستريح كنت تعمل ونحن مرتاحون فان نلنا المبتغى استرخنا واسترحت وان لم نلناه واسترخنا بجاهد ابناؤنا من بعدنا ،

كلنا الى الموت سائرون . سنكون جميعا كتلة واحدة قويداً واحدة لنعمل مجتمعين عمل سعد منفردا وسنلتف حول روح سعد ليستريح في مرقده . سنجتمع جميعاً لا يشد منا أحد نجتمع حول مبادئك يا سعد ونسير على طريقك القويم . أما سحر بيانك وقوة حجتك التي كانت تبهر السامعين فعزاء لنا فيها وصبرا جيلا على قهدها ، ان قلوبنا قوية ومتجهة الى مصر التي كنت تحبها وتهش لذكر استقلالها ان سعداً لم يكن رئيسي بل كان أبي ، لقد عاشته في المنفى فرأيت فيه جنو الآباء على الابناء

ما كان سعد ليهتز لخطب أبداً ، لقد كانوا يأخذونه من بيننا وينقلونه من منفى الى منفى وكانت الكلمات التي يقولها وداعا لنا :

ستعودون أتم الى مصر لتتموا على أما أنا فأحب أن أموت بعيداً عن بلادى حتى تتأجج الوطنية في قلوب بنينا ثم كان يقول :

قد يجمع الله الشقيتين بعدما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

فسنجتمع معك يا سعد ان شاء الله في دار الخلد بعد العمل للاستقلال. وسنبذل
جهدا لتحقيق غايتك . ونعاهدك أمام قبرك الكريم على المضي في الجهاد . ونرجو
الله أن يشمر عملنا قريباً حتى تستقر روحك وتهدأ في عالمها الأعلى . فانا لنشعر
إنها ستظل مشرقة علينا ترقب جهادنا وتغذى نفوسنا حتى تنال الاستقلال التام »
وهنا طلب اليها ونحن وقوف حوله أن تقرأ فاتحة الكتاب بصوت عال فقرأتها
ثم عاد الرئيس ومن معه يكفكفون العبرات ويغالبون الزفرات أذكر منهم
صاحب السعادة « حمد الباسل باشا » وكيل الوفد المصري وصاحب المعالي « على
الشمسي باشا » وزير المعارف وأصحاب العزة « محمود فهمي النقراشي بك . وإبراهيم
راتب بك . ونخري بك عبد النور . والاستاذ صبرى بك أبو علم . ومصطفى
بكير بك . وحسن افندي يس . والاستاذ النابه محمد افندي عبد الرحمن الجديلي .
والأخ الوفي الصادق الاستاذ محمد افندي إبراهيم الجزيري سكرتير المغفور له
الرئيس الجليل »

يا روح الزعيم
أطل علينا من عالمك الملائكي وانظر أمة جلتها خطوب الزمن يفقدك ولكنها
على عهدك باقية
ها هي أبنائك « أيها الزعيم » قد وهبت أرواحها وأجسامها في سبيل نصره
مبدئك والسير على طريقتك
وها هو ابنك البار « مصطفى » أحللتنا في الذروة العالية من قلوبنا فله شجاعته
واقدامه وله جرأته ونزاهته

شرف الزعامة للشعوب يجوزه * من كان في عصف الخطوب شجاعا

يا روح الزعيم !

أشرف على « رئيسنا الجديد مصطفى » وأثر له الطريق وخذ بيده . وافرغ عليه
قوب القوة ليحمل هذا العبء وحتى تنال بلادنا حريتها المغصوبة واستقلالها التام
الحزين - محمد السيد محمد

المراثى

النثر

ساعة الفراق

للطائب القدير عبر القادر حمزه

لطفك اللهم ورحمتك

هوى الطود وانطفا النجم وسكن اللسان الذى كان ينطق فتدوى الارض
بما يقول ، وخرجنا بسعد أسوأ ما خرجنا ، نحمله فى نعش وكانت الدنيا تضيق عنه ،
وتناديه فلا يجيب وكان لا يطيق أن نشكو ، ونبكي فلا ينهض الى دموعنا يكفكفها .
وكان من أجلنا ينصب ومن أجلنا يعيش . حملناه فلا والله ما حملنا الا أنفسنا
ولا شيعنا الا حبات قلوبنا ولا كان النعش يسير الا بنا أى بمصر دميت جوانحها
وماتت آمالها وقطعت نياط قلبها حسرات .

مشينا ساعة ثم أخرى فلوان عينه أطلت لرأت نفس الجموع التى عهت
ولكنهم كانوا فيما مضى يهتفون وهم الان يكون ، والميادين التى عرفت ولكنها
كانت فيما مضى تبتهج وتترين وهى الآن تئن وتلبس السواد ، والمدينة التى ألفت
ولكنها كانت فيما مضى تهش وتحتفل وهى الآن واجمة فلجأتها المصيبة جلى فأطارت
صوابها وتركبتها ذاهلة : لو أن عينه أطلت لرأت نفس الصفوف التى نظمت والجنود
التى قادت ولكن هؤلاء الجنود كانوا فيما مضى يهزءون بالحديد والنار ولا يضعفون
لموت أو سجن أو تشريد ، أما الآن فياويلنا لقد انهد عزمهم وخارت قواهم وفارقهم

شجاعتهم فهم أطفال ينتحبون ويتوجعون

مشينا فهل عرفنا ساعتئذ الى أين كنا نمشي ؟ هل عرفنا اننا كنا ماضين الى
حيث ندفن ذخر آمالنا فتضرب الارض حجاباً بيننا وبينه الى الابد ؟ لا لعمري
ما عرفنا هذا على حقيقته ولا تصورنا منه الا صورة مبهمه ولا استجلينا الا ان
المصيبة نزلت فادحة وانهار حدها تعرف مداها فتذهب بنا اليه . وستمضي
واأسفاه أسابيع بل شهور بل سنين قبل ان ندرك هذا المدعى ونعرف حدوده

مشينا ومشينا ، ومضى بنا سعد الى داره الاخيرة فياهولها ساعة تلك التي
أقبل فيها على باب هذه الدار ونحن بين يديه نريد بكل ما أوتينا ان نرده عنها فلا
نملك ، ونستوقفه لحظة نترود فيها زاداً يخفف اللوعة ، ونضج نسأله كلمة وداع أخيرة
فلا يجيب ، وتنشق طريقه بيننا على الف رغم منا والف حرقة في قلوبنا ، ويتسلمه
القبر من أيدينا . أي والله من أيدينا بين الملح والصياح والنشيج ، وننظر فإذا
سعد غاب في القبر وإذا القبر أطبق عليه وإذا نحن قدناه ولن نراه

لن نرى سعداً بعد اليوم ولن نسمع صوته ، لن نرى ذلك الوجه المشرق ولا
تينك العينين البراقتين ولا تلك الطلعة السمحة الصادقة . لن نسمع ذلك الصوت
الصریح الرنان ولا تلك النبرات التي كانت تهز أوتار القلوب ولا تلك الكلمات
التي كأنما صيغت من جنة الخلد فهي الحق وفي الحق قال . لن نرى سعداً ولن يرانا
في هذه الحياة فما أبعد فراقاً وما أقساه

كذبت يا دنيا . وعدتنا الهناء وما فيك إلا الشقاء ومنيتنا إلتئام الشمل وما
فيك إلا الفراق ومددت لنا من الآمال حبالا لا نهاية لها ولا اقطاع وما فيك إلا
الالم وخيبة الرجاء . ولو أن لامل واحد فيك أن يتم ولشمل أن يلتئم ولوعد أن
يصدق لبقى لنا سعد . ولكن أين منك الصدق وأين الوفاء

ولم يئن لنا بد من أن نعود ، ولا أدرى وايمن الله كيف تركناه وعدنا .
ولكننا جئنا ولم نكن نرى لمحيتنا الا صورة مبهمه . ونشر الليل ظلامه إذ نحن مفارقوه

فذلك ليس ظلام الحزن وحده وانما هو إلى جانب ذلك ظلام غرقنا فيه بعد أن
انكفأ مصباحنا وانطفأت ذبائته

*
* *

والآن ! لقد استرحت يا سعد ونعمت بجوار الله ورضائه ووجدت عنده
الجزاء الأوفى لكل ما قدمت يداك من خير للناس وبر بأمنك . وسبقتك الى
دارك التى سكنتها أخيراً دعوات هذه الملايين التى هامت بك قبلها الحق
شهادة لارياء فيها وجعلها لك مهاداً ونعماً
الآن يا سعد « انتهيت » فجدك فى الدنيا خالد ونعيمك الذى استقبلته فى
الآخرة خالد أما نحن فياتعسنا لقد « انتهينا » لانا فقدنا بفقدك كل شئ

فى ذمة الخلود

للطاب الشاعر عباس محمود العقاد

لغير هذا النبأ أعدت الأصابع وبغير هذه الصيحة جرت الألسنة فى الافواه،
بالحياة اقترن اسم سعد فما سمعناه إلا والحياة لهزام والدعاء له صلاة وقيام ، وما عرفنا
سعداً الا حياً تسرى منه حياة النفوس وتحقق به قوة فى القلوب ، فما سبق فى
الخواطر قبل هذا اليوم الأسود ان يوماً ينعاه فيه النعاة وتفجع فيه المهجات ، وأن
يقال « مات سعد » ويتنادى السامعون مات سعد فى هذا الجوالذى ملأته أنفاس
الداعيين لسعد بالحياة

ياو بح النعى من ذا ينعى وماذا يقول ؟ أتصدق الاصابع أن سعدا مات ! ان
سعداً سكن فمهاو بعد اليوم بخطيب ، ان سعداً وقد فمهاو بعد اليوم بناهض لنضال ،

إن سعاداً أوى الى مضجعه الاخير فما هو بعد اليوم بمسموع في الندى ولا بمنظور
 في صدور الحفول ، إن سعاداً سكت فما هو بعد اليوم بشجى الصوت تمتزج فيه
 العنوبة بالمصاء وتشترك الجوارح والارواح بالنكوف عليه والاصغاء ، لو أن خيراً
 تكذبه الدهشة التي تبند السامعين منه لقد كان هذا الخبر الصادع جد مكنوب
 ولقد كان آخر نبأ من الانبياء يحق له الايمان والتصديق . ولكن من لهذه الامة
 أن يكذب هذا النبأ الواحد وتصدق جميع الانبياء ، من أن يقال اليوم : إن سعاداً
 حى كما عهدت يامصروان كل شئ في الارض بعد ذلك كما يشاء القدر القاهر وكما يشاء
 الزمن العسوف ، من أن لها يكذب النعى وهو اليوم صاحب الصدق الكريه والحق
 الذى تصم عنه الآذان . مات سعد ! أى والله مات سعد ! فيامصر شأنك والبكاء
 الغزير والحزن الفاطر المرير ، لاملام الساعة على باك ولا حزين ، بل اللوم الساعة
 أن يصبر الصابر وأن يرقأ الدمع في الجفون ، وهل في هذا الخطب لأم أو ملوم ؟ كل
 مصرعين تفيض بالدمع السخين وتنظر في لوعة الاسى الى مكان خلا وركن هوى
 ووجه كان مطلع النور فاحتجب الآن في ظلام القبور

صدقى أيتها النفوس الهالعة والكبود الوارية والصدور الزافرة والعيون الدامعة
 — صدقى أن سعاداً قد مات وان الرجل الذى حملك قوة في مجال الكفاح تحمليه
 أنت جثة في المات ، صدقى ان المنبر الذى طالما سموت اليه مرهفه الآذان داوية
 الا كف هو الآن نعش صامت لا تسمع من منه إلا عبرة الفناء وحديث الصمت
 البالغ الرهيب

ولمن غير سعد تسهم الوجوه وتذهل العقول وتختف الاصوات وتقطع الزفرات
 وينظر الناظر حوله الى العيون الواهة والنشيج المبحوح والرؤوس الهائمة فاذا هو
 في لحظة من تلكم اللحظات التى كأنما يقف فيها نبض الكون ويتوابع كل من
 في الوجود الى غير لقاء ولا معاد ؟ لمن غير سعد يهبط الهول على الارض ويضل
 الامن في هذا الفضاء الرحيب فما اليه سبيل ؟ لسعد وحده تنزل هذه الرجفة

ويطوف بالناس هذا الطائف الدائم من الذلة والخشوع ، ولسعد في رقعة الموت
والهفتاه لالسعد الامس الذي كان مبعث الامل الراكد وفرج الصدور المكظومة
اذا حزبتها الكوارث وحاقت بها الخطوب

واحسرتاه عليك أيها الزعيم . أ كانت إذن نظرتي الاخيرة اليك تلك النظرة
التي القيتها عليك وأنت باسم الثغر تحيطنا بعطفك وتشكو تلك الفكاهة الخلوهرجمة
الراحمين من حولك ؟ تقول : « ان على يابني هنارقيين لايرحان ، إذا أمر الطبيب
لم يأذنا لشفتي أن تفترا بكلام ولا للهواء أن ينفذ من هذه الابواب ، وأقول لك
وأنا أخلى الناس ذهنا من هذه العاقبة المستورة : ان رقيبك يامولاي لايرحان
لاتهما يرحان ! وأستعجل القيام مخافة عليك من الكلام ومن الاصغاء وما كان
يدور بوهي في تلك اللحظة انني استعجل القيام من مجلسك الاخير وأمنع نفسي
التروود من طلبة محبوبه لن تهصرها بعدها عيناى ، أ كانت تلك إذن آخر نظراتي
اليك وكان ذلك إذن آخر الزاد من حديثك الساحر ولفظك المتخير الكريم ؟ لو
علمت لما تعجلت ، لو علمت لما أبقيت للامل بقية تخدعني عن تلك الحضرة
التي رجوت وأنا أفارقها انني معاودها غداً كما أعاودها والاجل بعيد والامل مديد ،
ومن لنا يومئذ ان نبصر ظلال الموت تزحف اليك وقد حجبها عنا الرجاء وأخفاها
ضياء شامل من الحب والولاء ؟ لقد بشرنا الأساة بشفائك ونحن نؤمن بما يبشرون ،
ولقد أنذرنا الأساة متلطفين ونحن تنكر أشد الانكار ما يندرون ، ولقد نفى
الطب يديه ولم يبق إلا المعجزة تنقذك من الخاتمة المحتومة ونحن نتنظر المعجزة
موقنين ، ولقد مدت ونحن لانطبق لفظها ولا نسيغ سمعها كأنما في الامر شك وكأنما
في الامر بقية لدعاء الداعين وتقاؤل المتفائلين ، ولقد قضى الامر كله وكأننا نسمعه
في حلم وكأننا بعد مازلنا حالمين . ثم ها نحن نحملك بأيدينا والانف راغم والقلب
طبيع لايعرف كيف يأتي لو كان للاباء من مناص معروف . إلى أين أيتها الامة ؟
إلى أين يا مصر ؟ إلى لقاء من لقاءات سعد ؟ الى خطبة من خطب سعد ؟ كلا

واحسرتاه . بل إلى التراب بجثمان سعد ، إلى القبر بالزعيم الراحل والعتاد الذاهب
والمهجأ الأمين ، فهل كان هذا ما تريدن ؟ هل كان هذا ما ترقبين ؟ ما أردت أن
تحمليه إلا على أكف السلامة والبقاء الطويل ، وما أردت أن ترفعيه إلا إلى مقام
النمصل في مصيرك المجهول

ولكن الانسان ضعيف

ولكن القضاء غالب

ولكننا كلنا ذاهبون

سعد

للطائب الكبير داود بركات رئيس تحرير الاهرام

تودع مصر اليوم رجلها — وقل من يستحق في الامم هذا الوصف — تودع
سعداً وقد حل سعد منها بين القلب والشفاف . وارتقى سعد فيها متن الذروة العليا
تقطع الاعناق دون التطلع اليها . وصعد بجهد وجد وباتقاد ذكائه وعلو همته .
وبصدق ايمانه وصحة معتقده بحق نفسه وبحق وطنه عليه سلم الحياة درجة
درجة حتى القنه التي لا يطاوله اليها متناول ولم يتقدمه اليها متقدم ولم يلحق
به لاحق . واستفاضت من ذلك المكان السامي الذي تبوأه ومن تلك المكاة
العالية التي وصل اليها . شهرة طارت الى جوانب الكون كله . فاذا فاخرت أمة
من الامم برجل من رجالها فاخرت مصر بسعد . وإذا ذكروا في أمة من الامم
الرجال العظام قالوا ان رجل مصر سعد . وما كان سعد برجل مصر وحدها وقد
عظم وكبر في عيون الشرق كله . فكان مثالا للزعماء في كيف يكافحون في سبيل
عقيدتهم الوطنية . وفي كيف يجمعون النفوس المتفرقة والطوائف المتنابذة والاهواء

المتنازعة . وفي كيف يمزقون التقاليد البالية لتحل محلها الروح الشريفة الجديدة فتجعل من الامة كتلة واحدة تتجه بآمالها وأمانها في متجه واحد الى غرض سام واحد وغاية جلي واحدة

خرج سعد من صلب الامة كما يخرج جميع الاقذاذ النوابغ فاذا ذكر واشنطن وانكولن ونابوليون وغاريبالدى وكرومويل وكل نابغة في الامم ذكر بعد اليوم معهم سعد . وقد يما قالوا ان بناء الامم والشعوب هم الذين يخرجون من صلبها ويرقون سلم الحياة فيها درجة درجة الى الذروة والقنة

وهكذا كان سعد الذى تبكيه اليوم الاقلام والعيون ويحقق لفقده قلب مصر وتحقق معها قلوب الشرق وتهتز قلوب الغرب بجملته^(١)

قال يوم انطفأ ذلك النور الوهاج الذى كان يفيض على البلاد كلها ولكن أثره لا يمحي من النفوس وفعله لا يزول من الصدور . واليوم انهد ذلك الركن الركين الذى كانت تستند اليه الامة بآمالها وأمانها وتوليه قمتها التى لا حد لها . واليوم يحقق قلب مصر حزنا وأسفاً لم يحكه خفقانه فى يوم من الايام الا يوم عودة من منقاه مرفوع الرأس موفور الكرامة واليوم تبكى كل عين مصرية رجلا ضحك له بالامس كل ثغر مصرى . واليوم تعاهد الامة هذا الرجل العظيم على قبره انها على مبدئه حتى النهاية . واليوم تملئ سيرة سعد على كل مصرى ان الرجل العظيم هو الذى يكون نفسه بصعوده سلم الرقى درجة فدرجة حتى الذروة العليا بقوة اليقين وصحة الاعتقاد وصدق العزيمة التى لا تقل . فقد كان سعد رحمة الله عليه رجلا ولكنه كان فوق الرجال ينمسك بالحق وحبه للعدل والصراحة والاخلاص يكره الذبذبة والنفاق واللين حيث يجب الشدة والصلابة وينأى عن الصلابة والشدة حيث يجب اللين والهوادة . فلا تفقد سعداً اذا ظلت حية فينا روح سعد

(١) تكلم الكاتب عقب هذا عن تاريخ الزعيم ولكننا لم نكتبه اعتمادا على

ومطالبه وأمانيه بل فضائله ومميزاته . فقد أدى ما عليه لامته حتى اللحظة الاخيرة
من حياته فسجل بعمله اسمه مع الخالدين وخدم وطنه وأمتة الخدمة الباقية الخالدة
إلى أبد الأبدين

وقطع في إحدى خطبه في سنة ١٩٢٢ عهداً على نفسه بربه وهو قوله :
« اعاهدكم عهداً لا احيد عنه وهو أن اموت في السعي لاستقلالكم فان فزت فذلك
والا تركت لكم اتمام ما بدأت به »

مأتم الوطن

للسلاطبة البارعة الدكتور محمد حسين هيكل

مات سعد زغلول ! يالهول الموقف ! وياالقسوة المقادير ! ويا ما أشد حزن مصر
على فاجعة لم تترك قلباً الا أدمته ؛ ولا فؤاداً الا سلبته ، ولا نفساً الا اهترت لها
فرقا . ولا عقلاً الا زلزلت أعصابه زلزالا .

نعم . يالهول الموقف الرهيب . وأية رهبة وأى جزع كأن تنظر أمة فاذا لسانها
الناطق قد صمت ، واذا قلبها الخفان لم يعد ينطق ، واذا هذا الذى كان على كل
لسان وفى كل نفس فى مصر وفى غير مصر من بلاد العالم كله ؛ اذا سعد زغلول قد
طوى الموت صحيفته ؟ واذا كل الانظار التى كانت تتطلع اليه بالرجاء لم يبق لها
الا أن تتطلع الى السماء راجية فى رحمة الله ومغفرته العزاء ؛ والا أن تنخفض الى
الثرى تبلله بالدموع المهرقة والعبرات المسكوبة

مات سعد زغلول ! يالهولها من كلمة . رجل بملأ الدنيا اسمه دويماً وتحسب
الممالك له حساباً ثم يأتي عليه الموت كما يأتي على أى رجل من الناس . عجيباً . اذن
فما الحياة وما زخرفها الباطل . ولكننا يجب أن نتأسى . وما سعد الزعيم قد

قضت من قبله الزعماء . ولئن مات فلن ينقلب على عقبيه أحد وستظل ذكراه
باقية في النفوس مذكية فيها مازكت به نفسه من حرص على حق الوطن وإيمان
لا يتزعزع باقتضائه إياه .

مات سعد زعلول ! وأأسفاه . من أيام معدودات كنا جميعاً نعد الأيام الباقية
على كلمة تسقط من بين شفقي الزعيم الراحل يقضى بها في مصير هذه البلاد . وكنا
جميعاً ندعو بالتوفيق ، ونتنظر من رحمة المقادير منقذاً من موقف طال بنا الضجر
منه . فإذا هذه المقادير قلب لنا ظهر المجن فيحبس الموت كلمة سعد بين شفاهه ويحيل
رجاء البلاد في المستقبل حزناً ولوعة وأنياباً ويقم فيها بدل الآمال الواسعة ما تم تنديب
كلها رجلاً طالما هتفت باسمه وطالما ابتهلت إلى الله ليمد في عمره إذ كان هو أملها
ورجاؤها لقوة الوطن ومنعته وعزته

لمثل هذا اليوم الذي كانت مصر تنتظر فيه كلمة سعد للبت في مصيرها جاهد
سعد واحتمل ما احتمل من تضحية . لمثل هذا اليوم تألف الوفد ، ولمثله نفى سعد
وأصحابه إلى مالطه ، ولمثله قاوض سعد ملنر ، ولمثله أبعد إلى سيشل ، ولمثله عمل
لإعادة الحياة النيابية بتآلف الأحزاب . فلما جاء اليوم الذي آن لسعد فيه أن يرى
جنى ثمرة تضحياته وجهاده ، وثمره هذه المتاعب والمشقات التي احتملها وهو في
سنه المتقدمة بصبر وثبات لا قبل بهما لشاب ، لما جاء هذا اليوم الذي كنا نرجو
وكان سعد يرجو أن يتوج فيه مجده حياته بالغاية العليا التي بذل في سبيلها كل ما
بذل إذا يد الموت الغادر تمتد إليه تتخطفه من الحياة والناس أشد ما يكونون بحياته
وبصحته اغتباطاً واشد ما يكونون في المستقبل رجاء وأملاً .

جاهد سعد في السنوات الأخيرة من حياته لأ نبل غاية ، وجاهد بقوة لا يعرفها
إلا العظماء ، ومن قبل ذلك جاهد لمثل هذه الغاية فبلغ من جهاده مامهد لهذه
الزعامة الكبرى ، فهو لم يكن يوماً من الأيام بالرجل الذي يطعن في الحياة لغير
الجهاد . كان دائماً عظيماً . كان عظيماً في خصومته ، عظيماً في وفائه عظيماً في

كل شيء ولقد كان كذلك عظيماً في وفاته . وهل لمن خلقه الله عظيماً الا أن يموت عظيماً وأن يخلد على صفحات التاريخ عظيماً :

* *

وكذلك قضى ! وكذلك وافاه الاجل المحتوم ! نعم ! مات سعد زعلول !
فانا لله انا اليه راجعون بالقسوة القدر ! وبالنضوب معين العزاء ! رب رحمة بشعب
ناكل ، ومغفرة لزعيم راحل . تولانا الله وتولى الامة برحمته ، وامطر الفقيد غيث
رضوانه ومغفرته ، والهمنا جميعا الصبر والعزاء . واجعل من ذكرى سعد لكل قلب
قوة ولاهل هذا الوطن جميعا ايمانا مضاعفا بحق الوطن وبكرامته وعزته وكبريائه

سعد زعلول

للطبيب الشاعر إبراهيم عبر الفادر المازني

سعد زعلول ابن مصر الذي اتخذته شعبها أباً له ، والزعيم الذي كان في كل
مرحلة من مراحل حياته الحافلة قوة لا يسع أحدا أن يهرب من وقعها والشعور بها
وادخالها في حسابه ، مناصراً أو مناصباً ، والشخصية الفذة التي لم تتألم والتي واجهت
الامة فسحرتها ، ووقفت حيالها فجذبتها وبرزت لها فاستولت على هواها ، والقوة
التي كانت تعي الناس مداورين ، وتدهمنهم مبارزين ، والمظمة التي تروعك اذ
تطالعك قهراً تامة بالنفس واعتداداً مطلقاً بالذات ، أو ضحكة من أعماق القلب ،
أوزومة في الوجه ، أو مشية متقدة وطيدة واشية بامتلاء النفس بالعزة واليقين ،
والحيوية التي لا ينضب لها معين ، وروح الكفاح التي يسقمها الركود ويحييها —
على الرغم من السن والاصاب — أن تحمي المعركة وتشتد الدعة ، كل ذلك
يطوى اليوم مع سعد في كفن ، والموت قد مر ، وقضاء ليس منه مفر

ولقد نأت بي عنه الحياة ولم يقدر لي الله أن أعرفه عن كسب إلا أيلما
معدودات ، ولو شئت لقلت ساعات ، ولكن ما خلفته هذه الهنيئات لم يزده كر
السنين الطوال إلا ثبوتا ورسوخا وما زلت الى اليوم أراه وهو قائم وقد فاضت عينه
بالدموع واصططكت أسنانه وتهدج صوته لذكر الشهداء حين عاد في صيف ١٩٢١ ،
وامتنع عليه القول وهو الذي لا يعي بفكاهة أوجد ، وبكى السامعون جميعا ووقف
القلم في يدي وتعلقت عيني وجهه وقد راعني النشيج من هذا الشيخ الوقور كما يروع
المرء قصف الدوحة الضخمة السامقة ، لا بل لا أزال أذكر وقفته في المركبة كأنه
تمثال أبو الهول انبثت فيه الحياة وسرت في عروقه الدماء الحارة ، وقد جعل يحكي
الناس بكلتا يديه يرفعهما الى رأسه ، واخلق من حوله عباب زاخر ولج مأج

وليس أدل عندي على العظمة من اثنتين : البساطة والقدرة على اثار العطف
وكلتاها كان نصيبه منهما الا وفر وحظه الاجزل ، وبهما استطاع أن يلف حوله
الامة وأن تكون له نوبة بكل قلب وعلق بكل نفس وأذكر الان وأنا أكتب
هذه السطور حادثتين وقعت أولا هما في الاسكندرية وثانيتها في مصر حين عاد
من فرنسا لأول مرة في سنة ١٩٢١ ، فاما الاولى فتلك ان الجماهير ظلت محتشدة
حول فندق كلاردج تهتف وتصخب الى ما بعد الساعة الثانية صباحا تحت نافذة
غرفته وتصيح طالبة أن يبرز لها من الشرفة لتحية فعل وأشار اليهم بيده فظنوه
سيخطبهم . فساد السكون فقال وهو يضحك « أريد أن أنام فان لم تنفضوا فوالله
أنزل وأمسك في خناقكم » فضحكوا ونحيوه وصفقوا وانصرفوا

وفي مصر وفد عليه جمهور من الفلاحين فغصت بهم ساحة البيت فخرج اليهم
وجلس على الارض معهم وهو يقول أنا فلاح مثلكم . ثم انصرفوا ولو شاء أن يرسلهم
الى الموت لاطاعوا !!

وفي صبيحة اليوم التالي لوصوله الى القاهرة قصد سرا الى مقابر الشهداء
الذين ذهبوا ضحية الثورة المصرية وهو في مألظة فزارها وترخم على حلالها وخطب

من معه من خاصته حولها وكانوا سبعة فقط ؟ وكنت قدرت ذلك وتوقعته مما رأيته منه في الاسكندرية حين ذكر أمامه الشهداء فسبقته وصح ظني ؟ وعدت وأنا مقتنع بان الحافز على هذه الزيارة لم يكن الا الشعور الملح الذي خامره منذ

ولم تكن بساطته تكلفا ولا قدرته على ابتعاث العطف اكتسابا فما كانت هذه أو تلك بالتي تستفاد بالمران وتنال بالتدريب ، وانما كانتا سجية فيه جمعت حوله القلوب وجذبت اليه النفوس .

وكان زعيما بفطرته يسير الشعب ثم يملك زمامه وتستولى على مقادته ويسير به الى حيث يشاء ، فلا ينبوا الشعب في كفه ، وهل يسع رجلا عاديا من أوساط الناس ، أن يملك عن أمة بأسرها مثل ما ملك عليه رحمه الله ؟ أيتأتى لغير زعيم ضخيم الشخصية ان يوضع في الميزان مرة بعد مرة فترجح شخصيته ، وينحدر منها على الامة مثل السيل الجارف ، كل ما في طريقه مخمول على متنه ؟ أيتيسر لغير عظيم أن يدور عليه تاريخ أمة وأن ترتب حياتها حاضرها ومستقبلها بما يفعل أو يترك ؟ أيسع غير قوة جبارة أن تطوى كل قوة أخرى وأن تثور بها الاعاصير من كل ناحية فتثبت وتصلب وتجمع في نفسها على الرغم من كل شيء قوة الحكومة وقوة الشعب وقوة البرلمان حتى لقد كان يسعه أن يقول انه مضر

ان هذا هو الجانب الخالد من سعد والباقي على الزمن ، أما الاعمال فبنت أوقاتها وقد تحمدها من المراء أولا تحمدها ، وترضاها أو تعيبها . ولست الى هذا تنظر فانه في ذمة التاريخ وأمانته وانما ننظر الى هذه القوة الغالبة والشخصية الساحرة ومعظمة الباهرة والحيوية الزاخرة . وإلى الامة التي شابت المقادير الفاجعة أن تسطو عليها وتحرمها اياها ! أي فراغ هائل لا تحسه ؟ لقد كان رحمه الله كالغناطيس القوى يجذب اليه بزيادة الحديد المنتثرة ويلم شعها عنده . فالآن ماذا يجمعها سواه ؟ أن القوة الشعبية التي يسفها ما وسعه ؟ لقد قبض الله اليه في شخص سعد أمة في أمة ، وهنت بوقته مصر شخصية عظيمة تعقم بمثلها أجيال — شخصية كانت على

الحركة القومية علماً ولها رمزا ، فانا لله وانا لله راجعون ألهمنا الله العزاء ، وكيف
العزاء عن كان مل الدنيا ؟

سعد زغلول

رسول الوطنية وفقيد مصر والشرق

للطبيب الكبير خليل بك ثابت

رحل سعد فطويت برحلته صحيفة منيرة بليغة مجيدة من صحائف تاريخ
مصر الحديث . وخبافي سماء هذا الوادي كوكب لامع سطع نوره في فضاء الشرق
فأثار القلوب وشد الآمال والعزائم في النفوس وأضاء الطريق لسالكيه من هذه
الشعوب التي تطمح الى نيل حقها في الحياة وتصبوا الى تحرير مصيرها . وانطلقاً ذلك
المشعل الذي كان منارة على ضفاف النيل يرسل أشعته الى الارحاء . وفقدت مصر
أكبر أبنائها وأحبهم الى قلبها وأشد هم غيرة على عظمتها فهي اليوم تكلى كاسفة
البال سائلة الدمع كسيرة القلب وقد وجفت الاقدسة لهول المصاب واصطكت
الركب لعظم الخطب فصبر جمل وانا لله وانا اليه راجعون

اما وقد كتب الموت على الخلق لا يخلد منهم سوى النفوس والاعمال فان
في أعمال سعد ما سيخلد اسمه وذكره ويجعل من حياته وجهاده المثل الاعلى للذين
يتجردون لخدمه الاقوام ورفع شأن الاوطان

مامات سعد وانتمامات جسمه اماروجه نخالدة واما قدوته وتعاليمه ومبادئه فباقية
واما صديق وطنيته وصموهمته وذكرى جهاده وجميل سجاياه وصفاته فمنقوشة على
صفحات القلوب سجلها التاريخ له بحروف من ذهب محاطة باكليل من الغار وسيتناقل

إنخلف عن السلف أخبارها ويقول الناس في مستقبل الأيام كذا فعل سعد وهذا ما قاله سعد



هذا مقام يقف فيه الكاتب خاشعاً تعروه الحيرة وتتنازعه عوامل الأسف والاسى فلا يدري أى نواحى هذا الموضوع يتناول وإى أبوابه الكثيرة يطرق .
أشيد بذكر سعد وقد كان اسم سعد ملء الأفواه والاسماع . أو يعدد فعال سعد وقد انقضت مرحلة من مراحل تاريخ مصر وسعد المحور الأكبر الذى تدور عليه نهضة وادى النيل . أو يصف ما شمل مصر من الحزن على فقد سعد وفى كل بيت مأتم وفى كل شارع مناحة . أو ينوه بما أثر سعد فى جميع الكلمة وتوحيد القلوب والقصد وتوجيه الابصار والقوى الى الغاية العظمى وهذه الجموع الزاخرة التى تنموج بها عاصمة البلاد اليوم من جميع الطبقات والاعمار وهذه الرشائل والتلغرافات الواردة من جميع الاقطار والامصا تنطق بأبلغ لسان بما صنع سعد لهذه الامة . أو يذكر فضل سعد فى نحو علل الخلاف الدينى وسعيه للقضاء على الشقاق المذهبى ومعالجته لهذا السوس الذى طالما نخر جذع شعوب الشرق وفروعها فلورثها الهوان والبيوار حتى جاء سعد فجهر بالدعوة الى الاتحاد وائتلاف الخلق على مافيه صلاح أمرهم وعز اوطانهم قال ذلك وعمل به فكان فيه اول قائل فعال . أو يردد اعجاب الخاصة والعامة ببلاغة سعد وفصاحته وحسن بيانه وماله من المواقف الخطابية الماثورة . أو برحم على سعد وما حباه الله من خلال جعلته حبيب هذه الامة ورائدها فى سيرها ورمز نهضتها ومقدامها والمتكلم الناطق برغبتها وارادتها حتى قالوا انه رسول الوطنية فى مصر واحد افذاذ الرجال الذين فلما يجود بهم الدهر . أو يصفق صفقة الاواه ويتحسر على ذلك الذكاء ان يخبونوره وتلك المهمة العالية ان يسعها لحد صغير وذلك اللسان الذى كان يقطر عسلاً فى ساعات الرضا ويصب صواعق محرقة فى ساعات الشدائد والازمات وذلك القلب الكبير الذى ما كان يقدر للاهوال قدراً ولا يحسب للخطر

حساباً وذلك الحديث الشهي الطافح بغزارة العلم وصدق الفراسة وبلاغة المنطق ولطيف النكات وسحر البيان . أويحصى عطفه على الشرق وشعوبه وتوجهه لمصائبهم ونكباتهم وحنانه على المنكوبين منهم وبلا مس ققط كان اول من هزته الاريجية وحركته الحمية الشرقية لمصاب فلسطين بزلزالها فجاد لها بما دل على رقة القلب وصدق العاطفة وكال الشعور بالاخاء الشرقى والواجب على الجار لجاره الحزين وما كانت هذه اولى مكرماته ولا الوحيدة من حسناته فى هذا المضمار فكم له فيه من مواقف جليلة نبيلة وكم له فيه من آيات بينات يذكرها الذين اصابهم خيرها ويذكرون معها ما اضاعت مصر وما فقد الشرق

بأى هذه يبدأ الكاتب ولا بها يكون فضل التقديم

وقد وجدت مجال القول ذا سعة * فلن وجدت لساناً قائلًا قهل

لقد كانت الموسيقىات تعزف بنشيد « بحيا سعد » فتسمع نعماتها فى ارجاء وادى النيل وتردد جبال لبنان وسهول العراق والجزيرة وآكام فلسطين ذلك الدعاء وتهتف لهتاف مصر بحياة سعد اليوم يسير النعاة فى انحاء وادى النيل ينعون ابن هذه الامة الكريم فتسيل المحاجر وتسمى القلوب ويتبادل الناس عبارات الاسى وتردد الشعوب الناطقة بالضاد العزاء لمصر وقول معها رحم الله سعداً

مولده ونشأته وحياته

هذا موضوع كتاب يخلق بأحد كبار مؤرخينا المنصفين أن يتولى تسطيره خدمة لمصر وسائر أقطار الشرق وهدية الى المعاصرين لسعد والذين سيأتون بعدهم فى تاريخ كهذا دروس وعبر للاحداث والشبان والكهول والشيوخ بما حوى من الوقائع وما اسفر عنه من السجاياء التى جعلت هذا القى القروى يتدرج فى مدارج التقدم والارقاء بدافع طبيعى من نفسه وان يقف قواه فى آخر الامر على خدمة بنى قومه حتى طار صيته كل مطار وذاع اسمه فى جميع الاقطار والامصار وصار عنواناً

للهضة القومية ومثالا يمتدنى فى الخدمة الوطنية ويتشبه به كل من قنوت نفسه الى
العمل النافع فى رفع منزلة الشعوب واذكاء نار الحمية القومية فى النفوس

بعد همته ونشاطه الفطرى

كان سعد مثالا للنشاط والاجتهاد لا يعرف معنى للمل ولا يدركه التعب ولا
يأبه للكلال كان كذلك فى حياته وشبابه وظل كذلك فى كهولته وشيخوخته
ومع كل ما استهدف له من العلل ظل يواصل العمل ليل نهار ولا يلتمس الراحة
الا مكرهاً بأشارة طبيب أو توسل المقربين من أهل بيته وفى مقدمتهم قرينته
الكريمة الحزينة التى يشاطرها الملايين من الخلق اليوم حزنها الشديد فى مصابها
العظيم . وقد كان فى جهاده الاخير الذى سيظل ذكره مقروناً بتاريخ نهضة مصر
الحديثة مثالا لبعد الهمة وصدق العزيمة فقد كان يصاب من معه من الشبان
بالاعياء ويقلبهم القنور والنعاس وسعد يقظ رابط الجأش وكأن العمل لا يزيد ذهنه
الاصفاء وعقله الامضاء

ولا يزال الذين شهدوا جلسات مجلس النواب فى آخر الدورة الماضية يذكرون
بأشد اعجاب مواقفه فيه وقد اشتد الحر وشم الناس العمل وكلت سواعد الكتاب
والصحافيين وسعد مستوفى مجلسه لا قوته شاردة ولا يغفل باخرة بل يستوعب كل
ما يقال ويخوض غمار البحث والمناقشة اذا اشكل الامر فينير المظلم ويفتح المغلق
ويحل المعقد ويسير الاعمال برأى صائب وعقل ثاقب الى ان يستتب الامر ويستقر
الرأى على قرار فيعود فى بيته الى مجلس آخر وأعمال أخرى تستغرق جانبا طويلا
من الليل — حياة جليلة حافلة بالعمل وقد جعلت صاحبها كما وصفه احد عظماء
سورية فقال ان سعدا كان ممتازا كطالب وكان ممتازا كحام وكان ممتازا كاستشار
وكان ممتازا كوزير وصار ممتازا كزعيم

وكان كرومر الذى اشتهر بمعرفة الرجال وعجم عودهم فى مقدمة المعجبين بسعد

ولا يزال ما قاله في خطبة الوداع في دار الاوبرا برن في الاذان يوم نوه بصفات سعد ومزاياه وتنبأ بما يكون له من مستقبل مجيد

وفي حياته الطافحة بجلال الامور شواهد لا تحصى على بعد الهمة والنشاط وهذه حكايته مع بوند بك وكيل محكمة الاستئناف لما كان مستشاراً فيها مشهورة مذكورة فانه لما عيره بوند بك بانه ليس من حملة شهادات الحقوق شق الامر عليه وعقد النيه من تلك الساعة على بلوغ هذه الغاية فشرع عن ساعد الجد واكب على درس اللغة الفرنسية وطلب الحقوق في كتبها وأدى الامتحان ثلاثة أعوام متوالية في جامعة باريس وعاد منها ظافراً باجازة الحقوق وهو كهل وله في ذلك الزمان مقام رفيع ومكانة عالية فاعجب زملاؤه بصديق عزيزته ودهش جميع الذين سمعوا الحكاية وكان بوند بك نفسه في مقدمة المعجبين والمقدرين لهذه الهمة الشماء والحمية البالغة

ولم يكتف بذلك بل شرع يتعلم الالمانية في شيخوخته وكان يتكلم بها مع وصيفته التي كانت تعنى به وتسهر على صحته . فهذان مثلان من أمثال للدلالة على ما فطر عليه فقيده مصر من الهمة والنشاط والاجتهاد وهي من أسرار نجاحه وأركان عظمته

وقد زاره كاتب هذه السطور من نحو خمسة أسابيع عائداً في ظهر ذات يوم وقد بلغه ان الرئيس يشكو من ضعف فقال له سعد باشا نزلت أمس مساء لاذهب الى البرلمان وركبت السيارة ولكن الضعف اشتد بي فاعادوني الى هذه الغرفة وحظروا على مغادرتها اليوم . ثم تبسم تبسم المضطر الى التسليم بأمر القضاء والاذعان لمشورة الاطباء

شجاعته وقوته

وكان سعد باشا شجاعاً جريئاً ولو انتظم في السلك العسكري لكان قائداً

عظيماً حتى ان بعض ناقديه كان يعد في بعض الاحيان متهوراً أو مفراطاً في الاقدام وهذه الشجاعة سر من أسرار زعامته فالناس عامة يحبون الشجاع ويجلون قدر الجري فكانت شجاعته مكملة لما اتصف به من الصفات الاخرى والسجاياء وكان اذا استقر في ذهنه ان هذا الامر أو ذاك حق جاهر به لا يخشى لومة لائم ولا تزال حكايته مع الخديوي السابق محفوظة في الاذهان مذكورة على السنة الذين وقفوا عليها حينها وسينقضي زمان طويل قيل ان ينسى الناس موقفه في الجمعية الاقتصادية والخطبة التي ارتجلها هناك في الساعة التي كان الحلفاء فيها خارجين من الحرب العظمى والنصر معقود بالوحيهم وما تلا ذلك من مواقف مذكورة من ذهابه مع صاحبيه الى دار المندوب السامي وخطابه فيها للسرجند ونجت الى يوم ابعاده الى مالطة وما عقبه من حوادث انتهت بابعاده الى سيشل ايام كانت الكلمة العليا لرجال السيف والحكم المبرم للمحاكم العسكرية

مكانته في القلوب

فلا غرو بعد هذا كله اذا نهضت مصر كلها للقائه يوم عاد من اوربا في المرة الاولى ويوم عاد منها في المرة الثانية وهل ينسى الناس ذلك اليومين وقد ندر أمثالهما في تاريخ مصر بل تاريخ سائر الامصار فخرج الناس الى البحر واصطفوا على خط سكة الحديد وملاوا شوارع القاهرة وميادينها وشرقاتها ونوافذها للترحيب بالزعيم الاكبر واظهار الولاء الخالص له بمثل ما تظهر الشعوب حين تزخر بحلورها لتحمل من تريد أن تشيد بذكوره على سفينة التكريم والتعظيم مكافأة على ما بذله واعترافاً بفعله وتنوياً بنبله وتقديراً لفضله

وظل سعد قبلة الانظار وحيب الامة الى أن توفاه الله بين الاصوات المتصاعدة بالابتهاال بشفائه والدعاء له بطول العمر والعافية والاقبال ليواصل سيره العظيم وعمله المجيد

نزاهته وحياته البيتية

وعاش سعد باشا نزيهاً ما استطاع أشد خصومه ان يلصق بسمعته غباراً من تهمة في هذه النראה وما كان للمال عنده من قيمة سوى أن يكون وسيلة لقضاء واجب أما حب المال أو السعى له لذاته فقد كان أبعد شيء عن خاطره ولذلك كان يمتنع الرشوة والارتكاب وينفر من الذين يقدمون عليهما وكان في أحكامه وهو قاض لا يبغي سوى العدل والانصاف فلم يطل به المقام حتى برز بين الاقران وصار يشار اليه بالبنان وكان في معيشته البيتية قدوة الأزواج وفي حياته العائلية وآدابه الشخصية مثالا للشبان والكهول وقد وقته العناية الى قرينة فاضلة كانت أكبر عون له في حياته وسراً آخر من أسرار عظمته وفلاحه

وقد قيل لما قلد منصب الوزارة للمرة الاولى في رئاسة المرحوم مصطفى فهمي باشا انه مدين بذلك لارتقاء لحميه غير أن الذين يعرفون الحقيقة كما نعرفها نحن لاتصالنا بالرجلين اتصالاً وثيقاً في ذلك العهد يعلمون أن وجود مصطفى باشا في رئاسة الوزارة حال في أول الامر ولمدة طويلة دون اعطاء سعد حقه لان مصطفى باشا كان يستنكف من أن يقال انه سعى لترقية صهره وقدمه على سواه بحكم قرابته منه

سعد كخطيب

ليس من السهل أن ينعت المرء في مصر باجادة الخطابة فالمصريون قوم أنزل الله البلاغة على قلوبهم وأجري الفصاحة على ألسنتهم فاذا اشتهر أحدهم بالخطابة فذلك لانه استوفى شروطها الكاملة ولا نعرف في هذا العصر من استوفى هذه الشروط استيفاء سعد لها لا في اتقان صوغ العبارات واجتناب اللحن وسلامة النطق واكتمال الصوت وحسن الوقفة وقوة العارضة والمقدرة على الارتجال فقط بل بهذا كله وبإدراك نفسية الذين يخاطبهم والوصول الى مخادع قلوبهم وجتذابهم

• إليه بما حباه الله به من وسائل الاجتذاب وقد بلغ في ذلك منزلة يعز بلوغها حتى
 لقد قال أحد كتاب الانكليز من الدين يعرفونه ويعرفون العزيمة العامة في شأن
 العربية الفصحى يصف مقبرة سعد الخطابية في جريدة من جرائد لندن عند
 الكلام على خطبته الختامية للدورة البرلمانية الماضية ما نصه « وان زغلول باشا
 كسائر الناس يكبر في كل عام عن العام الذي قبله . ولكن الزمان عجز عن
 اضعاف قوته في القبض على ناصية حسن البيان بالعربية ومقدرته ورقته في الخطابة
 وهما الصفتان اللتان تخليان لب سامعيه حتى ان الذين يسمعون خطبه ولا يستطيعون
 فهم كل عبارة من عباراته الحسنة السبك (من الاجانب) يطربون لسماعه بخطب
 فانه جمع في شخصه جميع المواهب اللازمة للخطيب وعنده من عنوبة النكات
 أكثر مما يجد المرء عند معظم الخطباء السياسيين وخطبه طالعة دائماً بالعبارات
 الرائجة والشائعة وسامعوه تارة يخشعون لأقواله المفرغة في قالب الجد وتارة يطربون
 لنكاته البديعة التي تأخذ بمجامع القلوب »

وحتى كان سماع سعد بخطب من الامور التي تشوق الناس بقطع النظر عن
 موضوع الخطبة ولطالما اخترقوا نطاق البوليس واقتحموا الحواجز وحطموا الابواب
 والنوافذ ليسمعوا خطيب مصر المفرد ويشنفوا الآذان بعباراته البليغة وأقواله الساحرة

سعد والتعصب الدينى

كان سعد مسلماً شديداً العقيدة بدينه وكان يفتخر بانتسابه الى الازهر ولكنه
 كان رسول الوطنية وقد أدرك باختباره الطويل ما فعل التعصب الدينى والمنهبي
 فى أمم الشرق وكيف انه أورثها الوهن وأدخل عليها الاقسام وفتح فى بلادها
 الابواب والثغرات لتدخل الاجنبى عنها فى شؤونها فلما قبض على زمام الزعامة
 العامة آلى على نفسه أن يصلح هذا الفساد ويظهر مصر من جرائمه فأظهر بالعمل
 والقول انه لا يميز بين المسلم والمسيحى واليهودى فى خدمة البلاد والحقوق الواجبات

وفقد هذه النظرية في كل مكان استطاع ولا سيما في أثناء رئاسته الوزارة . وما يذكر له من الاقوال التي تتم على ما كان يكتنه ان جماعة من السوريين المتمصرين زاروه بعد تأليف مجلس الشيوخ شاكرين على تعيين ثلاثة من السوريين المسيحيين أعضاء في المجلس فكان جوابه اني لا أعرفهم بهذا الوصف بل اني أعرفهم مواطنين مصريين وعليهم ان ينهضوا بسبب العمل كما ينهض اخوانهم من سلاة المصريين القدماء فكان جواباً بليغاً يدل على علو الهمة وسعة الصدر وسداد الرأي وبعد النظر في تعزيز روح القومية وتقديمه على سائر الاعتبارات

وسيكون تاريخ سعد متعدد الصفحات ولكن أبهى صفحاته في نظرنا وفي نظر كل محب للشرق محيط بأسباب ضعفه وراغب في اعلاء شأنه وتوحيد كتل شعوبه الصفحة التي تصف هذه العاطفة الشريفة التي حوت أنجع دواء لهذا الداء النضال الذي ما برح الشرق يئن منه ولا يزال يعرض بلادانه فريسة له فان المثل الذي ضرب به سعد للمصريين والشرقيين علم يهتدى به وهالة أحاطت بهامته وكللتها باكليل من المجد لا يزول ولا يفنى

سعد الزعيم الوطني

المتصدرون للزعامة في الدنيا أكثر من أن يحصوا ولكن الذين سلمت اليهم الامم أمورها وأسلمت لهم قيادها لا يجاوزون في كل عصر عدد أصابع الكف فالشعوب في صمتها وكلامها وقعودها وقيامها ترتجى من الزعماء كثيراً وتعقد عليهم آملا كبيراً وتحملهم أعباء جساماً وتسلمهم زمامها ولا تصطفى الشعوب لهذه الزعامة الا من ثبت لها اخلاصه وتجلت مقدرته وكفاءته وقام البرهان على صدق ولائه وجسن وفائه وطيب عنصره وتقانيه في الخدمة العامة وعدم اكتراته للراحة

وقد قبض سعد على زمام الزعامة باختيار هذه الامة فما ترعزت قتها به ولا ضعف ايمانه بصحة قضيتها وكان سعد في السن التي يلتمس فيها معظم الناس الراحة

من عناء العمل يفعل فعال الجبابة ويستهدف للخطر والمشقة وشظف العيش لاهم له سوى هذه الغاية التي وضعها نصب عينيه فكان وفياً بعهده حريصاً على أمانته حافظاً للوديعة التي عهد اليه فيها واذا كان لم يفز بكل ما كان يرتجيه ولم يظفر بكل ما كان يتوق اليه فانه كان يتعزى برؤية الذين بث فيهم روحه و يقينه بانهم يواصلون هذا الجهاد بعده ولطالما سمعناه يكشف الشبان برأيه هذا ويتمنى أن يتم على أيديهم ما لا يزال يطمع بتمامه اذا فسح له في العمر وجاءت ظروف الاحوال مطابقة لما كان يشتهي

وكان سعد سابقاً لمعاصريه في مآصوره له الرجاء من مصير مصر وقد استطاع أن يجعلهم يمشون في طريقه ويلتفون حوله ويطلبون ما كان يطلب ويفرس في القلوب بنوراً رأى في حياته نباتها وعروقها وزهرها وثمرها فقرت عيناه وطابت نفسه وعلم ان هذا الركب الذي ألفه من مجموع الامة سيواصل السير بعده الى الغاية المرجوة وهذا أقصى ما يشتهي زعيم وخير ما يرتاح اليه من مكافأة وجائزة فقد خلف بعده أقطاباً يحسنون ادارة دفة هذه السفينة ونظاماً يسرون بهوامة هتفي خطواته وتقتدى بقدمونه وتكر حياة وتحترم وصاياه

سعد القطب السياسي

هذه صورة من صور سعد لا يعرفها المجموع كما يعرفها الخاصة والذين كانوا متصلين به وكيف كان محل المشكلات ومعالج العضلات في هذه الاعوام الاخيرة بيد الخبير القدير السياسي المحنك وكيف كان يدير دفة سفينة الاعمال بلا ضجة ولا ضوضاء ويشير بما يتبع من السياسات وما يحسن اجتنابه من الامور وكان يجود بما وعى في صدره من الحكمة والاختبار وما فطر عليه من دقة النظر وسداد الرأي . ومتى كتب تاريخ هذه الاعوام الاخيرة وتبين ما كان لسعد فيها من اليد في تصريف الامور فسيعلم الناس ما لا يعلمون الآن عن حنكة هذا القيد العظيم ومقدرته الفائقة

وما أسدى الى وطنه وقومه من الخدمة الجليلة والفضل العظيم واذا كانت أخلاقه
وحسن سياسته تأبى الظهور بهذا المظهر حرصاً على المصلحة العامة فان لسان الحال
ينشد فيه قول ابى فراس

سيد كرنى قومى اذا جد جدم وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر
وقد كانت الآمال معقودة بفوز كبير على يده ويد الساعين الى اكمال العمل
والمضى فى مهمة الاستقلال فعاجلته المنية وفى يده المشروع الجديد ينظر فيه نظر
الثاقب فلا حول ولا قوة الا بالله

* *

هذه لمحة وجيزة عن سير عقيد مصر والشرق يكتبها القلم الذى طالما سجل لسعد
مواقفة الشريفة بمداد الفخر والرجاء يكتبها وفى القلب حرقه وفى العين دموعه على
رجل وقف حياته على الخدمة العامة والمصلحة الوطنية واتفق ما وهبه الله من مواهب
فى رفع شأن قومه وتعزيز مقام وطنه فاستحق ما قبل به ولم يترك سوى الحسرة
على ان الله لم يطل فى حياته ليرى أكثر مما رأى من ثمار جهاده ونشاطه وتفانيه
ونزاهة قصده ولكن اذا ضم تراب مصر رفاقه فان روحه ستظل ترف على هذا
الوطن الذى احبه وتناجى هذه الامة التى اصطفته وترشد الذين يأتون بعده الى
طرق الهدى ومحجة الصواب

واليوم سيحمل سعد على الاعناق ميتاً كما كان يحمل على الاعناق حيا وتشيعه
مصر الى مقبره الاخيريين ترديد الحسرات وترجيع الزفرات ونواريه اللحد
مذكوراً بفضلته وعظم خدمته لقومه وسائر أقوام الشرق عزيزاً كريماً تاركاً ذكرى
يعبق اريجها ومخلفاً أفضل مثال يحتذى ومردداً للمصريين عهدهم لهم على السعى
لقضاء امنيتهم فاذا حال دون ذلك الاجل عهد اليهم فى اتمام العمل وسيقابل ربه
بما اسدى وما فعل فى حياة طالحة بالمكرمات وجهاد زانه اكليل من المجد ضفره
هذا الشعب الذى يعرف الجميل لنويه ويحفظ الفضل لاصحابه

قالى جنة الخلد يا سعد ورحمة الله عليك وعزاء لقرينتك الكريمة الامينتولا لك
وصحبك ذوى الفضل والنبل واللامه المصرية الحزينه عليك ولسائر شعوب
الشرق التى تشاطر شعب وادى النيل حسرتة فى هذا المصاب العظيم

فى ذمة الله

للطائب الجريء محرر الاخبار

كان لمدينة « أثينا » يوم حداد فكنت ترى نصب الالهة الحامية وقد جردت
من زيتها وغشيتها براقع السواد . والمعابد وقد غلقت أبوابها و « الاجورا » وقد
هجرت . « والبنيكس » وقد صمتت ولا تسمع فيها غير صوت السكون والوحدة
العاجزة عن التعبير والاهلين وقد حبسوا أنفسهم فى مقامهم نائنين عن متاع الغرور .
ولذا نذ الغرور . مدبرين عن كل عمل ناشدين الوحدة . وقصارى القول كنت
ترى أثينا وهى فى غير حركة وفى غير حركة وفى غير صخب وفى جمود تحاكي
مدينة الاموات !

و ٢٣ أغسطس مساء ؟ كان هذا المساء لمصر كما كان يوم « البلنتيريه » لا أثينا
يوم حداد يوم صمت وسكون . يوم تهنيدات وزفرات
فى منتصف الساعة التاسعة من مساء أمس سكت دوى مدفع القلعة الحصينة
بغالبية الامة أمام طلقات القدر المحتوم . وسكون الموت هذا الذى أعقب فجأة
دوى المدفع المستمر . فطلقات البنادق . فصفير القذائف المتقطعة . وفى بعض
الاحايين كانت تنطلق فى سرعة وحشية على وتيرة سماعك صليل السيوف أونية
الملحمة لم يكن الا سكون التسليم للنفس الاخير بين يدي الله .
كان مقرراً أن يكون تسليم الروح فى فى منتصف الواحدة بعد ظهر أمس .

ولكن الروح الكبير والقلب الكبير جعل الحراس يجهلون مدى الحياة . ولكن
عند ما انطفأت النار . عند ما ترارت الشعلة أيقن الجميع أن الأمل قد ذبل ثم مجل
وطار مع النعامة في طيات دخان آخر قبله من قتابل الحياة « أنا انتهيت » .
هنا شعر كل فرد باقباض قلبه في حصرة . هنا جفف البعض عيونه الوكفة
الندبة بدمعها . هنا كانت اليد المرتجفة الرعشة المحمومة العصبية تبحث ولكن في
الفراغ . وتدور ولكن حول المجهول . وتقبض ولكن على لاشئ ما إذا كان ؟
كان الاحتفاظ ولكن بالذهول !

كانت صولة الغلبة ! كانت دولة النصر ! ولكن غلبة الفناء . ونصر الزوال .
لم تخف خافية . والأمل لم يكن غير خرافة سخية . فمنذ تبادل البرقيات الرقمية ما
كان في المقدور عقلا الوصول إلى نجاح مقترن بفوز مبین يبنى عليه مجد حاسم لمصر .
وتحتم المعركة وأراد الله إلا أن يظهر آيته ويقبض سعداً جواره وما كان في
الطاقة التسليم إلا الله فحسينا الله ونعم الوكيل

مات بالأمس سعد فانا لله وإنا إليه راجعون وما عساها تكون تلك الحياة
السعيدة ان لم تكن روحاً هادئة مطمئنة لا تغيرها حركات وثابة تخل توازن الصواب
الأبدى ؟ ومن الرجل الذي يكون بائساً تعساً غير ذلك الذي يخشى الموت والالم ما
دما دائماً محل نفاذ الأول ومهددين في استمرار بتحمل غصص الآخر ؟ من الرجل
الذي يخشى الموت عزيزاً ؟ ومن الرجل الذي لا يؤثر على المنلة والعار فضائل حياة
الخلود إذا لم يكن ذلك الذي قضى بحمة الاعتزاز بمقوق بلاده ؟

ما إذا يكون الرجل إذا لم يبخل على نفسه بالنراية والاحتقار والامتهان ؟ ماذا
يكون إذا لم يقتحم باب الخلود عارياً عن زخرف الحياة رايياً بعزيمته قاسياً على
شهوات نفسه . دكتاتورياً إذا ما استصرخه الضمير ساعة المعركة الحاسمة ؟

من ذلك الذي كان يأبى أن يكون مقعداً عاجزاً دون أن يكافح العبودية التي
تحاول أن تفرضها عليه دولة قوية إذا لم يكن انساناً شاذاً عن العاديين ؟

. لقد كانت روح عالية تلك التي صعدت وهي فريسة شهوات عادلة لاغلاب لها وشمست ثم جمجت في اشمزاز عن تقبل اكرامه أو تعنت الا في مرضاة خالقها . وأجناء الرأس خضوعاً وامثالاً لا تتقاهما من عالم أرضي الى عالم ملائكي بعيد عن للظلام وآثر الا أن يلاقى في سبيل النور وجه ذى الجلال والاكرام . انجد أسعد من ذلك الذى استبشع البقاء فى العالم السفلى خاضعاً لمن يحترق . فتواده من نار شهوته وسما الى أعلى عليين على الضوء القوى لذباته ؟ .
لقد خيل للبعض أن القوم حكموا بأن البحر كان هادئاً عند ملاحظوا أن سطحه لم يكن تائراً وان الريح التي مرت عليه لم تحرك منه سباً كنا مع أن الروح منه فى طمثنان لا تتأثر بقلق خاص أو عام . ولكن ألا تستطيع أن تعتبر سعيداً وعظيماً ذلك الذى يتألم فى غير ثورة ويتأثر فى غير حاجة الطبيعة الى تأثر من حظ قاس . أو مصير مهلك ؟

لم يفهم سعد غير من خاصه سياسياً وخاصه للمصلحة العامة دون سواها . كان سعد رجلاً وكفى انه كان كذلك فخلو مكانه فراغ يتعذر أن يسد فى حربه بعد أمد طويل لان الرجل رجل لا يعوض ولا قابل له أو كفى حتى يقبض على جمة مبدأ حربه . والمبدأ دين والقابض على دينه كالتابض على الجمر .

مصر تشيع الزعيم

للكتاب المحترم محمد الكوكب

بلغت الفجيرة منتهى عنفها حين اجتاز النعش يحمل رفات لزعيم القومية المصرية وبطل حركة التحرير والاستقلال . وتضاربت فى النفوس احساسات شتى نبيلة ووثبت مشاعر مختلفة تزدحم فى الصدور .

هذا آخر العهد بالزعيم العظيم جثة هامدة يقطع آخر مرحلة من طريق الخلود وهذا أول العهد به ذكرى يعبق عبيرها تاريخ مصر الحديث

وماذا يأخذ الموت من الابطال والمجاهدين . انه ان ظفر بجيشانهم ، ومحى من الوجود صورتهم المادية ، فلن تمتد يده الباردة الى شخصيتهم المعنوية وماذا يملك الفناء من سير العظماء وحياتهم . انها تبقى رغم الموت وانها تهبزاً بالفناء

كلام لم يمت الزعيم

ان صفاته الممتازة وجماع خلاله الفذة لتشيع في النفوس جميعاً . وستنحدر الى الاجيال المقبلة في نفس كل مصرى قبس من شخصية سعد ، وفي كل خلجة من خلجات قلبه يتردد احساس بثه فيه سعد ، وفي كل جارحة لسعد صورة معنوية نعم ، ان الشخصيات البارزة لا تورث ، ولكن المبادئ يرث الشعوب عن الزعماء هو ذا جثمانه يحينا في صمت رهيب ، وهو ذا الشعب يودع الفكرة مجسمة قد دب اليها الفناء ، وما يودع الا عرضاً زائلاً ، فاما معاني الزعامة ، وأما معاني النضال ، وأما معاني الشرف والتبيل ، وأما معاني البطولة ، فازلية تعمر قلب كل مصرى ما بقي المصريون

ان للفجيعة بالعظماء طبيعة تختلف عن طبيعة كل فجيعة . لان العظيم مهياً للعظماء مخلوق لظروف غير عادية ، وهو فوق ذلك موكل من قبل الخالق لا تقاذ شعب أو شعوب ، وأضاءة السبيل بمشعل قدسى فان طوته المنون تفجع الناس وأحزنهم أنهم ليسوا أكفاء لاحتمال عبثه مجتمعين . ومن ثم تراهم يندبون حظههم ويبيكون أنفسهم ، حين يندبونه وحين يبيكونه

وما زالت في الغرائز الانسانية نزعة الى حب الحياة في صورتها البارزة الملموسة ، وهذا تفسير حى لمعنى دفن في النفس هو الشعور بخلود الانسان ، ولكنه بعد شعور مبالغ فيه ، إذ الخلود للروح لا للجسد ، للمعنويات لا للماديات

والانسان بعد هو الانسان ، قد يصبر للرزء ولكنه يأبى ، وقد يترزن

للخطب ولكنه يتألم ويختلف الاسى والألم باختلاف تقدير الفجيعة وتقديرها خارج عن طوق الارادة ، متصل بأواصر منها الواضح الجلى ومنها الغامض المستبهم المصريون جميعاً في حزن شامل لان كلا منهم يرتبط بسعد بأواصر مردها الى ما اضافة اليه من معانى جلية . هو الذى انتقل بهم مرحلة من مراحل التقدم ، ووثب بهم شوطاً من أشواط التطور الى الامام . هو وسع أفق الحياة فاحتلوا طريقاً من أوضاعها وشهدوا من جمالها وفتونها ما حجبته عنهم عصور الظلم والاستبداد هو حطم تقاليد رسخت في المجتمع ، وفرت الناس سائداً ومسوداً ، ووزعهم طوائف وطبقات ، وجمعهم حول قدس الوطن أنداداً واخواناً ، وأنصاراً وأعواناً هو الذى جعل الديمقراطية حقيقة عملية ، وأقنع كل فرد بأنه مسئول عن حاضر بلاده ومستقبلها

هو الذى سار بالبلاد فى متجه جديد منحرفاً بها عن طريق العبودية للحاكم المطلق ، وللآراء: الوراثة العتيقة ، وللإحساسات الجامدة المتعفنة ، وللأيأس والاستخذاء والتواكل

هو الذى أطلق النفوس من سجنها لتحلق فى الفضاء اللانهاى ، وأطلق العقول من حيزها المتواضع ، ولقحها بالجرأة والحكمة لتنفذ الى الصميم وتستشف الاغوار شيع المصريون جيلاً بأسره

شيع المصريون عهداً حافلاً بالعجائب والامور الخارقة

شيع الشعب من سوده ، وجعله يشعر بأن له كرامة وحقوقاً يجب أن يموت دونها

شيع الشبان فنى الجنان شاب الوجدان

شيع الكهول شيخاً اجتمعت له التجربات ، واستلهم الحوادث حكمها

والحن عبرتها

شيع الفلاح فلاحاً جعلته عبقريته مثلاً فذاً للعظمة غير المحدودة ، ورفعته

مواهبه الى أسمى الدرجات فوثق الفلاح بأنه خلق خلقاً جديداً ، وأنه ليس تلك

الكية المهمة يتحكم فيها من شاء بما شاء

شيخ رجال التشريع حجة متفقها استوعب روح القانون، وابتكر نظريات ومبادئ
شيخ أولياء الامور من كان في منصة الحكم اماماً عادلاً حاذقاً نشيطاً ، يضع
الواجب فوق المصلحة ، لا بل كأنه قد من حديد ، يضطلع بأثقل الأعباء ويطلب
المزيد ! ويعمل في الوظيفة للجمهور لا لنفسه

شيخ المجاهدون رمز الكفاح ، والتضحية ، ومضاء العزيمة
شيخ أهل الطوائف المختلفة من وحد الصفوف حول هيكل الوطن ، وجمعها
على دين الوطنية ومبدأ القومية

شيخ الشيوخ رجال منهم هدته قريحته الى التحرر من قيود الرجعية فاحبوه
واحترموه ، وساروا على دربه طائعين أو مجبرين ، وحمدوا له أن ما أصابهم من
نعمة الخروج الى النور كان على يد فرد منهم اختصته العناية بكسر قيودهم
شيخ النساء خير زوج وأفضل رفيق في الحياة وابر مصرى بالعائلة ، واسبقهم
الى رفع مستوى المرأة والاعتراف بما لها من حقوق
شيخ الاجانب جميعا صديقا وه ضيفا لا تنسيه الصداقة حق بلاده ولا تنهله
عن أفهام هؤلاء النزلاء أن مصر اليوم غيرها بالامس وان المصري ند لا ي فرد من
أبناء البلاد المتحضرة

شيخ الوزراء أول وزير مصرى عمل بوحى ضميره لا بوحى قصر الدوباره
شيخ النواب والشيوخ أعرفهم بواجب النيابة ، وأرسنهم قدما في فهم
سعى الدستور

شيخ الامراء أميرا سودته خصاله النبيلة
لكن أرواح الشهداء والضحايا استقبلت من شاد بذكرها ، وعرف لها
اخلاصها ووفاءها لبلادها وأخضل أجدائها بالدموع
ففي ذمة الله ، وفي رحمة الله

أكانت مصر في حلم ؟

فهذي دهشة الحلم ؟

للسلاطنة الغز مصطفى صادق الرافعي

مات الرجل الذي كان مخلوقاً لأحلام السياسة المصرية حتى كأنه كتاب يقرأ
فيه التاريخ الذي لم يخلق بعد ، وكأنه رسم بيد الله على طريقة المصورات الجغرافية
في قياس وتدقيق لترى فيه مصر الحاضرة أين تذهب بها خطوط الغيب وإلى أي
النواحي يمد بها القدر

مات الرجل الذي كان يفرح الناس به فرح أهل المشكلة اعضلت حتى
استيأ سوا منها وتناولت كل قلب بعقدة هم ومدت على كل وجه خيطاً من كآبة ،
ثم يصيبون قدرة الله في رجل عظيم مرسل منه سبحانه لقدره في الحادثة العظيمة
فإذا الرجل اسمي منهم ومن نفسه لأنه أمل وتيسير ولأنهم في حاجة وشدة
مات سعد فيا رحمة الله لسعد

أكانت مصر في حلم من أحلامها انفرج فيه ستار الغيب فإذا سعد قد اطلع
عليها وإذا هي قد ظفرت مما فوق المادة برجل في إحدى يديه السحرو في الأخرى
المعجزة ، ثم انسحب الحلم فإذا للرجل مواقف يندمج عندها في قوة الكون فلا
يزال يمضي في الحوادث ويعزم حتى تقول أنه رجل من أقدار ، ويمضي للسياسة
ويظلم حتى تقول أنه رجل من ليل ونهار ، ثم تنفس الحلم فإذا البطل جبار من
هذه الأعاصير وإذا هو يطير فكاد كل ما يلسه على الأرض يطير ، ثم يتنضم
الحلم فإذا عبقرى كالجمرة الملهبة لا يقال أنه يعيش بل يحترق ، ولا يجتمع فيه النور
الا ليتبدد ويحترق ، ثم يتندى الحلم فإذا رجل من الرقة كالروض فانت منه في نسائم
عطوره . وإذا كتاب من الفكاهة لو ترجم إلى الطبيعة لكانت الأزاهر من

سطوره ثم تهافت الحلم فاذا جاء من النور قد غاب في النور ثم اضمحل وتلاشى
فاذا الغطاء على عنه الدنيا كلها قبر من القبور؟

يا رحمة الله لسعد كان رجلا ما نظر اليه انسان الا بعين فيها دلائل احلامها
كانه شخص فكرة لا شخص انسان فاذا رأيته كان في فكرك قبل ان يكون في
نظرك فانت تشهده بنظرين احدهما هذا الذي تبصر به والاخر ذاك الذي تؤمن به
رجل كانما كان يمسك في جسمه زلزلة فهو ابدا يرج ما حوله ، فلما مات
انطلقت قتركت الامة على هزة عنيقة تشعر كأن معاني الحياة يرجع اعلاها على
اسفلها او يوشك ان يرجع

كان قوة عامة لا بد من فعلها كل حي تحت هذا الافق حتى كان معاني نفسه
تنتشر في الهواء أو كانه محطة لبرقيات الهية يخاطب بها قدر قدراً أو ندعو منها
حادثة حادته . قوة مرسله لا يمسك ، ماضية لا ترد ، مقدورة لا يحتال لها بحيلة ،
فلا يقال في مثله ان له محاسن وعيوبا بل محاسنه هي محاسنه من انه قوة ثم لا بد له
من ضعف الانسان لانه خلق انساني . وتكاد معايب الرجل العظيم تكون ظلال
حسناته فهي منها ولن تكون الا بها

فاذا كان لسعد هنات فليست من خطائه ولكنها طبيعة من ناموس النور
الذي كان فيه

يا رحمة الله لسعد انما كان رجل الشعب فكان كل مصرى يحس انه يملك فيه
ملكا فيشعر من ذلك ان له كبرياء وعظمة وطنية

كان الذات للتسعة التي لا يعرف لها معاصروه حدودا لانها ذات التاريخ
المتشعبه من الماضي والمستوعبة للحاضر والمترامية الى المستقبل ، وفيها ذكرى المجد
الوطني والعمل له والامل فيه

وكان من قومه في اكبارهم واعظامهم كأنه واياهم رجل خلق وصنعوا ، أو
رجل صنع وخلقوا ، لا بد من ان يباينهم حتى في وجوه الشبه بينهم وبينه ،

وبذلك بلغ ما لا يتناهى اليه الامل وكانت قاعدة تمثاله الشخصى تلوب
أمة كاملة

يا رحمة الله لسعد اذ يجود بنفسه وتزعزم شفتاه « انا انتهيت . انا انتهيت »
اقسم ما تكلم سعد بابلغ ولا ابدع ولا ادق من هذه الكلمة على اقرارى
انه خطيب الشرق ولسان العربية

انتهى منه ما يسمى « انا » ليتبدى فيه ما يسمى « هو »
انتهى الذى آخر حدوده الذات الفانية ليتبدى الذى أول حدوده الفكرة الخالدة
انتهى مما كان ابتداء فى التاريخ ليعمل بالتاريخ فيما لا ينتهى
انها بلاغة خرجت فيها روح عظيمة فلهى منظوية على سردقيق حتى كأنها
جملة وقعت من السماء فعليها روعة الوحي وفيها دقائق الاعجاز أو هو اقتبسها من لغة
الخلود ليرسلها لامته فى آخر حركة من حركات لسانه يقول :

انا انتهيت أما انت يا أمتى العزيزة فباقية فاعملى ولا تيأسى
انا انتهيت اما انت يا أمتى العظيمة ففكرى كل يوم ان تبدئى فى الحياه بدءاً جديداً
(انا انتهيت) اقولها يا أمتى لتعلمى ان وصاتى الاخيرة اليك ان لا تقولى ابداً
انا انتهيت انها كلمة الموت

يا رحمة لسعد وسلام الامة فى سلام الله عليه

الى الراحل العظيم

فى دار النعيم والخلود

للسلطاب الاجتماعى محمد السباعى

وكذلك هوى ذلك الكوكب الوقاد من فلكه أحوج ما نكون الى الألاء

اشراقه وسناهدايته ! وكذلك تحطمت تلك السفينة الصلبة المتينة فجأة على صخور
القدر الخبوءة وخلفت ركبها مشرقاً على الهلاك ولهان حائراً يتلمس أسباب النجاة
وسائل الحياة ؟ وكذلك خفت ذلك الصوت الرائع الذى كان سم الأعداء ونسيم
أرواح الأولياء — الذى ملأ أنحاء الوجود دويماً سيقى صدهاء الى يوم القيامة ؟
وكذلك رحل عنا الزعيم الاجل والامام الاعظم وخلفنا قول « والهفتاه ؟
واحسرتاه ؟ ويابؤس القدر الحائر لو كان مدنى أجله وأطال حياته ؟ » ولكن الاجل
محدود وأيام الانسان فى هذا الوجود معدودة ، وماذا يصنع الانسان وماذا تصنع
الامم والشعوب اذا تراءى شبح المنون وسط ضجة معترك الحياة وداقق تيارها
الزاخر ، ماذا تصنع اذا ظهر لك الرسول الشاحب الخوف المرهوب وأشار باصبعه
فى صمت وسكينة ؟ ماذا يصنع المرء سوى أن يطرح من فوق عاتقه كل مهمة
ومسئولية وينقض يديه من كافة شؤون هذه الدنيا مهما كبرت وعظمت وكان
معلقاً عليها تحرير الشعب واستقلال البلاد ومستقبل الاوطان ، ثم يلبي نداء ذلك
الرسول المهيّب ويمضى ؟ لا مناص من إجابة ذلك النداء سواء أ كنت أعظم
عظيم أو أحقر حقير ، ولو ان تاريخ العالم بأسره كان متوقفاً على ساعة من الزمن لما
مد فى أجلك هذه الساعة .

فى سبيل الله وفى سبيل العلياء والمجد والخلود تلك الجهود العظيمة والهمم
الثاقبة والمساعي الضخمة ، فى سبيل الخلود ذلك الروح الكبير الطاهر السامى
الذى كان لنا مبعث الامل والرجاء وموقف الهمة والمضاء ، ومستحث
القوى والعزائم وكان المؤئل والمعاذفى البأساء والعزاء ، وفى الازمة الدهماء
والحنة النكراء

فى سبيل الخلود أيها الراحل العظيم ، لقد كنت فينا الطود الراسخ الباذخ
تعصف الزوابع الهوجاء من حول هامته الشفاء فلا تحرك من سكينته ولا تستخف
من رزاقته ، وتزلزل لمن حول ساسه الارض فلا ترعزع من رسوه وثباته وقد سمت

قمته العليا فوق سحب الغايات والاهواء وضباب الميول والاغراض وواجهت
شمس الحقائق مرفوعة شماء . .

لقد كنت أيها البطل الخالد تسير بسفينة الوطن في بحر السياسة المصاف
للمصاف المتقلب الخوان تنكب بها مكامن المهالك ، وتتوخى بها المأمون من
المناهج والمسالك ، تدير دقتها بيد مباركة ميمونة رائدها التوفيق والنجاح تمكن
في أسرتها أسرار الحنق والرفق والمهارة تؤم بها مرفأ الفوز والنجاة

وكنت في مجاهل السياسة المخوفة تهود شعبك مجتازاً به متائه الاضاليل
والاباطيل تؤم به أفق الاستقلال المشرق المنير ووادي الحرية الطاهر المقدس ،
وكنت من فوق زوبعة السياسة الثائرة قلب مقلتي صقر وتصفق جناحي
نسر ساكن الجأش ثابت الجنان ، تصرف بيد حاذقة صناع أعنة الحوادث وأزمة
الاقدار كأنك الملك الحافظ الأمين ، كلما ازدادت الحادثات عسفا واعتسافا
ازددت سكينه وهدوءا

أرى ساكن الاوصال باسط وجهه * يريك الهوينا والامور تطير
وحبذا مواقفك المشهودة مع جبايرة ساسة الانكليز في حومة الخصاص والنضال
اذ تعلو عليهم بذراية المنطق وشدة العارضة وخلاصة البيان ، واذ ينخيل لمن شاهدك
وممع نقشات سحرك المبين أن سلطان البلاغة والافهام قد اتخذ بين شفتيك
عرشه واريكته

وكان تحت لسانه * هاروت ينفث فيه سحراً

وقد كنت في تلك الزوابع السياسية وفي هاتيك الغيوم والادجال المدهمه
وفي مضطرب تلك العناصر المتكافحة والعوامل المتنافرة تمضي في سعيك المجيد
وفي سيرتك الباهرة مضاء الصارم المصقول والكوكب المشبوب دائب الكدح
موصول الكد ليل نهار كأنك ينبوع قوة لا ينفذ وشعلة لظى تأبى أن تخبث ، تملأ
فضاء ارض روثا ونوراً . في سبيل الله تلك القدرة النادرة العجيبة التي لا يكاد

يصدق بياهر آياتها ورائع معجزاتها الا من شاهدها بعيني رأسه ممن من الله عليهم
بكريم عشرتك وصحبتك من صفوة آلک وصحبك ومريدك واتباعك ، طوبى
لهؤلاء لقد فلزوا بصحبة رسول الوطنية وأبصروا الخوارق من بينات آياته ورأوا
إلى أى حد قد تبلغ قدرة الانسان وعظمته . فى سبيل الله أيها البطل الخالد ! لقد
كانت ساعتك كهام غيرك وشهرك كدهره .

إلا أن خلقك ومولدك وظهورك فى هذه الاوطان وعلى مسرح حياتها لم يكن
عفوآ كما هى الحال فى شأن الملايين العاديين أمثالنا انما خلقك القدير وابدعك
وأظهرك على مسرح الحياة المصرية الوطنية لحكمة عظيمة ولغرض سام نبيل ،
وذلك أنه أعدك لتلك الازمات والكوارث التى أصيبت بها البلاد من جراء طغيان
ظالمها وغاصبي حقوقها ، لتكون درعها التى تتحصن بها وسلاحها الذى تنود به
عن نفسها وتدافع

وكذلك ما كان الله ينذر على الشعب المجاهد المطالب بحريته من غير أن
يؤزره بالرجل العظيم وقت الحاجة ، ولا يزال كلما وقع مثل هذا الشعب فى الازمات
والمضايق أسرع الله الى غوثه ومعوته فاسعفه ببغيته وضالته اذ يسوق اليه بطل
الساعة ، فارس الميدان وحامى الحمى وحامل اللواء ، فلا يزال ينافح عنه وينود عن
حياضه حتى يستنقذه من الحضيض ثم يأخذ بيده ويهديه سواء السبيل

تلك عادة الله وسنته فى صلاح العالم ودوامه ولن يعدل عنه الا يوم يريد بهذا
العالم المعطب الفساد والخراب السريع والدمار العاجل

حبذا خطبك الرنانة أيها الخطيب المصقع والمنطيق المفوه اللاعب بالالباب
هزع بها أوتار السرور تارة وأوتار الحزن تاره ، تبعث منها آونة الاسف والاسى
وآونة صيحة الجبور والطرب وأحيانا تستل الاحن والسخائم وتستأصل الاحقاد
والضغائن وتملأ القلوب اليائسة رجاء واملا ، والنفوس الجازعة أنسا وجدلا ،
وكنت اذا اخنت فى حديث خيل الينا انك تصب تيار روحك الزاخر فى

أرواح سامعك فتملك نفوسهم وتستحوذ ألبابهم وتقتاد الافئدة بأعنتها ، حتى
تتضاءل الجموع الحاشدة في حضرتك المهيبة المؤنسة ويلذ لهم أن يغمسوا أرواحهم
في معين بلاغتك الفياضة ويرتشفوا رحيق بيانك المزرى برحيق السلاف . وكأن
الساعة من ساعات خطبك وحديثك غرة كوكبية في جبين الزمان ، وكل
ما عداها من الساعات أوقات وسن ورقاد ، لله خطبك وأحاديثك ما أجدرها ان
تعد أعمالا عظيمة ووقائع مظفرة فائزة لا مجرد كلمات وألفاظ ، اذ هي في الواقع
كهرباء العمل والتهضة فهي تنطوي على القوة الدافعة الى الاعمال والجهود وهي
شبه بما يرسمه قادة الجيوش من الخطط والخرائط وما يصدرونه من أوامر الكر
والفر والدفاع والهجوم . وكذلك الخطيب الحق إما ان يكون قد جاء لأمر عظيم
لاستنهاض جماهير سامعيه الى استئصال جيوش الباطيل والا كاذيب والى
افتتاح عوالم جديدة من المذاهب والمبادئ (واذاك تكون خطبته دعوة الى
الغزو والجهاد) والا فأولى له أن يسكت فيريح نفسه ويريح سامعيه
لهني عليك لقد كنت آية في خلافة المنطق وسحر البيان ، لقد كان مقولك
الخلاب كالزهر الرنان استوعبت أوتاره جميع الانغام من أخفت جرس التحية
والتسليم وأرق كلمات الملاطفة والفكاهة الى أعلى صيحات الغضب وأشد صرخات
الوجد والحمة قد جمع الى ضحكة الجنلان ، زفرة الوهان ، والى ايجاز المكتفى
بإشارته ، اسهاب ابن المقفع في يتيمة وكنت تستخف سامعك بسحرك الحلال
وتزدهيه حتى ليكاد يطفر في الهواء ويطير في الجو
وأجل وأعظم من ألفاظك العذبة وكلماتك الحكيمة ما انطوت عليه تلك
الكلمات والالفاظ من سر روحك الكبير ، من حرارة الوجدان ونار العاطفة
والشعور ، ففي هذه يكمن سر الخطابة وتأثير الخطيب . لقد كانت هذه النار وهذه
الحرارة تنتقل بطريق العدوى الى الجماهير من سامعك وتسرى في أعصابهم
وتجرى في عروقهم ، فتدفع بهم الى حيث تشاء وما تشاء الا الرشدا والهدى والسداد

لقد كنت المليك المسيطر على الافئدة والنفوس ، الناقد بمحنة الذكاء الى
أعماق الارواح العليم بذات الصدور المطلع على مكنونات الضمائر ، وكنت طبياً
بادواء النفوس خبيراً بعلاها وآفاتها لديك لكل جرح بلسم من فتنة البلاغ وتولكل
كلم مرهم من عذب الكلام فنون شتى من البيان ، تداوى بها فنونا شتى من
الآلام والاشجان

في سبيل المجد انخلد قوة خطابتك التي تغنى بذكرها الركبان ، وتحديث
بأعاجيبها كل قاص ودان

لقد كان جمهور سامعيك يظل بين يديك كالألة الموسيقية بين يدي العازف
المطرب ، فكنت تعزف على أوتار القلوب كما يعزف المطرب على مزهره ، قستثير
من أفانين الاحساسات والعواطف مثلما يستثير ذلك من أفانين الانعام والالخان —
تارة تسكن نواثر الغضب والحنق وتطفى نيران الكمد والجوى وتارة تطمئن القلوب
وتهدى الخواطر وتارة توقظ الهمم وتسل العزائم تسر وتحزن وتبكي وتضحك ، ان
شئت لويت بالطرب الاعناق ، وشققت بالفكاهة الاشداق ، وان شئت استذبت
بالعبرة العبرات ، واستثرت بالعظة الزفرات .

والآن وقد انطفأت تلك الجنوة المتقدمة خبا ذلك الشهاب ، فلا تحسبن ان
نوره قد زال ، بل انى لأبصر فضاء الدنيا لا يزال مشرقاً بنور حضرتك القدسية ،
وأرى شمسك الراحلة قد خلفت على آفاق هذا الوجود شققاً ولكنه شفق دائم

سعد

للطبيب الفاضل عباس مافظ

بالامس كتب الموت آخر سطر في أضخم مجلد .. ووسد الثرى أكبر

رأس جبار في هذا البلد ، وصمت أبلغ لسان وأفصح منود . . صمتة الابد
بالامس سكنت أوتار صوت اجش عميق رنان مزود . . وتداعى بنيان صرح
شامخ ممدود ، وهوى اى الحافرة من سماء الانسانية الكوكب الفرق . .
وبالامس قبض الله اليه البطل الاروع الاسد ، وأطفأت يد المنون شعلة
الذكاء المتوهج المتوقد ، وفجعت مصر كلها برحلة سعد . . الى سفرة قصية لا مرجع
منها ولا مرد . وكذلك عدت على آية الحياة آية الموت

بالامس قضى خطيب الوادى فى رنة صوته الساحر من فوق نؤابة المنبر ، لطلما
جاش خير النيل بين مد وجزر ، واصطخب موجه غضبة صادقة لحلق مصر ،
اصطخاب فيض النهر الجياش العظيم فى مهبطه من فوق المنحدر . وها هو ذا النيل
جاء يحمل من المنبع البعيد رسالة « الوفاء » ، يوم أوفى صاحبه الزوال عن واديه
على آخر نسمة متحشجة فى مجرى الصوت .

وا أسفاه . . نعم فى امس عزت على المفوه المنطيق قوة المنطق ، وحصر
اللسان النضاح الفصيح المتدفق ، وارتج فى مخضر المنون الخطيب الذى يتفتح له
رتاج القول الجامع الطلى اللبق ، واغلاق الخاطر الرائق الموق . . وفى أمس ياويلتنا
عجز سعد أن يحرك بالكلم لسانه ، وينثر على الناس من دريانه . وكان صوته قبل
أمس يتردد فى أرجاء المغرب والمشرق . صوت الاخلاص والوفاء والاباء والحق ،
يصرع به الباطل فتأخذه من رهبة الصيحة فاذا هو زاهق .

بالامس قضى أخطب الخطباء قرابة اليوم أو اليومين ، يحاول اللفظة أو
اللفظتين ، فلا يتحرك من فمه غير شفتين مختلفتين ، وغير عينين تدوران فيما حوله
حوامتين جوانتين ، ولا تتصعد منه غير أنفاس خافتة راجعة من رثتين مكروبتين
ملتهبتين . . وكانت شفتاه من قبل ترسلان فى حنايا الضلوع نارا ، وتبعثان الى
أعماق النفوس من بلاغة المنطق لظى وأوارا . . وكانت عيناه قبل أمس تلمان بالافق
كله شهابا رصداً وكوكبا سياراً . . وتطلعان على الندى بامتئين ضاحكتين تنتظان

الصفوف مجالا ومداراً . . وكانت أنفاسه ويح نفسى ، مجمع أنفاس الصدور وخلاصة
مهاب الارواح وراداً . . وقد جاءه الموت ليلا فى سكنة الطبيعة ولم يجئه نهاراً ،
فى غفلة من الارواح التى اتخذت بيته . موئلا وداراً ، وجعلت منه لهدايتها مأذنا عاليا
ومنارا ودخل عليه الموت من اذنه ولم يدخل عليه من قلبه ثقافة منه وإكباراً ،
فكأنما « استأذن » عليه سراً ولم يستأذن لمقدمه جهاراً . ولقى سعد مطالع الموت
وقلبه ينبض كأهدأ ما كان ينبض من قديم ثباتا ورباطة واصطباراً ، بل لقد تلقاه
لقاه النذير الذى جاء يحتمله الى المنفى القصوى قسوة واقتساراً . ويوم ألقى عليه
الآثم المفتون من قذيفته فى بهرة الجمع رسول الموت رصاصا ونارا ، ثم يوم الوعيد
الاكبر إذ دخل عليه الجبار شاكى السلاح عزلة بالآثم واقتداراً . . وكذلك مات
سعد موة البطل ولم يقض ضعفا . مات جثماناً ولا يزال له من حياة الروح فى كل
نفس سلطان وأثره ، وسيظل فى الخاطر حياً آخر الحياة ، ومخلداً يد الدهر .

مات سعد . لنا الله . أحقاً مات سعد وانتهى . أحقاً لن نعود فى غد نراه فى
الجموع خاطراً ، وفى المواطن النداد واثباً ظاهراً ، وفى دار الندبة متهادياً متألّفاً ،
وفى حومات الجدل ومطارحات الرأى فياضاً متدهقاً . أحقاً لن نعود نسمعه فى الحى
ولن نشهده . ونفتش بأعيننا عنه فى الخطوب الجسام فلا نجده ، ونلتمسه فى ملايين
الاحياء فيقال انزل الله له سلم الموت فصعد ، وأسكنه مقاصير الفردوس وخلده .
ثم يقال فى مختتم ذلك وأسفاه حسبكم فى اصطفاء الله له برد العزاء ، وفى حضور
روحه معكم وغياب جثمانه عنكم جميل السلوة عن النكبة الفادحة النكراء . وفى
صفوة صحبه وأنصاره وأوليائه نعم الخلفاء انهم الصادقون الاوفياء . ولكن هيهات .
ان سعداً قد مات . والف سعد من أنصار سعد المطبوع الساحر العظيم لا يأتون
من مثل آيت الكبرى بعشر آيات يينات . ولا تقع حسناتهم الا صفاراً بجانب تلك
الحسنات ، إذ أين أيها الناس ابن الطبيعة الفطور وأين ذلك البحر المسحور ،
والصوت الرهيب الجياش الزخور ، وأين النغم الشجى ، واللحن الفياض الآتى

وأين الزعيم الأكبر: — وحاسرتاه في مدارج الكفن ، وكان بالامس المبعوث
يوحى من الله لتهضة الوطن ، وكان خلاصة خمسة آلائ من الاعوام تمخضت كلها
عن مولده ، ومجد مصر القديمة كلها اجتمع برمته لتكوين مجده ، بل لقد كان صورة
تمثلت لحما ، وجرت في كيان آدمي دما . وكان فاتح سجل الشرف الوطنى ومدون
آيات الفخار ، لوثة واحدة للخلاص من ذل الاسار ، وكان أمل أربعة عشر مليوناً
من خلق الله يفيض به قلب رجن واحد وتضطلع به نفس واحدة ، تشدها عزيمة
ماضية وراء أثبت عقيدة . فاسألوا نصراؤه أهم مغنون عنا من فجعة فقده ، وسألوا
صاحبه أهم بالغون مكانه من بعده ، يجيبكم جمعهم . إننا مثلكم سنعيش في غد على
الذكرى ، ونحيا في قادمات أيامنا على الدرس والاسوة والعبرة ، ونتولى الامر
فيكم على هدى تعاليمه وروحه ، ترف على الوادى بالعشى وتقرضه قبل مطلع النهار
وصبحه . وسنستلهم ذلك التاريخ العظيم سداد الرأى فى الملأ ، ونستوحى ذلك
الايان المغيب جثمانه فى الثرى انخاطر الصائب يقيمنا من العثرات والكبوات .
قد قدتموه وقدناه ومحال والله أن ننساه ، وهيهات أن تذهب بما آثره يد الدهر
من صفحات القلوب ، وان كان سعد فى الغياب ليس يؤوب

نعم قضى سعد وانتهى ، وما طلب من قبل الراحة ولا اشتهى . وقد يما
كرهنا المكاره وأحبها ، وخشينا الصعاب وما خشيناها ، ورفعناه فى ذؤابة
الامة ووكلنا اليه موثق الشعب ، لانا نعمنا بالراحة ونعم هو بالألم التعب ،
وكذلك أبى سعد أن يدعن لمطالب عافيته وصحته ، أو تحسين منيته ، وها
قد حانت منيته

لقد قضى سعد وانتهى فمن فى غد البادئ من حيث منتهاه . مصر كلها

بأذن الله

بين البيت والقبر

القاهرة اليتيمة

للطبيب الشاعر عباس العقاد

من نسيج الاحلام ومن تعلات الغرور هذه الحياة . ينتقل المرء فيها من منظر الى منظر ومن حادث الى حادث كما ينتقل النائم من رؤية الى رؤية ومن أضغاث أحلام الى أضغاث أحلام ، فلقاهرة التي شهدت يوم سعد منذ ست سنوات هي القاهرة التي شهدت يوم سعد منذ يومين ، والجموع التي توافت للقائه الاول هي الجموع التي توافت لوداعه الاخير . ولكن شتان دواع وداع رشتان لقاء ووداع ، وما أبعد البون بين المشهدين حتى في حلم الحالمين وأوهام الواهمين أصبح الناس يوم الاربعاء وأكثرهم لا يعلمون من أنباء الرئيس الفقيه الا انه قضى النهار متعباً كما يتعب كل مريض في بعض أدوار السقام ، وكما كان يعتريه التعب رحمه الله في بعض ساعاته ثم ينصل منه ويعود الى جهاده محصد العزيمة مستجمع المضاء ، وقد كان من خوارق حب هذه الامه لسعد وشعورها بحاجتها اليه ولزومه لها انها كانت تقدر كل شئ وتنتظر كل شئ الا أن رجلا في السبعين أضناه الجهاد والالم واصطلحت عليه الاسقام والعلل يمكن ان تدركه الوفاة وينفذ فيه قضاء الموت في كل مولود ، فاذا وسوس لهم هذا الخاطر مرة في بعض ساعات الاشفاق والحذر أخطروه في أذهانهم ليستولوه ويستبعدوه ويطردوه الى ناحية سحيقة من الفكر لا تقبل المناقشة والتفكير ، وسلموا بان الموت جائز على سعد كما جاز على الابطال والعظماء من قبل ولكن كما يسلمون بالقضايا العقلية لا كما يسلم الانسان بأمر له وقع وأثر في عالم الحقيقة ، فلما شاع في مساء الاربعاء ان الرئيس يعاني من مرضه بعض العناء غلب الامل على النفوس في هذه المرة غلبته عليها في كل مرة ، ولم

ينها أحد أن يتوجس من هذا التغير في حالة المريض العزيز شراً أو يتوقع من ورائه
النهاية المحزنة ، إلا الذين كانوا على مقربة من سرير السقام فقد أخذ يتسرب
إليهم الروح من صباح ذلك اليوم وخالط رجاءهم جزع الخطب المدهام وشك المزعزع
المستفيق ولكن حتى هؤلاء ظلوا يرجون في وجه اليأس ويعرضون عن شبح
الموت متغاضين أو متجاهلين ، فلما انتشر النبأ المشوم صباحاً بوغت به الناس
وتلقوه بين مصدق ومكذب وهم لا يعطون كيف يصدقون وكيف يكذبون ، وعز
حتى على الذين سلموا واستسلموا للحقيقة التي لا مناص منها أن يوطنوا قلوبهم واخلادهم
على هذا التسليم ، فان سعداً مل تلك القلوب والاخلاد يعمرها ذكره ويتردد فيها
كلامه وعمله ، ومن أصعب الصعب على النفس أن تصدق أو تقبل ان إنساناً يتقضى
ويعموت وهي تحسه هذا الاحساس ويمتلئ به هذا الامتلاء ، فالعقل في تحليله وتعليقه
يقبل هذا ولا ينكره أما النفس المهيجه فلها منطق غير هذا المنطق وفي أعماقها
صوت يقول لها أبدا ان الحياة التي تمرها بالمحبة والاعجاب لا تموت ولن تموت
وأخذ الناس يتجمعون ويتفرقون بغير وجهة وعلى غير هدى ، ثم عرفوا لهم
وجهة يتجهون إليها حين قارب موعد التشييع وأن أوان الشروع في تنظيم الجنازة
ففرق منهم وجد مكانه على جوانب الطريق من بيت الامة الى القبر الذي يوشك
أن ينزله صاحب ذلك البيت ورافع مناره وقبلة زواره ، وفريق منهم قصد بيت
الامة ليشارك في تشييع الجنازة أوليتزود النظرة الاخيرة من الرفات المسجى في
نعشه وما اقتربت الساعة الاولى بعد الظهر حتى كانت القاهرة كلها ومن قسم إليها
من الاقاليم محشورة بين البيت والمقبرة . بين دار سعد وقبر سعد . فلا يتحرك السائر
في تلك الطريق الا تدفعاً وزحاماً ولا تقطع مسافة الدقائق منها الا في الساعات ثم
كانت اللحظة المرقوبة المرهوبة : لحظة ينزل فيها الفقيد الراحل من بيته الى غير
عودة لحظة يفارق فيها سعد البيت الذي رده اليه الامة كلما ابعده عنه قوة الاقوياء
وشدة الاشداء — ولم يدرك الشعب انه سيرده اليه كرة أخرى ليسكن فيه بجثمانه

وذكره كما سكن فيه بجثمانه وحياته

افاق الناس . سعد يبرح داره ! سعد يفارقهم الى غير لقاء ، يا للهول القاصم
ويا للفرع الا كبر ، كأنما نسوا هذا ، كأنما كانوا في حاجة الى مذكر به فوق ما هم
فيه من كآبة وذهول ، عادت الحقيقة اليهم جائحة فادحة في صورة ذلك النعش
الاخضر يتحدر من بيت الامة في تودة وسكون ، نعش سعد وفيه سعد لا شك
في ذلك ولا مرأ ! فيا لها من لحظة تطيش فيها العقول وينذهب فيها حلم الحليم
وصبر الصبور ، صيحة واحدة لا فرق فيها بين رجل وامرأة ولا بين شيخ وغلام
أحزمهم في تلك اللحظة من ذكر الله وصاح لا حول ولا قوة إلا بالله ، وما يقولها
وهو يفقه لها معنى ويتأسى فيها بأسوه ، وانما هي كلمة مقولة في هذا المقام تنبعث من
الافواه عفواً فتختلط بالصياح الممزق والانيب الصارخ المذبوح

ثم سار النعش تتعالى الاصوات حوله ويتصاعد النواح ، ويا عجباً لمنطق
العواطف في موقف الحزن والبلاء ، اختلف المشيعون بعد فتره فسكن فيهم من
سكن وانصل الضجيج من الآخرين فأما الذين وقفوا على جوانب الطرقات فقد
كانوا يتلقون النعش ويدعون به بالتفجع والمويل لانهم علموا انه الوداع الذي ما بعده
وداع والفراق الذي ما بعده لقاء وأما الذين مشوا خلف النعش فقد علتهم السكينة
وطوام رواق واسع من الصمت والوجوم فلا همس ولا ركز إلا خفقات الاقدام
وزفرات الألم المكتوم . أتراهم أنسوا بالقييد الذي ما يزال بينهم فنأى عنهم
هاجس الفراق وعادتهم طمأنينة اليقين بالقرب من سعد إلى حين هو ذاك فيما
أخال . فانهم ما اقطعت عنهم هذه الطمأنينة المختلطة عند جامع قيسون وما شهدوا
النعش يتحرك من مكانه ليندكرهم باقتراب مغيبه حتى ثارت الثائرة الهاجعة وتدقت
الجماهير كالسيل الأتني الى القيد المنذر بالرحيل . هذا سعد بين أيديهم فلماذا
يسلمونه للموت ولماذا يفرطون فيه هذا التفريط ؟ لا عقل هنا ولا تدبر ولا نصيحة
ولا إصغاء هذا سعد ونحن نريد معداً فمن ذا الذي يحول بيننا وبين ما نريد ؟

هذا سعد ونحن نريد سعداً فلماذا نرسله بأيدينا الى ذلك المكان السحيق ؟ كذلك
تفكر المواطن المجنونة اذا عصفت بالعقل محنة الحزن الاليم وأقسم ما ناب هؤلاء
الهاججون الى أما كنهم لانهم تابوا الى الرشاد وانما رجعوا عن بغيتهم كما يرجع السيل
صدمة السد القوى المتين رجعوا لان الشرطه نافحوم هنالك حتى عجزوا وتقهقروا
فأمدهم الجيش بكل قوته التي رابطت حول ذلك المكان

ثم عدنا الى المدينة الى القاهرة بغير سعد الى القاهرة اليقيمة فوالله للقاهرة في
تلك الليلة أشبه بوحشة القبر من ذلك الضريح الذي تلقى الأنس والطمانينة في
رفات الفقيد المتروك والله لقد كانت الاسماع يطرقها كل صوت فاذا هو بكاء ونحيب
وقد كانت السيارات الذاهبة الآية تهتف بأبواقها في وسط تلك الوحشة فكأنما
هو نعيب متصل ينطق به قلب يشعر ولسان مشلول عن المقال

تنقضى أيام عديدة قبل أن يوقن الناس بقلوبهم واخلادهم ان القاهرة مكان
لا يرى فيه سعد وتنقضى أعوام عديدة قبل أن يقوم في هذه المدينة رجل مقام
سعد وبيت مكان بيت سعد ويرى الناس غداً تمثاله الشاخص بذكراه فيذكرونه
كما يذكرون كل عظيم عند أثره المائل بعد مغيبه . ويذكرونه مرة أخرى لانه الرجل
الذي جعل الوطنية فضلاً تعترف به حكومة الوطن وترمز له ببناء النصب ورفع
التمائيل وقبل ذلك ما كانت الوطنية إلا جريمة يقول فيها القانون رأياً وتقول الامة
والمرومة فيها رأياً سواء — وسيعلم التاريخ اليوم وغداً انه بيد سعد استطاع أن
يقم تمثاله ويدعو الامة الى واجب تخليده ونعم اليد الخالدة يد تعمل في الحياة
والمات وتلمس الامة فيها مجددا حين تلمس لصاحبها مجده القائم المشهود

لذكرى سعد

للدكتور منصور فراهي

بعد خمسة أسابيع ابتليت فيها بأشد ما يبلى المرء من محن يمثلها قد الأبناء
ومرض الأعداء . بعد خمسة أسابيع شداد هجرت أثناءها القلم في معقله حتى يتولى
عنى شبح الآلام والأحزان ، وتقشع عن نفسى سحائب الهموم والأشجان . بعد
خمس أسابيع أمد يداً واجفة لقلمى ثم احصر ذهنًا مشتتًا واجمع لباً مبعثرًا . بعد
خمس أسابيع كدت أنسى فيها القلم وينسأنى القلم لأخلد لشيء من الراحة يعود اليوم
راعى ليتحرك حركته ، ويثب أنته . وبعض الأقلام لا تتحرك إلا لآلام الناس
أو آمالهم وهل كان لقلمى أن يسكن واليوم فى القلوب ضجة وهل كان لقلمى ألا
يهتز وفى النفوس اليوم رجة ؟؟



يموت الناس كل يوم وما كان لقلم كاتب أن يتحرك لموت من يموت لكن
الأمم عندما تهتز لموت عظيم من عظمائها حق على كل كاتب ان يرسل كلمته ويسكب
عبرته . وعندما تقف الامم وقتها فى الحادث الجليل حق على كل قلم أن يرعى
الوقفة ويرتجف للرجفة — وهامو سعد زغلول قد مات فى هذا الاسبوع ولم يتلق
الناس نبأ موته كنبأ كل موت لان موته دويه فى مصر كل موت ولان حياته كانت
فيها اليوم فوق كل حياة . كل الناس يعيشون ويموتون . ولكن بعض الناس
يعيشون للعظمة ويموتون فى العظمة . وفى حياة العظيم وموته مدد للأقلام
ونور للأفهام

إذن لموت سعد وأمثال سعد تتحرك الأقلام لتسجل شيئاً عن العظمة الباقية
وانى لاسائل اليوم قلمى ماذا تراه اليوم يسطر عن سعد وحول ذكره ؟؟

أأكتب عن شخص سعد وقد عشت بعيداً عن شخصه وسواى ممن يعرفون
شخصه أولى بالكتابة منى فى ذلك واحق ؟ أم أكتب عن دقيق سياسته وواسع
خبرته وجدير حنكته وسواى ممن اشتغل بالسياسة أولى بالكتابة منى فى ذلك
وأحق ؟ أم أكتب عن حياته وتاريخه، ولغيرى ممن عاشروه وخالطوه أولى بالكتابة
منى فى ذلك واحق ؟ أم أكتب عما كان للراحل الكريم من العظمة والقوة ولغيرى
ممن مستهم عظمته فمظموا ومدتهم قوته فاشتدوا لهم أولى بالكتابة منى فى
ذلك واحق ؟

* *

يعلم الله وبعض الناس اننى اكبرت سعداً واعجبت به وكنت اكتفى
بهذا الاكبار والاعجاب عن بعد دون ان اتخذ الوسيلة لادنو من سعد أو أن
اقرب اليه

ويعلم الله وبعض الناس انى كسواد المصريين اقدس المبادئ الوطنية
والديمقراطية لكن كنت اكتفى بتقديسى لهذه المبادئ وتعظيمى لحامل لوائها
دون ان اتخذ من وطنيتى أو ديمقراطيتى ما يدنينى من موضع الزعامة
ويعلم الله وبعض الناس أنى بقيت وصديق لى مكروها اذ أدينا واجباً استوجبناه
على أنفسنا لسعد ولم نتخذ من أداء الواجب سلماً نرقى به للوصول اليه
لكن مالى اتكلم عن أمور يعلمها الله وعلم الناس بها أو جهلهم إياها لا
ينفعنى ولا يضرنى عند ضميرى وعند ربى فى شىء

فلأستوح اذن ما استقريته من تاريخ الرئيس — بنفسى دون واسطة بل
لا ستوح تاريخ دقيقتين أو ثلاث وهل أنا إلا من هؤلاء الذين لم يجمعهم القضاء
بالرئيس إلا دقائق معدودات وهل أنا إلا من هؤلاء الذين أخذوا على أنفسهم
ان يحبوا العظماء لله وفى الله ويقدروا العظماء لله وفى الله وهم بعيدون عن حظيرتهم
وما كان ابعدى عن سعد شخصاً لشخص وما كان اقربى اليه عند تقديرى له

وتعظيمي لمبادئه

وحسبي ان ارجع الى ذكرى بقيت في نفسي من دقيقتين مع الراحل الكبير اذ ذهبت مع اخواني أساتذة الجامعة القديمة عند عودته من مالطه ولما استقر بنا المجلس أخذت اتكلم في حضرة الزعيم بفيض من الحماسة عن حاجة الامة لاستقبال حياة جديدة في أسلوب نظمها وتفكيرها ثم أخذت اتكلم عن الديمقراطية التي تنبت في انحاء العالم وكان كلامي تنقطعه نبرات الشدة المتأخة للتهور فلحظ زميلي (ضيف) ذلك وأراد ان يلقي فاصلا قد يتحول بعده مجرى القول أو يحفز اندفاعه وتدفعه فقال : « ان منصوراً رجل ثائر و... » وما كاد يسير في القول حتى نظر الرئيس اليه وقال : « وأنا احب الثائرين » ثم أخذ يتكلم في رقة ولطف وحكمة عن وجوب الاخذ بالحديث مع مراعاة حرمة القديم

ثم مرت الايام وتعاقت الحوادث وفرق الناس شيعا وأحزابا لخدمة الوطن وكان كل ذلك دون أن تجمعني الظروف بالزعيم وكان شأني في ذلك كشأن أكثر الناس اعلم عن سياسته ما يعلمون وأسمع عن تدبيره ما يسمعون وأقرأ من عباراته وأقواله ما يقرعون لكن من نحو عام مضى التقيت بصديق السيد الثعالبي الزعيم المغربي فالح علي أن أصبح به الى دار النيابة حيث كان علي موعد مع الزعيم المصري فسرت علي أن أنتظره بقاعة من قاعات البرلمان حتى يفرغ من قصده ولم أبق في قاعة الانتظار طويلا حتى أقبل علي النائب عزام ليدخلني عند الرئيس وكنت أتوقع ان يلقاني الرئيس بفتور وقليل لاني كنت أسمع انه ليس يرضى علي من لا يترددون علي داره وأنا أعرف من نفسي اني ابعد الناس ان اتردد علي دار أحد إلا دار صديق صميم للصداقة وروابطها فكنت وأنا ذاهب اليه اخشى لقاء لا ارضاه . لكن ما كنت أدخل علي الشيخ الجليل حتى رأيته مبتسما هاشا باشا فسلمت وطلب الي أن ادنو من مجلسه فدنوت وأخذ يسألني عن أمر الجامعة فتحدثت بما شاء الله ان اتحدث ثم سألني عن شيء في حياتي الخاصة فأجبت بما

أراد الله ان اجيب وكان ييسم وتبدو عليه الراحة لما أقول ثم سألتني عما اذا كنت من أنصار فلسفة التفاؤل أو فلسفة التشاؤم وقلت : « بل أنا يا مولاي من المتفائلين » قهله وجهه حينئذ يبشر نوراني وتحرك بجسمه وذراعيه حركة يملؤها الشباب وقال والسرور يفيض من تجاعيد وجهه : « وأنا كذلك من المتفائلين . أنا من أنصار فلسفة التفاؤل » . ثم استأذنت بالانصراف فأذن الى أن أعود . لكن أراد القضاء أن أظل كما كنت أدعو للرئيس بالتوفيق وأنا بعيد وأكبره وأنا بعيد ووقر في نفسي من تلك المقابلة ان سعداً رجل الثورة هو رجل متفائل يثق بنفسه ويثق بالله

واعلم فلسفة التفاؤل التي كان الرئيس من أشياعها توحى الى الذين يتشاءمون بعد موته ويخافون ان تلين الامة عن حقها ونهضتها بل ويخافون ان تفشل الريح وينضب معين القوة المحركة . أقول لعل فلسفة التفاؤل التي كان من أشياعها الرئيس تذكر الناس ان المبادئ القويمة متى انبتت نباتاً حسناً قوتها باذن الله على النمو حتى تؤتي أكلها فاضجة . مات محمد بن عبد الله النبي (صلعم) وتذبذب بعد موته من تذبذب لكن الله أعز دين محمد ومبادئه رغم المتذبذبين ومات سعد ومات فريد ومصطفى والامة تسير في وطنيتها دون ابطاء في السير ودون ارتخاء في الهمة ومن الحب لسعد ومن البر بسعد أن يتعامل الناس بمبادئ سعد ومبتغاه فلا يأس ولا هلع ولا فتور بل الى الامام دائماً الى الامام

* *

فيا أيها الراحل الكريم الذي كان الطريق الى بابك واسعاً أمامي ، قريب المال مني دنيا الى خطواتي ولكنني وقفت عنده دون أن اغيره وقيدت نفسي لا كون بعيداً عن حضرة الكبراء وزعماء الساسة

ها أنا اليوم اقطع بروحي الى روحك طريقاً بعدها السموات والارض لان عظمتك وأنت في الموت اكثر استعباداً لنفسى من عظمتك وأنت في الحياة ها أنا اتوجه بقلبي الموحج وبقلمي العابي المضطرب بين أصابعي وبذهني

المكسود وبغلي المشت
ها أنا أقدم بكل ذلك لاذكرك بما فيك من عظمة وأطاطى الرأس
اجلالا لذكراك

أحقا عباد الله؟!

للقائب الجرى مصر يس

لا يملك الطرب المحزون منطقة ودمعه وهما في قبضة الطرب
غدرت ياموت كم افنيت من عدد بمن اصببت وكما اسكت من لب
« المتنبى »

أحقا عباد الله انه اودى سعد ؟ ثم أحقا انه نزل من الطابق العلوى لبيت
الامة — بيته — محمولا على اطراف النفوس واعناق الرجال على غير عادته ، ثم
وضع (وهو الذى بكلمة منه طالما خفض ورفع) ثم وضع على صهوة مدفع ما كان
سبيله فى جهاده اجر زعامته وقيادته . حتى اذا قضت العيون اللبانات فتعجرت ،
والقلوب والافواه الاوطار فانكشت واجت تحركت الجياد بسعد وليتها ما تحركت
فضجت مصر الخالدة لمسير مصر الفانية ، وطبقت السموات العلى على الارض السفلى
فاصبحنا لا ندرى املائكة رحمة نحن ام قوم معذبون ، وتعثرت الحيوانات العجم
يومذاك فى اشباهاها من بنى الانسان من فرط الهول والذهول . وهكذا سار املنا
الصادق يتهادى وسط حديقة من نبات شتى تعده ثمانى سنوات طوال فكان
لر به غيثا وسقاء ولا نمائه هواء قويا وحرارة وضياء ، ولذيوعه ونشر اسمه فى الارحاء
عطرا ناعما ومنديلا وكباء — حديقة صوحت ونشرت مصر الميت عليها ظلال
الفناء والحزن (فورودها) امتنعت الوانها وشرقت بدمعها اما الاشواك ققطعت

القلوب وشقت منها المآزر والجيوب (واغصانها) اللدان يست لاحتطاب وعبست
بعد بشاشة لا ككتاب (ودوحاتها) الكبار زلزلها ذلك العاصف فخفت بعد وقار
وخشعت بعد علو واستكبار (وحشائشها) بل اطفالها الصغار فقد سكنوا بعد
دائم حراك ووجها وبهتوا للطامة الدراك . هذه مصر يوم الرحيل ظلت متمسكة
باهذاب هذا الامن وذيالك الرجاء من عن يمينه تارة وشماله . من ورائه ومن قدومه
ولقد خطر لها في بعض الميادين ان تتخطفه ومضت في هذا الخاطر الى ان صدها
عن تحقيقه الجند المدججون بالسلاح وما فعلته اذ فعلت الا اعتقادا من الجماهير
المتأججة بانه سيدفع عنها جثانا كما دفع روحا وانسانا ، والارغبة منهم في استعراض
هذا الجسد الطاهر ليفتر سواقيه آية الموت كما فجر فيهم ينا بيع الحياة او كما يفعل
الاوربيون باقيا لهم والابطال العظماء . فلما حان الوقت المحتوم والابد الغشوم :
وقت التغيب في الرمس وابد التفريق بين النعش وتوأم النفس يومئذ اسلمناه الى
ربه راضيا مرضيا وخررنا من المرارة والجهالة والوحشة بكاء ونعيا . . خرج سعد
من بيت الامة قاضي العلم الذي لاقى في سبيل رفعه المنا في والحتوف الا ان يهوى
في ذلك اليوم والا ان يكون لوفيه دثارا عن دون الاوصمة والنياشين . خرج الى
ميعاد كما بشرتنا بذلك الوزارة الشعبية وسيكون رجعة انكء للقروح وأوجع .
وبعد فهل رأيتوه وهو عائد من اوروبا جهادا ونفيا اذن فتصور التصفيق خشوعا
والتحديق دموعا والتهليل جأرا واجهاشا والهتاف اقباضا وارعاشا لكنه سعدنى
الحالين يأبى الا ان يكون شعبيا والا ان يتزود منه الانسان وغير الانسان ولعله في
خروج القصير يريد ان ينعم من (الامام) اليباب والخراب وان يرجع بالجواهر
والتيجان ذلك الرمل والحصى والتراب .

مولاي الرئيس . لمن غيرك يكون الخطاب وبهذين اللفظين اللذين الهمتها
الهاما يوم خطبتك في حفلة شبرد للطلبة واللذين جرى بهما اللسان فاصبعا لك في
السرو والعلن وفي الموت والحياة . واخيرا بل اولا أتى الامر الذي كنا نخشاه ان يتر

بمخاطرتنا مرا حتى اذا فكرنا فيه بعد سماح لا نفسنا بل وبعد حساب مات على شفاها
ولم نستطع له ذكر امت يامولاي وعزيز على ان اذكر هذا وكنت امنى النفس
بانك ستعزى في من بعدى لكنها الغير غارت عليك قضيت ونحن تنهياً للقائك
كما وعدنا الاطباء ومت ونحن نتنظر نتيجة ابجائهم وتشاورهم ليطمئنونا عنك
قلبي وفاء فينا وقد وقف قلبك الكبير التباض فلم تقف آمالنا ورحنا بك ولا زلنا
نروح ونفدر لحاجاتنا وغيت في الترب حليف الصفايح والكثيب وفراشنا ونير
وعيشنا ممد والفت الدياجي ولما تزل الشمس والاقمار والسرير والشاكي تضيء
وترسل الحرارة والحياة

مولاي ؟ أأقف منك هذا الموقف انا الذي طالما جثا على ركبتيه امامك
وانحنى على يديك يغمرها لثما وتقبيلا أأقف على القبر وانت في احشائه ! انت
الذي ملأنا حياة وملأنا قدك موتا : انت الذي دفع بنا الى حياة الكفاح
والجهاد فلمحننا وقار الحكمة في شيخوختك وفتاة الشباب في عزمتك وشبوب
النار في ناظريك وهذا البحر بين شديك

مولاي انا لا أرنيك فقد رثيت نفسك في قولك انا انتهيت ولا ارني فيك
المعالي العظام فمنك افادت وبك ازدهت ويكفي ان أقول انك كنت اكبر من
زمانك فما استوعبك ولا وسعك وان ازمنة تأتي من بعده لتضيغن بك

ويذكرك ويكفيك انك كنت قوة الامة متجمعة فلما مت تفرقت شعاعا
وقلما تجتمع ثانية في واحد ؟ ذلك مالا اظنه وما هو على الله بعزيز مولاي . ها أنذا
ادعو ولا من مجيب وابكي ولا من مكفكف لهذا الغروب هذا نور يخطف الابصار
قد كلل الضريح وغطى على الازهار هو من شعاع العقول هو من صفاء القلوب
هو من شغاف النفوس هي اسراب الارواح التي هجرت اربابها محيطة بك وبقبرك
وارسلت عليهم الهم والغم والاسى والكابة !! انا نراها من خلال غيم الدموع
ان كانت العيون ترى بغير قلوب او عقول فردها الى اصحابها ياسعد

ملحظة عليها تستطيع ان تفكر في العمل الذى بدأت فعشت له ومت بدائه . انك من القلوب فى الدماء ومن عقولنا فى الضياء بالليل حلما الطروق وفى النهار فكره الوثيق وهل كان كلامى مع مولاي يوم رأيتك آخر الايام يدل على احساس سابق بما سيكون . كان كلامنا فى الشوق وكان من رأى مولاي انه يدنى من المشوق فأجبت مولاي بما يفيد انه كلما طال أمد عدم اللقاء كلما كان الشوق اشد وأكثر وها قد بعدت الشقة وتوعد الطريق فبرح بنا الشوق وربما اقتادنا الى القلف . استغفر الله بل الى جنابك الرحيب وحنانك الفسيح فانك لم تضق باتباعك حيا يا مولاي بالرغم من الاحراج فكيف وأنت فى جوار الواسع الجوار
أى ربى (١)

أن مصراً لن تمس بضر فقد أحيها سعد
بعد ممات وأيقظ شعورها بعد سبات ووجد عناصرها بعد تنافر وشتات وهى التى
أنجبت سعدا وهو الذى بذر البذرة الصالحة فليس بمستنكر عليها وعلى بنه ان
يهيا للعالم سعدا آخر .. ولنتنظر

مولاي لقد مرضت فلم نعدك ولم نرك فى عيوننا رمد . وتأوهت فلم نسمع لاهاتك
ولم تقطع نياط قلوبنا تهدياتك فى آذاننا وقر ثم غبت عن الوجود من فرط الالم
واسلمت الانفاس الاخيرة فلم نكن هناك لنتلقى هذه الانفاس المقدسة فبنا خيال
وبالدنيا قبح لاجمال .. بلى قد كانت هناك صفية ام المصريين وانها لمسكينة حقا اذ
حملت المصيبة الكبرى عن هذه الامة وابت بعد ذلك ان تحملها اياها بل ساهمت
فيها وخرجت منها بالقسط الوفير ! واى عزاء واى صبر فيك او عنك لصفية ياسعد
مولاي . نعم وان كانت بك وبنا حاجة للصحو . ثم كارها فلقد نال منك

(١) للنائب الجرىء فكرة اعتراضيه أساسها ثورة الحزن فحوناها اذا

انا لا نوافقها عليها - « م »

الموت فى لحظة ما لم تنله الدنيا وعسفها وجبروتها فى اعوام بل فى آباء . نم وداعا
يا اباانا ولا اقول الى اللقاء فلقد عرفتنا الايام عقبى الدعاء والى هنا انتهى وان لم يكن
نم منك انتهاء . . والوداع الوداع ولدكم الملتاع — حسن يس

هجع جبار الوادى

للكاتبة الاجتماعية الالة (مى)

الى أم الشعب الحزينة الباسلة ، الى السيدة صفية

سعد زغلول ، أقدم هذه الكلمة باحترام « مى »

فى « كلمات » قاسم امين التى جمعها ونشرها أصحابه بعد وفاته كلمة شائعة
بين الكاتبين وهى انه « فى ١١ فبراير ١٩٠٨ يوم الاحتفال بجنادة مصطفى كامل
هى المرة الثانية التى رأيت فيها قلب مصر يخفق . وكانت المرة الاولى يوم دنشواى »
هذه الكلمة تلخص فيها تاريخ وجيز حصيف . ولو شئنا اليوم ان ندون
كلمة من نوعها دون علو ولا استسلام عصبي للحزن الشامل لقلنا ان سعداً سيطر
على قلب مصر ثمانية اعوام متوالية . فكان مولى ذلك القلب يشرفيه ما شاء من
افعال وحماسة ويبعث فيه ما اراد من رضى واستسلام

ثمانية اعوام هى صفحة تاريخية وهاجة وقصيدة حماسية رائعة وعلواء جلية
باقية فى عمراة كان سعد شاعرها وبطلها ومنشدها وموقعها فطرب لها المصرى
وغير المصرى على السواء وتأثر بها الموالى والمعادى فقال كل قولته وعزز كل
فكرته . ضرب سعد على وتر حساس جوهرى هو وتر الوطنيه والقومية والحرية
والاستقلال فتحركت معه عديد الاوتار وتبتهت فى الامة الاستعدادات

وللواهب والمطالب

ثمانية أعوام كنا نتصفح خبر مشيقاتها في تواريخ الأمم السابقة واللاحقة
فتغبط أهلها عليها وتتساءل هل لشرقنا أو لقطر من أقطاره أن يعرفها في أدواره
الحديثة فإذا بسعد يخلقها في مصر خلقا وإذا بصوته العجيب يشيع في أجوائها فيوجد
الروعة رهيبا ويبعث الحمية عاصفا ويطبع القلوب على اليقين متصلبا ويطلق على
الشيوخ والشبان حياة واحدة دافقة من كل صوب في تنوعها. وإن عمد ذلك الصوت
الآخاذ إلى التريث والترفق تمددت منه أصدااء تلتصق بقلوب النساء فتثير فيها مع
حب الأوطان ظمأ التحنان وتهتاجها لاستماع كلمات الولع والهيام

ثمانية أعوام هي أعوام اليقظة . حقا أن سعدا شاعر اليقظة وبطل اليقظة
وخطيب اليقظة وزعيم اليقظة . وفي اليقظة جميع عوامل الحياة وآمالها
وشعائرها وأسرارها

أهو الذي حبا مصر بهذا الفيض الحيوى أم هي التي أمدته به قوى بقوتها
ونطق بلسانها وسطا بسلطانها ؟

أهو الشاعر يأتي للسامعين بالوحي العجب فيستهو بهم أم هو الجمهور ينفث في
الشاعر بما يصبو إليه ويتطلبه ليزوق النشوة ويخلق مع مبدعها ؟

لا ريب أن الأمرين مترابطان متفاعلان . فالجمهور ارادة صامته واماني
راكدة وحياة يريد أن تتجلى وتتوزع في سبل الخير والنفع والجمال على أنه في حاجة
إلى شخص فرد يدرك مقاصده ويلبس مكناته فيحسن تكيفها وينشرها أمامه
جلية واضحة . ولذلك الفرد بعدئذ إن يظل مستوحيا تلك الآمال مستندا على تلك
الارادة التي هي ميدان تصرفه وممرح اقتداره . وحنق سعد كل ذلك واعتلى
منصة الزعامة فإذا بالفلاح الصغير وقد أصبح معبودا لامته وقائدها وإذا بمنزل
الرجل المصرى الواحد أوقد انقلب « بيت الأمة » بأسرها

وسرعان ما تناول العوامل المحيطة به فاستغلها خيرا استغلالا وارسلها إلى قومه

مشاعا ممتزجا في حياتهم اليومية . فالعلم المصرى الذى غرس مصطفى كامل حبه في ابناء جيله صار في عهد سعد شعارا نابضا اشركته الامة في احزانها وافراحها وكان للعلم المصرى دور خطير مثله في هذه الاعوام والقومية المصرية التى كان احمد لطفى السيد (الذى نتمنى له العمر الطويل والهناء الكثير) اول كاتب مصرى دعا اليها وقال بتجردها من الصبغة العثمانية على ان نجتمع بين العنصرين المصريين المسلم والقبطى تلك القومية كانت يد سعد عاملة على توثيقها كما كان صوته خطيبها القدير وتحرير المرأة الذى نادى به قاسم امين فانار تلك الزوبعة الهوجاء حققه سعد في اشارة واحدة وأيده لسانه في خطب كثيرة كما قدم منه مثالا مبينا في شخص المرأة الواحدة التى تعيش في ظله في شخص حرمة المصون السيدة صفية زغالول

* * *

لم يكن هذا الرجل يوم مصرعة باعظم منه في أى يوم من أيام هذه الاعوام المتلاظية ان قصيدة « اليقظة المصرية » متماسكة متكافئة في جميع مقاطعها كل مقطع وقفنا لطبيعته وأحواله فكانت الخاتمة منها خليقة بالمطلع ومثله زاخرة بالامال والاحزان والهتاف والعبرات

ولقد احسن مجلس الوزراء بل هو قام بالواجب في ما قرره بالامس لتخليد ذكرى الفقيد تخليدا « حكوميا » (ان صح الوصف) على الوجوه التى ارتآها فتمثال سعد يجب ان يكون قائما في ميدان عظيم في كل من القاهرة والاسكندرية . ولا بد أن يقوم كذلك في مسقط رأسه . ويجب ان يعالج المرضى في مستشفى سعد ، وان تسمى المدارس والملاجىء باسمه والبيت الذى ولد فيه « كبيت الامة » يجب ان يكون في عداد الممتلكات العمومية والآثار الغالية وان يجمع فيه كل ما تداولته يد سعد في حياته على ان تبقى كل اداة في موضعها وان لا يتغير شئ في مكتبه وغرفته عما كان يوم وفاته

هذا بعض ما يصنعه المحبون للراحل المحبوب اذ على يد سعد ظهر من قلب مصر ما هو انفس من التقدير والاحترام والاكرام ظهر الحب والتعلق والعبادة . ان مصر مصرأ « بحب » زعيمها كما قالت « الاهرام » وسعد هو الرجل المحبوب . ولا يوقظ هذا الحب الحار الطويل العتيد في قلب كبير الامن كان ذا قلب كبير يملك ان يحب حبا طويلا حارا عنيدا

ان سعدا هو فتى مصر المحب المحبوب في حياته وفي مماته

غدا يتناول أساطين القلم والتاريخ عمل سعد السياسى والدولى بالتمحيص والتحليل بعد أن شغلوا بهذا الموضوع أخذاً ورداً ثمانية أعوام ترى . اما أنا التى كان لى منها حظ أبناء جيلى ، حظ اليقظة ، أنا التى لم اكتب عن سعد زغلول جملة واحدة في حياته ، أود اليوم أن أذكر له ثلاثة أفضال لا غنى عنها في يقظة شعب يفتح عينيه لنور الحياة ، فقدر أن تتم بهذه السرعة على يد سعد العظيم

انى كنت من أول المتأثرين بحمية هذه الاعوام . وفيها انشأت أدرك معنى الكلمات الحيوية وأفهم مصاعب الشرق ومصائبه . فيها شعرت باحتياج الى وطن وتأملت لعاطفة الغربة الوجيعة وان كنت لا أخشى التكرار فاذكر اليوم لسعد زغلول هذه الايادى الثلاث فلان فى كل منها حرية أعظم من الحرية السياسية وافعل . ولان ما فى مصر فى البلدان العربية الاخرى من ارتباك وسوء تفاهم ومعالجة هذه المشا كل هنا بارادة الزعيم الاعظم جعلتها أقل عسراً فى غيره من الاقطار

الامر الاول هو الجمع بين عناصر القطر بلا تفريق فى العقيدة والطائفة ومزجها فى قومية مصرية واحدة . فسعد المسلم المصرى الصميم كان أرحب ادراكا وأشمل تقديراً لمعنى القومية بمعناها المصرى الذى هى صائرة حتما الى انماه مع الزمن ، وجمع الامة كتلة واحدة فى يقين واحد وأغراض متشابهة للجميع

الامر الثانى هو تحريك الطبقات وفتح السبيل لمن كانت السبيل مغلقة فى فى وجوههم وتمهيد الطريق لبروز الشخصيات التى لولاه لظلت مجهولة فى المرتبة

التي ولدت فيها. ففعله من هذا الجانب فعل نابليون - على ما بينهما من بون شاسع -
الذي حرك قوى الفرنسيين وقلب نظام المراتب تخلق الشخصيات الجديدة ويسر
الظهور لغير الظاهرين المعروفين

والامر الثالث هو تحرير المرأة . فباسم سعد اجترأت المرأة المصرية على رفع
صوتها وتحت لوائه سارت مواكب النساء في الشوارع وهتفت بحياة الوطن وللحرية
والاستقلال . وفي ظل سطوته تلقى الجمهور اسم المرأة وهتافها وتعود أن يستمع
لمطالبها في تهيب واحترام ولولا ذلك لكان زاريا واجما وهل من عامل أقدر على
تقدير المرأة من أن الزعيم العائد من المنفى تلك العودة الفخمة المنصورة - يستهل
خطابه في فندق مميراميس شكراً على احتفاء عظماء قومه به فيقول « سادتي وأرجو
ان ابدأ خطابي في محفل قريب بقولي « سيداتي وسادتي » . لان للمرأة المصرية
قسطا من الفخر في جهاد الالة » فيقابل هذا الكلام بالتصفيق الحاد المتواصل
وهل من عامل أقدر على السفور من أن يدخل الزعيم سراق السيدات بعد
عودته من المنفى فيأبى البقاء فيه الا إذا اسفرت السيدات المجتمعات لاستقباله .
وسابقت يده لسانه في ما أراد فمد يده ضاحكا رفع الحجاب عن وجه اقرب السيدات
اليه . فكان ضحك وكان تصفيق وكان تهليل واسفرت الحاضرات بعد ذلك
التعجب فكان ذلك اليوم عنفوان تحرير المرأة . وفهمنا منه قول قاسم امين في
تقديم كتابه « المرأة الجديدة » الى صديقه سعد زغلول :

« فيك وجدت قلبا يحب وعقلا يفكر وارادة تعمل »

« انت الذي مثلت الى المودة في اكل أشكالها قادر كت ان الحياة ليست

كلها شقاء وان فيها ساعات حلوة لمن يعرف قيمتها »

وكانت حرم سعد أولى من تجمع حولها قلب الجمهور فألف تقدير المرأة في
هذه الاعوام فخرجت فيه غير مرة خطيبة وأعلنت عليه البيانات موقعة باسمها
وكان يوم سفرها للاجتماع بزوجها المنفى لا يقل حماسة عن أى يوم من اعظم ايام

الاقتصار لمصر في ايامها المشهودة وسفرت في صورتها فرأينا مثالا من السفور
الكريم والجلال الذي لا يلجأ الى تظاهر أو تصنع أو دعوى

* *

اليوم يوم النفي يا زوجة سعد اليوم يوم الوحشة . اليوم يوم الاغتراب
الطويل . هجع الجبار العذب القاسى هجع جبار الوادى . وبقيت انت قائمة على
اللهيب الذى اذكاه وتلقيت انت من ذكره ذلك المغناطيس الذى كان وسيظل
مستوليا على القلوب فعلا في النفوس . كل هذه الاعوام كانت فجرًا وميعقبا نهار
وهاج محتوم . فكونى انت المرأة التى تعد أن تضم الى قدرتها الشخصية قدرة
التقدير الهاجع وارفعى في هذه الامة صوتك لتذكر بها انها سائرة الى الحياة رغم
الخطوب الجسام والخسارات الفواح

الشعب يقيم يبكى اباه ولا يخفف الجوى الا صوت الام الحنون . فاستبلى
يا أم الشعب الباسلة وهمى في مصابك بكلمات حلوة رقيقة . كلمة العزاء يجب ان
تأتى من المرأة وأنت اليوم تلك المرأة لانك انت انت . لانك زوجة الفلاح العظيم
المصرى الصميم لانك سيدة بيت الامة لانك في قلب مصر الجريح القلب
المنفطر الدامى

ألقى في النفوس سحر الجبار الهاجع وارسل على الجماهير روعة صوته وقولى
لابنائك ان سعداً واحد منهم ليس غير فعليهم ان ينشطوا ليكون كل منهم فى
الطليعة ! قولى كلمة المؤاساة انت التى تهافت القلوب لمؤاساتك انت التى قدت
فيه الاب والاخ والزوج والولد جميعاً ! تكلمى من صميم تفجعتك لتشحنى الهمم
وتشدى عزائم الرجال وتقوى قلوب النساء ! قولى بوجوب العمل وقولى باتحاد
العناصر وتألف الاحزاب ! قولى ان الوقت خطير يحتاج الى الشخصيات القوية
والحب والاقدام والجهاد وقولى ان الوادى يجب ان ينبج الف الف سعد على
كر العصور وأخيراً قولى هذه الكلمة العظيمة التى ستجى منك أوقع ما تكون:

« ليس كل مجد الامم قائما بعظماؤها الاحياء ولا بد لها مع جهاد هؤلاء من قبور
عظماؤها الهاجرين لنستمد من جوانبها النور والعزم والشجاعة » (مى)

مات الرجل !

للأب الفز مسمو السخر

أرأيت كيف يفعل المرض الكافر المضنى بمن كان بلسا لأمنه وترياقاً لبلاده
وطيباً حاذقاً للأفئدة المكومة اذا ما لعبت بها القوة أو استبذبت بها الأيام !
أرأيت كيف استسلم للمرض الطاحن من لم يستسلم لحظة لا كبرقوى الارض
فهوذا وعدة وعدداً حتى خارت قواه فلم يكن له إلا التسليم للقضاء السماوى ومن
أكبر من قضاء الله اذا حكم ؟ ؟

أرأيت كيف نامت على سرير المرض حركة هذا الجسم الذى كان اذا مشى
مشت وراءه الأمنى تحرسه والآمال تحميه والعيون تقيه والافئدة جميعاً تفتح
له فيرجو كل فؤاد أن يكون لهذا الجسم موطناً ومهاداً ؟

أرأيت فى ساعة الاحتضار السوداء كيف انكش هذا الجسم الناحل بين
فرش وغطاء وقد كانت الارض لا تتسع له على ضعفه اذا نشط للعمل وتقصر دون
غاية اذا جرى على أديمها شوطاً ؟

أرأيت ملك الموت يرفرف بجناحيه على غرفة سعد فيخرس هذا اللسان الذى
كان اذا نطق دوت الدنيا بمنطقه وقرعت لقوله أجراس العالم واهتزت له أعواد المنابر
شرقاً وغرباً ومجذت قرآنه كل الشعوب التى غلبت على أمر ما وكأنه كتاب آخر
الزمان على لسان خاتم الانبياء ؟

أرأيت كيف كان يحاول النطق فلا يجد اليه سبيلاً وقد كانت الفصاحة أقل

خضامه والبلاغة أصفر أعوانه والحكم تجرى من خلاله كما يجرى الماء العذب على
أديم الأرض القفر فيكسبها الخصب والبركة والنعاء !

أرأيت كل هذا ويد الاقدار القاسية تقترب من موضع الروح فيه شيئاً فشيئاً
ثم لا حول له ولا لأحد على رد عاديتها ! ومن مخبري أيها البطل الثابت في مواقفك
أكنت تغالبها كما كنت تغالب أعداء البلاد — فغلبتك وكنت تحاربها كما كنت
تحارب الغاصبين فخاربتك ؟ هل شممت لها عن مجهود موفق كما عودتنا فلم تهو
على رفعها ولم توفق لدفعها ؟ لا . لا . ان قضاء الله نافذ لا محالة ومن أكبر من قضاء
الله اذا حكم .

ثم أرأيت كيف هوت يد الاقدار الى مستقر هذا الروح الكبير فانتزعته
انتزاعاً بعد ان لم تقدر على انتزاعه أسفار ميشل ولا تشريد جبل طارق لا ولا
تهديد المهديين ولا أنذار المنبرين . لا ولا هذا الجهد الطويل المدى الذي آلى
الفقيد على نفسه أن لا ينقطع عنه للراحة لحظة والذي ينوء بحمله الشباب المجتمع ولا
يقوى على أطراذه الكتائب المؤلفة بعددها وعديدها !

وافرحناه لعالم الارواح بهذا الروح الذي صفقوا له طرباً حين رأوه في صفوفهم
لامعاً وفي واسطة عقدهم بدرأ ساطعاً . يسألونه عن هذا العالم الفاني المملوء بالمتاعب
والمشاق . أنه يجيبهم بما عرف عنه في دنياه من طلاقه وحسن بيان . فهو بذلك
زعيم الارواح كما كان شبحه في هذا العالم الارضي زعيم الاشباح

سير بجثمان سعد الى مقره الاخير وانتظمت مناحته ولكن لا كما يسير الناس
عادة بالأموال بل أن روحه أسمعته كل أذن في وادي النيل قول ذلك الشاعر العربي
وكانت في حياتك لي عظات وأنت اليوم أو عظ منك حيا

فكان سعد خطيباً صامتاً بهتزهيته ذلك النعش الحربي كما كانت تهتزله
أعواد منابر الخطابة في عالم الاحياء . وكانت عظاته تهوى الى الأفتدة فتجد مرعى
لها خصيباً وتربة صالحة فهو بذلك خطيب الدنيا وخطيب الآخرة وزعيم الحياة

وزعيم الموت وقائد الاحياء الى مستقبل بلادهم وهو في شوارع القاهرة محمولا على هذا النعش الحربي . ومنظم هذه الجماهير لاستماعه كما كان ينظمهم في حياته الأولى ومن من المشيعين لم يستعرض حياة سعد وعظمة سعد وكبرياء سعد ووطنية سعد ومن منهم لم يستذكر آيات سعد البينات التي هي قرآن الوطنية الصادقة والنهضة الموقفة وعنوان الحرية والاستقلال ؟ لا أحسب أن رجلا من المشيعين غلب عنه من ذلك شيء . ثم من منهم لم يأخذ الميثاق على نفسه بأن يسير على سنة ذلك الراحل الكريم وأن يترسم خطاه في جهاده لحرية بلاده واستقلال وطنه ؟ لا أحسب أيضاً أن واحداً منهم لم يأخذ على نفسه هذا الميثاق الشريف . كل هذه كانت خطابة سعد الاخيرة لهذه الجماهير المشيعة الباكية الناحبة .

ليبك أيها الخطيب الصام ثم ليبك . انا على عهدك مقيمون ولوصاياك حافظون وعلى سنتك سائرون والا كنا عبيداً أنذا لا قليل علينا الذل الأبدى والخوان المقيم

ثم أرايت كيف وضع سعد في حفرة من الارض وكان لا يرتضى السماء مع المذلة مقاما وكيف أهيل التراب على وجهه الكريم وقد كان هو ذلك الوجه الوضي الذي طالما تافت الناس من أقطار الارض الى اجتلاء طلعتة والتمتع برؤيته وكيف رضى أن يقيم وحده فريداً غريباً في هذه الحفرة التي لا أنيس بها ولا جليس وقد كان أمام الجلساء ومسيد المؤانسين وكيف رضى بهذه الرقعة الأبدية وهو الذي كان يملا الدنيا نشاطاً لا يقر له قرار من حركة نافعة أو عمل موفق . نعم رضى بكل هذا مرغماً وتلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً

* *

والآن ننظر نظرة أخرى في هذه المونة العظيمة لهذا الراحل الاعظم . ننظر اليها من جهة أن سعداً أضحي عقيدة وطنية أزلية مابقي في مصر لسان ينطق في واديه ونسمة تمشي على اديمها

تجمعت في سعد روح وطنية هذا الوادي فصار هو المحرك الاعظم لها والقابض
بحزم على ناصيتها ولم يكن ينظر اليه أنه سعد زغلول الرجل القاطن في بيت الامة
بل كان إذ ذكر اسمه دل على هذا المعنى السامي الجليل معنى الوطنية الصادقة والزعامة
، الرشيدة اليها ولهذا كان سعد كما أسلفنا فكرة خالدة لا رجلا فانيا

ان موت الزعماء بالاجسام لا بالمبادئ والفكر . فبادؤهم باقية والفكرة التي
كانت قبلتهم تترجم عنها خالدة ولقد كان هذا الخلود سر عظمة الشعوب وسر
تطورها معا فما قامت من النوم أمة الا على صوت زعيم ولا واصلت سيرها حتى
بلغت غايتها الا بامتلاء حواسها بالفكرة السامية التي يدل زعيمها عليها وأن هذه
الفكرة التي كان الزعماء عنوانها وقد تكون في حياتهم أقل حدة ونشاطا منها بعد
موتهم لان وجود الزعيم بين أمة دافع بكثير منها إلى التواكل والتواني تارة وإلى
الخروج عليه وحربه عمدا تارة أخرى أما بعد الموت فان الفكرة تتجدد والعقيدة
ترسخ تجدداً ورسوخاً هيات أن يزيلها الاحداث زمنية جسام لا تدخل في
حساب البشر

أن شخص الزعيم قد يحارب وقد ينقم عليه وقد يؤخذ بقذع الهجاء وخشن
القول بل وقد يكفر به وبزعامة أحيانا لان مرضاة الناس من رجل واحد غاية لم
يدركها حتى الرسل والانبياء ولكن سرعان ما تنقلب هذه النزعات بعد الموت
الى نزعة واحدة هي الفكرة هي العقيدة . فقد زال الزعيم بشخصه من هذا الوجود
الفاني ولم يبق ما يحاربه البعض ولا ما يكفر به البعض الآخر . نعم زال موضع الطعن
والتجريح ولم تبق إلا الفكرة الصافية المجردة الخالدة والعقيدة الباقية الصالحة وكلاهما
لا يقبل طعناً ولا يحتمل عناداً ولا كفرانا إلا من ليس له في هذه الفكرة دين ولا ذمة
خرج سعد من الدنيا ولم يعقب ولداً ولم يعقب الا الفكرة الوطنية السامية
التي أصبح وهو في مملكة الاموات علما عليها وأضحى وهو في قبره استاذها
الاعظم وقائدها الاكرم

غير أن كل فكرة فارق شبح صاحبها الحياة أحوج ما تكون بعده الى المثل الصالح الحى الذى كلما رأى الناس عمله وكما سمعوا قوله زادوا بها ايماناً وتمكنت من نفوسهم تمكيناً وليس ذلك فى المسائل القومية والتهضات الوطنية وحسب بل الامر كذلك فى الاديان نفسها فان أى دين منها يقوى ويضعف تباعاً لما عليه الممثلون له والزعيمون به . الاديان هكذا فلا ظنك بغيرها من العقائل والافكار انها أحوج منها الى مثل صالحة ترتفع بها دائماً ارتفاعاً مطرداً ليكون حظ هذه العقائد وهذه الافكار انخلود والسموماً

من أراد أن تبقى فكرة سعد خالدة فليكن مظهراً صالحاً لها وعنواناً طيباً على التمسك بها والسير بسنتها . كلاهما ذلك من تضحية (صادقة) وعناء (مخلص) بهذا نحفظ ذكرى سعد وبهذا يكون سعد لم يمت ورحم الله سعداً بقدر حسناته

عند قبرى سعد زغلول ومصطفى كامل

للكاتب القدير الاستاذ ابراهيم جبر

تشرف قلعة محمد على العظيمة على الوادى وسرنا فى طريق ضيق اخترق بنا حيا من الاحياء الوطنيه الدائمة الحركة . وما كدنا نترك السوق بضجته والوانه الزاهية فلذا بنا فى قلب مدينة الموت الرهيب واذا بشوارع ممتدة مستقيمة وعلى جانبيها الاحواش ذات الجدران القصيرة البيضاء التى تحجب عن العيون اسرار القبور ومن حين لآخر يقع نظرنا من خلال فجوات الابواب على اضرحة مكسوة بالاخضر المذهب او عارية تتكشف عن مرمرها المنقوش المزخرف . وقد هشت على الجدران آيات من القرآن او كتب عليها اسماء سكانها وتاريخ موارثهم الثرى

وحقا ان مشوى الاموات لمدينة كاملة صفت فيها الاحواش صفا منسقا
متشابهها تحت شعاع ضوء الشمس المتقدم . وكان سكون الموت الرهيب فلا صوت
ولا صيحة تقلق رهبة مقابر الامام الشافعي . وصرنا ساعة كاملة في شوارع تلك
المدينة الصامتة وقد اذهلنا ذلك السكون العميق واذا بنا امام جبل المقطم كانه
مارد قد من حبر وقد عملت فيه معاول الناس والزمن

وهنا كأنا قد تركنا الاحياء تركا تاما فلم نعد نتصل بالقاهرة وحركتها وحياتها
وقد تلاشت من ذا كرتنا الهموم والمسرات وكأنا قد اقتربنا من هؤلاء الاموات
جسما وقلبا وآمنا بلنهم كانوا ما نحن عليه الان وباتنا سنكون ما هم رماد
تفروه الرياح

عند ذلك تقدمنا في خشوع وهيبة كاتنا نخشى ان تقلق هدوء ذلك النوم
الذي لا يعرف للاحلام طعما وكنا نمر من حين لآخر على نائحات يكيين في ثيابهن
السوداء وكان في حركة ايديهن اليائسة نوعا من الصلاة والدعاء

قبر الشاب الناري

وفي وسط رمال جرقها حرارة الشمس ضريح مرت عليه السنون واوسع
لنا البواب الطريق فاذا بنا امام قبر مصطفى كامل الشاب الناري والابن الروحي
لتلك الافرنسية الشهيرة مدام جوليت آدم . في وسط الظلام المضيء لمحنا قبرا من
الخشب مكسوا برداء اخضر نقش في وسطه هلال احمر . فيالها من بساطة مؤثرة
وقد تدلت على جدرانها تيجان من الازهار الذابلة والاعلام ذات الايات
الدينية والكلمات الوطنية الماثورة عن الخطيب الشاب

اما اليوم فالسكون شامل . ولكن هذه الازهار وهذه الاعلام قد حملها منذ
عشرين عاما جمهور عظيم من الناس تبع نقش الزعيم الوطني حتى مقره الاخير
ومن يوم ان مات اصبحت حجارة ضريحة الكلمة الاخيرة من احد

فصول الحياة السياسية التي عادت سيرتها الاولى في فتور

بعد عشرين سنة

هنا قبر مصطفى كامل وهنا على بعد مائة متر قبر سعد زغلول عشرين عاماً من التاريخ
تفصل هذين القبرين والآن ينام الشيخ الحديدي بجوار الشاب الناري . وقد
قارب الموت بين الخطيبين وجمع الاعمين ومزج التاريخين

عند قبر سعد

القبر لم يتم بعد والعمال لا يزالون يشتغلون فيه والطريق الى الخيمة التي تضم
القبر مكسو بالرياحين والزهور وقد انشئ على الرمل مستطيل من الحجر علوه نصف
متر يحمل نقش الفقيد وقد اختفى بأكله وسط جبل من الورد والزهور وقد بدأ
بعضها يذبل واصفرت الاشرطة التي تحمل اسم سعد ووجدنا مئات من الناس قد
احتاطت به تخنقهم العبرات . وسمعنا رجالاً يصلون وطلبة ينشدون أشعارهم وآيات
من القرآن تتلى كل ذلك في كثير من الهيبة والتأثر . وكأنما حزن الشعب ومكانه
عند قبر الزعيم قد تحولوا الى رنين من الاسى متشابه متقطع فيه الخشوع وفيه امتثال
وقد أثبت الشعور بانه هنا بجوار هذا الجمع وانه مات وان الزعيم « انتهى »
كما قالها ساعة الموت اثبت ذلك الشعور في نفس هذا الجمع كثيراً من الاسى واللوعة
وبينا هذا الشعور يسود تخيلت وجه سعد

تخيلته خطيباً يبدأ خطبته بصوت هادئ ثم لا يلبث الموضوع ان يكبر
والصوت ان يرتفع والخطيب ان يحثد وينحمس واذا بصوته كأنه رنين النحاس
واذا بالالفاظ تتسابق سريعة حماسية واذا بالمجازات القوية والتعابير التي تثبت في
العقول كأنه النقش على الحجر . تلك النفس الباسمة الضاحكة . وذلك الاستهزاء
القائل تلك الرأفة المتأثرة وذلك الغضب والاحتقار الناطقين . صوت يتبع كل

تحركات العواطف . صوت ساحر مدهش . بذلك أمكن سعد أن يملك شعور
الجمهور ويحرك أوتاره

تخيلت سعداً في حياته الخاصة تخيلت ذاكرته القوية . فان أنس لا أنس يوم
أزمة سياسية حادثته وبعد الحديث الرسمي انتقل فجأة الى التحدث الى عن مقالة
أدبية كنت كتبتها منذ سنتين بخصوص المرحوم المنفلوطي

وتركنا السياسة وأخذنا تتبادل حديث الادب والفنون وكم ادهشني سعد في
مناقشته اسلوب المنفلوطي ومقدرته الادبية ونثر حافظ ابراهيم الشعرى ونظرية
يورجيه في كتابه « ابليس الجنوب »

وقطع على اجهاش باكية بجواري . فتذكرت ان سعداً قد انتهى فهو هنا
تحت الارض . الرجل الذي ملأ وادي النيل والشرق باسمه طوال سنين ثمانية
لن يصبح بعد أشهر إلا تمثالاً يحياه المارة بالخشوع . ولكن لا . فان يكن الموت
قد أخفى عنا جسمه فان تعاليمه ستبقى في نفوس أربعة عشر مليوناً كل منهم يحمل
بين طيات قلبه سعداً

وتركت مدينه الموت وعدت ادراجي الى العاصمة الكثيره الضوضاء ذا كراً
قول الفيلسوف (مهما عظم الرجل ومهما ارتفع ومهما كان نفوذه وسلطانه وغناه فهو
عند الله الازلي أقل من حبة الخردلة وأهون من ورقة الشجرة التي تذروها الرياح)

كلنا نبكي

للطاب التا كل مسين شفي المصري

قف هناك حيال هذا الصريح

فيه سعد زغلول

والق عليه التحية ، وقبل الجدران وأنحن لتشم التراب
أما تجد في هذا التراب مثل رائحة العطر ؟
ليست لجدران الضريح رائحة ذكية ؟
التراب تراب ، والحجارة حجارة
كالتراب الذى فى كل مكان ، والحجارة التى فى الدنيا كلها
وليس فى الدنيا أحجار عطرية . ولا تراب تفوح منه رائحة المنديل
ولكن حبك سعاداً هو الذى حبيب اليك هذا الحجر وهذا المدر ، وجعل ما
يشور من الغبار هنا كعبق المسك أو بنحور الصندل
ولم لا تشم طيباً وانت تعلم أن هنا رفات سعد
أليس ما يحيط بالحبيب محبوباً ؟
نعم والمحبوب يتخلل النفس نوراً ساطعاً ورائحة ذكية
نعم ينخيل الى أن حجاره القبر تضيء ، وان هذا التراب شعاع ساكن ، مستقر
على وجه الارض !
وما هذا العطر الا ما بقى فى نفسى من قول سعد ولا هذا النور غير معانى ما
كان يقول أما تشعر بما أشعر به ؟
كل هؤلاء الخلائق الزوار يشعرون بهذا
بل لا تزال نفوسنا تأبى أن تصدق انه مات !
انظروا !
اليس الناس صامتين ؟
نعم . ينتظرون أن يقوم للخطابة ليروه ويسمعوه
فهم يأسعد أرواحهم وأسماعهم بصوتك
قل لنا ماذا نصنع بعدك
واخبرنا بما رأيت لمصر مكتوباً فى الغيب

هل قضى الله لها أو قضى عليها ؟
هيهات أن يقوم سعد - وهيهات أن يتكلم
لكل ذى غيبة إياب وغائب الموت لا يؤوب
قال سعد كل ما نحتاج اليه من القول ثم رقد ومن حقه أن يستريح
أقام الحجة وأوضح المحجة
قم هادئا يا سعد ، نوم المطمئن الذى يعلم أن بيته وطيد الاركان وأن أولاده
فى أمان

غير انا يعز علينا أن تنام فى هذا القفر الموحش ، فى سفح الجبل
يعز علينا أن يكون سريرك من جندل وصفائح
يعز علينا أن تفرش التراب
قم ساعة واحدة تعود فيها الى بيت الامة
استوحش بعدك بيت الامة يا سعد
يا سعد صفية وحدها
ليس لها أنيس يا سعد .
يا سعد صفية تبكى
بل لا تبكى وحدها
كلنا نبكى

كلنا فى مكان واحد يرى بعضنا بعضا وكأن كل واحد منا وحده من الوحشة
وهل غيرك أنيس يا سعد ؟
مهلا أم المصريين ، كفكفى هذا الدمع لا تشرقى به ، أنت بقية حياة سعد
فى الدنيا ، انه عائش بك نتذكره حين نراك فتصوره الذكرى ، قراه معك
كأيام كان يفتنا ،

أم المصريين مهلا ، كفكفى الدمع . وان لم يكن بد من البكاء فابكى بعبوتنا ،

أنا نبكى لك ولنا على سعد
وهل يسعها غير دموعها ؟
يا ليت المحزون أن يسعه غير دموعه
لو يسعف المحزون غير دموعه لارحنا هذه السيدة بما نهرق من ماء العيون . .
ومن الذى لا يبكى لام المصريين على زعيم مصر
لابقاء لغير الله ، وانا لله وانا اليه راجعون ، أجاى الوقت الذى نبكى فيه
الرئيس الجليل ؟
كنا نريد أن نحتفل بشفائه
هو حامى هذا الحمى ، هو قريع الاعداء ، هو القائد العام لجيش الوطنية فى
مصر وفى غير مصر
هو أمل الامم الشرقية المجاهدة فى سبيل الاستقلال
مات !
مات مات !
ولكنة لا يريد أن يموت معه الامل ، فالأمل حى بسعد
بل سعد حى بحياة هذا الأمل
لم يموت
لم تمت ياسعد انك صعدت الى الفردوس الأعلى
أما كنت تحب الطابق العلوى من بيت الأمة
خلقت للعلواء ياسعد ، فاجلس فى أعلى عليين فى الجنة ، وأطل علينا واهتف
بنا ، اتنا سمعك ، واتنا نراك !
ها هو ذا
ها هو روح سعد يشرف على مصر من السماء
فليحى سعد

آه نعم سعد حى بتاريخه العظيم
سعد حى بهذه الامة التى وهبت له أرواحها . . . أرواحها له . . وأجسامها
لهذه الارواح

يعيش بها الى الابد . فليحى سعد
ويا أيها الناس عجلوا بإنشاء الروضة التى سينقل اليها سعد فى بيت الامة
سعد فى الصحراء .
سعد فى سفح الجبل
هاتوا سعداً الى المدينة

سعد

للطائب النائب احمد ابو القحضر منسى

اقسم انى صادق ، لقد كنت فى غشية الدهول ، وان كنت بين الناس ،
ومعهم لا يجول منا فى حديث ، لسان أو قلم ، ألا بذكر موت سعد ، وان سعداً
قد انطلقاً سراجاً وما الى عودة منه الينا ضييل ، كنت غير مصدق وأنا مع ذلك
من الشاهدين . كنت لا أعى أن الامر جد ، وان شأن الرجل لم يعد الينا وانما الى
ربه والى غفرانه الى يوم يبعثون

وانما كان ذلك لانا كنا بالامس القريب ممتلئون برؤيته فتياً فى شيخوخته
مسمعا ناطقاً ، مدبراً للامر قاطعاً .

وانما كان ذلك لأن عظمة روح فيه تتغلغل فى بدن متين البناء ، ينبضات
قلب لا ينبض بمثلها كثير من قلوب الفتيان والابناء ، وشباب يطالعك من خلف
غلاف شيخوخته ، وفناء يتجلى عليك من خلل ما تجعد من أسارير وجهه الباسم

للحياة المستبشر، معسول الاماني ومفرحات الامال ، كانت تراوغ الموت وتزوغ من قبضته وكانت تجعل سعداً شديداً العلوقة بالحياة شديداً الاستمساك بأهدابها فكنا لا نزال لهذا في أمره مغرورين نتوقع له أجلا يمتد الى ما شاء ربك من أخرى السنين

وكان ذلك الرجل العظيم تنزل به الموضة تلو الموضة ، فتأخذ عليه سبله ، وتنحط عليه بكل كملها ، حتى لتنهلع قلوب أطبائه عليه ، فيندرونه ان هو خالفهم ومال الى العمل وجهد البال بأن الموت مدركه فما يبال أمر نصحهم ويدخل الى حيث نهى ، فيخرج سالما معافى ويعلم الناس أن روح سعد وعظمة سعد أصدق أنباء من تحذير الاطباء ونذيرهم

هذا وقد كانت الى ما قبل عشية موته نشرات أطبائه تبعث في النفوس الاطمئنان وتنزل في القلوب السكينة ، فلما أخذنا أخذ المباغنة بموته ، ذهلنا وقتاً ثم أقفنا على يقين . وعلمنا أنهم اذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وانه أينما تكونو يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ، ولا حول ولا قوة الا بالله . وهو العزيز القهار

وحل سعد أتم الله عليه رضوانه وأجزله غفرانه وقد أبقى لنا العظة الكبرى وهل أكثر من عظة تروءك في موت عظيم لا تلد البطون من مثله الا في الاحقاب الطوال . ولم يلاق عظيم في الناس مثل الذي لاقى سعد في أمته ومن أمته ، في ما سطر التاريخ وقل الراوون .

سعد عظيم عظمة المصطفين من البشر ، كالخيار من الآلى والجياد من الجواهر يروءك أمره فتقف كأنما أنت في غير حضرة انسان هو شبهك في التدعيم والتكوين وتحسبه خارجاً من حدود البشر فتقول سبحان الذي أتاه هذا السلطان وأكبر بمثله بنى الانسان !

سعد كان عظيماً عظمة لا ترضى بمحدود تمتد الى الاصول والفروع وتصيب

بأيدي مادنا منها وما نأى ، وما انخفض وما علا . عظمة من قيل فيه وأشير إليه .

هذا الذى يضر وينفع ، ويعلى وينخفض ، ويدنى ويبعد :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفونى

واجتمع بسعد آيات ربك المعجزات وخصه بما شئت ويتشهى أعلام الناس
من مواهب هى كفصوص الجواهر الغالى والدر الفاخر العالى فكان مما تدعمت به

عظمته خلاصة المنطق وسحر الخطابة

سعد خطيب قل ان شهدنا مثله فى الغابرين والحاضرين . خطيب ألقى فى

روعه نفحة علوية ، وعلى لسانه السحر الحلال . اذا شهدته شهدت منه ما شهد

الاولون من سحرها روت وما روت القول اليه منقاد ، والمعانى له إماء طائعات

والنشاط عنده موفور ليس بناضب معينه ، ولا بمنقطع وروده وكأنه قد اجتمع له

مركوما بعضه فوق بعض ما اجتمع للخطباء جميعا من سحر واختلاب وجلد واقتدار

ولقد شهدته يوما يخطب فى حفل حاشد لا يدرك البصر منتهاء ، وقد برز

فيهم على أثر اعياء وقوى خائرة . فكنت لا ألتقى مدة ثلاث ساعات طوال غير

منقطعات ولا فيهن راحات أو فترات الا سيلا متدفقا من جزل القول ورائع المعنى

والمبنى وبلاغة كوحى السموات وفصاحة لها لذة كذلك ما وصف ربك من أنهر

الجنات والرجل الشيخ الذى شارف الثمانين ، وبلغتها ، يتوثب من فوق المنبر

توثب الغلام الأرن لا يبلغ به أمره الى كلل أو ملل ، ونسى الرجل المسن المعنى

الذى جاء يشكو من تعب ووعناء الطريق مابه وعاد فتيا لا تبصر من عينيه الا

بريقا يتألق ومن فيه الا سحرا يتدفق وكما زدناه استماعا ورأى منا طربا واعجابا

زادنا شذوا واطرابا حتى لقد اشتد بى الكرب مما لقيت من أزل المزاحين وعصرهم

لى واشتد بى حاجة الى شراب أققع به غلة فى جوفى فصحت بسعد رغم ما أنا ملاق

من فعل سحره عساه يسمع فيتشد : يا هذا أرحنا نحن واشفق علينا ان لم تكن

على نفسك بشفيق ولكن أنى لمن ليس براحم نفسه أن يرحم الناس

ولقد كان سعد مع الخطابة التي رفع بها الخطباء بها الى السماكين كاتباً بليغاً يضع لسانه حيث شاء وهذا قلما يجتمع في رجل واحد ولكن سعداً عصبي المزاج ناري الطبع دمويه والذي تلك سليقته يكون من الانفس الوثابة المتحفزة للأمر الجلل مع ذلق اللسان وقوة البيان فهو اذا كتب خلب واذا حبر جاءك بالعجب وشبه أنيق وثيق مشرق المعاني آخذ كلامه بعضه بأعناق بعض كأنما ألفاظه قطع الرياض ونسيم الأصال يبلغ به كنه القلوب

ولقد جاءك نبأ بياناته التي كان يعرض وشيها الرائع على الامة وهو زعيم الوفد كلما حزب أمر، أو فدى خطب، وكيف لا يكون هذا الذي علمت، وقد نبت عارضاه وهو يعالج تحرير الصحف بين رسمية وغيرها، وكيف لا تجده كذلك وقد كان نباتاً كريماً أنبته حكيم الكتاب وبلغهم الشيخ محمد عبده؟ وكان سعد سقى الغيث جدته، وأنزله ربه جنات رضوانه قد كسى ثوب مهابة تعظمه الاعين، وتهيبه النفوس، كأنه الاسد في عرينا ولقد فطره ربه وفي صورته شبه بصورة الاسد فما كان في الامر صناعة ولا تزويق وآتاه الله مع هذا الوجاهة وعلو المرتبة: فالقضاء والوزارة والنيابة والزعامة كل قد أصاب ما أحب منها وما اشتهى

رأيت عرابة الأوسى يسمو * الى الخيرات منقطع القرين

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمن

وكان حلو مذاقة الروح، جذاب النفس فكك الحديث لطيف الدعابة ولقد علمت كيف كان في زعامته تتجنب اليه الجماهير انجذاباً قوياً عجيباً لست تجد الى دفعه أو منعه مهماً أوتيت سبيلاً وانما نشأ سعد من حيث تنشأ الجماهير من الفلاحة، فمنها الى الازهر، فمنها الى التحرير وجعل يرقى المعالي درجة فدرجة عصامي لا عظامى فكان أدنى ما يكون الى نفوس وطبائع الذين تقلد زعامتهم، وولى مقادتهم، خبير بما تحيش به نفوسهم، وتطوى صدورهم، عليم بأين تؤكل الكتف

فكان زعيم أمة جمع فأوعى ومثله كان لوأمر خلق مصر جميعا في سبيل الحق والمجد
والاستقلال أن يلقوا بأنفسهم في اليم ما تمكثوا ولا استرثوا
لقد كنت عظيما في الحياة عظيما في الممات. فإلى غفران ربك يا سعد
والى رضوانه

اسد الوادى وجبار الشرق

لزعيم مصر كتاب فلسطين

كادت الاربعون تأتى على اصطفاء الله سعداً الى جواره ، والناس تفزع بقلوبها
لواجفة الى مصر ، كان النعى لم يبرح نزيل الساعة ، وكل امرئ تثبت جوارحه
ويرفع يده الى قلبه ، قائلاً : أمات سعد ، ثم يطرق اطراق من صعق في مكانه
على غير حراك

وما جرى قبل اليوم ، ان رأيت العالم العربى أشد تشاركا في الشعور ، وأجمع
حساسية منبعثة عن عرق واحد النبض ، منه الآن وهو يضطلع بعقب الخطب
العظيم ، ففى فقد الذائد عن مصر وكل مصر ، والداعى بسيف الحق الى دين
الاستقلال لافناء الاستعمار ، واسقاط الرق النازل بالشرق : أمام العصر ، وحجة
الدهر ، اسنام الاعلى فى الزعامة القومية والسيادة العربية والرئاسة الشرقية ،
لايسامى سموه ولا يعالى علوه ، ولا يدانى حرمة المقدس ، ولا يمثل حماه المعزز من قبل
ومن بعد ، الهاجع بعد السبعين جهاداً فى كنف الوادى أسد الكنانة (سعد)

*
*
*

طبع هذا العصر فى العالم العربى بطابعة ، وضربت جهات الاقلايات باسمه
كما تضرب السكة باسم الملك السلطان . قبض فى السبع السنوات الاخيرة على

مجرى التاريخ في أشرف رقعة من رقاع الشرق الأدنى ، وأملى على المؤرخ في نهضة مصر ذكراً لا يفنى ، وأبلغ هذه النهضة سوراً عالياً اعتر عنه الحق وهو أعزل الأمن إيمان كفتق الصباح ، وخذل عنده الباطل وهو بآلته وعدته وسلاحه يملأ البحر والبطاح . فأخرج لمصر من رجال الله عروة الوفد الوثقى كالحلقة المفرغة صمدت لمناضليها كصخرة انوادي واقام من ورائه الامة الناهضة صفوفا كالبنيان المرصوص تمده بالحول والقوة ، ولبت عربن الاسد (بيت الامة) ، وأقبل الجبار العظيم يشيد الاستقلال ركنا ركنا ، وصاح صيحات تجاوبت اصداؤها في الشرق وجرت من المشارقة مجرى الكهرباء في السلك فطبق سعد الدنيا اسمه وذكره وأضحى كالمنارة القائمة في أعلى الفضاء

وجاء ملنر بعصيته ليفاوض ، فنبذ وقوطع وأمسك عنه ، كأن ليس أهل مصر في مصر ورجال الرجل في بعض البلاد مدهوشاً فلم يكلمه انسى من بنى سعد . وبلغ الريف فجاع فطلب اللبن ليشتريه فلم يبعه أحد . وهكذا إذا انتشت روح الاعتزاز بالقومية وفشت في الشعب آخذه منه طريق الحس الحى والشعور المستيقظ ، باتت الوطنية الصادقة كنور الشمس يتجلبب بها الصغير والكبير ، فيطلب ملنر اللبن وهو جائع فلا يباع له

وراح سعد يندود عن الحوض بهذا السلاح في قومه ، هو يزيد الامة نباتا في الموقف واحتمالا للنفي في جزر البحار ، وهى تزيده توحيداً في الزعامة ورسماً في الصفوف . وقد بوأ الله لبان سعد على أعلى عزية البلاغة وأطمى درجات البيان وأفاض عليه الحكمة ، وزاده بسطة في العلم ، ودانت المنابر لطاعته ، وجعل الخطابة ذات السحر الحلال من رسله وجنوده ، فهو أخطب من رقى منبراً في هذا الزمان ولا نزاع

فلم ينفك مجاهداً حتى جاء (بالبرلمان) للامة سياجا و (بالدستور) للحياة النيابية سراجا وهاجا ، وطفا الطغاة على (البرلمان) فعطلوه ، فسرعان ما رآب

سعد الصمد ، وجمع الجمع ، وقام بذلك الحفل ، في اليوم الخالد الذكر ، ونادى بالائتلاف فعاهدت الامة رجلا واحداً ، حتى لو عاد ملنر لما باعه أحد لبناً . فما لحق سعد بالرفيق الاعلى الا (والبرلمان والدستور) يجريان على سنن مسنونة ، وقواعد موضوعة ، وطريق مشروعة ، والحياة النيابية في حرز حريز من طمع الطامعين في عهد سعد وعلى يديه شهد التاريخ الجارى مشهدين عظيمين سيغيران من شأن الشرق العربى الكبير شيئاً كبيراً . الاول تعالى نهضة مصر فى سماء الحركات الشرقية . النهضة التى كفلها سعد وتعدّها تغذيه وتنمية ، حتى أشرق كوكبها بأجمل صورة على الامم العربية المحيطة بمصر ، اشراقاً باشا منعشاً ، مسلماً ، مكلماً مبتسماً ، حاملاً شارة كريمة وعلامة فارقة ورمزاً مأنوساً . تلك شارة سعد وعلامته الفارقة ورمزه المأنوس . وكما تضى الشمس فياضة النور على وجه الكرة ، هكذا باتت أنوار النهضة المصرية فى كنف سعد ورعايته تضى على العالم العربى الافريقى والاسيوى ، وعلى العالم الشرقى كله فان ذهبت الى الهند وجدت هناك سعداً

وقد قال جماعة من الهنود غير المسلمين انهم يقدسون سعداً تهديهم لغاندى . وكما يخيل اليك عند رؤيتك البدر أن فى البدر وجه انسان فكذلك عند رؤيتك نهضة مصر من أقصى المغرب العربى أو أقصى المشرق العربى ترى فيها إلا تخيلاً بل على الحقيقة صورة سعد مرسومة بها النهضة المصرية الاستقلالية بجميع ما تدل عليه من قوة وسلطان والآخرون أن اخذت الامم العربية تتجنب الى مصر وتتعطف ونحن نرغب جهادها وندعو لها بالتوفيق والفوز وشمل الاقطار العربية تيار جارف وهو شعور الاحترام لمصر ورجلها العظيم فما كاد المؤرخ يفرغ من تدوين الحالة العامة التى كان عليها العالم العربى قبل الحرب العامة الى أيام الهدنة من انزال عن مصر حتى يروعها انقلاب الحال بسنوات معدودات ، فاذا بمصر سيدة العالم العربى نهضة وثقافة ، علماً وسياسة على رأسها سعد ، ومنها يصدر الخير

في الكتب والصحف والخطب وسائر وسائل النشر ، وينشر في العالم العربي شرقا وغربا ، شمالا وجنوبا ، واذا بالقطار العربية تأخذ عن مصر بطريق الاقتداء فردا ومجموعا آراء وأساليب في كل باب

واذا بسعد يقوم له يقعد ليس الاربعة عشر مليوناً أهل الوادي الكرام وحدهم بل السبعون مليوناً أهل العالم العربي قاطبة ولم يقف الناس عند الاحترام لسعد واكبارهم لحسن بلائه بل كانوا يأخذون من جهاده وحن بلائه ومن خطبه وبيانه دروساً في كيفية الجهاد والعن في سبيل الاوطان المثقلة بكابوس الاجنبي فكان سعد بذلك يعلم مصر وسائر الامم العربية أفضل الاساليب في خدمة القضايا القومية فاتصل الناس به اتصالاً عجيباً وهم على بعد منه آلاف الاميال فعظمه عربي الشام والقدس وبغداد والحجاز كما عظمه ابن القاهرة وشاركوه في سرائه وضرائه وهتفوا باسمه وجرى ذكره على الألسنة حتى باتت (كلمة سعد) مجردة عن لقب ، اذا شعر لفظها وسامعها بأنها ذات مدلول معلوم لا يوصف ومدرك لا يحدد . ودخل اسم سعد البيوت والمنازل وعلقت رسومه على الجدران

ولو قدر الله لسعد ان زار يوماً في حياته فلسطين أو سوريا لكان مهرجان استقباله هنا أحفل منه في القاهرة ولا شك ولو قيس الله له زيارة دمشق لدخلها دخول الفاتحين وخرج الشعب يستقبله كما استقبل غليوم امبراطور المانيا منذ ثلاثين سنة

فسعد من ناحية ضرب مثالا عاليا في جعله قضية الشعب المغلوب على أمره : قضية قائمة على اعتبار القومية والوطنية بلا فارق هما دين تلك القضية : وجاءت القومية المصرية من حيث التآخي الاسلامي والقبطي مضرب المثل في الشرق : ومن ناحية أخرى كان سعد موقفاً التوفيق الاكبر في الابانة الجليلة للدول الغربية أن الشعوب الشرقية ولاسيما التي أمدت الحلفاء بعون ومساعدة ايام الحرب العامة بالاموال والرجال لا تعترف بحال من الاحوال بتجزئة حقها في الاستقلال ، ولا

بنظرية الحلفاء الفاسدة القائلة ان هذه الشعوب ليست بكفيلة للحكم الاستقلالى
الخالص ، فان هذه النظرية المصنوعة تمثل الجشع الاستعمارى الاوروبى باقبح
منظروفيها الدليل على الغدر بدل الامانة : والنكث بالعهد بدل الوفاء به : وتسميم
لهلاقات الشعوب المستضعفة ازاء الغربية : وفوق كل ذلك توهين لتماسك الحضارة
التي لا تقوم على ابن ارومته وحده ولو ملك على ناصية العلم أعظم مملك ،
والزعيم العظيم لم يتوان عند وقوع الكوارث الاستعمارية بالشعوب المجاورة ،
عن زارة يزأرها فى وجه الاستعمار الطاغى ، وفى « نيس » صيحته الكبرى التي
أطلقها عند ما دمر الفرنسيين دمشق الشام بالمدافع فى خريف ١٩٢٥ ، ونادى فى
تلك الصيحة الخالدة بتوثيق الصلات بين مصر والاقطار الشامية ، صلات الجوار
والدين واللغة والعادات ،

ولو كان الشرق على رحبة مملكة واحدة ، تسهل على أسدالواذى ، بعقريته
وما آتاه الله من قوة وتأيد ، ان يسط على الشرق زعامته وينشر فوقه لواءه
أصلب زعماء الشرق عوداً ، وأصبرهم على الكريهة ، وأجهرهم بالحق ، وأخطبهم
على منبره . غالب أصلب الدول عودا فى الاستعمار ، وأكثر حيلته ووسيلة ، وأشرها
طمعا فى الماء واليابسة ، فغلها حتى آب (بالبرلمان والدستور)

خاصته جبارة الدول ورهبت جانبه ، وأبعدته الى مالطة وسيشل وجبل طارق
ابعاد النفي ، أقصته عن الامة ابتغاء ان يلين هو أو تلين الامة ، فلم تظفر بمأمل
قاعاده وفلوضته ، وبالتالي فايدت كلمة الامة والعدو راغم فاخترت الامة سعدا
فتسلم الحكم وولى الامر وكلمة الحق هى العالية وقالت الصحف الانجليزية مرغمة
ان سعداً هو المصرى الذى لم يقم قبله غيره خلال ٢٥ قرناً للمطالبة باستقلال مصر
قام (حان — يات — جن) فى الصين زعيماً شعبياً كسعد فى مصر وجاهد
جهاد سعد ونفى فيه وعذب عذابه وقد قضى زعيم الصين منذ ثلاث سنوات فمامات
الا لتظهر القدرة العليا مبادئه الاستقلالية على المناوئين وتأييد قضية الصين ومات

سعد قاذبا بمبادئه نامية في مماته مثلها في حياته وسلام على اسد الوادي،
وجيار الشرق

لم يموت سعد

للكاتب المحترم صفيان بن عمار

لقد صار روحاً تبقى بيننا ما بقينا أهلاً لها . هل مات عظيم حتى يصح قول
الناعي لقد مات سعد . ؟ . هل مات (ليكورج) الذي احتمل ألواناً من الازدي
في سبيل اقاذنا سبارطه من الفوضى وجعلها من أعظم الامم أثراً في التاريخ ؟
هل مات (وشنطن) و (كافور) اللذان أقدوا وطنيهما من مخالب الاجنبي
وجعلاهما من الدول العظمى ؟ هل مات (ديموستين) الذي رأى الخطر محققاً بوطنه
فهب يستحث المم و يدفع قومه لاقاد بلادهم ممن يهدد استقلالها ؟ ألم يكن
كليمنصو بعد ذلك القرون الطوال لقد كان ديموستين « جنداً باجيداً »

هل مات شيشرون الذي أفنى حياته يقاتل المعتدين على مصالح روما ويضرب
على يد العابثين بحريتها ، هل ممكن ان يموت العظماء والتاريخ يعلمنا ان الدول
تزول ولكن العظماء خالدون

ان سعداً لم يموت ولا يمكن ان يجد الموت اليه سبيلاً ستبقى روحه بيننا ما
بقينا أهلاً لها يبعدها عنا ما لا يرضيها منا ويحبب اليها المقام بيننا الوفاء لها بالتزام
« الصدق في القول والاخلاص في العمل »

هذه عظمة سعد . عرف من قومه سلام فيهم واخلاص طويتهم وصفاء
وطنيتها فاستثار وجداتهم وجعل لهم من ذلك الوجدان ضميراً يسترشدون به في
خدمة الوطن . أظهر سعد هذا الوجدان السليم الذي طواه الظلم مما نشره من المثل

للاعلى للحياة العاملة حياة الحكمة والاخلاص . اذا لم يكن سعد خالق ذلك الضمير فهو الذى هزه وأمدته بروحه القوية فلنكرم سعداً ولنكرم أنفسنا بالحرص على هذا الوجدان وهذا الضمير ، ان للعظماء عظمتهم يدوم لها ذكرها ويدوم لشعوبهم فضلها ما حرصوا عليها اما اذا فرطوا فعلى الشعوب وحدها عار التفريط وويلاته

لم يبق سبيل لاتهم وادى النيل بضعف العزيمة أوقلة المروءة أو جهل الواجب قد رأينا مصر قلباً واحداً حول سعد وقد رأينا الفلاح يقول للمترور رجاله « عندكم سعد اسألوه » فهل بعد هذه الثقة وبعد هذا الاخلاص الجرى موضع لاتهم شعب النيل ؟ لم يكن سعد سوى رجل مناصفاً جوهره وطاب عنصره وسلمت نيته وقويت ارادته وصح عزمه وسمت مروءته فاجترأ على الظلم وبدد غياهبه . أشعل نور الحق وأضرم نار العدل ، وطارد اليأس وفتح أبواب الرجاء وعلمنا ان ليس بيننا وبين ما نرجو سوى ان نريد وان نخلص لما نريد ؟ أليست هذه عظمة سعد تذكرنا روحه اذا توانينا وتبتسم لنا اذا أقدمنا مخلصين ؟

سمعنا بعض كبار حكامنا ابان حركتنا المباركة يقول « لم أكن أظن فى الامة المصرية هذا الاقدام . » وقاته ان أول شرائط الحكم ان يتعرف الحاكم طبائع المحكومين وقد اختص الله سعداً بهذا الفضل فعرف حقيقة قومه وعرف ما انطوت عليه نفوسهم من فضل فهل تعد فضل ذلك الزعيم القدير وندفن كرائم غرائزنا ونكرم أنفسنا بمتابعة السير الى الامام مع الحرص على تلك المبادئ وما حصانا بفضلها من خير ؟

عرفت الحكومة لعظيم مصر ، قدره فقررت اقامة التماثيل لشخصه الكريم وانشاء ملجأ باسمه وجعل بين اقامته ومولده مزارين مقدسين وعرفت الامة لزعيمها فضله فجعلت من نوره شمساً تتطلع اليها كلما أشرقت الشمس وتسير على ضوئها كما سارت وتهتدى بهديها كلما فكرت وكان ليكورج يقول ليست حياة الامم فى

القوانين المكتوبة ولكنها في القوانين المغروسة في الصدور . وقانون الحياة الذي
سنه سعد للامة من القوانين التي تشربتها النفوس وصارت مادة حياتها الفردية
والحماسية والادبية والوطنية ذلك لان سعداً كان يستمل شريعته من وحي قلبه
فيمليها على القلوب

اما الحزن على فقد سعد . اما الشعور بما خسرت الامة بفقد سعد واما تعداد
صفات سعد وكرائم مواهبه وجلائل أعماله وعظائم فضائله فانها أعمق من أن
تستوضحها الكلمات وأملك للقلوب من أن يترجم عنها اللسان لانها أصبحت
عواطف مرتبطة بالوجدان ولانها بديهيات أوضح من أن يشرحها البيان
لقد صرت يا سعد بجوار ربك فاذا كر مصر في صلاتك ان مصر ستذكرك
ما جرى النيل فوق صعيدها وسيد كرك المصريين ما جرت الدماء في عروقهم .
نسأل أن يجعل لنا من حياة سعد ما يعلمنا كيف تكون حياة المخلصين من العظماء

هجم الجبار

للأستاذ الفاضل المصري عبد السميع عرابي

ما بين ضحوة وعشى سكن جبار هذا الوادي وهمت عزائم . وهي لسانه
وتنكرت معالنه . وكان قبل ذلك يدهش الوجود بمضاء تلك العزائم ويستثيره بصدق
ايمانه في سحر بيانه . ويملاً على محبيه والمعجبين بعظمته آمالاً وضياء
وآخر قلباه على الفجيعة القاسية في موئل هذا الوطن البائس وصخرته المتينة
الشائخة . فالحزن العميق الشامل ملأ الشاعر . والحرقة الكاوية تكاد تأكل
الجوانح والصدور

بيننا الامن عيم والطبيعة هادئة وادعة والآمال الحلوة الغالية تفيض على

النفوس طمأنينة واستبشاراً . وتصور المستقبل في أجمل صور السعادة والهناء . اذا
الفرع الأكبر ملق رواقه واذا نكباه جرباء تعصف علينا من مأمنا فتذهب
بغته وفي مثل لمح البصر بما عمر نفوسنا من آمال وأحلام

ذلت الى بيت الامة في الساعة السادسة من مساء يوم الثلاثاء الفارط استجلى
ماخى من أنباء صحة الرئيس الجليل طيب الله ثراه . وأثابه بما هو أهله وأرضاه
وكانت أخبار مرضه موضع عناية الكافة واشفاقهم . فدخلته وما كدت أرى
الفرع البادى على وجوه العواد المساكين والوجوم الضارب في كل مكان حتى أحسست
الامر العظيم الذى أذهل العقول وأطاش الالباب . خفضت رأسى وغرقت في
بحران . ولكن سرعان ماضى صدرى من تلك الحال الباعثة أشد القلق وذنوت
من كان يجانبى أسأله عن صحة الرئيس . فصمت ثم نطق بما كنت أحذره وأخشاه
قال « ان الحالة شديدة » ولم يزد عليه حرفاً . ولكن هذا الجواب الوجيز كان قد
أغنانى عن كل اسباب وبيان

فيا لحول النبأ وعظم الفادحة ومرارة الفرقة الوشيكة والخيبة الاليمية أيمكن أن
ينزل القضاء القاسى هكذا سريعاً وتصاب النفوس المكلومة الوالهة في معقد آمالها
ومحل ثقها ورجائها وينضب معين الحكمة البالغة والقوة القاهرة والادب الجهم والبحر
الخصم ؟؟

من للسفينة القلقة المضطربة في الخصم المزبد من عنيت الطبيعة وحوادث
الايام يكفل لها أمنها وينشر في الفضاء أعلامها ويشق بها الى السلامة طريق
المجد والكرامة

من للذمار يحمىها اذا ذك الطود وأزفت الآزفة . ومن ذا يغنى غناه في حيث
يندب البطل الجعد . ويهتف بنى الساعد الأشد أم من للمكارم يحمىها ويوفىها
حقوقها . والمجد القديم يعلى بناءه ويوطد أركانه ؟؟

مرت هذه الخواطر المفزعة وأمثالها بمخيلتي في تلك الساعات الرهيبة التى

سبقت وقوع القضاء المحتوم . وتمثلت لى الامة التعيسة الحائرة كما رأيتها فيما بعد
مولولة باكية تندب سوء حظها وتبدي عظيم ما بها . وتصبح حول نعش أبيها فى روتق
الحزن الممض تؤدى اليه واجب الوداع الاخير

وفى أنا كذلك اذا بالعويل يشق الحناجر والنشيج يقطع نياط القلوب واذا
الامر جد والخطب حال والدموع فوضى والمصيبة شتى فقد نفذ قضاء الله فى الرئيس
الجليل ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم

ماذا عسى يقول القائلون ويكتب الكاتبون فيما يجل عن كل قول ووصف
وهلا أبلغ فى هذا المقام الذى لا ينبغى فيه غير الصدق والوفاء من شهادة الخصوم
الشرفاء المعقولين الذين تنزهت خصومتهم عن شوائب الاعراض الكاذبة وسلمت
من أهواء هذه الحياة الغرور ؟

لقد أعلن القوم الحق الصراح ونادوا بأن زغلولا كان خصما عنيدا شريفاً
يا طالما شد عليهم فكرهم بقوة جنانه وعظيم سلطانه وأعيامهم إذ يشدون عليه
بمعجب يقينه وجلده وثباته فوقاته كبطل قومى خسارة لا تعوض هكذا قال القوم
فما عدوا الحقيقة شيئاً وكانوا فيها من المنصفين

أما نحن فنحس خسارة فقدته فى مواطن أخرى غير هذه . فى مزاياه التى حببته
الى القلوب جميعاً من صدق وشهامة ووفاء واقدام فى الجلائل وتضحية بكل غال
ثمين فى سبيل العقيدة . نحسها فى شمائله الرضية وأخلاقه الدمنة ونفسه العيوفة
ودعته ولطفه . نحسها فى تعاليمه العالية ودروسه الحكيمة السامية وفى رعايته للحقوق
وهشاشته للولى والصديق نحسها فى حذبه بينى وطنه ورأفته وثورته على المفسد
وبطشه وفى كثير مما يطول بنا تعداد من المناقب والفضائل

كان الراحل الكريم يضرب لامته وللأمم الشرقية قاطبة أشرف الامثال فى
حب الوطن والتضحية فى سبيل مجده ونفاره وكان فى انكار الذات فى مواطن
المفاخرة أول من عهدنا من زعماء الشرق وقادته يلهب المشاعر ويدكى العزائم

وينفج في الجموع من روحه الفتية الوثابة ويقود الصفوف ويسبقهم الى الخنوف .
ثم لا يرضى لنفسه بعد ذلك بأكثر من نصيب الجندي الامين الذي لا يرى له
حقاً في شكر أو ثناء على واجب قام به ووفق في أدائه .

أنظر اليه كم كان عظيماً وصادقاً وفياً يوم هزعت الامة الى السراشق الذي
ضرب بجوار ييت الامة لتحيته وتكريمه عقب عودته من منفاه في سنة ١٩٢٣ قد
وقف في ذلك اليوم التاريخي الجليل يلتقي على أبنائه الحافين به كلمة شكر من تلك
الكلمات العذبة الساحرة الماثورة الباقية على الايام :

قال رحمه الله في بعض ما قال (طلب مني بعض خطبائكم أن ألقى كلمة تكون
برداً وسلاماً على قلوبكم والكلمة التي جاشت في صدري على الاثر هي أن أرجوكم
وأرجو كل مصري أن يحافظ على أمر واحد هو نخر نهضتنا الحاضرة : ذلك الامر
هو الاتحاد المقدس) ثم قال : (تفضل بعض خطبائكم بإسناد هذا الفضل لي . لا
أقول ذلك ولا أعيه ولا أتصوره . وإنما نهضتكم بتبدي من مؤسس العائلة العلوية
محمد علي والحركة العرابية فضل كبير فيها . والسيد جمال الدين الافغاني أثر كبير
فيها هو وأتباعه وتلاميذه والمرحوم مصطفى كامل باشا فضل عزيز فيها أيضاً كذلك
للمرحوم محمد فريد) ففي بعض كلمات قليلة أتى من تاريخ نهضات مصر وفي
الذين عملوا في حركاتها الوطنية في مختلف العهود حقوقهم وأسند الفضل الى ذوية
لم يختص نفسه الكبيرة بمجد ولا نخر بل صدق التاريخ وأرضى الحقيقة ودل
الاعقاب على مواطن الخطأ والصواب في هذه القضية الوطنية التي تنوعت فيها
أراجيف المرجفين وتعاون على طمسها الخصوم الواغلون وأشباعهم من العبيد
والدسائس ثم استطرد الفقيه العظيم الى قوله : (كل هذا حق يجب علينا أن
نقوله لانه لا يكتم الحق الا الضعيف

ثم أتت هذه النهضة وأتت على أثر تلك النهضة وامتازت عن سابقتها
بأنها وقعت هذا الاتحاد المقدس بين الهلال والصليب هذا الاتحاد أرجو مصر

جميعها أن لا تنهون به . انه نفا رهنما نهضة وعمادها وهو الذى اضطرب له خصومنا
وفند حجة يعتمدون عليها اذ كانوا يقولون نحن حماة الاقلية فلا بد أن نقيم بينكم
لنحفظ العدل فيكم)

فما أعظم نفسه الكريمة العالية إذ تأبى أن ينسب اليه فضل غيره ولم كان فضله
عظيما شاملا إذ ألف بين الهلال والصليب قذلل بذلك عقبات كبيرة كانت لولا
يده البيضاء تقف في طريق الجهاد الوطنى وتحول بينه وبين بلوغ الامانى
العزيزة الغالية

٢٣ اغسطس

للكاتبه النابره عزيزه فوزى

ان الحياه والشباب بما فيها من محاسن وجمال ونور وآمال ليس فى كل ذلك
ما يخفف عنى حزنى وليس فيه من يلهينى عن ذكر ما اصاب امى فى مثل هذه
الليله منذ عامين فجنى الموت فيها وذكريات ليله الفراق اذ كنت جنوة بفؤادى
تقدفت على جمر وطال ليلى وليل الحزن ليس له آخر وتعجلت الصباح فلاح
الصباح وولى ليلى فلا رعاك الا له باليلى ليل كله ويل وروع فتباك يا ليلى وتعا
لغرتك المشؤومه وبعد ان ادركنى التعب اصبت من صباحى قسطا من النوم
متقطعا زهيدا واستيقظت مندورة وجلة على صوت الناعى ينعى سعاد ويح نفسى
وهل مات سعد ؟ وطنى شؤم ليلى على مصر فارقتها ؟ ودكها دكا ؟ وكانت مصر
ياموت مطمئنة قريرة العين فما اقساك ياموت ! عهدناك ياموت عاتيا قهارا عهدناك
ناقدا حريصا ولكنك اليوم اشد حرصا واكثر عتوا فقد عدوت على سعد ولم
توفر عظيما ولم ترفق بآمال امة وكدرت صفوها ولم ترحم

ولقد نشأ قعيد مصر وبهجة عزيزته مما وبجزمه ارتفع وبرز سعد وكان القائد الكبير وكان الزعيم المحبوب وكانت نفسه تفيض بالحب لمصر وكان لا يفتزع عن ذكرها ولقد استعالت كل خلية من خلايا جسم سعد إلى قوة وحزم وعزم فكانت مضدرا للخير ومنبعا للحماسة والاقدام وكانت صفاتك ياسعد متفرقة ترفع الرجل إلى أكبر مكانة فإذا كان الرجل امينا وقهوا به وقلده امورهم وإذا كان صادقا نزيها احتكموا اليه وشاوروه في شؤونهم وإذا كان خطيبا وقروه وتفقدوه في اوقات الشدة وإذا كان عذب الحديث اقبلوا عليه وإذا كان ذكيا لييا رفعوه إلى ما يستحق وقلده زعامتهم تلك هي بعض صفاتك وشمالك متفرقة ذلك هو اثرها على الاشخاص

فكيف بك وقد وهبك الله اياها جميعا ؟ فكنت الصادق الامين وكنت الوفي التزيه وكنت القاضي العادل وكنت راجح اللب حتى الوجدان وكنت الخطيب البليغ وكنت الكاتب الاديب وكنت ثابت الخلق والمبدأ والعقيدة وكان حديثك العذب نافذا إلى القلوب يملأها شغفا وأعجابا وكان يشع من عينيك نور يسحر النفوس فتعزوا لك الجباه العاتية وكان لطلعتك مهابة وقوة تفرض الاعجاب والاجلال وكان لك ياسعد الاثر الخالد المتين في كل ناحية من نواحي النهضة وكان صارم في الحق لا تأخذه في دين الوطن شفقة ولا رحمة تنزهت عن الغايات ولم يشغلك عنا نعيم في الحياة وكانت الشدة والمكاره تزيدك بأسا واقداما — فلم يزعزعك نفي ولا اعتقال وبقيت عقائدك سليمة راسخة

ثمان سنوات متواليات كلها مغالبة . ونضال . وكلها بذل وتضحية . وجهاد مستمر . ونفي واعتقال . وكلها أهوال وعناء . انها صفحة قهية خالدة . انها المثل الأعلى للنبوغ . انها الآيات البيّنات . ولم يقعدك عن التفكير في مصر سوى الموت الغادر الطاغى . فتركنا ومصر نتجتاز الظروف العصيبة الرهيبة . فهل فطنت وأنت تردد صوت القضاء الحاسم بقولك (أنا انتهيت) هل فطنت انك انتهيت قبل

ان تنال مصر بغيتها ؟ وهل فطنت انك انتهيت ومصر تجتاز أخرج أوقات الشدة وأدق الظروف ؟ . وايت مصر استقرت باخلاصك على قرار تطمئن اليه قبل الرحيل ! ولينك ياسعد جوزيت عن جهادك وما تحملته في سبيل مصر بحل تطمئن اليه قبل الرحيل ! وهم يزعمون ان سعداً مات قرير العين . فقد بلغ المجد والرفعة وانصوى تحت لوائه البلد الامين . ولكنني اخالفهم وأقول لهم ان نفس سعد العظيمة متشعبة المطامع لا تكترث لما يوجه لشخصها من تقدير وتكريم ولا تهتز لغير ما يصيب مصر من نصر وفوز فهل فازت مصر بما هيأته لها ياسعد بجهادك ؟ وبما كابده من عذاب وعناء ؟؟ — كلا فما أقساك ياموت وهل كنت تظن ياسعد وأنت تردد صوت القضاء الحاسم بقولك (أنا انتهيت) هل كنت تظن الى ما يترتب على رحيلك من خسارة تحيق بمصر ؟!

ان خفوت صوتك ومصرأكثر حاجة اليك أشد هولاً من الموت ! وكنت احسب ان حزني على امي أجمد نوازعي فلن أكثرث لخطب مها عظم ولكن موت سعد وقع على وقعاً أليماً فما زلت أنتحب وأتوجع وما زالت رأسي تتصدع بمجد مريب هي السهام الفاتكة حتى أصابني ما أعياني عن الكتابة وعز على ان أعجز عن توديع سعد بكلمة وكم ناجيته وهو حي وكم أحبيته وكنت أعرف عن بطولته حديثاً عرفني به قبل ان تعرفه غيري من الفتيات

وكانوا يحجبونك عنا ياسعد ويحيطون بينك بسور من نار ويصوبون المدافع علينا وكنا نقتحم كل هذا ولما نكترث لشيء في سبيل رؤيتك والوصول اليك ولكننا اليوم أمام أمر لا مرد له وليس له من دافع فخرجت أشيعك الى مضجعتك الاخير فكان كل ما على الارض يبدى الحسرة والأسى وفي سقاحات مصر الواسعة يجتمع الناس ويسرون مطأطين الرؤوس بملكهم الجزع وكنت ياسعد باكية واجدة أسبح بتصوراتي بعيداً بعيداً فيرجع بي الخيال الى يوم عودتك من المنفى وكنا هائثات قريرات العيون وكيف كان الناس يلحون في طلب التذاكر

ليجلاوا أبصارهم بطلعة سعد وكانت صيحات الفرح والسرور تلك ياسعد أيام مضت
واقضت وكأنها أحلام أما اليوم فالكل بك حزين وكان موكب جنازتك مظهراً
من مظاهر الحب وصورة من صور نفسية المصريين وكان أبناؤك الذين يسبقون
بجثمانك الطاهر يمشون مشياً وثيداً واهمين وكأنهم يريدون أن يطيلوا الوقت
ليحتفظوا بك بينهم قليلاً ؟ أما هؤلاء الذين كانوا يمشون وراء معقد آمالهم فقد
كانوا يسرعون وتتدفق جموعهم ويخشون أن يحجبوك قبل أن يلقوا عليك نظرة
الوداع وقد سمعهم يقولون : مع السلامة ياسعد . ويح نفسي يا أصدقائي ؟ وهل
في الموت سلامة ؟ وهل في الفناء امن ؟ لقد ارتج عليهم القول وعجزوا عن تصوير
جنوة بأفئدتهم تضطرم واقترب أحد فرسان البوليس من المحتشدين ليبعدهم عن
الشارع فصدم غلاماً صغيراً فطلق الغلام يبكي ويقول بصوت مؤثر حزين (مات
سعد باشا فدوسونا بعده بخيولكم) فهل كان الصبي الجاهل يتطلع كما نتطلع جميعاً
الى كشف ما خفي من مستقبل مجهول ولما كنت لا أحتمل غير هذا القدر من
دموع وحزن فقد عدت من منتصف الطريق

ويح نفسي وماذا فعل بكم الاسبى وأنتم توارونه التراب ؟ اننى أتخيلكم وقوا
لا تملكون دفعا ولا اعتراضا ونار الاسبى تشتعل بين جوانبكم والرجل العاقل
يفالب لوعة الحزن كما كان يريد منا قبيدنا سعد انهم أشداء أقوياء ولكن الصدمة
وجيعة تحز في أكبادهم وتعتصر أفئدتهم وألبابهم فكيف يصبرون ؟ ان فراقك
ياسعد غصة تكاد ترهق لهوله الارواح فكيف لا يجزعون واستحالت مصر
بأسرها الى سفير يحترق بلظاه العيون فكيف يصبرون ؟ انه مصاب يلهب ادمغتهم
فكيف يتجلدون ؟

ثم انطلقت المدافع تدوى دوىاً منكرأ فادركت ان سعداً يتوسد مضجعه الاخير
وانه قد خفت الصوت الشجى وهوى النجم الثاقب الهادى ووقف القلب الرحيم وانطقاً
النور الذى كنا نستمع منه الصواب فسبحان من لا يموت وإلى الله المرجع واليه المآب

سعد زغلول

للطبيب الفاضل عز العرب على

بوى جدث من كان بالامس عظيماً يملأ العالم من قوله درراً ، ويبعث في الناس
من بيانه سحراً

ذهلت عقول الناس يوم نعيه ففدا سواء قدمها وعليهما
وجعت نفوس مشيعية من الاسى ولشد ماهاج الشجون وجومها
عادوا وقد واروه اصدق منزل حسرى فعادت القلوب همومها
ويهبج أشجان الحزين أنينه ويشير شجو النائمات نثيمها
لم تطمئن جنوبهم لمضاجع جرحى القلوب بمضهم تكليمها
ويح الليالى دخلت بيننا وبينه ، وويل نوب الايام حالت دوننا ودونه ، ولم
تبق لنا الا ما يرجعه المحزون من الانين والا ما يردده المفجوع من الذكري والحنين
مجد وعظمة وذكر خالد ، ذلكم أقصى ما يتمناه مجاهد في الحياة ، ولقد بلغ
سعد غاياتهم القصوى واستوى على عرشها جميعها فهل استطاع المجد والعظمة وخلود
الذكر أن يردوا عن سعد قضاء ؟ أو هل استطاع المجد والعظمة وخلود الذكر أن
يبعثوا فيه نفساً ؟ أو حتى ان يحركوا من نومه ساكناً ؟ كلا . . اذن ما المجد ؟
ما العظمة ؟ ما خلود الذكر ؟ لا شئ . . الا آثار أقلام الكتاب والشعراء والقول
ممن يصورون لنا الناس اظهلاً بررة أو ملاعين فجرة . . وفاق مشاعرهم وعلى نص
خواطرم . فما أعجز الدنيا عن تقدير العظماء الذين يجاهدون فيها والفضل الذى
يصلون اليه

على أم دفر لعنة الله انها لأجدر أننى أن تخون وان تخنى
خدعنا فيك المرض ، يا سعد كما خدعنا صرف الزمن فهياً الدهر لمصر يوماً

أسود استعرفيه حر الكبد وبرح فيه سقام الجسد . وسحت العيون دموعا كاللؤلؤ
خانها النظر فكاد الناس في دموعهم يفرقون

تعشت العظمة من صفرك ومن يتعشق العظمة يستهدف للهول والخطر فسجنت
بسم الوطن صبياً وطوردت في الحرية فتيا واعتقلت في استقلال بلادك شيخاً
أقصوه ملياً

عذبه فلم يلب فنفوه هو كالصخر قسوة أو أشد

فاستمالوه بالوعود ليرضى عجموا العود انما العود صلد

ثم أرادوا أن يقهروك على باطلهم فما طامنت لهم من نخوتك فاختصموك وأعلنوا
عليك الحرب وأرسلوا عليك جيشاً يحاربك وأنت فرد واستطالوا على بنيك
واستبدلوا فوقفت لهم ثبت الجنان وهزئت قوة يقينك بجيش له التثام وحشد فيا عجبا
كيف أحرز النصر فرد ؟

وواعجبا ياسعد كنت زعيم المطالبين بتحرير مصر وبلغت من ذلك جلالة
لا تطاول وسلطاناً لا يغالب ومجداً تنتهي اليه الآمال ؛ ولكنك كنت أسيراً
استعبده هؤلاء الذين تطالب باستقلالهم وتجاهد لتحرير رقابهم استعبدوك لأنك
كنت مفزعهم ولسانهم ومقلهم الذي يأوون اليه وسندهم الذي يعتمدون عليه
فما سرت الا احتاط بك الجموع ولا تحركت الا حشد حولك الجميع ولا تكلمت
الا أصغى اليك ألف مسمع ولا تأوهمت الا هتفت لتأوهك الضلوع حتى ولا اكلت
الا كانت مائدتك للناس ممرعاً ولا استراحت الا كان بينك لهم مرعاً . كنت
ملكاً شائعاً بين أمتك لصغيرها عليك من الحق ما لكبيرها وهذه منزلة من
العظمة تنتهي دونها مطامع العظماء اذن فمن يستطيع أن ينصح للامة فيك الصبر
والسوى ! والتفجع في رزيتك دواء نفوسهم والتوجع في مصيبتك شفاء أرواحهم
أصبح الناس يتلذذون بالحزن عليك ويمجدون في حرقة الحزن بز أفئدتهم
وبلج صدورهم . . . كلا . كلا . في غيرك ياسعد يجمل العزاء وفي سواك ياسعد يحلو

التصبر والبأساء

لهف نفسي عليك يا بطل الوادى وياناب أهليه ما أفدح الخطب فيك ! شر
من موتك ما نزل بنا بعد وأقسى من القضاء عليه ما تلاقى أرواحنا من عنت القضاء
أقد فضح الموت الدنيا ، نزلت معترك الحياة غازياً قاهراً وقطعت أيامه قائداً ،
ظافراً ، فأين فى الوطن جهادك ؟ وأين فى الحق صلابتك وعنادك ؟ وأين ما لبست
من العظمة والجلال ؟ وأين ما نفثته فى الناس من السحر الحلال ؟ وأين وقفاتك
للغاصبين ترعدهم رعداً ؟ وأين صيحاتك بالمارقين تهدمهم هداً ؟ .. قضى كل ذلك واحر
قلباه ، وأصبح أكبر عملك أن يقال عنك « وبعد ئذ مات . . . هنا توت رفاقه
واستكان جسده » . . .

أيها الناس ، ليست الحياة حلماً ، فلا تحسبوا عظماء لجلالته فما ذلك الا من
خدع الحياة تأملوا تبصرون وما تسمعون وما تعملون ثم اعرضوه على الحقيقة لا
تجدوا له طيفاً ولا تحسون له الاخيالا

كان سعد بطل الشرق أيقظه من رقدته ودوى صوته فرج الغرب وسكن من
حدته وجعله يلتفت لمصر يحسب لها حساباً وكذلك البطل ينير الضجيج ويعج
العجيج ويملا الدنيا غباراً ودخانا فأين نجد هذا البطل الآن أطلبوه كتاباً تقرأوه
أو تاريخاً تدرسوه واحزنوا عليه حزناً كطول الدهر اذا مضت أوائله عادت بالأسى
أواخره . أطلبوه من أفواه الشهرة ذكراً وقلسوه على لسان الصيت خبراً أطلبوه
فى قوافى الشعراء ومقاطيعهم وقلسوه فى ترسل الكتاب وأساجيعهم فان سعداً مات
ولله وحده البقاء

نصح الزمان وانما	لم يلق من متسمع
واهاً من الدنيا تفر	وليس فينا من يعي
هل بين آدم والزمان	قديم ثار مفرع
يقضى على أبناءه	ويصيب قلب الاروع

يا دهر روعت النهى ورميت خير ممينغ
رشت السهام الى القلوب ورحت غير مروع
وظوت يداك صحيفة نشرت هداة المجمع
أنقى الصحائف ما طو يت بفعلك المستبشع

* *

من للكتابة والمنابر ان دعونا يسمع
من للمبادئ حرة يدعو حميد المنزع
يقف المواقف جمة فى الحق غير مزعزع
أقنعت كل مساجليك وما تركت لمدع
علمتهم أدب الجدال بكل لفظ ممتع
فى مدلمات الشدائد كنت آمن مفزع
ان غاب أفق الحادثا ت سلكت أبين مهيع
حلت حياتك من كنا ب بالحقائق مترع
نم هادئا فالعهد عند الشعب غير مضيع

الى سعد

للتائب المحترم عبد السلام بك فسهى محمد تائب التوفية

اليك ياسعد أيها الخالد الاثر على الزمن. نجدد الايمان والعهود على اتباع تعاليمك
والسير على منهاجك حتى نستقبل ما بدأت به من بناء استقلال هذا
الوطن العزيز

اليك فى تلك اللحظات التى تكاد قلوبنا تطير من بين ضلوعنا حزنا عليك

نمد ايدينا بمجدين العهود والمواثيق معتقدين ان في هذا اطمئنانا لروحك
وتخليدذكرك

سنقف جنودا كما كنا في حياتك نتلقى الوحي والالهام من روحك التي لن
يقر لها قرار حتى نعلم حق العلم انها تركت في هذا العالم جندا وخلفاء ساهرين على
تحقيق امانيتها لهذا الوطن العزيز
الا انتظمن تلك الروح الطاهرة عالمة انا لن نخلف عهد السعد وانا لن ننسى .
سعدا ما حيننا وانا سنعمل على رضاه وليس رضاه الا استكمال ما بدأه هو من
نخار وارتفاع لهذا الوطن العزيز
ياسعد !

لقد فارقتنا في وقت كنا في اشد الحاجة الى قيادتك ولكن غايتك معلومة
وخطتك مرسومة فسننتبع خطتك حتى نصل الى غايتك
سنقتفي اثرك فنخلد ذكرك وما هذا التخليد الا بالاخلاص في العمل لخلاص
هذا الوطن العزيز
وانت ايها الوطن

لقد اعزك سعد وجعل ماله ونفسه وحياته فداء لك ومنسبر على منهاجه
فنجعل كل ما نملك والروح فداء لك
سنقف صفوفنا متراصة متحدين مستميتين في الدفاع عنك حتى لا توجد ثغرة
بين صفوفنا ينفذ منها من يريدك بسوء
كفأك ايها الوطن ان يولد فيك سعد ويتقدم ببنك مضحيا بحياته في سبيل
مجدك حتى يتقدم الكل مؤتمين به

لن نجد الغيرة في قلوبنا حملا الا في التسابق الى تمجيدك واعلاء شانك
سنعمل ما حيننا على خلاصك ورفعة شانك كما عمل سعد حتى آخر نفس
له في الحياة

سيكون مبدؤنا ما بقينا « الاستقلال التام » او الموت الزؤام »
وسيكون نداءنا ما بقينا في هذا الوجود لتحي ذكرى سعد . ليحي الوطن

المدينون بأعمارهم وحرثهم لسعد

للكتاب الحفوي منى غيره الشنناوى

اذا حزن الناس على سعد لانه تقدم صفوفهم يدفع عنهم العادية ويلقى
بصدره الرحب ما يصبوب اليهم من مكاره وشرور حتى خر صريعاً في سبيل الله
والناس . ففي هذا البلد أناس يدينون لسعد بأعمارهم وبأنفاسهم التي تتردد في
صدورهم وبالضوء الذي يتماوج في أعينهم فيصل ما بينهم وبين الافق الشاسع
الطلق بعد ما كان الاستبداد يطن عليهم في السجون حتى بفراغ يسمع ما بين
منكبيهم وأحاطهم بظلمة يستوى فيها الاعمى والبصير

فتحت لنا أبواب السجون ياسعد ووقفت ماداً ذراعيك تتلقانا على رقائق
صدرك . ولن ننسى ما حيننا هذه الدموع البريئة التي تناثرت في أول يوم رأيتنا
بعد الافراج ولا هذا الصوت العميق الرنان الذي يغمر سامعه بما فيه من حنان
واخلاص وهو يقول « كفى . كفى انتم . فقد حلتكم أكثر مما يجب » فها كنت
أكثر اشفاقاً على نفسك منا فأبقيت عليها ولم تقتها وأنت لاه بالناس عنها وكأنما
خلق الله لك نفساً لتهبها للناس وتكون فيها من المسرفين

أخرجتنا من مقابر الاحياء فياليت أنا نملك لك اخراجاً من قبرك وأن
نعطيك ما وهبتنا أباه من أنفاس الحياة . ونرد الى عينيك ما وصلته باعيننا من
ضوء ونور . ونعطيك من قوتنا التي بثتها فينا بعد ما كادت تتلاشى قوة في
جسدك الفاني

ولكن الموت لم يكن لملك الا الخطوة التي يرتفع به الى عرشه الابدى
والرجفة التي يرخى بها عن نفسه شطرها الدنيوى . فيصبح بعد ذلك حياة خالصة
ومعنى خالداً . ولانت في مماتك ياسعد أعظم منك فى حياتك . وسلام عليك يوم
تموت ويوم تبعث حيا

لجنة السودان

للأستاذ السودانى محمد الرئيس سقاه

أنا ترجمان العواطف السودانية المخلصة لمصر الام الرؤوم . وأنا رسول تلك
العواطف الفدائية التى استصغرت الشدائد والعذاب فى سبيل مصر . واستعذبت
الألم وابتسمت للحنف والتنكيل من أجل عروس النيل الجميل
لا أحدث عن الماضى . فلماضى أمره موكل الى التاريخ بحكم فيه بما شاء
وما يشاء التاريخ الا حكما عادلا تسود فيه وجوه وتبيض وجوه
ولا احدث عن المقل وأيام المقل . ولا عن السجون وليالى السجون فالمقل
والسجون سيشهدان فى صحائف التاريخ ان المعتقلين والسجناء فى السودان من
أجل مصر والسودان كانوا ولا يزالون فتية من أولى العزم والبأس لا تنهم
الاغلال ولا تفل من غربهم السلاسل والاقفال

ولكن احدث الايمان القوى فى الامة المصرية الفتية بذلك الزلزال الاليم
الذى صدع عواطف ضحايا الحرية السودانية المصرية وهم آمنون مطمئنون قانعون
من العيش بالكفاف ومن الطرد والتشريد والبعد عن نساءهم وأطفالهم بالذكري
ان كانت الذكري تسد الرمق أو تزيل العوز والاملاق

أحدث الايمان القومى المصرى عن الايمان القومى السودانى الذى تصدعت

أركانها لنعى سعد ونحن في السهرة فولت العقول وذهلت وازرقت العيون الدموع
السخينة وكاد أبطال الوادي المقدس ينكلون بالناعى ويسحقونه سحقاً لاستنكارهم
النبا واستبعادهم ان الموت يجبرونه بجرؤ على أن يمد أصابعه الى سعد وما سعد إلا
أمة بقضها وقضيضها وشعب ناهض متوثب تدفعه الى الامام همة تواقه الى الحرية
وعزمة مضاءة الى اعتلاء عرش العزة القومية

انكر أنبياء الوطنية في السودان وأنكرنا معهم النبا فهرعنا جميعاً الى البيت
الذي أصبح في الشرق كعبة يحج إليها الحادي والبادي ومنتدى ينتججه القاصي
والداني ومثابة للناس وامناً يجدون في باحتها الرأي الاصيل والقول الجميل
دهش صحابتي ودهشت وذهلوا وذهلت وبكوا وبكيت باسم الزعيم الجليل
وناديت ولكن لا سميع ولا مجيب

وكيف يسمع النداء ويجاب الدعاء في بحر لجى من الانفس الحزينة الواجعة
المكتئبة واللجيج النادب والضجيج الصاخب وكيف وقد حم القضاء ومات
ليث الشهباء وألجم ذلك اللسان الذرب . وأسكت ذلك الصوت الذي كان يرن
في أجواء الفضاء ؟

وما كان سعد هلكه هلاك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما
ليسوا جديدين في اخلاصهم لمصر وولائهم لها اولئك السودانيون الابطال
فكم أقاموا الحجج الساطعة والبراهين القاطعة على محبتهم لمصر وولائهم للمليكها
ورئيسها . وكم كانوا يتناحرون على الصحافة المصرية ساعة وصولها للمكتبة بالخرطوم
وهم يرددون كلماتهم المحزنة المبكية أخبار أئتنا سعد ورئيسنا الجليل أى قلب لا ينفطر
عند قراءة وفاة الرئيس الجليل ؟ ؟

ولكن لك الله يا مصر ! . ولك الله أيها السودان القطر العزيز المحبوب .
ولكم الله أيها الابطال المقاديد . وفيتم لمصر وللرئيس والنيل حتى النفس الاخير
من أنفاس الزعيم الكبير

انكم تبكون بطلا كبيرا . وندبا عظيما . وهماما جريئا مقداما وقائداً خبيراً بصيراً محنكا . ورجلا لا أقول لكم كما قال من قال قبلي والرجال قليل . فان سعداً مات وترك مساعيد كثيرة . وأبطالا عديدون لا يقولون عنه ايماناً بحق مصر والسودان والنيل . ولكن أقول لكم اننا قدنا بقصد سعد الزعيم الاكبر ذلك الهمام الذي عناه الشاعر بقوله : —

همام لو السبع الطباق تطابقت * على قض ما يقضيه من حكمه الجارى
لنكت من أبراجها كل شامخ * وسكن من أفلاكها كل دوار
ولا نشرت منها الثوابت خيفة * وعاف السرى في سورها كل سيار
وقدنا بققدانه حكماً كبيراً وسياسياً محنكا أعاد للعالم عهد ذلك الذى احتفظ التاريخ بذكره وجاهه في بعض مناقبه : —

ومعضلة دهماء لا يهتدى لها * طريق ولا يهدى الى ضوئها السارى
تشيب النواصي دون حل رهوزها * ويحجم عن اغوارها كل مغوار
أجلت جياذ الفكر في حلياتها * ووجهت تلقاها صوائب أنظارى
فأبرزت من مستورها كل غامض * وثقت منها كل قسور سوار
أيها المصريون وأيها السودانيون :

لقد ترك لكم سعد رجالاً أشداء فيهم ما فيه من الاخلاص للوطن . والغيرة على سعادة النيل فاجمعوا أمركم وولوا خياركم ولا تولوا شراركم . وكونوا كالانجليز وهم أرقى الامم في وطنيتهم وتعظيم شأن كبارهم وقادتهم يدفنون اعظم عظيم فيهم ثم ينصرفون الى انتقاء من يخلفه على عرش العظمة والرياسة غير مختلفين ولا منقسمين وليكن أبطال مصر أمامكم . كلهم سواء

سيروا بنى وطنى سيرا حكماً متبداً غير متورطين ولا مندفعين فالخطب جلل

أحقا مات سعد ؟

للكاتبة الفاضلة محمودة مجلة روزا ليوسف

لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وشاع الخبر في الناس تعاظم الامر
عمر رضى الله عنه فانتضى سيفه وقال : من قال أن محمداً قد مات علوته بسيفي هذا
وأسرع أبو بكر رضى الله عنه الى المنبر فخطب الناس وقرأ قول الله تعالى . « وما محمد
ألا رسول قد خلت من قبله الرسل . أفأن مات أو قتل اقلبتم على اعقابكم »
الآية الكريمة ، فقال عمر والله لكأنى ما سمعت هذه الآية ألا الساعة !
لم يكن عمر يعتقد أن رسول الله خالد أبداً الدهر ولا أنه من الموت بمعتصم
ولكنه الروع وهول الكارثة . ومن الكوارث ما يذهب باللب ، ومن الكوارث
ما يزلزل اليقين .

ولقد أصبح الناس يوم الاربعاء لا طلعت شمس فيطلع الناعي على جماعاتهم
فلا يصدقونه . أسعد يموت كما يموت الناس ؟ أسعد يدفن في التراب كما يدفن
الناس ؟ لا ! لا ! . هذا لا يتصور العقل ولا يتسع له الذهن واذ تكرر النعي
وترددت به الالسن هنا وهناك عم الناس ذهول أى ذهول وغشيم من الهول
ماغشيم فكنت لا ترى الا أبصاراً زائفة وأفواها مغفورة وشفاهاً متقلصة والسنة
معمودة وأنفاساً تتردد في الخلق دراكا . « سعد مات » !

بطل مصر وقائد نهضتها ؟ وحامل لوائها الى استقلالها ولسانها الناطق بحجتها
وقلبها الخفاق بحقها ورجاؤها في الحياة اذا انقطع الرجاء وأملها في الفرج اذا اشتد
الكرب واستحكم البلاء كل هذا يموت في لحظة واحدة ثم يدفن في قبر ثم يسمى
خبيراً من الاخبار ؟؟

اللهم أنه لا تقبل أذهان الناس هذا ألا اذا جنت ولكن سعداً مات فجن الناس .

وارحمته يا سعد أطف على أبنائك بروحك العظيم ترى في كل دار مناحة
وفي كل طريق مأتما وفي كل عين دمة وفي كل قلب لوعة
أطف يا سعد على الناس بروحك الكريم وكفكف دموعهم وخفض من
أحزانهم وأدخل العزاء على قلوبهم ، فقد تعودوا ألا يطيعوا في الناس إلا سعدا
وألا يسكنوا إلا بكلمة من سعد .

أطف يا سعد على الناس بروحك الحكيم وقل لهم كيف يصنعون بعد اليوم
في قضية بلادهم وإلى أي طريق هم سائرون ، فقد تعودوا أن لا يهتدوا إلا بهداك
ولا يمشوا إلا على ضوء سنائك ، وأن لا يجهدوا في تدبير فقد وكلوا تدبير قضيتهم
بعد الله اليك فحدثهم يا سعد بعد اليوم كيف يصنعون ؟؟

تركنا يا سعد والافق حالك والطريق شائك وأمر البلد في كفة الميزان فهلا
لبثت حتى أبلغتها شاطئ السلامة وكفلت لمستقبلها الأمان ؟

مارضيت يا سعد أن تدعنا قبل أن نحقق ما استودعناك من آمالنا ولكن
أرغمك القدر فليس لنا إلا أن نحني رؤوسنا تسليما بما فعل القدر .

وارحمته لنا ! أهذا ماجرى به علينا القلم ؟ أهذه هي الغاية التي أرصدها لنا
القدر ؟ أهكذا يعصف الدهر بآمال أمة من حيث لا نحسب ؟

اللهم كما قبضت منا سعداً فأنشر علينا رحمتك ، ودبر أمرنا بحكمتك ، وأنر
الطريق بين أيدينا فلا تضل أحلامنا ولا تزل أقدامنا وألف بين قلوبنا حتى
نسير إلى غايتنا صفاً واحداً يقوده روح سعد كما كان يقودنا في الحياة سعد

اللهم ارحم سعداً بقدر مصيبتنا فيه ، وارفع درجته عندك كما رفع أمته في
خلقك ، وزد في أجره جزاء ما بذل لقومه مما لا يلحقه الوصف ولا يرتفع إليه
الحساب . آمين .

هذه دموع...

للطبيب الاديب محمد الفكاك

من الذى يستطيع وصف الملع الذى أصاب البلاد من وفاة سعد زغلول ،
وكيف يوصف الحزن الذى أهرق دموع الرجال والنساء والشيوخ والعجائز وحز
اكباد الكل فلم يستثن الاطفال الذين قرب عهدهم بالكلام

من الذى يصف هذا الهول بأبلغ من هذه الصفحة الفاجعة الالهية التى كتبها
الامة عند توديعه ، تلك الصفحة التى كانت الرجال والنساء حروفها والاطفال نقطها
والبكاء والعويل والجزع والذهول معانيها وقد اجتمع الشعب كله فى العاصمة فضاقت
به الميادين والطرق وتعذر على كل انسان قويا كان أو ضعيفاً ان ينقل قدمه الا من
كان مدفوعاً فى تيار الموكب سائراً الى المدفن

هكذا كانت الجنائز وقد ابتلع الشعب الحكومة فكان الموكب الرسمى الكبير
الفخم المهيّب كالموجة فى البحر العجاج ، وكادت الجماهير تبحن من الحزن فاقضوا
على النعش خمس مرات ليحملوه عن عربة المدفن التى كانت تسير به كالتقارب الصغير
فى ذلك البحر الخضم

واختلطت الازياء ، فتكون من العائم والطواقى والطرايش والقبعات المتناسية
من الزحام بساط كانه ملطخ بالدم والذين لم تسعهم الطرق يكادون يكونون حجارة
تسد نوافذ الدور وشرقتها والبكاء يشق عنان السماء وتلبست روح الالهام بإبدان
العامة فأنطقها الاسى بالقول البليغ فكنا نسمع مالم يقدر على مثله فحول الشعراء من
الرثاء فى الالفاظ المرتفعة مع الزفرات من أفواه الدهماء ولولا ما شغلنا الاشتراك من
فى التشييع والاعوال لدونا الشئ الكثير

وماذا بعد بكاء الاوربيين فى الشوارع والميادين من أثر المشهد فى النفوس

وما يعلو من الضجيج عند مرور النعش
الوداع ياسعد ، في ذمة الله ياسعد ، الى الفردوس الأعلى ياسعد وأشرف
بروحك من السماء لترى ما فعله فراقك بالبلاد
نسى الامراء والوزراء مقامهم بين الجماهير ياسعد فرفعوا أصواتهم بالنواح
واختلط شهيق الامير والوزير بزفير الشرطي والخفير وصاحوا وصاح الناس معهم
عند باب الضريح

وهل في الارض نفس تهوى على شهود هذا الموقف من غير ان تفيض أسى
ولوعة وحسرة على الامة وهي تكلى لا تدري أمات أبنا أم أبوها ؟
أشرف على مصر من السماء يا روح سعد وانظر الى المآثم القائم في
الشرق كله

ليس مآتمك ياسعد في مصر ، انه في مصر وسوريا والعراق والهند وفي طرابلس
أومرا كش والجزائر والريف ، بل في أوروبا بل في أمريكا ، بل في كل مكان فيه
شرقى ، بل حزنت عليك الفرنجة العارفون باقدار العظماء وحملت الرياح الينا
أنفاس رثائهم من وراء البحار

سلام الله على سعد ورحمته وبركاته ، نيكية وبكاؤنا عليه بكاء على أنفسنا
ألم تصبح مصر بعده أمّا تكلى هو ابنها البار وبنّاً يتيمة هو أبوها البراءة وف ؟
من هذا المصاب فليتعلم الناس الحزن ، والويل للبلاد من بعد هذا الرجل اذا
ذاقت ذل اليتيم وكرب الضعيف الذي ذهب عنه الغوث والعون

* *

... اللهم لا حول ولا قوة الا بك ، ويأيتها الناس قد مات سعد ولم يمت روح
سعد ، انه بيننا نراه في تاريخه وفي أقواله وفي صورته ، وفي قلوبنا التي ملأها ،
فليكن ما نتلوه من أقواله في المحفوظات ملء أسماعنا بصوته الذي لا نسا ، ونستشر
ذكره في كل عمل ان ذكرى العظيم كصاحبها وان الذكرى تنفع المؤمنين انظروا

الى صورته وتذكروا ما كان يفعل وما كان يقول واقتصدوا به وأطيعوه كما كنتم
تطيعونه قبل أن يلبي دعوة الله

اللهم قد ارتجفت يدي ولم يبق لي من القوة ما أجمع به بين التفجع والكتابة
للهم تعد سعاداً بما هو أهله من الرحمة والرضوان ، في ذمة الله ياسعد ، الوداع ياسعد

الى الخلود

للكتابه السيره اسر فسرهمي وبها

فجعت الامة في موت رئيسها فكان لهذه الفاجعة رنة أسمى لم يسبق لها مثيل
فالامة تبلى وتقطر على سعد دموعا هي دماً ، وزفرات تفيض عن قلب ملؤه الاسى
والكنها ليست دموع اليأس والتمنوط فمثل سعد لا يموت فهي تعلم أن من جاهد
وبذل حياته في خدمة المجموع قد زرع مبادئه زرع الخلود فاذا كانت حياتك
ياسعد جهاداً فان في مماتك في خدمة هدم البلاد حياة . فاسكب علينا من روحك
الطاهرة ونفسك العظيمة قوة وأوح إلينا من ذكراك وحياً ومن خلودك عنواننا
فاننا نعاهدك ان نسير على مبادئك ونحرص على الوديعة التي تركتها . فاذا نجحنا
جنينا ثمار عملك واذا فشلنا فالحياة في سبيل الوطنية رخيصة وسيجاهد من
يخلفنا جهادك فاننا على عهدك أمناء ومنراك أمامنا قائداً لنا . ومنك نستمد
قوة وروحا

فالى الخلود ياسعد

وعلى مثلك سيروا يا أبناء الوطن

في ذمة الله ياسعد

للرياضي البارع مبرهنه

لم تكن « النهضة الرياضية » الا ضلعامن « النهضة القومية » . ولم يكن زعيم الاخيرة الا زعيما للاولى . لهذا كانت الرياضة تتكىء على سعد ، ولهذا كانت الرياضة تدخر روح سعد

واذا ذكرنا مواقف الزعيم الجليل في الرياضة ذكرنا له تلك البرقية الرقيقة التي ارسلها وهو على رأس الحكومة والامة سنة ١٩٢٤ الى الوفد المصرى الاولمبي في باريس . واذا ذكرنا له غير ذلك ذكرنا بطولته على الشباب وهو كهل ذكرنا جرأته ، ذكرنا صراحته ، ذكرنا ايمانه الصادق ، ، ذكرنا عزيمته ، وكل هذه صفات كان فيها المثل العليا والقائد المطاع ، وكلها صفات تتعدى منها الرياضة وتعتمد عليها في تربية الاجسام

مات هذا الجندي الباطش ، والاب الحنون ، والابن البار ، والقائد الحكيم والمحامي المتضلع ، والقاضي العادل ، والوزير الخطير ، والسياسى الداهية ، والرئيس الجليل

ففي ذمة الله ايتها المجموعة القوية وايتها التاريخ الفاخر ولتقبل الامة عزاء الرياضة والرياضيين عوضنا الله جميعا فيه خيرا .
والى اللقاء الى اللقاء ياسعد



الى حرم الرئيس

مره جناب مسيو بيولا كازيللى (١)

صورة الكتاب الذى بعث به لحضرة صاحبة العصمة حرم الرئيس الجليل

سيدتى

أقدم اليك بقلب ينفطر أسى عزائى عن مصابك الجلل بوفاة المغفور له

سعد زغلول باشا

وما أنس لا أنس تلك التسعة الاشهر التى كان لى فيها الشرف الا كبر بالعمل
فى كنفه كمستشار ملكى لدولته . ففى خلال هذه الفترة استطعت أن أعرف ما
لشخصيته الجذابة من سحر أخذ بمجامع الافئدة وان أقدر نفسه العالية الكبيرة
وبصيرته النافذة العميقة ، وان أدرك احترامه المتناهى للقانون وتفانيه فى محبة كل
ما هو حق وعدل غير متأثر بشئ من الاعتبارات الشخصية الطائفية أو الجنسية
وكنت اذا اشتدت أزمات السياسة وازبدت أجواؤها أعجب منه أيما
اعجاب بسمو نفسه وعظمتها وباطمئنان روحه ، ذلك الاطمئنان الذى مرجعه ايمانه
الراسخ بمستقبل وطنه والذى كان يسمح له بأن يتقبل منى نصائح رجل القانون
مهما كلفه ذلك من التضحية الشخصية

فلا غرو أن يكون قد هذا الرجل العظيم خسارة فادحة لك ياسيدتى ولمصر
على انه اذا كان سعد قد مات فان شخصيته لباقية بل عندى ان شخصيته

(١) اشتغل مسيو بيولا كازيللى فى منصب مستشار ملكى للحكومة
المصرية مدة طويلة وكان رئيسا لاقسام القضايا ومستشارا ملكيا لمجلس
الوزراء مدة تولى المغفور له سعد باشا زغلول رئاسة الوزارة . ثم اعتزل
الخدمة بمصر وتولى وظيفة مستشار بمحكمة النقض بر وما

الان وقد غشيها جلال الموت الذى من شأنه أن يعنى من قائص الطبيعة
البشرية فتتورع عن مساوئ هذه الحياة الدنيا — لن تزداد على كرايام الا
نمواً فى قلوب المصريين وعواطفهم

وكذلك يا سيدتى ، أنت التى كنت له فى حياته ذلك الرفيق النبيل وستظلين
بعد موته باقية معه ، باقية له

وتفضلى بقبول أسمى عبارات الاحترام

من الخاضع المخلص
بيولا كازيللى

الى أم الشعب

للكاتبة البارعة السيرة بلسم عبر الملك

تفطرت أكباد الامة وسالت مدامها مدراراً وبلغ الخطب والمصاب أقصى
أمد من الحزن والالم حتى خيل لكل مصرى انه قد مضى ولكل حى من أبناء
هذه الامة انه اصبح لا يرى ولا كائناً فى هذه الموجودات كلها غير أحزان
تضرم الاحشاء وتذيب لفائف القلوب على هذا العلم الخفاق الذى طالما رفرف على
هذه الامة وعلى مجدها وحمل لواء النهضة فى هذه البلاد فاشهدا أول بارق من
استقلالها بعد ان كانت ترسف فى اغلالها

ولقد كنت أيتها الام العزيرة الغالية أكبر عون لزعيم مصر على ما قام به من
نهضة فى تثبيت قدم الحق وتشديد منار السعادة القومية لقد نفى سعد وشرد أرض
مصر ومماثها فكنت أنت القبراس الذى يستضىء به فى ظلمات الحياة وكنت
الدوحة المورقة الفيئانة نقيء اليك ونطقيء تحت ظلالك مايلم بمشاعرنا ونفوسنا

جمره الوجد وسعير الاسى على غربة زعيم هو كل مافى الاقنعة من أمل وفي النفوس
من رجاء

وقد شاء القدر الغالب ولا مرد لحكمه ان تصدع جوانب البلاد بهذه
الفاجعة المؤلمة وان تغرب هذه الشمس الوضاعة المشرقة احوج الى ما كنا الى
الاستنارة بها في ليالى الخطوب المدممة

وما كانت هذه الفاجعة في رجل ولا في رجال بل هي فاجعة في أكبر بنيان
وأعلى عماد

على انى اذا عزيتك انت فمن اين العزاء لنا والخطب يكاد من هوله يذيب
النفوس اكدارا ويظلم وجه الحياة ليلا ونهارا

انك شريكة سعد ومعينته في ميدان جهاده المبارك . وانت التي كنت تعلمين
الامة دروس الصبر واليقين وهو في منقاه فلتكوني انت مرآة سعد التي نشاهد فيها
بطولته ومجده الاثيل صباح كل ومساءه فيهدأ روعنا وتطمئن قلوبنا ونعلم ان حكمة
القدير ستمد لنا في حياتك وتبارك أيام نهضتك لترفعى عنا الاسى وعن هذا
الشعب الذى سيقم الوفاء في قلوب ابناؤه واحفاده أكبر تمثال من الحب والاخلاص
يبقى مسجلا على جبهة الدهور لابناء العصور

ان سعدا هو كلمة الحق في فم الخلود يبقى محمولا الى الاجيال المتعاقبة ليكون
انشودة عذبة تنهض الناشئين والناشئات كما كان سعد كذلك وسيكون اسمه أبدا
فهو الذى اختط لامته المثل الاعلى والحكمة البالغة وقادها الى الصراط السوى
وهو يزدري جلائل الخطوب وكوارث الارزاء حتى أصبح وله في أمته وابناء وطنه
منزلة الروح من الجسم والحياة من الروح .

ولقد كان يوم قهده اكبر زلزال تفجرت منه ينابيع الملقى في هذه البلاد من
أقصاها الى اقصاها ومن منبع النيل الى مصبه وكان في كل قلب مائما وفي كل
قطرة من الدم امواجا من الثوب القاسية والكوارث الشداد حتى الاطفال الذين لم

يبلغوا سن الهموم والاحزان وفي الحقول البعيدة حيث صمت الحياة وهنوئها . كان الضجيج هناك ينشر اعلام الحداد ويكاد يبدل بياض النهار بليل السواد وكان الجميع لا تفرقهم قوة كأن الصبر لم يخلق ولم يعرف الناس له اسما ولا رمما . بل كأن كل حي قد فقد الحياة ذلك كله بعض الاعتراف الواجب تندفع اليه كل نفس من مكتوبات سرائرها وتسمو اليه الضمائر بما عله سعد اياها وغرسه بها

والآن لم يبق لنا الا قلبك الرحيم وعطفك الكريم
انت انت التي شاهدت جلال الموقف ولكن صبرك أجل وعزيمتك اكبر
وانت التي تلجأ اليك أن تكوني اول من تضع السنة الحسنة في طريق حياتنا
المستقبلية وعلى علينا اكبر آيات العزاء
وأنا لنأمل من التقدير بقاءك في عافية الحياة وامنها الى أن يبلغ بك الشعب
منه ويدرك من الخير أقصى مداه

آهات الاسى

للشباب الموديع المخلص الاخ محمود مسمه خليل

حمّ القضاء ونفذ السهم فلا مرد للقدر ولا لحكم الله
آه : مات سعد . وقد كنا أكفا مبتله وقلوبا داعية ونفوسا والهة ترجو برك
من سقامك . وانتصارك على مرضك ولكن شاءت قوة القهر أن تلبثنا ثوب الحداد .
وان تغير مسراتنا احزاننا وافراحنا اتراحا وهذا ما كنا نرهبه ونخافه
آه . . ما أتعب هذه الليلة الخالكة السواد . ليلة فراقك يامولاي وقد زلزلت
الارض وادمعت العيون واصيبت الرؤوس بالسوار ونزل بالعقول الدهول والغشيان
فأخذتنا الصيحة على غرة مذ نعاك الناعي

آه يامولاي . . انك في عالمك الروحي تنظرنا وها هو قلب مصر قد وقف
نبضه وعلها الخفاق قد سكن ومصباحها المنير قد انطفأ . هاهم الكل يامولاي
بالضعف بعدك يشعرون « اذكر سيك عظيم لا يملؤه غيرك » وسحر بيانك
مخلاب أنت مالكة دون سواك : ولئن برخطبنا فيك كل الخطوب فعزاء لقلوبنا
المكلومه ولعيوتنا الدامعة

أى مولاي : اين ثويت ؟ أفى الثرى وما عهدنا نجوم السماء تغرب فى الترب .
ام فى أى مكان ؟

خبرنى أيها الروح الطاهر وقد حرمت قبلة يدك ومتعة النظر اليك والاستماع
لرنين صوتك وجميل خطابك

حدثنى فلقد ذهلت يوم رأيتك فى طريق الخلود الى ربك
حدثنى وقد كانت روعتى اشد يوم ان اركبوا تمثالك سيارة الى المقبرة . ليزور
تمثال سعد سعداً

آه لقد كنت بارا بابناء مصر وفتياتها
فمن نصير الشباب الآن ؟ ؟ : ولكن عزاء لنا فيك أيها الرئيس
عزاء لنا فى نصير الضعفاء فى موحد الصفوف فى مؤلف القلوب
عزاء لنا فيك ياسعد

يامولاي لتطمئن فلقد استوليت على عروش قلوبنا فكنت مثال الخلود ومنار
الحكمة ومرجع الراى ومكان الاستشارة

يامولاي : لئن قضيت ومنع عنا شبحك فروحك تطل علينا
وسنتبع سنتك لانحيد عنها ولا نتحول . فرفرف علينا من عليائك ، واهدنا
سبيل الانتصار حتى ترقى مصر وتنال أمانها

صوت السودان

للأب الفاضل « عفا »

سيق نعي الزعيم الى السودان فكان في كل بيت حداد . دموع تسيل ،
وعيون دامية . بل وكل عرس فيه اقلب الى مأتم وكل جماعة نسوة ورجالا
فتيات وفتيانا شيبا وشباناً تبدل صفوهم كدرا . وامنهم همماً وغماً . وهدوءهم مناحة
وصخباً وضجيجاً

انهم هنا يتغنون باسم سعد ويرتلون له أناشيد المديح والحماسة . وكم أودوا
من اجلها فما سلوها . بل زادتهم الشدائد حباً وإيماناً وجهرّاً بالغناء والترتيل فكان
ما كان من زج أشباههم في السجون . ومن اعتبار تلك الاغاني والاناشيد من القضايا
التي حوكموا بسببها ورسفوا ولا يزالون يرسفون في القيود والاغلال غراماً بها
هل بين شعرائنا من لا يطأطيء الرأس اجلالاً لهذا الروح العام الساري بين
طبقات شعب السودان ؟ وهل لا يكبر متعلمونا مثل هذا الروح وهو روح الله
الناطق على السنة الامة السودانية المؤمنة . وهو صوت الله يندفع جهورياً عالياً
فيدوى في الاجواء كدوى الرعد فيز الاعصاب وتنخلع منه القلوب فتسرى في
النفوس والاجسام دعوة تنطق لسان كل من سمعه فاذا هو باك . واذا هو منشد
ومرتل وأسد هصور وثاب

للشعراء والادباء أوزانهم وقوافيهم وقواعدهم . أما الوطنية الحققة فأوزانها وقوافيها
وقواعدها الترنم بقداسة الوطن وابطاله على غير ضبط للقواعد والاوزان
فان مصاب زغلول في آخر لحظة من تحقيق آماله . ومصاب مصر في زغلول
في الساعة الحرجة الدقيقة قد ألبس البلاد العربية ثوب الحداد . فلبنان . والشام
وفلسطين وشرق الاردن والعراق والحجاز وبلاد المغرب وغيرها كلها في مأتم عام

لاعتبارها سعداً زعيماً لها لا زعيماً لمصر فحسب

ان النساء في السودان يصلين وراء الرجال وهن ينرفن الدموع الحارة على
سعد بطل الوادي الرهيب حتى اذا علا الصراخ واشتد العويل ووصل الى عنان
السماء ودوى التكبير والتهليل واختلط الامر واشكل الخطب فلا تستطيع ان تميز
الرجال من النساء

سعد

للمتاب الاديب محرم اللطائف المصرية

صعقت القلوب ووجعت النفوس واقبضت الصبور واختبست الدموع في المآقي
« ليل ٢٣ اغسطس المشؤوم » فقد زلزلت الارض زلزالها فهوى ذلك الطود
الراسخ وانذك ذلك الجبل الشامخ وانتقلت روح طاهرة زكية سامية للقاء ربها
حافلة بجلائل الاعمال والمآثر

روح كانت نادرة الوجود غالية ثمينة فيا لخسارة البلاد العظمى ويا لهول هذا
المصاب الجلل ويا للوعة مصر وحسرتها فانا لله وانا اليه راجعون

مات سعد نبأ جرح يقطع نياط القلوب نبأ مؤلم نبأ فاجاً وادى النيل فحوله
مأتماً ففي كل بلدة وفي كل عاصمة من حلقا الى ساحل بحر الروم حزن وخداد على
قد ذلك الزعيم الاوحد والبطل المفرد الذي جاد برمقه الاخير مستشهداً في سبيل
حرية مصر واستقلالها في سبيل مجدها وسؤدها وفي سبيل تبوئها المقام اللائق بها
بين الشعوب التي تنعم بحرية الحياة واستقلال العمل

ذلك الزعيم السيامي العظيم بل الجندي المغوار والبطل الباسل يسقط في حومة
الوغى رافعاً علم الوطن قد ظل يعمل بلا كلل او ملل على رغم شيخوخته وعلى

الرغم من ضعف جسمه واعتلال صحته فكيف لا يكون اسمه منقوشاً على صبور
أبناء وادى النيل وهم أول من يعترف بالجميل ويقر بالفضل بل كيف لا تعظم
خسارتهم فيه ويفدح مصابهم لوفاته وقد جاد بحياته وجازف بأثمن ما لديه ليحصل
لهم على استقلالهم وحريتهم

فهل من فاجعة أكبر من فاجعتنا اليوم

فأنا لله وأنا إليه راجعون

مات سعد

مات الأب الشفوق المحب مات الشيخ الحكيم والفيلسوف العاقل مات
السياسى الداهية الذى لا يقارع — مات الحضيف المصقع الذى لا يدانى مات
بطل مصر الجندى الشجاع الباسل الذى لا يقاوم

مات سعد فليكنه المصريون

فأنا لله وأنا إليه راجعون

سعد

للكاتب المحترم محمد صالح العرب

وأخيراً مات سعد رسول الوطنية فى الشرق ونبي الاخلاص فيه وشيعة الامة
التي نشأ فيها وترعرع فى ربوعها وورث عن فراعنتها عزة النفس ومتابعة العمل بلا
كلل ولا ملل جثمانه الذى ضم تلك الروح التي فطحت فى الامة المصرية معنى الحياة
ومعنى الحرية فهبت من سباتها العميق وحطمت السلاسل والقيود

انك يا سعد لم تكن زعيماً للامة المصرية فحسب بل زعيماً لجميع الامم الناطقة
بالضاد . لان مبادئك أثرت فى نفوسها وجعلتها تثور كالبراكين المشتعلة وأخذت

من الضعف قوة وابتدأت تقف ام خصمها وحاكمها وجباً لوجه تطالبه بحقوقها وبحريتها .

لقد اخطأوا شبهك ياسعد بنابليون . وشكسبير . وواشنطن . فنبليون لم يصل إلى ذروة المجد إلا بميادين الطعن والضرب ولم يأخذ الشهرة إلا بقتل النفوس وسلب الامم حريتها وتمزيق شملها . ولكنك ياسعد وصلت إلى ذروة المجد بالدفاع عن المظلوم ومواساتك المرضى والاخذ بيد الضعيف والنهوض بأمة حكم عليها الغرب بالخنول . اخذت الشهرة باخلاصك وتقانيك بخدمة أمتك وسهرك على مصالحها . وعدم مبالاةك في ذلك بالنفي والمتاعب

واذا اشتهر شكسبير بتأليفة وأشعاره التي كان يجنى من ورائها نفعاً فانك ياسعد اشتهرت بقوة بيا نك ولسانك وخطبتك التي كانت تنزل على سامعيها آيات بينات واذا قدس الامر يكون واشنطن لانه خلصهم من نير الانجليز بالوسائل الحربية فلمصريون يقدسونك لانك خلصتهم من تحكم انجلترا بلسانك وقوة بيا نك واخلاصهم في العمل ونباتك

ولم تكن الامة الامريكية بأجمعها ياسعد ملتفة حول وشنطن بل انشق قسم غير قليل منها وحاربها في صفوف أعدائها ، ولكن أمتك المصرية باطفالها ونساءها وفلاحها وملاكها وغنيها وفقيرها تخرج من أفواههم كلمة واحدة هي سعد يقسمون بها ولا يحنثون

انك لم تمت بل انت حي في قبرك ورحك التي كانت محصورة في جسمك تمجزأت وأصبحت في جسم كل فرد من الامم الشرقية تعلم الاخلاص والثبات في مطالبته .

فسلام عليك ياسعد يوم ولدت ويوم نبغت وخاصمت أقوى أمة في الارض وسلام عليك يوم مت وأدميت القلوب برحيلك وسلام على اليوم الذي تصل فيه مصر الى استقلالها التام ويتحرر الشرق من عبوديته

سعد قعيدنا الخالد

للكاتب المسمى محمد علي صمد

رزي الوطن بهقد زعيمه وملجأه الحصين وقت المحن ، وقائده في المعركة ،
ورافع لواء عزته ، والمطالب باستقلاله

مات سعد فانطفأ سراج وهاج طالما سطع نوره فيهر العالمين وخلق بريقه
العيون ، وخذت تلك الجذرة المستعرة التي ملأت الكون ضياء ، وخفت ذلك
الصوت الجوهري الذي دوى في أركان الارض يذكرها بمصر وحق مصر ، وانتهى
الزعيم وقد عطر الدنيا بمفاخره وشغل العالم بترداد ما آثره

ان رجلا يجمع الشعب على محبته ، ويدين له الشرق بزعامته ، وقر الدنيا
بأسرها بعظمته لهو رجل قد خالده وانه لنور من عند الله انتشر في جميع الارحاء
واسم رفعه الله فوق سائر الاسماء

أحتماً قد انتهيت أيها الزعيم ؟ يا القدر .. لقد نعت نفسك الى نفسك والى
العالم قبل أن ينعاك النعاة وقبل أن يتناقل خبرك الرواة .. أما جزعت لفراقنا
كما جزعنا لفراقك أما أحسست بثقل العبء ووحشة البعاد ؟ أما أشققت على أبنائك
أيها الاب البار وعلى بلادك أيها الرئيس الجليل ؟ أنها لرحلة الابد لارجعة منها
نم هادئاً مطمئناً ، فقد تنبه الشعب بعد طول السبات قد أيقظته ورقدت
وأحييته ومات وانه اليوم على آثارك لسائر ولخطواتك مقتف وسينال ما يشاء
وعندها ستلتئم حولك جموعه وتقف بين يديك وفوده تنقل اليك الخبر
لتشاطرها سراءها .

ان الدهر طوى بوفاة الزعيم صفحة من صفحات تاريخ مصر وانه ليطالع في الغداة
الصفحة التالية . فما الذي سيظالعه فيها يا ترى انه سر الغد وانه لسر رهيب

الساعة الرهيبة

للقتاة النابذة بنصيب . م . ح . بمعلمات شبرا

عقد الحزن الالسن وأسدل عليها حجابا كثيفا من الصمت المؤلم لانتنا لم نصدق
أن سعدنا رحل الرحلة الاخيرة التي لا عودة بعدها ولا أوبة . أجل نصدق انتنا لم
نعد نرى تلك الشخصية القوية النبيلة التي وقفت في حياتها في سبيل الجدل
والكفاح لوطنها العزيز . كان اليقين أمامنا ماثلا ولكن نفوسنا الحائرة وقلوبنا
المكلومة أبت الا أن تجعل الشك يتخلل ثنايا اليقين . ولكن واحسرتاه اليوم
أنفك عقابنا وهطلت دموعنا ولمسنا المصيبة بأيدينا . انتنا الآن سائرون في ظلام
حالك على غير هدى . في سكون مؤلم أمام ذلك الخطب الجسيم والرزء العظيم
نعانى من جرائه في قلوبنا ألماً ألماً

ياله من خطب له الجماد يميد . وياله من مصاب يدمى فؤاد كل جبار عنيد
وياله من يوم مجلل بالسواد لم تشهد مصر له مثل شمس مصفرة مكتئبة مالى أراها
لم تشرق صباح اليوم ؟ وما بال النسيم يهب متثاقلا متشبعاً بالدموع
أيتها الطبيعة ؟ . هل انت حزينة تشاركيننا في مصابنا الأليم
لقد كنت زاهية زاهرة في كبد السماء يوم ان عاد الرئيس من منفاه منصورا
واليوم أراك تتوارين وتحتجبين في وحدتك تذرفين الدمع السخين . نخبرينى
ماذا دهالك ؟

أيتها الطبيعة ؟ انظرى الى تلك الضجة القائمة والجلبة الصاخبة وهذا الصوت
الرهييب الذى يدوى فى سكون الليل البهيم انه يقول مات سعد لالا لم يميت سعد
وانما ذهب ليسترىح فى السماء ويخلد فى دار الخلود . وما تلك الضجة الهائلة التى
تنفطر لها القلوب الا من تأثير حلم مزعج مرعب

أيتها الامة الحزينة أفيق من هول المصاب . أفيق من ذهولك وتنهبي من
غشيانك . أفيق فانظري سعدك وانظري آمالك . انظري من رفع لك راية نهضتك
وأحيا لك ساعة مجدك . انظري سعداً . انه راحل عنك الى دار الابدية . امنعيه
حولى بينه وبين تلك الرحلة آد مالى أراك ساكنة ماذا دهاك اينها المسكينه
وقفت مقيدة اليدين وما فعلت ذلك أبداً .

ما هذا الشبح الذى أخافك وأرعبك إنه أقوى قوة فى الوجود انه شبح
الموت الرهيب جاء يخطف الآمال

تمهل أيها الموت تمهل انك تلهس بطل الشرق بأجمعه انك تلهس أمة تطلب
الحياة إنك تمس سعدنا الخالد أيها الموت دع سعدا فنحن أحوج الناس الى
شخصه النبيل وحكمته المالية وتضحيته السامية وصوته القوى وقلبه الحنون
الى أين أنت ذاهب ياسعد الى الملاء الاعلى ؟ أذهب لتحل مشكلتنا وتحقق
آمالنا فى السماء ان قلوبنا معك آتية وهى بك راجعه لانها لا يمكنها العيش بعدك
والصبر على بعدك آه هاهى السماء تبكيك ياسعد وقلوب تندبك . فعزاء وصبرا على
فاجعتنا الالهيه

رثاء المقتبس

لمربي الفاضل رشيد المارمى

مات سعد !

أحق أن سعداً يموت ؟ !

أحق أن سعداً — الذى ملأ الارض والفضاء ضجة وحركة — غالته المنون ؟

أحق أن سعداً — الذى أفرغ فى الاقنعة الضعيفة الملوعة روح القوة والایمان

بأن (الحق فوق القوة) فارتدت نوب شبابها ، ومطارف فتوتها ونهضت للجهاد واسترداد الحرية السليبة . والحق الهضم لا ترهبها في طلاب هذا الحق أى قوة مهما عظمت ومهما بلغ من عتوها وجبروتها — قد بات جثة هامة لا حراك فيها ؟
أحق أن سعداً — روح الشباب الثائر الطموح متدافعا تدافع الامواج ، صاخباً اصطخاب الخضم العظيم عاصفا عصف الرياح السافية مضطربا كالنار مشتعلا كالهشيم باذلا النفس فرحاً طروباً في سبيل الحرية والكرامة هاتفاً بحياة مصر وحياة سعد — قد انتقل من عالم الفناء الى عالم الخلود ؟

أحق أن سعداً — الذى غضب للشعوب تصبح كالسلعة تباع فى سوق المطامع الاشعبية وللحرية تغدو فى هذا الشرق الفسيح حيرى تائهة لا معاذ تعود به ولا حصن تأوى اليه فزار زارة الايثار المصور هائجا مغيظاً ، فدوت صرخته فى أنحاء هذا الشرق وأرجائه ونهت شعوبه ، وأيقظت أممه وهزت خامله وحركت ساكنه ، فمشوا جميعا ينشدون الحياة ويترا كضون وراء الحرية وهبوا يلقون الغاصب الجائر ويحزحونه عن حمامهم ويقلقونه عن مرابعهم ليكونوا فى مواطنهم أحراراً وفى أرضهم أسياداً هاجرين حياة العبدان محطمين قيود الاسر والهوان ؟ يستولى عليه صمت الابد ؟

أحق ان سعداً — الذى أعاد لمصر حريتها وكرامتها ومكانتها بين الاقطار والامصار ، وصان استقلالها من العيث ووطد دعائم دستورها وبعث فيها روح الحياة والطموح والتضحية والبذل — قد فجعت فيه مصر

أحق ان سعداً — الذى اكتسب قلب الناشء الصغير وروح الشباب النضير — واخلاص الشيخ الكبير ، وملا قلب الاعداء خوفاً ورعباً — قد اعتزم الرحيل ؟

أحق ان سعداً يموت ؟

لا ، لا ، ان سعداً خالداً خلود الابد باق بقاء الدهر ثابت ثبات الشم شامخ شموخ

الاطواد لا يدركه قناء ولا تحمل به منون

لقد استولى الصمت العميق على هذا الشرق وعلى مصر فوجها في أشد
أوقات الجهاد خطراً ! وما كان ليدركها هذا الوجوم ولظى الكفاح مستعرة متأججة
بين العبودية والحرية ! والحق والاستبداد ! لولا أن سعداً ، حصنها الحصين
وركنهما الركين ، وقائدهما الباسل ، وزعيمهما المفدى المحبوب ، بطل الشرق سعد
قد خر صريعاً في حومة الوغى !

وما كان سعد هلكة هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهزما
فلتبك مصر ، ولتفجع الشرق ولتذرف الحرية الدموع دماً ، ولترق العيون
ماءها ، حزناً على سعد وأسى ولوعه !

مصر لك أن تأسى وأن تحزنى ، وأن تندبى وأن تلتاعى فقد انهد ركنك
الركين ، وفل صارمك الصقيل ، وصمت مقولك الذرب ، وذهب الفكر الثاقب
والرأى الراجح ، والعقل الرصين ، جامع الشمل ، وسلك العقد
ولكن اذكرى أن الاوان أوان جهاد ، وان الاستسلام لليأس والبكاء وللحزن
ليس من شيم المجاهدين

فضى الجهود ، ووحدى الاهواء ووفقى الميول ، واستعدى للكفاح والنضال
حتى تؤوبى مكلة الهام بتاج الفوز والظفر هذا الذى يرضى سعداً فى مثواه ويسره

يا شرق كم ذا تتحمل من أرزاء وكروب تغرب شمسك عن خطب فادح جليل
وتشرق على ما هو أفدح وأجل ، حتى ابت مهدود القوى والعزمات ، مقصوم
الظهر مما تعانیه من نكبات وملات

ان الخطب فى سعد لعظيم فأرض سعداً فى ثراه بالمشاورة على الكفاح ، واتمام
ما به شرع وبدأ ، وحاذر اليأس قاليأس سم نافع

وأنت أيها الغرب المتغطرس الطامع
أحن الهام أمام جثة سعد ، واذرف الدمع عليه مدراراً ، فقد كان لك عدواً
خميناً ، ولكنه خصم شريف وعدو نبيل ، والنبلاء والأشراف نبلاء النفوس
والمبادئ وأشرافها في الدنيا قليل
رحمك الله سعدياً ، عباد حسناتك ، فما تقدر أن نفي صفحة من صفحات
جهادك الطويل حقها من الوصف ولا أن تصور عاطفة من عواطفك الكريمة الفاضلة
ولكننا نعالج الكلام ، ونفسر اليراع فما نطيق كلاماً ولا تسيل يراع . وماذا
قول والقول في سعد فضول
قم يا زعيم الزعماء وبطل الأبطال ناعماً هادئاً في ثراك بعد طول الجهاد
والنصب في سبيل الحرية الهضيمة والحق المغلوب
نم يا شهيداً تزدان به قائمة الشهداء المخلصين والمجاهدين الأبرار
العزاء العزاء للمبدأ الشريف ، وللجهاد النبيل ، وللحرية والكرم ، وللحق
والشرف ، العزاء لمصر وللشرق وللإنسانية المتألمة

رثاء صوت الشعب

للهديب عيسى بنرك بفلسطين

تنطفئ اليوم شمس البطولة والزعامة والأقدام والعبقرية في سماء الشرق التعس
وتخيم في أجوائه دياجير الحزن والأسى ، وتنفجر من مآقيه مدامع الكآبة
سخينة منهمة بل تقام اليوم المآتم في جميع الشرق العربي وتهدج نفوس بنيه
بالنواح وتنفس القلوب بزفرات الأحزان المحرقة الموجعة
كيف لا وقد مات سعد باشا زغلول زعيم وادي النيل الأكبر وزعيم النهضة

القومية في جميع أنحاء العالم العربي وموقف الشرق من غفلته وضارب الاستعمار في صميمه والعبودية في نحرها .

لقد انهد بؤفة سعد صرح مشمخر وطود عنيد منيع كان يرد عاديات الظلم في اباء وجرأة وكرامة فعبد المصريون وكان حقاً عليهم ان يعبدوه وقدمه الشرقيون وكان واجبا ان يقدسوه وكانوا يستظهرون كل كلمة تخرج من فيه ذلك الفم الذي كان ينثر حكمة المثل الاعلى في التضحية والوطنية والصدق والاباء والاخلاص .

ان خسارة الشرق بؤفة سعد لا تعوض لان سعداً أمة بنفسه ، جيش باسل بجرائه ، سياسى محنك عبقرى ، خطيب لا يجارى ، تقع كلماته من الامة موقع الآيات المنزلة وكان يلمس المستعمر في كل حرف من الفاظه الخالدة ماهو شر من القنابل والمدمرات وقد تحمل النفي والابعاد والاضطهاد في سبيل استقلال مصر وقد وصل بسفينة الحركة المصرية شاطئ السلامة أو كاد .

ليست هذه المصيبة العظيمة تقتصر على الامة المصرية الكريمة فأنما هي مصيبة العالم العربي برمته فليس هناك من يعزى أو يعزى فكلنا مكلوم وكلنا محزون وكلنا يبكي بكاء مرأ شديداً

انتا نسأل الله أن يقيض لهذا الشرق التعس زعيماً يملأ الفراغ الذي أحدثته وؤفة سعد وهيهات ان تجود الاقدار بمثل سعد !

نعم مات سعد ولكن مبادئه لن تموت وستعيش عظمته الوطنية ، وأقواله الخالدة ، ونفسه الابية مادام في الكون حياة ووجود وسيظل ذكر سعد خالداً مادام في الشرق قلوب تنفق للاستقلال والحرية ، ومادام في الوجود أمم تقاتل الظلم وتنب عن حياض الحق والعدل ولذلك فاسم سعد سيبقى مسجلاً بأحرف من نور في جبين الاجيال وفي عداد أنبياء الوطنية والاستقلال ومنقذى الامم من براثن العبودية الا رحمك الله يا سعد وأسكنك فسيح جناته والهم الشرق الحزين صبرا جميلا وعزاء طويلا

رثاء الف باء

لهروب المحترم ناهي أديب

حملت الاسلاك البرقية أمس لجميع العالم نعي سعد زغلول ذلك الوطني الكبير الذي لم يبق رجل في الغرب ولا في الشرق لم يعرف من هو فكان لذلك الخبر وقع اليم في النفوس وبات الناس في مصر وسوريا والحجاز والعراق وسائر الاقطار العربية وفي بيت كل منهم مأتم وفي قلب كل حزن وأسف عميق على ذلك الرجل العظيم الذي خدم وطنه وأتمته بإخلاص حتى النفس الاخير من حياته بل خدم الشرق بأجمعه بما ألقى عليه من دروس الوطنية والتضحية في سبيلها مع الجرأة والاخلاص الذي كان الفقيه مثله الاعلى . وقد رأينا الناس يعزى بعضهم بعضاً وحق لهم أن يتبادلوا التعزية فالقعيد قعيد العرب بل قعيد الشرق لا قعيد مصر وحدها وليس بإمكان العالم العربي ولا بإمكان الشرق ان ينجب كثيراً من أمثال سعد فان الزمان بمثله لضنين .

أجل ان سعداً هو قعيد الشرق لانه كان القدوة الحسنة لجميع شعوبه المهضومة المتطلعة الى الحرية والاستقلال وقد جرى على اثره واستن بسنته كثير ممن يحبون امتهم ويفضلون الموت في سبيلها على الحياة واستضاء بنبراسه عظماء كثيرون فكان خير هاد ودليل لهم في هذه السبيل . وسيبقى اسم سعد رمزاً واضحاً للوطنية ومضرباً للامثال فيها .

لهذا تساءلنا عن موت سعد بل جزمنا بانه لم يمّت ولن يمّت فان الشهداء لا يموتون (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء)

وكلنا يعلم أن سعداً جاهد في سبيل وطنه جهاد الابطال وما انفك عن جهاده وخدمة بلاده رغم ضعفه وشيخوخته حتى أتااه اليقين وهو يرأس مجلس امته ويقوم

بأعظم خدمة وطنية لها بل كان يتيه يتيها وماله مالها وكل ما آتاه الله من فضل
ونعمة فهو لها ولا شك ان مثل هذا الحب والتفاني في سبيل الامة هو من سبيل
الله لان سبيل الله تعالى لم تنحصر في الذين يموتون في ساحة الحرب
والخلاصة ان سعداً قد مات بجسمه ولكنه قد حي بروحه وجميل ذكوة
حياة أبدية يغبطه عليها كثير من هؤلاء الاحياء الذين هم أشباح بلا أرواح
فاذا بكينا اليوم سعداً فاما نبكي ذلك الانس الذي لم يكن يفارق مجلسه
والابتسامة التي لم تزايل شفتيه . وسيبكيه بيت الامة الذي كان بوجود القيد كعبة
الآمال ومحط الرجال وتبكيه المنابر التي كان يلقي عنها قصيدنا المرحوم جواهر
الحكم وآيات الوطنية فيردد العالم صداها وقد تعطلت اليوم وسبقى معطلة حتى
يقبض الله لها من يقوم مقامه عليها فلا غرو إذا حنت وأنت عليه كما حن ذلك
الجزع الذي كان يخطب عليه الرسول لفراقه فعليك ياسعد فلتبك البواكي



الزعيم الأكبر

في حياته الخاصة (١)

للطبيب الفريد عبد القادر بك حمزة

قد يجد الانسان من الصعوبة في محاولته تصوير الحياة البيتية لزعيم سياسى لان الصفات التى تستلزمها الزعامة تغلب دائماً على غيرها من الصفات . وبقدر ما تكون الزعامة قوية بقدر ما تكون من صفاتها متغلبة . وهى بطبيعتها غليان فكرى فى حين ان الحياة البيتية بطبيعتها هادئة وسكون فاذا قويت الزعامة وتغلبت فان صفاتها هى التى تبرز دائماً امام العيون وحينئذ لا يكون من السهل ان يتبين الانسان حقيقة الصفات الاخرى التى هى من نوع هادئ

ولكن هذه الصفات موجودة مع ذلك وقلمنا تقوم وثبتت زعامة صادقة الا على أساس منها . فاذا نحن قلنا ان زعامة سعد باشا ثابتة ، وقد ثبتت أصناف شتى من الحوادث ، فكأنما نقول ان لها أساساً قوياً من صفاته التى تظهر فى حياته البيتية وأنا محاول هنا ان أرسم بعض الصفات على الاجمال لا على التفصيل وبالقدر الذى أستطيعه لا بالقدر الذى تستحقه

اظهر ما يلاحظه الانسان فى سعد باشا شخصيته القوية التى يملك بها محدثه والتى هى فى كثير من زعامته . محدثه لحظة وأنت لم تعرفه من قبل فترى فيه مثالا مجسما من عظمة النفس وقوة العقل . بنفسه العظيمة يعطيك كل معانى النبيل ومثانة

(١) كتب هذا البحث التحليلى فى أيام حياته ونشر بالبلاغ اليومى فى

٦ اغسطس سنة ١٩٢٥

الخلق واستقامة الضمير، وبقله القوى يغطي كل ما تستطيع أن تدركه من بعد.
الفهم واصالة الرأي وسلامة المنطق. وانما اقول « كل ما تستطيع » لانك تدرك
ما تدرك بالغما ما بلغ ثم لا زلت تشعر بانك عاجز عن أن تصل الى غور هذا
العقل العميق الواسع

فعلى هذا العقل وهذه النفس ترتكز، أول ما ترتكز، شخصية زعيمنا
الجليل. وهما أصلان صحيحان ثابتان فلا عجب ان كانت زعامته التي هي ثمرة من
ثمار شخصيته صحيحة ثابتة

وأثر هذا العقل وهذه النفس يظهر ان دائماً في كل عمل من اعماله. ظهر في
اشتغاله بالمحاماة وهي طارئة مع القضاء الطارئ والقانون الطارئ فبرزاه بسرعة
مصباحاً يضيء للمحامين طريقهم الجديد. وظهر في اشتغاله بالقضاء فجعلنا من اسمه
معادلاً للعدل تحترمه النفوس لانه العدل في ذاته لانه الحكم تنفذه القوة وظهر في
تقلده وزارة المعارف ووزارة الحقانية في وقت لم يكن الوزير المصري فيه الا شبيهاً
بالآلة المسخرة بين تيارات مختلفة، فجعلنا منه قوة في وجه التيارات. ثم ظهر في
الجمعية التشريعية، والانتخاب لها كان معيها ورأيها لم يكن الا استشارياً
فجعلنا من قبله الشعب وجعلنا من الجمعية مجلساً استكمل بسلطانه الروحي ما ينقصه
من سلطان القانون وأخيراً ظهر في الحركة الوطنية فجعلنا منه قائداً غير مدافع وجعلنا
منها مجداً خالداً لمصر في صفحات التاريخ

* * *

لم يقدر لسعد باشا ان يكون أباً فهل هو مع ذلك يعرف شعور
الابوة أولاً؟

هنا على ما أظن مسألة يجب حلها قبل الاجابة على هذا السؤال. وهذه
المسألة هي شعور الابوة وهل هو طبيعي لا دخل للصناعة فيه أو هو بالعكس صناعي
ينشأ وينمو بالمران والعادة؟

والجواب على هذا ، الجواب الذى يظهر ان العلم والاستقراء يؤيدانه هو ان هذا الشعور صناعى لا طبيعى . ولكن هذا الجواب جاف قل أن تميل النفس الى قبوله فلندعه ولنضع معه التحليل العميق الذى يخرج النفس مجردة من جمال الخيالات ولنتوسط فنقول اننا اذا اشترطنا المران والعادة فى إنشاء شعور الابوة فالمران والعادة قد يكونان بالعمل الذاتى كما قد يكونان بالمشاهدة أو ان شئت قل بالعدوى . ومن هنا نخلص لنا قضية هى ان شعور الابوة وهو مشاهد دائماً قد لا يحتاج الى مران ذاتى وعادة ذاتية كي ينشأ وينمو . فاذا أنت أخذته من هذه الناحية وأردت أن تقول انه طبيعى فلك ذلك ولكن بهذا المقدار

ومتى تقرر ان المشاهدة نوع من أنواع المران وانها قد تنشئ الشعور فليس من الضرورى أن يكون الانسان أباً لكي يعرف شعور الابوة إذ هو قد يعرفه متى بلغ درجة معينة من دقة الاحساس . ومعنى ذلك ان الرجل الساذج يبقى جاهلاً شعوراً لم يحركه فى نفسه محرك . ثم اذا رزق ولداً تحرك الشعور فى نفسه بقوة وجود الولد بين يديه . أما الرجل الذى بلغ من دقة الاحساس ما هو غير محتاج معه الى مثل هذا المحرك فان مران المشاهدة كاف لان ينشئ فيه هذا الشعور

وهذه الحالة الاخيرة هى حالة سعد باشا فهو غير أب فى الواقع ولكنه أب فى شعوره كأخى الآباء على بنيه . وقد تجلّى شعوره هذا على غير واحد من ذوى قرباه وخاصة وكان منهم المرحوم سعيد بك زغلول فكان لهم أباً وكانوا له أبناء

* *

وامتاز سعد باشا فى جميع أدوار حياته بأنه من « رجال التقدم » الذين يسرون أمام جيلهم ويدفعون الى الامام بكل جيل يعاشره رأى وهو شاب فى أواخر حكم اسماعيل وبعد زمن امضاء الافغانى المشهور فى مصر حركة فكرية يراد منها كسر جمود التقليد فانضم اليها وجمع فى عام ١٨٨١ منادياً ينادى بالحرية ومقاومة الاستبداد الجنسى فهما قلبه ولم يبال أن يصيبه رشاش من حوادث تلك الايام

وخاض بعد ذلك غمار الحياة محامياً قاضياً فوزيراً فثابراً فكان في كل هذه الاحوار يمثل فكرة النهوض بنفسه وبمجيله معه . وطرقت أذنه في أثناء ذلك صرخة المرحوم قاسم امين يطلب بها للمرأة ان تتحرر من قيود الجهل والحجاب فاعطاه قلبه ويده والآن وقد نيف على السبعين او تزيد هو مع ذلك يحمل علم النهضة لأبناء الثلاثين والعشرين وما منحى من مناحى الحياة الاجتماعية او السياسية الا ورأيه فيه بالنسبة للجيل الفتى رأى تقدم وتجدد



وسعد باشا من الذين يثقون ثقة تامة بالعناية الالهية ويخلصون لها في السر والعلن ويعتمدون عليها اعتماد الصديق والتقوى

وليس يخفى أن الزعماء في هذا الباب فريقان فريق ينظر فيرى ان الكلمة ينطق بها لسانه هي امر يطيعه أنصاره بلا تردد ولا تفكير فيأخذ الزهو ويعتقد في نفسه الكمال والقدرة وتصير الامور في نظره تدبيراً يديره فلا تشذ عنه في صدر ولا عجز . وفريق لا تنسيه الطاعة التي يجدها من أنصاره ولو انهم شعب كامل ان فوق إرادته إرادة عليا وان الانسان مهما استقوى ليس بجانب هذه الارادة شيئاً فليس له ان يغتر وينساها وسعد باشا من هذا الفريق الاخير فريق الذين يجمعون بين اقدام العزيمة والاخلاص للعناية الربانية فهم ليسوا أتكالين ولكنهم في الوقت نفسه ليسوا جاحدين أى انهم يعملون ويتوكلون على حد القول المأثور :
أعقلها وتوكل

اسمعه وهو يقول لو قد جاء من المحلة الكبرى : « فلنبشر انفسنا باتنا على الحق ونسعى الى الحق ونعمل بالطرق المشروعة في سبيل الحق والله لا يخيب عمل العاملين » ثم يقول بعد ذلك : « لقد عودنا الله الاخذ بيدنا وتهدنا في الشدائد بحسن رعايته وكما اشتد الامر اقربنا من هذه الغاية فعلينا ان نستمر في التمسك بحقوقنا وان نتحمل الشدائد بالجأش الرابط والصبر الجميل والله ولي الصابرين » اسمعه في

هذا كله تعلم انه يصدر فيه عن قلب يخفق بالثقة في العناية الالهية وان هذه الثقة في الشدة مثلها في الرخاء .

واقول انها في الشدة مثلها في الرخاء لان كل الذين اختلطوا بسعد باشا من قرب او من بعد يعرفون ان هذه الثقة لا تفارقه البتة وانها تظهر فيه اليوم وهو بعيد عن الحكم ، والبرلمان معطل ، والبلاد تطحنها محنة اخلاقية قاسية ، كما كانت تظهر فيه بعد عودته من جبل طارق ، وقد أعطته الانتخابات أغلبية تقرب من الاجماع ، والبرلمان موشك ان يجتمع ، والحكم ساع اليه ، وايس في طريقه الا ازهار فوقها ازهار

* *

وهو شغوف بالقراءة وبالحديث معا يقرأ ليستفيد أى لانه يضمن على شىء من وقته أن يضع غير فائدة . وكثيرا ما تعجبه القراءة ويدخل عليه في اثنائها داخل من خاصته فيقرأ له ليشارك معه فيما اعجبه . شأنه في ذلك شأن من يأبى ان يستأثر بفائدة او ينفرد بلقبة

اما الحديث فليس إلا ان تسمعه من فيه لتعلم انه يحدث يعطيك دائما جديدا من اللذة والفائدة . وهو في حديثه هادئ مرتب القضايا واضح العبارة غير سريع ولا بطئ . واذا كان في الموضوع ما يهمه فانك ترى عينيه تلمعان وتحس كأن قلبه هو الذى يتكلم بينما عقله المنطقي يرتب قضايا الكلام وهو يحب كثيرا ان يكون محدثه في المستوى الذى يستطيع معه ان يأخذ ويعطى فاذا لم يكن كذلك فانه يمتعض وقد يكلف نفسه حينئذ ان يتحملة ولكن الصعوبة في هذا التكليف لا تلبث أن تظهر

ومن الفضول على ما أظن ان احاول تصوير سعد باشا كاتباً وخطيباً فان خطبه وبياناته تملأ اسماع مصر والشرق والناطقين بالضاد جميعا . والغربيون الذين لا يقرأون هذه الخطب والبيانات الا منقولة الى لغاتهم بعد أن تكون قد قُذت أسلوبها وبلاغتها يشهدون لصاحبها بأنه يملك زمام قارئه وسامعيه . ولكنى أحب

ان اقول هنا شيئاً يقوله سعد باشا نفسه عن نفسه وهو انه لا يقول اذا قال ولا يكتب اذا كتب الا بدافع من عقيدته ووجدانه . فهذا هو على ما أظن سبب كبير من أسباب نجاحه في كل خطبه وكتابه .

واكثر ميله حين يكتب الى الاملاء اما حين يخطب فانه لا يحب الا الارتجال وقد يلجأ الى الالتقاء حيناً تقضى المواقف السياسية بتقييد الالفاظ ولكن ذلك يكون حينئذ عبثاً على نفسه حتى انه لهجر الورق بعد قليل ليطلق لسانه من غلة الثقيل

وطريقته هي انه يعنى بالمعنى قبل كل شئ فيهتم بأن يكون قويا وجليلاً . فاذا استوى له أخرجه في لفظ قوى جليل حريصاً دائماً على ان يكون السياق منطقياً غير زائد عن المعنى ولا ناقص . كذلك هو في كتابته أو خطابته أو حديثه فاذا انت قرأته او سمعته خلت انه ينهض بك الى مستوى رفيع

واذا كان ذهنه متجهاً دائماً الى قوة المعنى ودقة التعبير فكثيراً ما تجد له حتى في خطبه الارتجالية ، وخاصة حينما يكون منفعلاً ، كلمات تنطبع في ذهنك فتمثل لك صوراً حية تشعر كأنك تراها بعينك وتلمسها بيدك . مثل ذلك قوله في مشروع ملتر حينما اختلف الناس في هل هو حماية أو استقلال : « انه حماية بالثلث » ثم قوله في إحدى المفاوضات : « جورج الخامس يناوض جورج الخامس » . ولا يكاد يخلو خطاب له او بيان من كلمة او كلمات من هذا الطراز

* *

ويعرف سعد باشا من اللغات الاجنبية الفرنسية والانجليزية والالمانية . فأما الفرنسية فانه يجيدها كتابة وكلاماً أما الانجليزية والالمانية فانه يعرف منهما ما يستطيع به الفهم والتفهم . ولقد تدرك مقدار حبه للاستفادة ومقدار صبره على طلبها اذا انت علمت انه لم يتعلم هذه اللغات في مدرسة وانما تعلمها بعد عصارى سنه بنفسه ، وقد يصح ان نقول : وعلى نفسه . ومنها الانجليزية تعلمها أخيراً اثناء نفيه في عدن

وسيشل وجبل طارق والامانية تعلمها بعد ذلك على أستاذين هما قاموس فرنسي
والماني وخادم المانية

* * *

وهو ينهض من فراشه في الصباح قريبا من الساعة الخامسة فيستحم ويتناول
طعام الفطور ثم يأخذ في القراءة غالباً في الكتابة قليلاً. وقرباً من منتصف الساعة
العاشرة ينزل الى مكتبه فيشتغل فيه الى الظهر ويقابل زائريه . وقد يخرج حينئذ
في سيارته وحده او مع أحد زواره للتريض قليلاً في الجيزة او في الزمالك . وفيما
بين الساعتين الاولى والثانية يتناول الغداء مع بعض زواره . ومائدته معدة دائماً
لكل الذين يتفق ان يوجدوا عنده سواء كانوا واحداً او ثلاثة او خمسة او عشرة
ثم يقضى ساعة في الحديث ثم يستريح الى قريب من الساعة الخامسة ثم يعود
الى مكتبه فيمكنه فيه ساعة ثم يخرج في سيارته للرياضة نحو ساعة أو أقل ثم
يعود فيقرأ أو يستقبل وفيما بين الساعتين الثامنة والتاسعة يتناول طعام العشاء مع
بعض زائريه ثم يجلس للحديث ساعة أو أكثر ثم يفرغ للقراءة فلا يزال يقرأ حتى
يدخل فراشه . فاذا نام لا ينام الا غراراً وقد يكفيه أن ينام في الليلة أربع ساعات
وأخيراً ، فان أحد الباحثين في الاخلاق « صمويل سميلز » يقول :

ليس في الاستعداد العقلي ولا التفوق الذهني نادرين في العالم . فهل يعتمد
على الاستقلال العقلي وحده ؟ وهل يؤمن التفوق الذهني كلا ، اللهم الا اذا واقفهما
الحق : إذ الحق أساس كل فضيلة . فهو الاستقامة . وهو الاخلاص في العمل وهو
الباعث للمرء على ان يثق بنفسه وللناس أن يثقوا به والمرء ذو المكانة في العالم
هو الذي يصح الاعتماد عليه لانه اذا قال إن له علماً بشيء كان عالماً به حقاً ،
واذا قال اني فاعل شيئاً فعله حقاً . وهكذا يحصل الواثق بنفسه على ثقة الناس به
واعترافهم بقيمته «

فاني اذ أقرأ ذلك اعتقد ان الذين يعنون به كما يعنى به سعد باشا ليسوا كثيرين

ووصف مستر غلادستون مناقب لورد بلرستون فقال :

« انى لعلى يقين من أن قوة ارادته وإدراكه لمعنى الواجب وعزمه على الا
يستكين للشدائد ولا ينهزم أمام المصاعب هى الخلال التى ساعدته على أن يكون
قدوة لنا معشر الخاذين حذوه فى أداء ما فى عنقنا من الواجب ولم تقف ارادته عند
ضعف الهرم بل صدت هذا الضعف ونحته بعيدا »

فانى اذ أقرأ ذلك أخال كأن الامر اشتبه على مستر غلادستون فاراد زعيم
انجلترا وأراد الله بكلماته زعيم مصر

شخصية سعد

للطاب الاممى عباس مافظ

نبشونى أياها الناس ، وخبرنى يا شعب مصر الذى شهد آباؤه مجد رعمسيس ،
وخرجوا خلفه للغزوة والغارة فى الجحفل الجرار وكتائب الخميس ، كيف كان لقاءكم
سعداً يوم العود من صخرة طارق ، بعد المقام فى جزيرة متواضعة مجهولة طار ذكرها
مع سعد فى المغرب والمشارك . ولماذا لقيتموه يومئذ لقاء القائد المغوار . واستقبلتموه
استقبال رومة فيما غير من العصور والادهار ، صاحب مجدها « قيصر » الفاتح الجبار ،
عند منقلبه من المعركة متوجاً بأكاليل الغار ، ولماذا خرجتم من دياركم على مطالع
اليوم الموعود ، واحتشدتم طيلة نهاركم حشداً هائلاً غير محصور ولا معدود ،
وصبرتم على وقدة الشمس الساعات الطوال ، ورضيتم لوافح المهجير غير حافلين ،
بجوع ولا ظمأ ولا كلال ، لهفة الشوق الى البطل الغائب . وحر التوق الى طلعة
النازح الآيب فلما بدافى موكبه ، بين صفوة من صحبه ، ذهب هتافكم يريد
السما وزخر موجكم كما يزخر الماء ، . ومشيتم اليه بمجموعكم مهالين مكبرين

نبشوني أيها الناس لماذا تلقيتم أمس نبأ موته مذهولين مروعين ، كأنكم كنتم قبل أمس تحسبونه في هذه القافية من المخلدين المعمرين ، وإن له من الموت عن اليمن وعن الشمال عزين ، وإن دعواتكم ليل نهار بحياته ضمان للحياة وأمان من الموت المحتوم الرهين . ولماذا خرجتم أمس لتشيعه خروجكم قبل أمس للقائه هذا هتاف وشوق وحنين ، وذاك بكاء ولوعة وأنين . بل لماذا تقيم شباب هذا البلد الامين ، وبكاه الشيوخ القانون جازعين ، وهم مشارفون المنون بعد حين ، ولماذا لبس الكون على أعينكم ثوب الحداد ، وتقطعت يوم منعه الفلذات والا كباد ، وكذتم تتخطفون نعشه صارخين ناشجين معولين

لقد كانت لهفتكم على مقدمه حارة وهو في منفاه ، فما مبلغ شوقكم أيها الناس اليوم وهو في مسكنه الاخير ومشواه . وكنتم يوم غيبته عن البلاد إلى حين ، على جمر الغضا للقائه إذ كنتم بقاء زعيمكم مؤمنين موقنين . فماذا لديكم اليوم له من حنين ، ولا أمل عندكم في رجعه بعد اليوم ولا يقين

أيها الناس ان كانت هناك بقية دمع خلف العيون ، وإن كان ثمة مدخر من زفرات وشؤون ، فاسكبوا العبرات وأطيلوا عليه المناحات وصعدوا في أثره الزفرات والأناث . بأن سعداً في هذه المرة الاخيرة لم يحمل الى تلك الجزيرة الصغيرة ولم يخف للرحلة القصيرة وإنما سعد قد مات ولن تروه بعد اليوم قبلة الجامع وزين الحلقات . وأنتم يتامى فلتسعنكم الدموع على الأب الراحل الطعين

ولكن خبروني لم أصاب سعد في حياته ومماته عندكم كل هذه المكانة . ولماذا عمركم الله حملتموه في الجهاد الأمانة وسكنتم الى اخلاصه وعرقم له في الحق قواده وجناته ومشيتم خلفه صفاً صفاً للدفاع عن الكنانة . وكنتم وستظلون لتعاليمه ومبادئه السامية . أوفياء أمناء صادقين

ذلك لان سعداً كان أمة للوطن قانتاً وكان في النود عن مصر طوداً ثابتاً ولم يكن انساناً على ما ألف الناس من خلق الناس لكنه كان قطعة بارزة من التاريخ الحديث

للدفاع عن التاريخ القديم الجليل النفيس وكان سرّاً من الاسرار الالهية لا تدري
كيف جاءنا وكيف ذهبنا به الى مساكن الأبدية وكان صورة رائعة حية من صور
البطولة والعظمة وجلال الشخصية وكان عظيماً في رأس العظماء وقديماً كانت الشعوب
والجماهير لجلال العظمة تدعن وتنقاد وتدين

فتبثوني ان كنتم على النبا قادرين ما سر هذه الشخصية التي تفعل بالنفوس
فعل السحر المبين وترسل من عينيها الرهيبتين الى قلوب الجماهير والجموع الحاشدين
فيضاً زاخراً وعباباً صاخباً يجيش في أعماقهم فيردهم صوراً صغيرة منه ويحيلهم أمثلة
ونماذج من قطعه وغراره وقالبه بل خبروني ما سلطان تلك العظمة التي تطبع الناس
بطابعها وتوحى اليهم خواطرها وتلونهم جميعاً بلونها وتجعل من مصر على طراز سعد
ألف ألف سعد صغير وما تلك المعجزة الخارقة للمألوف التي تحيل البطل عند
الناس عدسة بلورية يرون من خلالها آمالهم وعلاوات أرواحهم وخافيات نفوسهم
وخيئات اذهانهم ويشهدون انفسهم على زجاجتها الشفافة الاديمة مرسمين مصورين
تبثوني ما هذا اللغز العجيب الذي يرد البطل المحبوب ملكاً على القلوب
بغير تاج ولا صولجان ويرسل انفاسه الطاهرة فيما حوله فيطهر بها الزمان والمكان
ويحيي بلهيبها وحرها موت الشعور وسواكن الوجدان وتصل نفسه المطهرة القوية
بالحق والصدق والعدل والايمان اتصال ابرة المغناطيس بالقطب مع مدار العوالم
والاكوان وتجعله يقف من جماهيره موقف جسم شفاف قائم بينهم وبين الشمس
من تطلع منهم اليها رآه ومن اجتاز ببصره الفضاء ومسراه من بوهج ذلك الضياء
وسناه وتجعله عند أمته وقبيله الضمير الذي به تشعر والوجدان الذي به تحس
والنبع الذي منه يفيض فيضها وينبجس وتضع في لماته ذلك الصوت الرهيب
الذي يوقظ الناس من رقدتهم المستطيلة فيهبون على النداء واثبين متحمسين

ليت شعري أيها الناس ما سر تلك الروحانية التي كنا غافلين فنبهتنا وكنا
من قبلها قراء من الوطنية فأغنتنا وكنا عن قوة الحق عمياً فبصرتنا وعجزة

ضعفاء عن مناضلة خصمنا العنيد قهوتنا ورفعتنا فوق انفسنا وهذبنا وكنا من قبلها نخشى الموت ونخاف الردى فهل شهدتم كيف كان الشباب عام الثورة القومية يترامون فى احضان المنية وكيف كان الغلمان والولدان والأصبية يصمدون للمدافع وللقذائف صمدا الاستهتار والحمية وكيف كان الشهداء يستشهدون فى حب مصر الناهضة الفتية ضاحكين جاذلين باممين وهم يغمغمون بتلك الكلمة الجليلة التى أبى علينا نصفها الدهر وأراد نصفها القدر وهى « ليعى سعد ولتجى مصر » ثم يطفى الموت بريق تلك الابتسامة فيسقطون صرعى مجندلين هامدين

ايها الناس ان سر سعد الالهى وباعث جلاله الدقيق الخفى لا يدركه فى الارض ولا فى السماء غير الله فهو الذى على تلك الصورة ركبه وسواه ولحق مصر ناداه ودعاه وعرفنا اثره وسلطانه ومغزاه ومرماه فاصطفيناه الزعيم الاكبر واجتبيناه وسنظل آخر الدهر لذكراه ذا كرين وبه مؤمنين وعلى سننه حتى نلحق به سائرین متتابعين

سعد زغلول فكرة قومية

للدكتور الكبير عبد الحميد محمدى

فى مصر ، وفى الشرق كله ، وفى أوربا ، نوحه تتجاوب الاجواء صداها ، تصدر من أعماق قلوب أوجعها أن يموت سعد . وما بكى لموت سعد اصدقاؤه فحسب ولكن بكى سعد خصومه كما بكاه الاصدقاء . وما كان سعد ليخاصم الا الشرفاء ، وهل يستطيع الشريف ألا يبكى الشريف ؟

وما فجعت بموت سعد طائفة من الطوائف المصرية ، ولا حزب من أحزاب مصر ، انما فجعت فى سعد مصر كلها : طوائفها وأحزابها ، أفرادها ، وجماعاتها ،

رجالها والنساء ، وهل في مصر قلب لم يبك سعداً .

لا ، بل ليست مصر وحدها التي فجعت في سعد اتما فجع فيه الشرق كله ،
فقد كان سعد للشرق بطلاً بل لقد فجع في سعد عشاق البطولة حينما وجد البطولة عشاق
هذه النوحة العامة ، وهذا الحزن الشامل ، يرفرف على ربوع الاصدقاء ، والخصوم
هو المظهر الصحيح لمكانة سعد

ألا تقرأ ما يقول أصدقاء سعد اذ يتفقون فلا يجدون ، ساعة ينتظرون كلمته
تنير لهم الطريق فيما يفعلون ؟!

ألا تقرأ ما يقول خصوم سعد اذ يتفقون فلا يجدونه ، ساعة يرجون أن ينهوا
على يديه القديرتين ما بينهم وبين مصر من خصومة ، محترمين لمصر حقها ، وقد
وجدوا من مصر كتلة على رأسها سعد تدافع عن ذلك وتقديه بالارواح
هؤلاء هم أصدقاء سعد ، وهؤلاء هم خصوم سعد وما خاصهم سعد في غير حق
مصر يشتركون في البكاء على سعد .

فسعد بهذا التقدير من جميع النواحي ، ومن كل الهيئات والاحزاب لم يعد
رجلاً كغيره من الرجال طواه الردى فلا يحفل بذكره غير من يمت اليه بصلة اذ كان
له من ورائه نفع ، ولكنه أصبح فكرة قومية ، وذكرى خالدة يلتف حولها المصريون
جميعاً ، على اختلاف احزابهم ونزعاتهم يتغنون بها في مصر وفي غير مصر كما يتغنى
الاميركان بذكرى وشنجنطن ، وكما يتغنى الطليان بذكرى جاريبالدى ، وكما يتغنى
البريطانيون بذكرى كرمويل

ولقد بكينا سعداً وما كنا لنستطيع حبس البكاء ، ولكن سعداً لم يكن ليحب
أن ينوح عليه انسان ، وبذلك أوصى أقرب الناس اليه قبل أن يموت ، وهي صفة
من صفات الابطال ، ولكن الرجل الذى لم يستطع أن يحبس دمه وهو يودع صديقه
قاسماً فبكى مجشاً في البكاء ، لم يكن ليستطيع أن يمنع من البكاء عليه أمة كانت ترى
فيه أملها المجسم ، وهي أجزع ما تكون على هذا الامل أن تعبث به بين يدى الفناء

ولقد تسع بطولة سعد كل شيء إلا أن تحول بين الناس وبين هذا البكاء .
ولو كان لي أن أعلم قومي كيف يحسنون البكاء ، لنصحت لهم أن يبكوا كما
كان سعد يبكي ، وما كان بكاء سعد إلا عملاً ، فكان إذا أدلهم خطب ، أو تعقد
أمر ، انصرف إلى التفكير والعمل ، ومارأيت كسعد جباراً في التفكير وفي العمل ،
وما أنسى يوماً زرتة فيه على أثر مرض نزل به فهد قواه ، وإذا هو يبحث في أمراً قانوني
قل أن بحث فيه رجال القانون لقلة ما يعرض مثيله في قضايا الناس وإذا هو يكلفني
أن أخرج له من مكتبته بضع نسخ من مؤلفات فرنسية ممي إلى أسماءها وأرقام مجلداتها
حتى إذا أخرجتها بعد جهد ، إذا به يسألني أن أبحث عن مواد كيت وكيت ،
وأضع على صفحاتها علامات ، حتى إذا انتهيت وقد تعبت ، إذا به يأمر خادمه أن
يحمل هذه المجلدات الضخمة إلى حجرة نومه بالطابق العلوي ، وإذا يسير متثاقلاً
من ضعف المرض لا تكاد تحمله قدماه وأنا واقف باهت أتساءل في حيرة أينما
الفتي سعد أم أنا . والله لقد كان سعد فتى في شبابه ، فتى في كهولته ، فتى في
شيخوخته وسبق ذكراه فتية لا تدركها الشيخوخة ولا يعفيها الفناء .

لقد كان هذا العمل المجهد نوعاً بكاء سعد ، فقد استعصى ذلك البحث على
غيره من فتيان المحاماة وكان هو يرى فيه لقضية مصر خيراً ، فلم يقعد به المرض ولم
يثنه الضعف عن أن يقوم عن الفتيان بما اعجز الفتيان .

ولو كان سعد يبكي كما يبكي غيره من الناس . لما كان هو سعدا الذي نبكيه
اليوم والذي انصح لقومي أن يبكوه كما كان هو يبكي عند ما يعرض له من مشاكلكم
التي كان كلما ازداد غيره من حلها يأساً ازداد هو في تفريجها رجاء وأملاً .

لقد ودع سعد الحياة ، ومصر أشد ما تكون إليه حاجة ليبقى على وحدتها
ويحفظ ائتلافها وقد آن أن تنجى من وراء الوحدة والائتلاف أينع الجنى واطيب
الثمرات . وإذا نحن تفكر اليوم في تخليد ذكرى سعد فليكن أول ما نضع من قواعد
هذه الذكري الحرس على ما كان هو عليه جد حريص من تأليف البلاد كتلة

تتخطم على جنباتها الثابتة المتينة مطامع الطامعين واهواء الغاشين ويرفرف من فوقها علم خط عليه باحرف من نور : مصر للمصريين

صفحة الديمقراطية

في حياة سعد

للعمود الخ الأديب الدكتور محمد ابو طائد

نتخذ لكلمة « الديمقراطية » أولا ذلك المعنى السهل الذى يفهمه منها سواد الشعب إذ يفسرها دون تحديد بأنها التواضع ومنع الكلفة والكبرياء ، أو بأنها المساواة وإزالة الفروق بين الطبقات . وعلى هذا المعنى كان الزعيم المغفور له إمام الديمقراطيةين وقائدهم ، وقد بدت ديموقراطية في شعوره الشخصى الصادق وفي طريقة معاملته للناس

لم يكن سعد ينظر الى الدرجة الرفيعة التى بلغها والطبقة العالية التى ينتسب اليها ، ولم يكن يتخذ منهما ومن ألقابه الرسمية أو أوسمته حجابا بينه وبين السواد والعامه ، بل كان يشعر دائما أنه « سعد » بشخصه قبل أن يكون بمر كزه أو لقبه فيجمع هذا الشعور بينه وبين غيره ممن لم يحوزوا مركزاً أو لقباً ، ويجعله يقدر كل انسان وفق صفاته وشخصيته ووفق اخلاصه للمصلحة العامة وعمله في سبيلها ، دون أن يعتد في ذلك بأى شئ آخر مثل الغنى والفقر ، أو المركز والوظيفة . وقد عرف سعد بذلك وهو لا يزال في مناصب الحكومة ومن قبل أن تقوم الحركة الوطنية ، يخالف به « النظار » والكبراء الذين كانوا يحسبون من لوازم مرا كزهم ودواعى هيبتها أن يحتجبوا عن الناس فلا يعرفهم الا حاكين آمرين ، ولا يبصروهم الا شاغى الانوف متكبرين أو متأهلين

ولعل الذى يث فى (سعد) هذه الديموقراطية أنه نشأ عصامياً فاقتحم ميدان الحياة بمجده وهمته وصار يرتفع على سلمها درجة بعد أخرى حتى بلغ ذروتها فعلم أن مراكز الوزارة وأمثالها التى دعت غيره الى كبريلتهم الجارحة ليست بالامر المحال ولا هى بالعسيرة على أصحاب الهمم العالية ، وما دام الشئ فى حيز الاستطاعة للغير فانه لا يدعو صاحبه الى الكبرياء والغرور . ولا تنسين أن الرجل ذا النفس السامية حقاً لا يغتر بنفسه مهما حاز من السلطان أو المكانة والثروة بل انه يزيد تواضعاً كلما زاد رفعة ، وكذلك كان سعد فى جميع أدوار حياته . ويصح أن يضاف الى هذا السبب ان سعداً دخل فى جميع الطبقات فى مراحل عمره فكان فقيراً ثم حسنت حاله ثم صار موسراً فثرياً . وبذلك أحس احساس كل طبقة حتى اذا وصل الى أعلى الطبقات لم يحتقر ما دونها بل احترامها وعطف عليها

وقد تجلت ديموقراطية سعد فى الحركة الوطنية فكان يخطب الناس من كل فئة ويستقبل فى بيته الكبير والصغير ولا يميز بين الاثنين فى المعاملة . وكان يجتمع فى مكتبه الاثرى كبراء وتلاميذ وعمال فى آن واحد فيناقشهم جميعاً ويستمع الى الراى ويقدره دون أن ينظر الى مكانة صاحبه . بل كثيراً ما كان الزعيم يحترم طالباً أو عاملاً ويرحب بهما أكبر ترحيب لانهما ضحيا فى سبيل الوطن ، بينما كان يحتقر كبيراً من نوى الالقاب والاموال فيرفض مقابلته لانه دل على ضعة مبدئه . وحدث أن وفد عليه ذات يوم جمهور من الفلاحين وغصت بهم ساحة البيت فنخرج اليهم وجلس معهم على الارض وهو يقول : « أنا فلاح مثلكم » ! وقد اخترعت السياسة الانجليزية لفظ « أصحاب المصالح الحقيقية » وقصدت به أرباب الاموال فى مصر وزعمت انهم فى صفها ، فقال سعد فى خطبة ماثورة له : « أنا زعيم الرعاع » . وكان سعد بلا جدال أصل الحركة الوطنية فى مصر ومشعل نيرانها وقائد المصريين الى الحرية والاستقلال ، ولكنه كان لا يفتأ يقول أنه أخذ الوطنية عن الامة وتعلمها من الطلبة وأنه « ليس خالفاً للحركة الوطنية

ولكنه ابنها وثمرتها »

ومن قبل سعد كانت مناصب الوزارة وما يتبعها محصورة في فريق من الاغنياء أبناء الوزراء الاقدمين أو المقربين السابقين حتى كادت تعد ميراثا لهم ووقفاً عليهم وذريتهم دون اعتداد بمبلغهم من الكفاءة والوطنية . فلما ولي سعد رئاسة الوزارة في سنة ١٩٢٤ قضى على ذلك العرف السقيم ومن سنة ديمقراطية ستبقى ولا شك من بعده اذ اختار أعضاء وزارته ممن عهد فيهم الكفاءة والاخلاص للبلاد فجمع فيها بين ذوى الالقاب وبين المعدمين منها وسمع الناس لأول مرة في مصر ان « افنديا » يصبح وزيراً وهلل أنصار الديمقراطية لذلك وأيقنوا انه بداية عهد جديد

ثم كن سعد ديمقراطياً في مماته كما كان في حياته فان حرمة أم المصريين أثبت أن توضع أوصيته على نعشه المكرم ورأت في العلم المصرى فخراً كافياً وفي تعلق الشعب بالفقيد منزلة تفوق منازل الاوسمة والالقاب

* *

اما اذا اتخذنا لكلمة « الديمقراطية » معناها الاصلى في اللغة اليونانية وفهمنا منها « حكم الشعب » فقد كان سعد أيضاً أكبر نصراً لها وحامل لوائها في مصر ، فمن قبل قيامه كان الشعب كمية مهملة لا نفوذ له ولا رأى في شأن عام . ولكنه اتخذ من الجمعية التشريعية على وهنها وضيق دائرتها ، ادارة لرفع صوت الشعب واظهار قوته وسلطته ، ولا تزال ترن في آذاننا كلمته للنظار في ذلك العهد اذا قال : (ان حق الجمعية في التشريع حق ضعيف جداً كما يقولون ولهذا نحن نسترجمكم يا حضرات النظار ان لا تزيدوه بقوتكم ضعفا على ضعفه)

ثم علا بسلطة الشعب في الحركة الوطنية وكون لمصر رأيا عاما يهز الجبابرة المستبدين ، فكانت البلاد محرومة الدستور الذى يكفل حقوقها ، والبرلمان الذى يحاسب حكامها وكان سيف الاحكام العرفية معلقا فوق رقابها ، ولكنها مع ذلك

كلفت بقوة رأى العام وحده تسقط وزارة أثر أخرى وتضطر كل وزارة جديدة الى أن تعرض برنامجها على الأمة كافة فلما ان تؤيدها فتبقى واما أن تضن عليها بتأييدها قهوى في يوم او بعض يوم ، وكذلك أنفذ سعد كلمته « الحق فوق القوة والأمة فوق الحكومة » من قبل ان يصدر الدستور ويقرر سيادة الشعب ويقول أن الأمة مصدر السلطات جميعا !

ولما صدر الدستور لم يكن له من واق سوى قوة رأى العام التي تعهدها سعد بعنايته ، ثم لم يسترده من أيدي العتاة المستبدين سوى مبدأ « السيادة الشعبية » الذي بثه سعد في النفوس .

لقد كان جهاده في سبيل الدستور وسلطة الشعب بقدر جهاده في سبيل الاستقلال التام ، فانه أيقن أن الاثنين صنوان متلازمان وأن لا أمان لاحدهما دون الآخر . وكم له في هذا المجال من وقفات خالداات هز بها صرح الاستبداد ، وصد فيها الرجعية فاخضعها وأذلها ، وصار الشعب رافع الرأس وكلمته النافذة ورأيه الأعلى وهل ينسى المصريون موقف سعد باشا في وزارته اذ هدد بالاستقالة لكي تحترم سلطة مجلس الوزراء عند تعيين موظفي الديوان الملكي والوزراء المفوضين ثم موقفه حين عقد البرلمان في فندق الكوتنتال رغم ألف الرجعيين ثم موقفه حين ألف بين الاحزاب وجمع المؤتمر الوطني وانتزع حقوق الشعب من مخالف المستبدين ؟ وهل ينسون اباءه كل تعديل في قانون الانتخابات يقرر نصابا ماليا ويجعل لاحد الطبقات ميزة على غيرها او يجعل الانتخاب على درجتين تضع بينهما سلطة الشعب ؟

كلالا ينسى المصريون شيئا لسعد ، ولا ينسون على الاخص صفحة الديمقراطية في حياته الخالدة

سعد والصحافة

للكاتب الفاضل ١ . ط . المحرر بالبروغ

كثيرون من العظماء والسياسة في العصر الحديث بدأوا حياتهم في الصحافة فكانت لهم سلما ارتقوا فوقه الى أعلى مكانة. ولعل اصل ذلك أن الصحافة صناعة عامة تظهر فيها للناس كفاءة الانسان وتبدو شخصيته دون واسطة . والكاتب في الواقع يعلن عن نفسه ويطلع الناس على قدره في كل مايكتبه سواء اراد ذلك من كتابته او لم يرد . فاذا نجح الصحفي في صناعته وصار له اسم معروف أصبح الطريق امامه ممهدا لمرآ كز النيابة او الزعامة او المناصب الحكم ، وهذا ان كانت له الصفات المؤهلة الاخرى مثل التبريز في الخطابة وغيرها .

وكذلك كان زعيم مصر والشرق سعد باشا زغلول صحفيا في بداية حياته العامة المباركة فانه ما لبث ان أنس من نفسه البلاغة وحسن البيان وهو طالب في الازهر حتى شرع يكتب مقالات قيمة في صحف البرهان والحق ومصر والمحرسة وغيرها من صحف ذلك العهد . واتصل رحمه الله بالامام محمد عبده قائد الحركة الفكرية في مصر وأعجب به الامام وأفاده كثيرا من علمه وبيانه . وكان دليل اعجابه انه اختاره محررا بالوقائع المصرية وكان الامام رئيس تحريرها ، ولم تكن الوقائع المصرية اذ ذاك مجرد صحيفة رسمية تنشر بها قرارات الحكومة وقوانينها وحدها وانما كانت « جريدة » بمعنى الكلمة تنشر بها المقالات والابحاث .

وقد وجد بها الشاب سعد متسعا لا بداء آرائه الحرة وافكاره الحديثة وعنى عناية خاصة بنقد أحكام المجالس الملغاة وكان بعض أحكامها القضائية وضمة في جبين العدالة . غير انه لم يكن صحفيا فحسب يسير على اثر سلفه وكبار رجال الصناعة ولكنه كان « مجددا » اتخذ له اسلوبا سهلا غير اسلوب السجع والتكلف الذي كان

ساعدا ولا زلنا قراء مقالاته التي كتبها في ذلك الحين فلا نجد لها مختلف في لغتها عما يكتب اليوم وهذا فوق ما حوته من رأي سديد وقد بليغ وسعى صادق في الإصلاح والتجديد .

ثم مضى زمن طويل لم يعمل فيه سعد في الصحافة عملاً مباشراً حتى أنشئت الجمعية التشريعية في سنة ١٩١٣ فكانت له فيها وقفات عظيمة كان لها صداها في الصحف ، وكانت هذه تتسابق الى نشر خطبه البليغة التي تفيض جراءة وحماسة فيقبل الشعب على قراءتها . وبذلك مد الصحافة المصرية بمادة جديدة وسهل لها سبيل الانتشار كما مد الجمعية التشريعية بقوة وارانته فصارت رغم نفوذها الضيق تشابة البرلمانات الحقيقية في الدول الدستورية .

ثم قامت الحركة الوطنية فحدثت نهضة سريعة في صحافة مصر وهيأت لها مورداً للكتابة لا ينضب . وبفضلها انشئت صحف عديدة واتخذت نظاما غير ما كان يتبع فكثرت صفحاتها وتنوعت ابوابها وعلا أسلوبها وصارت تعنى بالمادة والفكرة بعد ان كانت تقف عنائها على الانشاء واللفظ . واذا قارنا بين احدى الصحف المصرية في العصر الحاضر وبينها قبل الحركة الوطنية علمنا مقدار الخطوات الواسعة التي تقدمتها الصحافة المصرية في سنوات قلائل حتى صارت لا تقل عن الصحف الغربية .

وقد كانت خطب سعد ونداءاته خير غذاء للصحافة المصرية واكبر سبب لانتشارها . ومن قبلها لم تكن صحيفة مصرية تحلم باصدار نصف العدد الذي صارت تصدره في ابان الحركة الوطنية وحين كانت تنشر تلك الخطب والنداءات . وكذلك اشترك سعد اشتراكا فعلياً في التحرير فنشر في جريدة « البلاغ » عدة مقالات بتوقيع مستعار واقربها الى الذهن تلك المقالات المتسلسلة القيمة التي كان يبعث بها الى « البلاغ » بعنوان « ثورة الوزارة على الدستور » وبامضاء « س . ا » وكانت مثالا لدقة البحث وسهولة الاسلوب .

وكان سعد قدوة لاتباعه من رجال الوفد فجعلوا هم ايضاً يكتبون المقالات في الصحف وانتفعت الصحافة واللغة باقلام بليغة كانت محتجبة من قبل .
ثم كان البرلمان وجلساته وكانت خطب سعد فيه ومناقشاته للنواب بوحيا جديدا للكتابة ومصدرا تستمد منه الصحف مادة وموضوعا

وقد اتيح لى أن اتحدث الى الزعيم الكبير فى امر الصحافة اذ زرتة فى اواخر رمضان الماضى لا قدم له طيبيا من اصدقائى عاد حديثا من المانيا وآخر المانيا مكاتبا للصحف فدار الحديث حول الصحافة فى مصر والغرب وابدى لى المغفور له رضاه عن تقدم الصحف المصرية وعدم « اختصاص المحررين » بمعنى ان يكون بكل جريدة محرر للسياسة الداخلية وثان للخارجية وثالث للقسم الاقتصادى ورابع للشذرات الخ الخ وكان رحمه الله يقصد ان تنسج الصحف المصرية نسج الغربية فى ذلك . ولكنه تدارك قدر صعوبة ذلك فى الوقت الحاضر وارتاح اذ شرعت الصحف المصرية تسير فى هذا السبيل . وكذلك ابدى ارتياحه الى لغة الصحف فى العهد الاخير ولكنه اظهر لى بهذه المناسبة عدم ارتياحه الى كلمة « اخصائى » التى يستعملها بعض الكتاب وقال انه لم يعثر عليها فى مراجع اللغة وأن الكلمة المواقفة هى « اختصاصى » او (مختص) . وقد كان حديثه دالا على عظم اهتمامه بالصحافة ووقوفه على دقائقها .

ولا يذكر سعد فى الصحافة الا ذكرت معه كلمته الخالدة : (الصحافة حرة تقول فى حدود القانون ما تشاء وتنتقد ما تريد . فليس من الراى ان نساها لم تنتقدنا بل الواجب ان نسأل انفسنا لم فعل ما تنتقدنا عليه)



سعد والرأى العام

للمؤرخ الاجتماعى الدكتور محمد ابو طائفة

اذا قلنا ان سعداً هو باعث الحركة الوطنية الاستقلالية فى مصر فمعنى ذلك انه خالق الرأى العام فيها فقد كانت الحركة شعبية بطبيعة الحال لا تستند الى غير ارادة الشعب وقوة عزيمته واتحاد فكرته . ومن قبل سعد لم يكن لمصر رأى عام يعتد به ولم يكن ينى بشئوننا العامة غير فريق محدود من أبنائها

وقد عمل سعد على ايجاد الرأى العام فى مصر منذ زمن بعيد ومنذ دخوله فى عالم الصحافة أيام شبابه . ومن أفضاله انه كان أول وزير مصرى عنى بالامة وارادتها فأدلى بحديث الى بعض الصحف وهو وزير المعارف وكان الوزراء أو « النظار » فى ذلك لا « ينزلون » للتحدث الى الصحف ولا يهمهم أن ترضى الامة عنهم أو تسخط عليهم ماداموا لا يستمدون سلطتهم من سلطتها ولا يستندون فى مراكزهم الى رغبتها

وجاءت الجمعية التشريعية بعد ذلك وانتخب سعد نائباً فيها ثم وكبلاً عن الامة فكان أرفع النواب صوتاً وأظهرهم شخصية وجعل للجمعية على ضيق اختصاصها مقاماً عالياً ك مقام البرلمانات الكبرى وما بلغ ذلك الا بارتكازه على رأى عام خارج الجمعية كان يردد صوته ويؤيده أصدق التأييد فى دفاعه عن الامة وحقوقها وقد كانت خطبه فى الجمعية ومواقفه العظيمة بها هى المحور الذى التف حوله الرأى العام بل النواة التى تكون منها أحسن تكوين

ولما قام سعد قومته فى نوفمبر سنة ١٩١٨ حرك الرأى العام من مرقده وجمع ذراته فصيره جسماً متجانساً وجعله حقيقة ذات آثار ملموسة بارزة . وبعد أن كانت اجزاء الرأى العام مختلفة متعادية يقاتل بعضها بعضاً بسبب اختلاف الدين أو غيره

وحد سعد بينها ووجهها جميعاً وجهة واحدة هي وجبة الاستقلال والدستور
وقد انصف السير تشيرول الصحفي الانجليزى الذى عرف بدروسه القضية
المصرية حين قرن بين الحركة الوطنية فى مصر وبينها فى تركيا فقال ان الاولى
تمتاز على الاخرى « بالتنظيم » فلحق أن سعداً لم يقنع بتكوينه رأياً عاماً قوياً بل
نظم هذا رأى العام على أسس حكيمة ثابتة ، وبدأ تنظيمه بتوقيعات «العرائض»
المعروفة فى بدءا الحركة الوطنية وفيها وكلت الامة سعداً ورجال الوفد فى السعى
لاستقلالها التام وبذلك أمكن سعداً أن يجابه كل معترض ويثبت انه حقاً وكيل
الامة المصرية المعبر عن طلباتها ورغباتها . ثم نظم الوفد وصارت له لجنة مركزية
بالقاهرة ولجان فرعية عديدة بعواصم الاقاليم والمراكز والبلاد بل صارت له لجنة
فرعية للسيدات وحدهن . وكانت هذه اللجان بمثابة برلمان عام وبرلمانات محلية
يظهر فيها رأى العام ويتمثل الشعب بجميع هيئاته وطبقاته . وتولدت من ذلك
حركة تأليف النقابات لارباب المهن والصناعات ولا تزال سائرة فى طريقها النافع
المأمون . وبلغ من دقة سعد فى تنظيم الوفد انه لما اعتقل ورفاقه قامت هيئة اخرى
من الوفد تحمل علم الجهاد ، فلما قبض على أعضائها وزجوا فى السجون وحكم
عليهم بعد ذلك بالاعدام ، قامت فى الحال هيئة ثانية ولما اعتقل اعضاؤها ايضاً
حلت محلها هيئة ثالثة ، وكان سعد قد احتاط للامر من قبل اعتقاله ورتب هذه
الهيئات وعين أسماء أفرادها

وهذا رأى العام الوليد الذى تمثل فى الوفد ولجانه وفى الصحف والمجتمعات
هو الذى أجبر انجلترا القوية الظافرة على التراجع أمام مصر الضعيفة العزلاء . وهو
الذى اضطر الوزارات المصرية التى تعاقبت فى سنى الحركة الوطنية على اعلان
برنامجها للامة ثم على الاستقالة اذا كان برنامجها غير كاف أو لم تستطع تحقيقه ،
وذلك من قبل ان يكون لمصر دستور وبرلمان بل فى اشد أوقات الاحكام العرفية .
والرأى العام أخيراً هو الذى ارغم الانجليز على فك أسار سعد فى مالطة ومفاوضتهم

ايام ، ثم على الافراج عنه ثانية في جبل طارق واعادته الى وطنه مكرما
وقد اتضح بعد ان استقرت الامور في مصر أن الدستور لا وقاية له مع كل
الضمانات التي نص عليها ، وانما سياجه القوى الصحيح هو الرأي العام واردة
الشعب ، فبهما استرد سعد الدستور من مخالب الرجعيين ، ورفع سلطة الامة فوق
كل سلطة اخرى ودفع عن حقوقها عدوان المعتدين

وكان سعد يعنى بالرأي العام الذي كونه ويتعهد به بعهده ورعايته ، وكان يخضع
له في ظروف كثيرة وهو الذي كانت كلمته للامة أمراً مطاعاً ينزل منزلة الاحترام
والتقديس . ومن ذلك انه كان لا يرشح الشيوخ والنواب الا بعد أن تطلب
دوائرهم ترشيحهم وتبدى هذه الرغبة لجنة الوفد في الدائرة او وفد ينوب عن اهلها
لدى الرئيس

ومن دلائل اهتمامه بالرأي العام انه كان رحمه الله يقرأ جميع الصحف حتى
المعارضة التي يعرف انها غير محقة في معارضتها ، وكان يقرأ حتى الصفحات المتأخرة
متها وما يكتبه كتاب غير معروفين . وكان في بيت الامة يستقبل الزائرين من
كل طبقة ولا يأنف ان يناقش اي فرد يبدى رأياً يستحق المناقشة . ونذكر ان
زاره وفد من العمال ذات يوم وطلبوا اليه ان يخطبهم فاعتذر بضعف صحته وتعبه
واذ ذاك وقف واحد منهم والقي خطبة باللغة العامية قال فيها مما نذكره « ان كانت
انجلترا تحكمنا لانها تديننا فاذن يجب ان تستعمرها امريكا وان كانت تحتل
بلادنا لانها في طريقها الى الهند فيجب ان تحتل فرنسا واسبانيا وايطاليا وغيرها
لانها ايضا في ذلك الطريق » . فأعجب سعد بهذا الكلام وقدر صاحبه وخطب
الوفد عقبه خطبة ضافية

كذلك كوّن سعد الرأي العام في مصر ومده من روحه القوية فلا عجب ان
يحزن هذا الرأي العام على سعد حزناً باقياً وأن يخلد ذكره الطاهرة الى الابد

عصامية سعد

لهروب المحترم محرر الكوكب

العصامية كالعبقرية وسائر الاصطلاحات المشابهة لا يمكن تحديدها تحديداً
جامعاً مانعاً كما يقول السادة العلماء

يثب الرجل من مكانة الرجل العادي الى مصاف ذوى الخطر والاهمية معتمداً
على نفسه لا على حسيبه أو نسيبه وبدون أية مساعدة أجنبية فيقال هذا رجل «عصامي»
ويسمى عمله «عصامية»

مثل هذا الرجل لا يمكن أن يكون عادياً في كفاياته ومواهبه وقدرته على العمل
كلاً ولا يمكن أن يكون عادياً في مطامعه ورغباته وأمانيه ولا يمكن أن يكون مخدوعاً
في نفسه واستعداده مغبوراً مفتوناً بما لم تهيئه له الطبيعة

على انك ملاق رجالاً ذوى رغبات جامحة ومطالع بعيدة المنال واحلاماً
غريبة مدهشة ومثلاً علياً شائقة الا انهم لم يخلقوا لتحقيق ما يصبون اليه اذ هناك
فارق بين الرغبة وبين القدرة على تحقيقها وبين الامنية والسعى للحصول عليها بل
هناك من الناس من يسعى سعياً متواصلاً ويكدح كدحاً يستحق الاعجاب لتحقيق
رغباته والوصول الى غاياته فلا يوفق ويخيب خيبة تامة أو يصيب خطأ يسيراً مما
طمح اليه . ويرجع عدم توفيقه الى ان كفاياته ومواهبه لا تؤهله لتحقيق رغباته
وأمانيه مهما أجهد نفسه ومهما تجشم من نصب وعانى من متاعب

وغير صحيح ان الاخفاق في مثل هذه الاحوال يعزى الى الحظ والى الفرص
السانحة يحيا بها أناس ويحرم منها أناس .

هذه حجة العجزة وقصار النظر والمتواكلين لان الحظ السعيد لا يصادف
غير أهله فيما يتعلق بالعصامية وانما يصادف الناس فيما يتعلق بالغنى أو ما الى ذلك

من الشئون التى لا صلة لها بالكفايات والمواهب . ولم يحدثنا التاريخ أن رجلا أسعده الحظ فصار قائداً كسب المارك أو صار زعيما عظيما التفت حوله الجماهير وبادرت خلفه الى اقتحام الاهوال والمنايا نفسها

هذا عن الحظ أما عن الفرص السانحة فإن جميع الناس تعرض لهم الفرص وتعرض فى كل حين ولكن العليلين منهم هم الذين يتهمزوها لان هؤلاء القليلين امتازوا بصفات نادرة من شأنها أن تهتدى الى الفرص فتتهزها

الامر اذن راجع الى تكوين الشخص وكفاياته واستعداده . وبعبارة أخرى ان مرد العصامية الى طبيعة الشخص نفسه قبل كل شئ

وقد كان سعد ولا نكران على صفات ومواهب وكفايات نادرة والافباذا تفسر نزوح فلاح القاهرة مع ان أقرانه اكتفوا بقليل من العلم تلقوه فى المعهد الدسوقى ورجعوا الى قراهم لمزاولة أعمال الفلاحة أو تسلم منصب العمدية أو مشيخة البلاد او الخفر ؟ ليس لانه آس من نفسه عقلا راجعا ورغبة فى الاستزادة من مناهل العلم وقدرته على تحصيله والتوفق فيه ؟

ستجيب بالايجاب ولا شك

ثم نسأل بعد ذلك لماذا هجر سعد الازهر الى الحمامة ؟ اليس لانه شعر انه كفء للحمامة ؟

وقد كان كذلك فانه أصبح بين عشية وضحاها شيخ المحامين وكبيرهم لم يخسر الا قضية واحدة كما حدثنا فى خطبة القاها عقب عودته من مفاوضات مع المستر مكدونالد . بل لماذا اشتغل عن علوم الازهر الشرعية بالكتابة والصحافة فالتحق بقلم تحرير الوقائع المصرية ؟ اليس لانه كاتب بطبيعته ؟

فعصامية سعد هى التى جعلته يطلب العلم فى معهد دسوق وهى التى جعلته يفد على الازهر الشريف وهى التى جعلته يترك الازهر الى تحرير الوقائع المصرية منتقلا الى سلك المحامين

ولم تقف به عصاميته عند حد المحاماة مع انه أصاب منها شهرة وغنى وجاها .
وكيف تقنع عصامية سعد بالغنى والشهرة والجاه ؟ انها تشرئب الى مرتبة اسمى
من منصب مستشار ومن منصب وزير ومن مكانة رجل يعمل لبلاده في دائرة الحياة
العامة كأن يشترك في انشاء الجامعة

وما زالت عصامية سعد تصعد به مرتبة حتى وصل الى مركز الزعامة . وعلم
الله انه كان زعيما بكل معنى الكلمة ثم تطلبت الظروف رجلا آخر اكبر من
الزعيم تطلبت سياسيا ماهرا وتطلبت رأسا مدبرة تسيّر دفة الحكم النيابي فحضرت
العصامية سعدا الى أن يسد الفراغ الهائل فنصب نفسه لاحتمال سائر هذه الاعباء
الجسيمة . فكان عظيما بعصاميته

وانك لو اجد في هذه العصامية سر تغلق الجماهير به وجبهم له حبا يقرب من
العبادة لان العصامية ينشدها الناس جميعا ويقدمون عنها استعدادهم فكل فرد يحب
أن يعتمد على نفسه ويعرف لهاحقها من الكرامة ويحب أن يقتصب المجد اغتصابا
ويحب ان يكون الفضل فيما يتمتع به راجع اليه هولا الى سواه . تلك حقيقة يبرهن
عليها ادعاء أكثر الناس انهم عملوا كذا ونجحوا في كذا بينما هم لم يعملوا شيئا مما
يدعونه لانفسهم . على أن العصامية الحقيقية تتحدث بالاعمال لا بالكلام

فانظر بالله مبلغ تأثير تلك العصامية السعدية في جمهور الفلاحين والطبقات
العامة وانظر الى مفعول أعمالها الموقفة ومساعدتها الجليلة

أعرف قرى في الريف كثيرة غير حالها نبوغ فرد من أفرادها وارتقاؤه الى
منصب حكومي كبير وحيارته لقباضخما . فبلدة « زاوية البقلي » في مديرية المنوفية
اقامها واقعدها نبوغ « الدكتور محمد علي البقلي باشا » فأرسل الفلاحون فيها ابناهم
الى المدارس . حتى لتجد نصف أهلها بين دكتور ومهندس ومحام وقاض وموظف
كبير وكذلك الحال في بلدة كفر المصلحة بمركز شبين حرص نبوغ المرحوم
« احمد حشمت باشا » أهلها على ارسال ابنائهم الى المدارس فنبغ منهم غير واحد

وهناك قرى كثيرة حدث فيها مثل ذلك فكيف بالله يمكن ان يكون مبلغ تأثير نبوغ العصامي في القرى وفي أهل الاحياء الوطنية ممن يتأثرون بالامثلة البارزة ومن يفهمون الرجال بأعمالهم الظاهرة الملهوسة لحرمانهم من القراءة والكتابة أن التأثير ولا ريب لا يمكن تحديده مداه وانما يمكن التأكيد بان القريب العاجل سيشهد طائفة من العصاميين في دوائر عديدة تتناول سائر النشاط الحيوى وسيكون هؤلاء العصاميون من أفراد الشعب الفقير أكثر من أى طبقة أخرى ولن يأبه هؤلاء بالحكومة ومناصبها ولن يقنعوا من طلب العلم ومزاولة الصناعات والاعمال بالمال فالمجد هو الذى تصبو اليه العصامية والمجد لا يقدر على المال والمنصب وكل شئ عرضى . وكفى سعد فخراً وكفاه خلوداً أن تغير حياته اتجاه الجهود بين الفلاحين وتحول انظار الكثيرين الى طلب المجد فى مختلف الشئون

الحق أن تأثير سعد من هذه الجهة عظيم بالنسبة لمستقبل مصر وبالنسبة لاعتمادها على نفسها وتحررها من العبودية للاجنبي سواء أكانت هذه العبودية سياسية أم ادارية أم فنية أم اقتصادية أم ثقافية . فلجيل القادم وما يحققه ويصل اليه ويبرع فيه مدين لسعد محسوب بين اعماله الخالدة

سعد كشرع

لدبيب المحترم محرر الكوكب

لو كانت العبقريّة مسألة وراثيّة فحسب لقلنا أن سعداً وأخاه المرحوم فتحى زغلول قد ورثا عن نبع واحد كفاءة المشرع وموهبة رجل القانون . فلقد كانا علمين من أعلام التشريع والقانون فى الوقت الذى بدأت فيه مصر تعظم القضاء الاهلى مستعيرة القانون الفرنسى — وقد اشتغلا بالحاماة ثم القضاء فكانا من التوابغ الاقذاذ .

ولما كان القانون الفرنسى لا يمكن تطبيقه على مصر لاختلاف العادات والتقاليد والاخلاق والثقافة وتقدم حالة المدنية فى فرنسا عنها فى مصر ، فقد اقتضت الحال وجود أشخاص يفهمون روح القانون ويدركون سر التشريع حتى يستطيعون أن يسدوا قص هذا القانون الجليب ويجعلونه يطابق روح المجتمع المصرى

وتلك مسألة لا ينفع معها اطلاع أو غزارة مادة ، ولا يفيد فيها البحث فى المراجع والموضوعات القانونية الفرنسية ، ولا جدوى بالنسبة لها من وراء تلقى العلوم القانونية فى جامعات أوروبا والتبحر فيها الى درجة الاستاذية لان المسألة ترجع الى استعداد ذاتى ومواهب خاصة يهبها وينميها الدرس والتحصيل ، وطول الخبرة والمران وشدة الذكاء والصبر على موازنة الدقائق والمعضلات وتحليلها ، وإدراك كنهها ولكي تنفع نفسك بأن المواهب والكفاءات الطبيعية مقدمة على الاطلاع والدرس واحراز الاجازات العلمية ، أنك تجد بين العامة وفى القبائل المتجولة أناسا على استعداد فطرى لسن القوانين والفصل فى قضايا دقيقة على نور العقل والنوق السليم

ولقد أصبح معلوما أن الفلاحين المصريين على قدرة عجيبة فى فهم القانون فان لبعضهم أجابات وتأويلات لا تخفى فى بال الحاصلين على الاجازات والالقاب العلمية الرسمية من أكبر الجامعات ، ويحدثك المحامون فى جميع أنحاء القطر المصرى عن أصحاب القضايا من الفلاحين أحاديث تشهد بانهم لا يقلون عن أكبر المحامين حذقا وتصرفا وتفسيرا لآواد القانون والاجراءات التنفيذية فى المحاكم .

نخرج من هذا كله على ان سعدا وأخاه قد ورناعن الشعب المصرى - والشعب هنا هو جمهور الفلاحين - تلك الموهبة ، ونعنى بها التشريعية القانونية ، وأنهما لذلك بذأ أقرانهما وتفوقا عليهم على أن سعدا كان أبعد غورا من أخيه وأعظم استقلالاً فى الرأى ، وأهدى الى وجه الصواب ، واكثر ابتكاراً وتوليداً ، وأفهم

لروح القانون ، وأوسع نظرة الى الحياة وأبصر بمواطن الهدى والرشاد ، وأشد تعلقاً بالحق للحق ذاته . فلقد كان رحمة الله « العدالة مجسمة »

ولسعد باشا نظريات قانونية وآراء معتبرة الحقته بالثقات وأعلام القانون وله مشاريع اصلاحية تلحقه بأكبر المصلحين القانونيين . وكل من يعلم عن سيرته في المحاماة والقضاء ورياسة وزارة الحفانية ، لا يتردد في الاعتراف بأنه اشترك في توطيد العدالة في مصر ، وعمل على حماية الحق والمحافظة عليه جهد طاقته

وأن ذكرت المحاكم الشرعية واصلاحها فاذكر محمد عبده وسعد زغلول . ولو مد الله في عمره لحقق اصلاحها واصلاح قوانينها . على انه بعد يرجع له فضل أى اصلاح يتناول هذه المحاكم

نم لا تنس رأيه الاعلى الذى استمد منه القائلون بالغاء الاوقاف آراءهم ، فال معروف عن الفقيه العظيم انه كان يرى إلغاءها ، وإن له لموقفاً خالداً ازاء تحويل ديوان الاوقاف الى وزارة

ولقد كان سعد بفضل موهبته القانونية وكفاءته التشريعية خير من فهم القضية المصرية من وجوها القانونية ، وخير من تلمس مواطن الضعف فى سائر المشروعات الانجليزية : فهو ولا فخر ، أول من هاجم مشروع بر ونيات ودلل على جوره وسخفه فى اجتماع عقد فى سنة ١٩١٩ بالجمعية الملكية للتشريع والاقتصاد وهو الذى فند مشروع ملتر تفنيداً غاية فى الابداع ، وكانت له اليد الطولى فى رفض الامة له بالرغم مما بذل لترويجه وحمل الامة على قبوله ولا حاجة الى اقامة الدليل على هذا وكيف تقيم الدليل على شروق الشمس وغروبها

ومشروع كرزون ومشروع ٢٨ فبراير قد تخطا على صخرة كفاءته القانونية وما زالت خطبه فى تفنيد هذين المشروعين من اخلاص لمخلفاته وأنبل ما تركه هذه الامة فى جهادها

ولقد قد سعد الدستور المصرى القائم تقدماً لا مثيل له باعتراف أكبر

رجال القانون

وما مقالاته التي نشرها تحت عنوان « ثورة الوزارة على الدستور » الا نغيات قانونية ووحى تشريعي واذا انت تتبعت مضابط مجلس النواب في الدورتين الاولى والاخير برزت لك شخصية سعد مشرعاً ومقنناً قل ان تنجب مصر أو غير مصر مثله . ويمكننا ان نسوق براهين عديدة على رأينا هذا ولكننا نجتنب الى الاكتفاء بتقرير وجهة نظرنا تاركين للقراء استعراض أهم جلسات مجلس النواب ولا سيما تلك التي عرضت فيها قضايا قانونية

على ان سعد باشا لم يكن موهوباً في التشريع فحسب بل انه درس العلوم التشريعية الاسلامية ودرس التشريع الفرنسي ونال اجازة اللسان فيه وكان رحمه الله واسع الاطلاع وتعتبر مكتبته القانونية من أكبر المكاتب الماثلة لها في البلاد ثم انه قد عالج التشريع والقضاء معالجة جدية وأقبل عليها اقبال المخلص المتلذذ بالانكباب عليها . ومن اجل هذا كان من أكبر رجال القانون في مصر ان لم نقل أكبرهم

سعد والانظمة البرلمانية

للعصفي الكبير محرر المقدم

أتفق معظم الباحثين في نظام الحكم البرلماني وتاريخ الهيئات النيابية ولا سيما الانجلوسكسون منهم على أن هذا النظام ينمو نمواً ولا يخلق كاملاً مهما برع الذين يتولون وضعه ومهما أفرغوا من العناية في سن الدساتير والقوانين وهذا النمو يتم باقتضاء الزمان وممارسة العمل البرلماني فتوضع الأصول والقواعد في أثناء السير وتصبح عرفاً أو سابقة يرجع اليها ويعول عليها والذي ينعم النظر في الدستور

البريطاني والنظام البرلماني فيها يتبين له أن غير المكتوب منها يربو جداً على المكتوب ولكن التقاليد البرلمانية مرعية عندهم وهم يختارون رئيس مجلس النواب لاعتبارات شتى منها حسن أحاطته بهذا العرف وتلك التقاليد واجادة تطبيقها.

والبريطانيون وهم أعرق أمم الارض في الانظمة النيابية والأحكام الدستورية وأشدّهم تمسكاً بها واحتراماً لها يجدون في مدارسهم وجامعاتهم ومجالسهم المحلية ومجالس المديريات والبلديات مدارس برلمانية يتأهب فيها من يريد دخول البرلمان الا كبر فيما بعد ففي جامعتي اكسفورد وكمبردج ومعظم جامعاتهم الأخرى جمعيات تدور فيها المناقشات السياسية والأدبية والأجتماعية على القواعد البرلمانية ولم يكتف حزب المحافظين البريطانيون بذلك كله فانشأوا مدرسة خاصة يتدرب فيها الذين يطمحون الى الترشيح للنيابة البرلمانية فيدخلون مجلس النواب وهم عالمون بقوانينه وقواعده فلا يضيعون جانباً من وقته بعد انتخابهم في درسها واقتباسها لكثرتها.

وقد أنشئ الحكم النيابي عندنا وليس لنا شيء من هذه الوسائل فكان من الضروري أن نحسن الابتداء بالعمل ونعني بوضع القواعد والسوابق تسهيلاً له وحرصاً على حسن السير في المستقبل بعد الذي شهدناه من اختيار غيرنا . نعم انه كان لنا مجلس شورى وجمعية تشريعية ولكن البون بين هاتين الهيئتين والهيئة النيابية الحالية شاسع في ما يتعلق بالاختصاص واتساع مدى المهام واهتمام الشعب والصحف . وزد على ذلك أن عيون العالم بأسره اتجهت الينا لترى مبلغ نجاح أمة شريفة في استعمال هذه الأداة التي تعد أداة غربية بحته ولم يكن في الطاقة الاستعانة بالعارفين من الأجانب كما يصنع في المصالح الفنية لأسباب لا تخفى فلما تولى سعد باشا رئاسة مجلس النواب مؤثراً لها على رئاسة الوزارة أخذ الناس يتكهنون في ما يتم على يديه في عمل لم يسبق أن مارسه إلا ما كان من

اشتراكه ! تقصير المدة في الجمعية التشريعية قبل الحرب ولكن لم ينفذ قليل من الزمن حتى تجلت مواهب سعد في هذه الحلبة كما تجلت في سواها وأيقن الجميع أن العناية اختارته لهذا المنصب لتوطيد أساس النظام النيابي وحسن إدارة الأعمال ولم يقتصر هذا الايقان على المصريين الذين عرفوا بحب سعد والاعجاب به بل شمل معظم مكاتب الصحف الأجنبية حتى الذين لم يشتهروا بليل الى زعيم مصر وشمل أيضاً الذين كانوا يزورون المجلس من الأجانب ولاسيما الذين يفهمون العربية منهم .

وما كان نجاح سعد في هذه المهمة لنفوذ الشخصى وهيبته الخاصة فقط بل لأسباب أخرى هي التي بعثت على طرق باب هذا البحث لليوم فقد شهد الذين تتبعوا أعمال البرلمان كيف كان سعد باشا يشرف على المناقشات ويحسن إدارتها ويستوعب كل ما يقال وقد حدث غير مرة ان أسند متكلم الى متكلم سابق قولاً فكان رئيس المجلس يصحح الإسناد ويعيد ما قاله المتكلم الاول بما يكاد يكون كلامه بحروفه وكانت حافظته غريبة فلا ينسى شيئاً يتعلق بعمله ولاسيما الجزء القانونى منه

وعلى ذكر قوة حافظته نروى هنا ما شهدته كاتب هذه السطور في سنة ١٩٢١ حينما استقر القرار على محكمة سلامة بك ميخائيل وكان قاضياً في مجلس تأديب في محكمة الاستئناف وخلاصة ذلك اننا كنا ساهرين في مكتب سعد باشا الكبير وبين الحاضرين قبيب المحامين حينئذ وجماعة من المشتغلين بالقانون والمتصلين بالوفد وقد عهد الى بعض منهم في مهمة الدفاع في مجلس التأديب والظاهر ان سعد باشا كان قد أفتى لهم في اثناء النهار في مسألة تتعلق بهذه المحكمة فقال أحدهم يا معالى الباشا لم نجد في القوانين ما يؤيد رأى الذى تفضلت به اليوم في موضوعنا فرفع سعد باشا رأسه وقال « لم تجدوا ؟ » ثم دعا مصطفى النحاس باشا وقال ائتنى بالكتاب الفلانى فذهب الى المكتبة المجاورة وجاء به فقال اطلب باب كذا

فيه ففتح الكتاب وبحث في الباب فقال سعد باشا اقرأ المادة كذا فقرأها فاذا هي مطابقة لفتواه ثم التفت الى الحاضرين وقال هذا نظام وضع لمجلس تأديب القضاة لما كنت مستشاراً في محكمة الاستئناف

• ويذكر الذين طالعوا محاضر جلسات مجلس النواب ان سعد باشا ابتكر قواعد شتى في ذلك المجلس لاختصار الوقت وادارة المناقشات وتأليف اللجان وتقديم تقاريرها مما لا يسهل احصاؤه هنا لكثرة وسيجنى البرلمان والبلاد فائدة هذه القواعد والسوابق التي صارت في حكم العرف المرعى لمطابقتها لمقتضى الحال . وقد كان موضوع استغراب المستغربين كيف ان سعداً وليس هو بنى خبرة برلمانية استطاع ان يصنع كل ما صنع من هذا القبيل فأفاد فوائد عظيمة ستذكر له في العمل البرلماني ويرجع النواب في مستقبل الايام الى احكامه ونظرياته الصائبة ومع ما كان عليه سعد من قوة الشكيمة والهيبة والنفوذ ما حاول يوماً من أيام رئاسته ان يسير المجلس في طريق ما مكرهاً بل كان يدير المناقشات بحنق وبراعة ولا يفتأ يظهر احترامه للمجلس بالقول والفعل فاذا تبين له ان الجد لا يصلح لموقف من المواقف عمد إلى نكتة من نكاته الرائعة فيبدد « تكهرب » الجو فترتاح النفوس ويجلو ما في الصدور

اضف الى هذا همته الغريبة وعظم نشاطه في العمل وتقديسه للواجب فكان مثالا حياً لما يجب ان يكون عليه من ينوب عن الامة ويمثلها في هذه المهمة الشاقة ولا يستثنى من ذلك سوى اضطرابه الى التبكير في عقد جلسات المجلس في أثناء البرد عملاً بمشورة اطبائه وقد حظروا عليه البقاء في خارج داره بعد ساعة معينة خوفاً من فعل البرد في صحته ومع ذلك فانه كان يخالف هذه المشورة في كثير من الاحيان عندما تقتضى طبيعة العمل اطالة مدة الجلسة

فسعد بما قبض له من اسباب النجاح في هذا المنصب رفع مرتبة العمل البرلماني الى مقام سام وارهق من يخلفه على هذه الرئاسة غير ان المأمول أن ابواب

الابتكار التي فتحتها تظل مفتوحة وان الاصول والقواعد والسوابق التي وضعها
يعد نظره وصدق حكمته تظل مرعية وتكون مثالا يحتذى في ما نحن مقبلون عليه
من اعيان العمل البرلماني واذا اسف المرء على شيء فهو ان الله لم يطل في عمره
ليواصل السير في هذا الطريق ويزيد مجموعة أعماله النافعة في هذا الميدان لاتنا ونحن
في مطلع الحياة البرلمانية في اشد حاجة الى دعم قواعدها وتوطيد اصولها وأسسها
بكل ما يكفل لها الدوام وقضاء الارب واكتساب احترام الشعب لهذا النظام
وتعلقه به واعتبار الذين كانوا يرتابون في مقدرة أمة شرقية على النهوض بعبء
الحكم النيابي والعمل البرلماني

سعد وكفاءته الخطائية

لورد ب مكرم الكوكب

لم يخطئ من قال أن اكبر خطباء العصر الحاضر ثلاثة بريان ولويد جورج
وسعد زغلول . وعندنا أن سعداً يفضل زميليه . لا تقول ذلك تعصبا لزعيمنا
واتباعا للعاطفة وممالة لقوميتنا وانما نقول هذا عن تدبر وروية ومقارنة
الكلام على سعد كخطيب لا يقتصر على وصف صوته وحركاته ، وبيان
وبلاغته بل يتعدى كل ذلك الى شخصيته ، والى فهمه الظرف ، وعرفانه مراطن
التأثير على الجماعات وفي الوقت نفسه قصده الى أن تكون خطبه وافية بالمرام
متمشية مع الحوادث اذ خطيب كسعد كان يخطب للشعب المصري وللعالم من
خصوم وأصدقاء ومحايدين .

صرح سكرتير اللورد ملتر منذ أيام بأن الشخصية الوحيدة التي أجلبها واكبرها
تعد « جوزف تشمبرلين » السياسي الانجليزي الكبير ، ورئيس الوزارة البريطانية

هي شخصية سعد باشا . ومعنى ذلك هو أن شخصية سعد تفوق شخصية اللورد ملتر وشخصية أى رجل سياسى انجليزى، واذا عرفنا ان سكرتير لورد ملتر صحبه الى باريس وبقي هناك طوال انعقاد مؤتمر الصلح محتكا باقطاب السياسة الاوربية فلم يتأثر بشخصية واحد منهم أيقنا أن سعداً يفوق زميليه بريان ولويد جورج (وقد حضرا كلاهما مؤتمر الصلح) بشخصيته . وقد قدمنا أن للشخصية حسابا كثيراً ودخلا عظيماً فى خطب الخطيب . واذن يكون سعد اخطب من بريان ولويد جورج .

على اننا بقطع النظر عن تصريح سكرتير اللورد ملتر مع انه الصديق ومع انه الواقع دون تحيز فان موقف سعد يخالف موقف زميله . فزعيمنا الجليل كانت خطبه دستوراً لاوطنية المصرية وخطة للجهاد ووسيلة من وسائل الدفاع والهجوم اذا قال انصت امة باسرها وانصت بريطانيا وامبراطوريتها ، وانصت معها العالم

اما خطب بريان ولويد جورج فجذل سياسى ينطوى على الحنق واللف ، والدوران والتأويل والتهرب فخطبها على ذلك صادرة عن الدهاء اما خطب سعد فصادرة عن شعور فياض والخطيب يستوحى شعوره لانه يخاطب مشاعر الجماهير ويسوق عواطفهم . وما يخطب بريان ولويد جورج فى الجماهير الا فى الممارك الانتخابية ، وجل خطبهما بين جدران البرلمانات والمؤتمرات . اما سعد فخطب فى مواقف شعبية فالتقى فى الهواء الطلق خطبا تاريخية خطيرة ، وخطب كذلك فى الحملات الانتخابية وفى الجمعية العمومية والجمعية التشريعية والبرلمان المصرى

وقد بلغ من تأثير اشاراته وحركاته ، ومطاوعة صوته لخلجات فؤاده وحسن تعبيره عن قبضات قلبه الكبير ، واشراق وقفته ونبل شخصيته ان خطبه اذا حضرها اعجى لا يعرف العربية انفعل لها كأنه يفهمها حرفاً حرفاً . وهذا نهاية ما يمكن أن يسمو اليه خطيب ذلك بأن خطبته تكون كالقطع الموسيقية يتأثر

لها كل انسان

على انك تعجب لبلاغة هذه الخطب وحسن تنسيقها ونخامة عباراتها أوردتها
مع انها قيلت عفو الساعة ونسجتها بديهة لا ينضب معينها ولا تكل
حديثها ومضاؤها

هذا الى جانب قوة خارقة للعادة تفسح المجال لسعد وتمكنه من ان يخطب
الساعات العديدة اياما عديدة . وكلنا يذكر كيف ان سعداً اعتمد على قدرته
الخطابية في مكافحة الوفد الرسمي حين حوربت صحفه واغلق معظمها وبات ولا
لسان حال له : فكان رحمه الله يخطب الوفود تلو الوفود من الصباح الى المساء وبعد
المساء أحيانا واستمر على ذلك أشهراً كلما تقدم به العهد ازداد ابداعا
واشتد تأثيراً

واذكر اننى شهدت حفلا عظيما خطبه قبل سفر الوفد الرسمي نخلت اننى
جوار بركان يتفجر حمما ويرسل النقم والصواعق اوفى سفح حصن شامخ يقذف
القنابل من كل صوب فتصيب الهدف . كانت تلك الخطبة كالتضاء المحتوم
هولا ورعبا

وأذكر أننى شهدته يخطب جمعاً من الشباب فاذا الحرارة تسرى فى عروقي
والحمية تدب فى جسمي ديب البرء فى السقم واذا بالآمال فى المستقبل والثقة
بالنجاح تملأ خاطري وجناني

لقد كان سعد يقاتل القوة بمعدات كثيرة من أنجعتها الخطب وقد دمرت
النفوذ البريطانى فى مصر وفى الشرق تدميراً ودكت للاستعمار صروحا لا تشاد
بعد ذلك مطلقا

الحرية والاعتماد على النفس والاحتفاظ بالكرامة والوقوف الى جانب الحق
مهما كانت النتيجة والكدح واطراح اليأس واستشعار الطمأنينة فى أخرج الاوقات
وأعصب المحن — هذه بعض المبادئ التى ردها سعد فى خطبه

وأنا للأسف الآن أن بقيت خطب الزعيم الجليل في بطون الكتب
والصحف ولم تحتفظ بصوته العجيب الذي كان كالهيثارة توقع مختلف النغمات
ارتفاعاً وانخفاضاً وقوة وخفوتا وكان في مكنتنا أن تحتفظ بها بواسطة « الحاكي »
وقد قدر ذلك الغربيون فدونا خطب مشاهير خطبائهم في اسطوانات حفظها
وأنت تستطيع أن تسمع للمستر لويد جورج وسواه من خطباء أوروبا إذا ابتعت
الاسطوانات التي دوت فيها خطبه

سعد خطيب الثورتين

للمستاذ المجدد احمد خيرى سعيد

هناك تناسب بين حظ سعد من الثورة العراقية وغرض هذه الثورة ودائرتها
كانت الثورة العراقية محلية وكانت غايتها تمتيع مصر بالحكم الدستورى
واصلاح الحكومة بجعل الوزارة مسئولة أمام نواب البلاد . والذي استحث الثوار
الى العمل هو غبن المصريين الصميمين واستئثار المستجلبين الشركس والألبانيين
بالوظائف الكبرى فى الجيش وفى الحكومة . لكن لا يجب اغفال تأثير انتشار
الآراء الحرة والتعاليم الدستورية التى طلع بها جمال الدين الافغانى وتلاميذه ونخص
بالذكر منهم المرحوم الأمام محمد عبده وقد ساعد على نشر هذه المبادئ وتلك
الآراء طائفة من الشبان التفوا حول محمد عبده وجمال الدين لعل سعداً كان أنجيهم
وكان من الضرورى أن يتولى زعامة ثورة سنة ١٨٨٢ جندى . وكان من
الضرورى أن يكون حظ الملكين من الثورة قاصراً على الكتابة والخطابة وبث
الآراء وابداء وجهة النظر والمشورة على زعماء الثورة بما يتبعونه انجاحاً للمسى
وقد كان سعد زغلول من خطباء وكتاب هذه الثورة مع أنه كان موظفاً فى الحكومة

لكن سعداً ليس من ذلك النفر الذى مازال موجوداً بيننا ، وأصحاب الكفاليات يعتمدون على أنفسهم وأن لهم جرأة وعندهم شجاعة على المجاهرة برأيهم رضى أولياء الامور أم سخطوا . لا تستحقهم انتقامات الرفت وغير الرفت من صنوف التنكيل التى يطعنها الحكم الاستبدادى المطلق اذا فسد أمره وارتبكت آلتها واختل نظامه . ولهذا لم يحفل سعد بفصله عن وظيفته والتحق بالمحامية وصار زعيمها كان مركز سعد زغلول اذن ثانوياً بين زعماء الثورة لكنه نهض بواجبه فى الكفاح ضد الاستبداد المحلى

الا أن اشتغاله بالثورة العرابية اشتغالا جدياً واتصاله بزعمائها من أصحاب الآراء الحرة وللتعاليم الدستورية أكسبه خبرة وألقى عليه درساً لا ينسى فى نفسية الجماهير وفى الاساليب التى تتبع لاستثارتها واستنفارها وقيادتها وعلمه بالمشاهدة والاختبار أن الجماهير تتبع الخطيب وتتعلق الجرىء المقدم وتثق بمن يناضل عنها لوجه الوطن ولا سعاد بنيه



وظهر سعد فى الميدان الثورى بعد مرور أكثر من سبعة وثلاثين سنة . ونحن نستثنى هنا مواقفه فى الجمعية التشريعية لأنها لم تكن شعبية ذات اتصال مباشر بالجماهير . وعاد التأثير بطبيعته الى تأدية مهمته الاصلية والقيام بدوره المقسوم . . . وعاد شيخ الارهاب شاب القلب قى العزيمة خطيباً اريباً بصيراً بأخلاق الناس داهية واسع الحيلة حسن التدبير قد شرب روح النظام ووقف على مفاسد حكم الفرد وشاهد خلل الحكومة وتداعياها من الداخل وعرف أن البلاد ينقصها كل شئ

وقد كان لخطب سعد أكبر أثر فى تكوين الموقف المصرى على النحو المشاهد كما كان لها الاثر فى احيان كثيرة فى رفع صوت مصر والمناداة بمطالبها المشروعة ولعل قدرته الخطابية الفاتحة كانت أظهر صفاته فانه كان لا يعيبه الموقف فى حراجه

وضيق الظرف ومباغتته عن ارتجال أبلغ الخطب وأدائها احسن أداء . وكان موقفاً في اختيار الالفاظ وانتقاء العبارات وسوقها في سلك متسق وصبها في قالب طلي وحدة كاملة متماسكة الاجزاء معقولة المقدمات صحيحة النتائج ينتظمها منطق متين وكان رحمه الله موقفاً في الاسلوب فكان يخاطب الشيوخ بلغة الشيوخ يفرغ عليهم الوقار والترزن ويخاطب الشبان بلغتهم النارية الجريئة وكان اذا هاجم خصومه قذفهم بالصواعق

ولعل أنشط جانب في شخصيته هو الجانب الخطابي وان كانت حياته في العهد الاخير قبضة من النشاط . فلقد ألقى الخطيب سعد آلاف الخطب في غضون السنوات الثمانية الاخيرة على كل فئة وكل طبقة وكل طائفة نساء ورجال على ان الخطب التاريخية البليغة لا يمكن ان يكون لها مثل أثرها ساعة ألقاها الخطيب ولا جدال في هذا فان الخطيب يستعين على اداء ما يجيش بخاطره بالفاظ وبأشياء أخرى بمنجرتة وإشارات وحركات وانفعالاته . فاذا كان في المسكنة تدوين نص الخطب والاحتفاظ بها فكيف يمكن اسماع من يقرأونها صوت الخطيب وكيف السبيل الى امتاع آذانهم فأشاراته وحركاته تحيي النفوس وتقويها بالطبع هناك وقع لما قرأه من خطب ديموستين وشيشيرون وبرك وما كولى ودانتون ومصطفى كامل وخطب لويد جورج وكليمنصو وريان ومصطفى كمال وسعد زغلول ولكن أثرها الكامل لا يتم الا إذا شاهدناهم وسمعنا خطبهم من أفواههم موقد كان في وسعنا ان نحفظ بعض هذه الخطب السعدية كما احتفظنا بمخلفاته جميعاً على نحو ما هو معمول به في بلاد الغرب . فأنت تستطيع ان تنصت « للحاكي » ساعة يلتقي عليك لويد جورج أو هلتر خطيب ألمانيا خطبة والرأى الآن متجه الى تدوين الخطب التاريخية في اسطوانات والاحتفاظ بها في دور الاحتفاظ بالمخلفات والوثائق ؟ ؟

ولله صوت سعد الذي كان في طوعه كالقيثارة في يد العازف الماهر نحكي

الغضب والرحمة والتمرد والايأس وكل عاطفة واحساس بما يواقعها ويحملها اليك فتحسها وكانت اشاراته تؤكد معاني عباراته وتزيد في وقع ما تحمله من مشاعر . بل كان مجرد وقوفه خطبة صامته

البطولة

على ذكر سعد

للطبيب الاديب عباس محمود العقاد

من هو البطل ؟ لا نريد أن نستوحى جواب هذا السؤال من أقوال المؤرخين وعلماء النفس ورجال المعرفة والادب وانما نريد أن نستمع الى اقوال العامة الذين يحسون البطولة ويؤمنون بها ولا يقرعون الكتب او يبحثون في موضوعاتها ، فاذا سألت هؤلاء : من هو البطل ؟ فيغلب ان تسمع منهم جوابا واحداً هو أشيع الاجوبة وأخطؤها أو هو خطأ لانه يصف لك البطولة من ناحية بارزة فيها كدأب العامة ومن لا يتكلفون النقد والمقابلة ، ثم هو يدع نواحيها الاخرى ومراميها فلا يلقى لها بالا ولا يظن ان لها شأنًا في تقدير البطولة و « تكوين » الابطال ، ذلك الجواب الشائع الخاطئ هو ان البطل من لا يخاف ، وفلان بطل عندهم أى انه مقتحم هجم لا يبالي بالعواقب ولا يرتدع عند خطر ، وتلك هي الصفة الغالبة للبطولة في رأى الاكثرين

أما ان البطل شجاع فهذا صحيح لا غبار عليه واما انه لا يخاف فهنا موضع النظر والتأمل ، لأن الشجاعة ليست هي عدم الخوف وانما هي التغلب على الخوف وليست هي تقيض العقل والحكمة وانما هي تقيض الجبن والضعف ، فرب رجل لا يبالي بالخطر يكون اقتحامه جهلا بالخطر وغفلة عن العواقب ويشبه في هجومه الامور

يثب على فريسته كما يندفع الحجر القت به يد قوية فهو لا يملك الجود في مكانه ، لكنها الشجاعة الانسانية التي تشرف الانسان وترفعه الى مقام البطولة هي أن تعرف الخوف ثم تكون انت اكبر منه وأقوى من ان تستكين له وتنكل عن قصدك لاجله ، فالبطل يخاف ولكنه لا يستسلم لخوفه ، وربما كان في اقدامه ضرب من الخوف أعلى من هذا الذي يفهمه السواد ، كخوف الضمير أو خوف الصغر في نظر نفسه أو خوف العار على الاقل وهو ضرب نبيل شائع بين الناس اكثر من شيوع خوف الضمير أو خوف حساب الانسان لنفسه

قد تسمع جواباً آخر عن سؤالك من سواد الناس وأشباه السواد ، فيقولون لك ان البطل هو من يغلب منازلته ويقوى على خصومه ويكون أيضاً على صواب في هذا الجواب من ناحية واحدة وعلى خطأ كثير من نواحي عدة . اذ البطل قد يهزم كثيراً في ميدان جهاده بل هو قد يؤثر الهزيمة احياناً على الظفر لانه لا يحارب بكل سلاح ولا ينشد كل غاية ، وليس من النادر بين الابطال من ماتوا مهزومين في عصرهم وغلبهم اناس دونهم في العظمة والبطولة أو ليسوا من العظمة والبطولة على شيء ، وكأى من هزيمة هي أشرف من نصر يجيئ بذيئ الوسائل وحقيرها ويكون محصوراً موقوتاً لا تقع فيه لا حد ولا أثر له بعد حينه ، ولعل الأصح هنا ان يقال ان البطل من يغلب نفسه ويقوى على شهواته لا من يغلب منازلته ويقوى على خصومه ، فاذا وقف البطل بين فتنة الطمع والغواية وفتنة الحرب والسطوة فخطر الاولى عليه اكبر من خطر الثانية وحاجته الى البطولة التي يقمع بها قوة نفسه أعظم من حاجته الى البطولة التي يصرع بها قوة خصمه ، فليست الغلبة في كل حال هي شأن البطل وانما تطلب منه الغلبة على النفس احياناً كما تطلب منه الغلبة على الخصوم

أوسع من هؤلاء نظراً وأرفع نفوساً من يصفون البطولة بصفة غير الاقتحام والغلبة وهي صفة الايثار وقلة الحرص والانانية ، ولكننا نحب ان نقول هنا ان

الآثرة والا يثار خلتان تلتقيان كثيراً في اجواء العظمة ومبادئ « المصالح الكبيرة » فمن الا يثار في هذه الاجواء والميادين ما هو آثرة بارزة ومن الآثرة ما هو ا يثار محدود. وصاحب البشرية الذى يفرض على الانسان ان يؤمن بشرعه او لا يرى له حقا في الحياة ماذا تسمى فريضته تلك الا أنانية لا أنانية بعدها وآثرة تفوق كل آثرة ؟ تسميها أنانية وآثرة بلا مرأ ولكنك لا يسمعك ان تفرق بينها وبين الا يثار في سبيلها ولا تدرى كيف يكون هذا الرجل مؤثراً أو غير مستأثر إذا هو أراد ان يكون ، والعظيم مذ كان عمله يتناول الامة بأسرها او يتناول الدنيا بجملتها يخدم الناس ويبرهم ويؤثرهم على نفسه حين يخدم وطنه ويحرص على انجاز عمله ، فالأنانية هنا قوة تلهب الغيرة في قلب العظيم لمنفعة الناس لا لمنفعته هو وخديعة طبيعية تخدعه بها الفطرة كما تخدع الاحياء باللذة التى يجدونها في تخليد النوع وحفظه من الفناء ، ولو انك فرضت على العظيم الذى هذا خلقه ان يصبح أنانيا بغير هذه الانانية النافعة لما استطاع ولا قدر على ان ينصف نفسه من تلك القوة التى تسخره وتوهمه انها تأجره على ما يعمل ولا اجر له على كل هذا العناء ، ولو جردته من هذا الخلق لجردته من شئ يتعبه هو وينفع الآخرين وبلغته الراحة التى كانت تعز عليه وحرمت الناس جهده ونصبه الذين كانوا ينعمون به ، ولسنا نقول ان الفرق معنوم بين الانانية والا يثار في الابطال والعظماء فان من هؤلاء اناسا يوصفون بهذه الحالة واناسا يوصفون بتلك ومنهم اناس اذا تعارضت الدوافع الذاتية والدوافع الغيرية اختلفت المسالك بينها على حسب اختلافهم في الطباع والميول ، ولكننا نقول ان الانانية لا تحرم البطل بطولته اذا نزل بها في ميدان العمل الكبير ومستقبل الهمم الجسام

وربما قيل بعد هذا ان البطولة إذن هى العمل الكبير الذى يغير صفحة التاريخ ويحول مجرى الحوادث ويكون له دوى على رأى أبى الطيب كتناول الانامل العشر في الآذان ، نقول « لا » مرة اخرى لان هذا خط بين العظمة

والبطولة وهما غير سواء في المعالم والسمات ، فقد يكون الرجل عظيماً وليس هو ببطل
وقد يكون بطلاً صغيراً لا ينعت بالعظيم . وتيمور لنك قد غير صفحة التاريخ وحول
مجرى الحوادث ، بل نعتقد نحن ان له فضلاً على حضارة اليوم لعلمنا كنا فاقديه
لولم يظهر لغاراته اثر في الوجود ، فهو الذي اجلى الترك عن بلادهم وهو الذي
جر بذلك الى فتح القسطنطينية فانتشار النهضة فالتماس المسالك الى الهند حول
افريقية فتسابق الامم في العلم والسياحة وفنون الحرب والسلام ، فهو ذو حصة في
حضاره اليوم ترجح على حصص الكثيرين من ذوى الشهرة بالخير والسمعة
بالتمير . ولكن هل ننظم تيمور لنك في ابطال الانسانية لانه عظيم الجهود أو
عظيم الأثر في الدنيا ؟ كلا . فقد يعد الرجل في العظماء ولكنه لا يعد في الابطال
ولا خطر لاحد أن يعده في هؤلاء .

وها نحن قد رأينا ان الشجاعة وحدها لاتهم في تكميل البطولة وانما الذي يهم
هو غرض الشجاعة ، وان الغلبة كذلك لا تشهد بالبطولة وانما الذي يشهد لها
الميدان الذي تبرز فيه الغلبة ، وان الانانية لاتنقض البطولة لانك قد تجعل الخير
مطلباً انانياً فانت اذن خادم نفسك وخادم الناس من طريق نفسك ، وان العظمة
ليست هي البطولة لان العظمة صفة مشاعة بين الخير والشر والنفع والايذاء ، فخلاصة
ما تقدم ان للبطولة سبيلاً هو ذاك الذي يعيننا منها وذاك الذي يميزها من العظمة
والايثار والغلبة والشجاعة ، وكاننا نقول بعد هذا ان البطولة هي التضحية ثم انها
هي التضحية في سبيل الآخرين

ان البطولة والاستشهاد بمعنى واحد . فاذا قيل لك ان فلاناً بطل فاسأل هل
هو شهيد ، فاذا سمعت نعم فهو البطل عظم او صغر والا اخترله صفة غيرها لان
الشهادة عنصر لا تقوم بطولة بغيره . وليست البطولة على هذا بالشئ النادر بين الناس
فان كل انسان بطل في صفة من صفاته وفي ساعة من ساعاته ، والام التي تسهر الليل
وتضني وتهلك وتصبر على الشظف والهوان من اجل ذلك المخلوق الضعيف الذي

تسميه ابنها والذي يجهلها ولا يجزيها ولا يدفع عنها ولا عن نفسه هي آية بطولة
كريمة ومثل تحمله الجباه وتسخوله النفوس بالعطف والتثنية ، ولكنه بعد مثل
كبير مشترك بين جميع الناس بل مشترك بين جميع الاحياء لافضل فيه لمخلوق
على مخلوق ولا لامرأة على امرأة الا في العوارض والنوافل ، والمحبة الذي يشقى
ليسعد حبيبه وينصب ليعلم ان في النصب راحة لمعشوقه ويستطيب العذاب في
عاطفته ومشادة في خلوص طويته هو آية اخرى ولكنه كذلك آية مشتركة لا يندر
مثلها ولا تخشى الانسانية من نفاذها ، والحارس الذي يستهدف للموت لينقذ قطاراً
يوشك ان يتردى في العطب او مدينة توشك ان يدهمها العدو او غريقاً يوشك ان
يلتهمه الماء هو آية اخرى اندر من ذينك المثلين ولكنك بعد لا تندر ان تشاهد
في بعض الحيوانات الوفية او بعض النفوس التي لا يرجى منها خير كبير للانسانية ،
والطيور الذي يغامر بالحياة في الجو العصي يذلل صعابه ويفتح فجاه بطل بمجور على
نفسه ويوسع للناس آفاق الحياة ، ولكنه لا يسمو الى افق عال من البطولة لانه انما
يغلب خوفاً مألوقاً في قلبه وليس هذا الخوف بأغرب ما يتقى ولا بأهول ما يخاف على
الابطال ، فانت ترى ان البطولة على هذا ليست من النادرة بحيث يظنها السواد
ولكنها البطولة العظيمة هي تلك المنحة النادرة بين هذه الخلائق كندرة كل شيء
عظيم . ولو لم يكن في الدنيا الا الابطال العظام لما أجدوا عليها شيئاً وليس من
حولهم من يلبي بطولتهم ويجاوب اريحياتهم وينجذب الى ذلك العنصر فيها كما
ينجذب الجرم الصغير الى الجرم الكبير . فهذه البطولة في كل انسان هي التي
تستجيب الدعوة اذا اهيب بها وتهض للفداء اذا اصابته من ينسبها صفاتها ،
ومن ثم تلك الفوارات العجيبة في الشعوب تثور في ايام ونحدها في ايام اخرى
فلا يثيرها الخطر ولا المبدأ ولا الحض ولا التأنيب ، لانها انما تنتظر البطولة التي
تخاطبها بلسانها قهوب من قرارات الصدور

فلا بطل درجات والابطال ضروب وشكول ، وكما يوجد البطل الصغير والبطل

الكبير يوجد كذلك البطل الوطنى والبطل الدينى والبطل العالم والبطل المستكشف وهذا الذى يعيش بين الجماهير وذاك الذى يعكف على العزلة وذلك الذى يحب الارض ولا يستقر له قرار واولئك الذين يتباينون فى خصال شتى ويختلفون بينهم اختلاف النقيض من النقيض ولا تجمعهم كلهم الا جامعة البطولة ، فلا تصدق من يقول لك ان البطل لن يكون الا جها عسوقا ولا من يقول انه لن يكون الا بشوشاً صبوراً او جادا صعباً او فكها مداعباً او غازياً او مؤاسياً او غراً او داهياً او غير ذلك من الشرائط التى يتحملها بعض وصاف البطولة وحاصرى حدودها ومزاياها . فالحق من كل هذا أن البطولة هى الفداء وان البطولة العظيمة هى الفداء العظيم ، وأن عنصر التضحية هو أن يكون الانسان مفطوراً فى خلاقته وسجاياه الى غيره فكلما كان ذلك الغير عدداً وأشرف قدراً وابقى أثراً كان عنصر التضحية اجل واكرم واغلى وأقوم ، وكان هذا هو مناط التفاضل بين الابطال من جميع الدرجات والشكول .

والتضحية مقياس آخر فى باطن النفس غير ذلك المقياس الذى فى خارجها ويرجع فيه الى الناس وما يصيبون من بطولة البطل وجهاد الشهيد ، ذلك المقياس نعرفه حين نعرف التضحية ونتفق على معناها ، فهى كما نفهمها نحن الغلبة على الخوف او الغلبة على الامل والمقياس الذى يفرق بين درجاتها وشكولها هو — على هذا — المقياس الذى يفرق ضروب المخاوف وضروب الآمال ، فمن الخوف ما يغلبه المرء بآدارة واحدة تثب الى رأسه فاذا ذلك الخوف صارع أو صريع وانتهت الوقعة بهذه الوثبة الواحدة فليس لها عليه كرة تعود ، وان الذى يبخع نفسه لم يستطع أن تثب هذه الوثبة فلا يدل على كبير شئ ولا يكون له قسط من دعوى البطولة ، وان شبيهاً بهذا لمن يغلب خوف الموت مرة واحدة او مرات متعددة بوثة من تلك الوثبات الفجائية أيا كان باعثها والامل الذى وراءها . فتلك هى بطولة النواب او بطولة الفداء الطارىء يساور القلب فى الفينة بعد الفينة ولا يشف عن

قدرة دائمة وخلق اصيل ، ومن الخوف ما يطول امده ولكنه لا يحتاج الى قدرة عظيمة لجهاذه وقهره . فهذا الخوف او ذاك دليل على عنصر البطولة التي تغلبه او تروضه على الطاعة والسكوت

وقد يعرض على الانسان مبلغ من المال ليبيع وطنه او عرضا او حقا فيجمع قوة نفسه ويقهر غواية المال وفتنة السرور واللذة ويقول كلمته الراضية وكأنه مغض العينين أوفى غيبوبة السكر والحمية . فضيلة هذه القوة لا تنكر ولكنها مع هذا فضيلة لها أحدها وقيمتها وتعلوها ولا شك درجيات كثيرة من الفضائل وقوى النفوس تعلوها مثلا تلك القوة التي تصر على الالباء والاغواء ملح عليها والحوادث تتقلب حولها والفاقة والغنى يعتورانها واللين والشدّة يتناوبانها ، وتمطوها كل قوة مطمئنة تقهر التجارب التي تطيف بها أبدا عليها تجدد عندها غرة للتطلع او موطنها ضعيفا للتسليم .

ان الرجال الذين يخافون على امهم الذل ويرجون لها العزة ، او الذين يخافون على العالم قاطبة ان يرين عليه الرجس ويرجعون له الخلاص والرفعة ، أو يخافون عليه الظلاء والجهالة ويرجون له النور والمعرفة ان هؤلاء الذين يخافون ذلك الخوف ويرجون ذلك الرجاء ثم يثبتون على محنة المطامع والآلام أعواما طويلا لا يلوى بهم جاه ولا تقعد بهم رهبة ولا يفسون الأمة والعالم في ما أزرع الهول ومدارج الغواية — اولئك هم عظماء الابطال في تاريخ بني الانسان واولئك هم شرف الآدمية وعزاء الحياة والمعنى الذي تطيب من أجله الارض وتنظر من صوبه السماء .
ومن هؤلاء كان سعد زغلول .



بساطة سعد وتواضعه

ميزة يمتاز بها العظماء

للطبيب الاجتماعي محرر الكوكب

لك أن تسمى بساطة سعد ديموقراطية ولك أن تسميها سذاجة . ولك أن تسميها ما شئت مما تحمل هذا المعنى

جميع العظماء يشتركون في هذه الميزة . وما كانت لتعتبر ميزة قط لولا أنها إحدى صفات العظماء فإن السذاجة موجودة في الأطفال وفي سواد الناس وفي الكهول والعجائز وهنالا تعتبر ميزة وإنما تضاف الى قائمة الصفات العادية : هي ميزة في العظيم لان جلال شخصيته يفهم منه الناس أنه ارتفع عن مصاف البشر وانفصل عن عامتهم وذهبت منه تلك الصفات الأولية الساذجة ، لكن العظيم يجمع في شخصه كل الصفات الانسانية معبراً عن الطبيعة البشرية في كل عصر وكل أوان ولكل صفة فيه عشاق ولكل خلة معجبون . وهذا هو السبب في التفاف الناس حول العظيم حين حياته والاعجاب به وتقديره أو تمجيد به بعد وفاته . وسواء في ذلك أهل وطنه ولغته وأهل جنسه وأهل جيله ممن لا يشتركون معه لاني وطن او جنس أو ديانة أو لغة ، اللهم الا الانتساب الى الجنس البشري . وكلما كانت صفات الزعيم وخلاله متعددة ، كلما كان الاعجاب أعظم وأكبر

فمثلا كان الشعب الانجليزى معجباً بنابوليون مع أنه كان يكرهه ، ومع أن نابوليون كان يعمل بلا هوادة على سحق هذا الشعب ، ويقول المؤرخون أن (وليم بت) وسائر ساسة الانجليز أبوا على نابوليون أن يعيش منفياً عن فرنسا في انجلترا — أو بالأحرى لندن — خشية أن يحول اعجاب الشعب الانجليزى به

وتقريرهم له وهتافهم لبطولته دون الانتقام منه
ومثل هذا شاهدناه من نفس الشعب الانجليزى عقب وفاة سعد : فان الصحف
وكبار الساسة الانجليز راحت تربيته أبلغ رثاء ، وذهبت تشيد بعظمته ، وما صدها
عن ذلك فى حياته الا اساليب الكياسة الدبلوماسية

فاما وقد انقطعت صلة سعد بالحياة وسوى الموت حسابه مع الانجليز وصفى
مركزه معهم فقد صار من المحتم البوح بالمكتوم واطلاق ما كان محتجزاً فى
النفوس من تقديره والاعتراف بمواهبه الفذة ، وكفاياته الخارقة

يجمع الذين كتبوا سير عظماء الرجال ان صفة مشتركة توجد فى كل عظيم وهى
البساطة ، حتى ليقولون ان العظيم تبقى فيه من الطفولة تلك الخلقة الطاهرة .
ويعلمون ذلك باسم العظيم لا يتلوث بالغرور ولا يلحقه من الزهودون . فمهما
اصاب من نجاح ، ومهما كانت مساعيه بالظفر ومهما بلغ من اجلال الناس له فانه
لا ينخدع ، ولا ينى دائماً يرجوا نجاحاً اعظم وظفراً اكبر

فالعظيم يقيس نفسه بمثله الاعلى لا بما اصابه من نجاح وظفر ولا باجلال
الناس له وقد عرف عن يتهوفن اعظم موسيقى العالم انه كان يقول فى اخريات
حياته انه لم يصنع ما يريد ان يصنعه على جهابذة الفن الموسيقى يقولون ان ما
صنعه هو المثل الاعلى والغاية التى ما بعدها غاية لكنهم انما يقيسونه الى مثلهم
الاعلى اما هو فيقيس نفسه الى مثله الاعلى وشتان بينهم وبين مثله الاعلى
ومثلهم الاعلى .

وقد كان سعد باشا اذا خطب الجماهير شعروا أنه واحد منهم ، مع انهم
يتأهبون لشهود خطبته مستشعرين الرهبة ، ومتوقعين ان يطالعهم جبار يشرف
عليهم من عليائه . ويظنون هكذا حتى يقفوا منه وجها لوجه ، فاذا بهم يستشعرون
بدل الرهبة ايناساً ، وبدل الانكماش تبسطاً وبدل الخشية الفة . وما ذلك الا
لان المواجهة تقضى على التوهم ، وتظهر حقيقة النفس البشرية

لكن اذا احتدم سعد في عباراته وقذف بالمهلكات على خصومه ، وتفجر بركان غضبه ، عند ذاك يعود الجمهور الى حاله الاول من الرهبة والاحلال ، لان الموقف تغير ، ولان البطل قد دخل غمار المعركة ونفض عنه خلال العاديين ، وأقبل على الخطب بكلياته وبما يملك من قوة

وعلم الله ان سعداً كان اذا استقبل وفود الفلاحين عاد ساذجا مثلهم ، لا كلفة ولا تعمد ولا تظاهر ، بل يلقاهم على سجيته ويلاطفهم مبتسماً مستبشراً وما برحنا نذكر كلمته الخالدة : « اخجلتم تواضعى » نعم لقد كان متواضعاً ، ولقد كان مثالا للتواضع وكان يفتخر بأنه من الفلاحين . وبأنه زعيم الطبقات العاملة المعبر عن آمالها

كان العامة اذا التمسوه وجدوه بينهم . واذا عناهم أمر لم يحجبهم عنه شئ كان في استطاعتهم أن يخاطبوه كما يخاطبون بعض رفاقهم . وكانوا يدركون ويشقون أن عظمتهم عظمة متواضعة

وقبل سعد كان الباشا أو الوزير ملكا غير متوج . وكان من المستحيل أن يتنازل واحد من هؤلاء عن كبريائه فيتدلى الى مخاطبة أحد أفراد الشعب فماذا عساك تستشر عند ما تعلم أن أفراد الشعب هؤلاء قد انهدمت الحواجز بينهم وبين سيد تلك الطبقة من « الباشوات » والوزراء أليس لمخالطة سعد لأفراد الشعب وتفاهمه معهم كل حين . معنى يدلك على عظمتهم من جهة . ويدلك على مبلغ أثر العظمة في الجماهير من جهة أخرى ، ثم اليس هذا التواضع رفعة ، وذلك النزول الى صفوف الشعب عين العظمة لان هم العظيم انما يكون عظيما بأهل جيله يسوسهم ويقوده عني حب وعن رضا وعن طيب خاطر . هم جنودهم المتطوعون الذين يتقدمون لنصرته ومظاهرتهم من تلقاء أنفسهم . لانه قد امتلك نفوسهم بساطته وتواضعه ولا أبغض من الكبرياء والعنجهية الى الجماهير . وأفراد الشعب يحبون من العظيم أن يكون كاملا في اخلاقه ومثلا أعلى في كل شئ وبالاخص في

الصفات الشائعة بينهم. والخصال التي تدل على أنه إنسان بمعنى الكلمة :
إنسان كامل

صفحة القومية

في حياة سعد

للمؤرخ الاجتماعي الدكتور محمد أبو طاهر

ليست حياة سعد إلا كتاباً يقرأ ، وفي كل صفحة من صفحاته مجد مائل ،
وأمثولة بالغة ، وفي كل كلمة منه درس يعيه الخلف ! وعلم يسير بهدايته المفلحون
ومن أنصع الصفحات وأبقاها في حياة سعد صفحة القومية ، لعلها الصفحة التي
بني عليها كتاب مجده ولولاها لما كان سعد زعيم مصر وقائدها في الجهاد .
خرج سعد من صميم الشعب وكان ابن فلاح وحفيد فلاح ، ولم تخالطه ذرة من
دم أجنبي ، فكان مصرياً قحاً ومثالا للقومية المصرية في شكله وطباعه . والتفت
عارفوه من الأجانب الى هذه الصفة فيه فكانوا يفرقون بينه وبين غيره من
الكبراء والبارزين الذين تمثلت فيهم جنسية أجنبية الى جانب الجنسية المصرية ،
وكانوا يتخزنونه دليلاً على ان المصري الصميم أهل للارقاء والعبقريه مثل أجداده
من العرب أو من المصريين القدماء .

وسعد في مصريته الخالصة ثاني زعيمين برزا في وادي النيل ، وكان أولهما
« عرابي » الذي خرج أيضاً من صلب أسرة مصرية بمحنة ومن طبقة الفلاحين
المحافظين على قوميتهم ، غير ان سبيلي الاثنين مختلفان ، وكذلك اختلف نصيبهما
من الكفاءة وحظهما من النجاح .

وظهرت الروح القومية المتغلغلة في قلب سعد في بداءة حياته فدفعته الى

الانضمام للحركة العرابية التي كانت تقاوم نفوذ الجراكسة والاتراك والدخلاء والتي جعلت شعارها كلمة « مصر للمصريين » . وسجن سعد في هذه الحركة فكان . مسجته بداءة تضحيته في سبيل القومية المصرية وكان مقدمة لدوره الاكبر القادم . وربما سأل البعض لم لم ينضم سعد بعد ذلك الى الحركة الوطنية الحديثة التي حمل لواءها المغفور له مصطفى كامل باشا ، وهي كالحركة العرابية كانت ترمي الى رفعة القومية المصرية التي يدين سعد بمبداها ؟ في ظننا ان الذي منعه من ذلك ان تلك الحركة لم تكن وطنية خالصة او لم تكن قومية بالقدر الذي أراده . فانه بينما كانت تقاوم الانجليز وتكافح الاحتلال ، كانت ترغب في ابقاء السيادة العثمانية اسميا علي مصر فهذا الذي نفر سعداً منها او بعده عنها على الاقل فانه لم يقبل ان تكون فوق مصر سيادة غير سيادة الامة المصرية ولم يرض السيطرة العثمانية وان كانت اسمية واهية كما لم يرض أية سيطرة أخرى . ثم كانت تلك الحركة تمزج الوطنية بالدين وتعتمد على الخلافة وتسعى الى الجامعة الاسلامية ولكن سعدا كان يرغبها حركة قومية خالصة ويرى الاقرب الى العمل ان تستقل مصر قبل أن تتحقق فكرة الجامعة الاسلامية

وما قصد بما تقدم أن تنقد الحركة الوطنية في الزمن السابق او نؤاخذ زعيمها مصطفى ونحن ممن يبجلونه ويقادسون ذكراه ، بل نحسب انه كانت ثمة من ظروف ذلك العهد مبررات للصيغة التي اصطفت بها الحركة ، غير انها فيما نظن مبررات لم تكف سعدا الذي تقدم أمته سنوات عديدة ولم يرض الا الاستقلال التام عن تركيا وعن كل دولة أخرى .

بيد ان سعدا رفع القومية المصرية في ذلك الحين ايضا بمظاهره وأعماله . اذ كان في انوزارة الوزير الذي يمثل العنصر المصري خير تمثيل والذي يحفظ كرامة المصريين أمام الانجليز أصحاب القوة والسلطان . وحوادثه في ذلك كثيرة تروى . ثم دفع سعد القومية المصرية في سنة ١٩١٩ دفعة علت بها الى السماكين فصار

المصريون يعرفون وطنهم مصر وحدها ، لا تركيا او « الدولة العلية » . وقد حرص سعد حين قيامه على ذلك ، واعتبر السيادة التركية زائلة ، كما اعتبر الحماية البريطانية باطلة . وبذلك صارت الحركة الوطنية في مصر حركة قومية حقاً وانشر في مصر مبدأ « الجنسية » الذي انتشر في أوروبا وغيرها في القرن التاسع عشر فكان سبب الحركة الاستقلالية في دول البلقان وإيطاليا وأمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية .

وايقن سعد انه لا سبيل له الى بث روح القومية المصرية الخالصة في نفوس أمته الا اذا جعلها وحدة متجانسة وقضى على الفروق بين طبقاتها وطوائفها ، ولذلك جعل بداءة سعيه ازالة كل خلاف بين المسلمين والاقباط وجعلهم مصريين قبل كل شيء ، وكذلك منع كل تفريق حاولته السياسية الانجليزية بين الاغنياء « أصحاب المصالح الحقيقية » وبين سواد الناس . وكلامه في ذلك مأثور قد نقش فوق القلوب : ومنه قوله في خطبة ألقاها في سنة ١٩٢١ : « لا أثر عندنا مطلقاً لاختلاف الاديان . فمن يوم ان ظهر فجر النهضة الحاضرة رأينا في أفق مصر الصليب يعانق الهلال ، رأينا التعانق رمزاً للسلام والاخاء » ومنه قوله في خطبة أخرى ألقاها في سنة ١٩٢٣ « اعلموا انه ليس هناك اقباط ومسلمون . ليس هناك الا مصريون فقط » وهذا المبدأ الذي نادى به سعد لأول مرة في مصر هو أساس الحركة الوطنية ولولاه ما كانت نهضة « قومية » ولا بلغت ما بلغت من الفوز حتى اليوم .

وكان سعد يفخر بمصريته في خطبه ونداءاته وأحاديثه فدعا بذلك تفاخر المصري بجنسيته وهو أصل الوطنية الصحيحة . ومن أقواله الخالدة في ذلك : « افتخربان أكون على رأس أمة حية شاعرة مفكرة ذات آمال قوية في الاستقلال التام » وهكذا كان يث في الامة روح الثقة بالنفس ، ويملاً نفس كل مصري نفراً بوطنه .

ومن دلائل تقدير سعد للقومية المصرية مقاومته للدعوة التي قام بها البعض في

أواخر سنة ١٩٢٦ لبند الطربوش ولبس القبعة ، ومادعاه الى مقاومتها كراهة
للتجديد ولكن رغبة صادقة في حفظ القومية المصرية واحترام جميع مظاهرها
ومميزات

سعد وترقية مستوى التعليم

الدبيب المحترم محرز الكوكب

ان سعداً الذى نشأ فلاحاً فى الريف والذى طلب العلم فى معهد دسوق ، ثم
فى الازهر ثم درس الحقوق بالفرنسية ونال الليسانس فى باريس
ان سعداً الذى هذا شأنه ، والذى كان به تعطش الى المعرفة والاستزادة فى
المعلومات العامة والخاصة ، ادرك انحطاط مستوى التعليم من جهة ضرورة تعميم
التعليم الأولى ومن جهة اخرى . أدرك الى جانب هذا ضرورة اصلاح الازهر
والمعاهد الدينية وبقائها منها لعنبا ومورداً سائماً لارتشاف العلوم العربية والشرعية
مع ما يناسب فى العلوم الاخرى

ولقد أبلى فى كل هذه بلاء حسناً وحقق الكثير من امانيه بالنسبة لها جميعاً
فحركة اصلاح الازهر مدينة له بعد « الامام محمد عبده » وتاريخ هذه المعاهد
وقدما واصلاحها المنتظر يقترب دائماً باسم سعد العظيم
وحين أنشأ مدرسة القضاء الشرعى فتح الباب أمام طلبة الازهر بما يريده
هم ، وابتغى فى هذه المدرسة ان تكون امتداداً للازهر وحلقة التعليم فيه رضى
المكابرون أم ابوا

وتلك الجامعة المصرية من عمله . وما انشئت إلا بمجهوده الموفق لما كان
مستشاراً ، ولسنا نذيع سرا اذا قلنا ان مساعيه وفروذه حملا الاغنياء على التبرع

بالمال ووقف الاطيان على الجامعة المصرية الاهلية التي تولى رئاسة مجلس ادارتها في خلال الحرب وفي اخرج الاوقات ، فحافظ على كيانها وحماها وأقننها من البوار والملاشاة

وكان رحمة الله عليه صاحب فكرة ضمها الى وزارة المعارف ، وقد شهد اتحاد الجامعة له بذلك في عزائهم الذي امضاه الدكتور طه حسين بما معناه « ان الجامعة المصرية مدينة لما بميلادها وحياتها وبلوغها هذا الشأن »

ولم يكد الزعيم العظيم يضع اساس الجامعة المصرية الاهلية حتى اختير لوزارة المعارف . وهنا انصرف بكلياته الى ترقية مستوى التعليم ، وغل يد دنلوب والسهر على تنظيم تلك الوزارة . ولو أن سعداً كان قد عين وزيرا للمعارف منذ ان احتل الانجليز البلاد ودسوا مستشاريهم في الوزارات يأمرهم فيطاعون ، ويبتون في المسائل ولا من رجل يقف في طريقهم أو يناقشهم الحساب لما تمادى دنلوب في خطئه ، ولكان للتعليم شأن آخر ، ولما كانت المدارس معامل لتخريج الموظفين فحسب

على انه لم يطل عهده في هذه الوزارة ، وبالرغم من ذلك فقد تركها والعلوم تدرس باللغة العربية في المدارس الثانوية وحركة التعريب والترجمة على قدم وساق والمعلمون ورجال التعليم قد افتتح أمامهم باب الحلول فخلو محل الانجليز الذين لم يعد اليهم في حاجة

وله غير هذا أعمال مجيدة فسعى لاكثر المدارس الثانوية والابتدائية ومراقبة الكتاتيب والاشراف عليها . ولقد انصف خريجي دار العلوم الذين ظلمهم دنلوب فرفع من مرتباتهم ووظائفهم

ولا جدال في ان وزارة سعد التي وليت الحكم في سنة ١٩٢٤ قد شرعت في تنفيذ برنامج تعميم التعليم ، وجدت فيه ونجحت نجاحا له شأنه ووضعت نواة عهد جديد يقضى فيه على الامية ، وتتمتع مصر وشعبها لأول مرة في التاريخ

بالتعليم الإلزامى . وعبث ان يسهب فى أهمية تعليم افراد الشعب القراءة والكتابة ومبادئ العلوم الضرورية التى لاغنى عنها لمتحضر فى عصر النور والحرية .
قالشعب المصرى قد انجبه منذ سنة ١٩٢٤ اتجاها مجيدا سيكفل باذن الله التحرر من موبقات الجهالة وسيسلحه بسلاح العلم والمعرفة

ولا جدال فى ان جهل الشعب كان له أثر موبق فى استعباده واستغلاله .

أما اليوم . وبعد اليوم . فلن يستنزل هذا الشعب ولن يخضع قط

فهاهو بطل الاصلاح فلقه خضد فى شوكة دنلوب وحطم النفوذ البريطانى فى وزارة المعارف . وضرب مثالا لمن بعده من الوزراء المصريين أن لا يكونوا ألوية فى يد المستشار . وأن يحتفظوا بكرامتهم . فى الاحتفاظ بها احتفاظ بكرامة مصر

وأحسبك أيقنت ان رفع مستوى التعليم العالى ووضع أساس التخصص فى الاداب والعلوم والفنون راجع الى سعد بوضعه « هو وأصدقاء له كانوا معه مساعدين ومعاونين وكان هو الكل فى الكل » أساس الجامعة الاهلية المصرية أو تفكيره فى إلحاقها بوزارة المعارف

وحسب سعد أن يكون أول من شرع فى تحقيق تعميم التعليم الإلزامى . ان هذا وحده فتح مبين ونصر يظفر فيه النور بالظلام والعلم بالجهل وانه والله لأول العهد بنفض الوطن عنه غبار العصور الوسطى وأطراحه اكفان الجهالة التى لفت فيها مع الملوحيات وترك فى مثل القبور يغط فى نومه ويتحكم فيه حتى الارقاء فى الممالك بل حتى مثالا كافورعبد (بنى اخشيد)

حسب سعد وهو أبو الشعب أن يكون قد قام لاولاده بما يكفل لهم تغذية نفوسهم وتقوية عقولهم واعطائهم خير سلاح للنضال فى هذه الحياة فى هذا القرن المنير

أثر سعد

في ترقية الطلبة

للساب الاديب عبد الحليم رافع الطاب بكلمة الحق

اتنا لو نظرنا الى الطوائف في مصر على اختلاف طبقاتها قبل النهضة التي قام بها زعيمنا الاكبر وبعدها لوجدنا انقلاباً محسوساً في نفسية تلك الطوائف ونشاطها وسنشرح هنا التأثير العميق الذي أثره الرئيس الجليل في نفوس الطلبة ونزعاتهم وقيمة هذا التأثير تظهر اذا علمنا أن نجاح تلك الطبقة يرتكز عليه تقدم الامة ومستقبلها

اذا اختلج قلب الانسان بشعور يجعله يعتقد في مقدوره الوصول الى ما يريد يتوقف على مقدار هذا الشعور بنجاحه في أعماله ومقاصده فاذا كان هذا الشعور قوياً كان النجاح قوياً واذا كان ضعيفاً كان انعدام كان النجاح معدوماً ولعقلية الانسان تأثير أيضاً في نجاحه فعلى حسب عقلية الانسان وشعوره يكون نجاحه . ومهما كانت السبل التي يتخذ بها معلوماته نافعة والمنافع التي يستقي منها تعاليمه عظيمة فان تلك السبل وهذه المنابع لا يكون لها كبير أثر في نجاحه مالم تترن بشعور يحفزها ويستثير قواها الكامنة فانتا نرى أناساً كثيرين قد تلقوا معارفهم في أكبر الجامعات وحصلوا منها على أعظم الالقاب وأضخمها وكنا نظن أنهم ستركون لنا آثاراً خالدة في العلوم والفنون التي تخصصوا فيها ولكنهم لم يتركوا لنا سوى أجسامهم نحملها الى القبر وتركوا ميدان الحياة وهو خال من أعمال تخلد ذكراهم بينما نرى أناساً آخرين كانت سبل تعليمهم ومنهجهم عقيمة وضئيلة وذلك لفقرهم ولكنهم بروا أصحاب الالقاب العلمية الضخمة . والسبب في إخفاق الطائفة الاولى ونجاح الطائفة الثانية هو الفرق في الشعور وفي النفسية

لقد كان سعد ذات نفسية عظيمة وشعور قوى نشيط وكان ذلك هو السبب الوحيد
الذى جعله ينبثق إلى قمة المجده والعظمة ولم يقنع بذلك بل أراد أمته على أن تبلغ معه
إلى تلك القمة ولذلك جاهد وتحمل مشقة النفي ولم يخضع للقوة الغاشمة فى عنفها عند
ما أرادت أن تسطو على الحق فى مآمنه فقال لها مخاطباً « وبما انى موكل من قبل
الامة للسعى لاستقلالها فليس لغيرها سلطة تخلىنى من القيام بهذا الواجب لهذا
سأبقى فى مركزى مخلصاً لواجبى والقوة أن تفعل بنا ما تشاء أفراداً وجماعات فانا
جميعاً مستعدون للقاء ما تأتى بجنان ثابت وضمير هادى علماء بأن كل عنف
تستعمله ضد مساعينا المشروعة إنما يساعد البلاد على تحقيق أمانيتها فى
الاستقلال التام »

ظالما ذهبنا اليه نحن الطلبة وكان اليأس يكاد يأكل أكبادنا ويقطع نياط
قلوبنا فلا نلبث عند ما ندخل اليه حتى نجد ان الامل يملأ نفوسنا والنشاط يزخر
فى صدورنا فقد كانت نصائح النارية ورة صوته القوية يبعثان فىنا روحاً جديداً
ونفسية نشيطة وكانت اللهجة التى يخاطبنا بها لهجة أبوية فكانت كلماته وحركاته
وسكناته وشخصيته وعظمته وشعوره تجعلنا نتحدث دائماً بها ونحاول أن نقلدها
وكان مفعولها يرسخ فى قلوبنا رسوخاً جعله سوف لا يخرج منها مطلقاً

لقد كنا نفخر بينوتنا له وبأبوتنا لنا وبجنديتنا له وبقيادته لنا وكنا نتشوق كثيراً
لان نسمع من فيه كلمة « أبنائى » فهل لنا بعد اليوم أن نتشوق لسماعها ؟ أخفت
ذلك الصوت الذى كان تأثيره فىنا لا يعادله تأثير أى مدرس مهما كان بليغاً أو أى
ناظر مهما كان عظيماً أو أى كتاب مهما كان شيقاً ؟

لقد ذهبنا إلى قبرك ياسعد فكما كنا نكثر الذهاب إلى بيتك بيت الامة
فسوف نكثر الذهاب إلى ضريحك ، ذهبنا إلى ضريحك وكنا نعتقد ان التأثير الذى
سنتأثر به سيقبل عن التأثير الذى عودتنا أن نتأثر به فى بيت الامة ولكننا ألفينا

الحال غير الحال ووجدنا أن تأثيرك فينا في الحالة الثانية أبلغ وأفصح منه في الحالة الاولى

وقد قيل في وقت أن زغولاً أفسد الطلبة فرد المغفور له سعد باشا على ذلك القول الواهن وبرهن على أن الطلبة يذهبون اليه لتلقى المبادئ القويمة والاخلاق الصادقة والحكم البليغة والوطنية الشريفة فليس اكتساب العلم بالمسألة الهينة ولا مجرد جلوس الطالب أمام مدرسه وسماعه الدرس من فيه وإنما يجب أن يكون الى جانب ذلك أمور أخرى أهمها وأعظمها إيجاد الشعور بحب العلم في نفس الطالب وهل هناك وسيلة لايجاد هذا الشعور في الطالب أحسن من ترغيبه في حب الوطن والمناضلة عنه واستخدام مواهبه لمنفعته ؟ وهل يتأتى للانسان ذلك ما لا يكن عالماً وقديراً وهذا يجعله يحاول أن يكون كذلك وهل هناك إنسان يمكنه أن يبت تلك الروح « حب الوطن » في نفوس الناشئة أقدر من سعد باشا

أن الشعور الذي بثه فينا سعد هو الذي جعل الطالب منا ينظر إلى الاعمال التي يمكن أن يشتغل بها في مستقبل حياته وصلة تلك الاعمال بالمنفعة الوطنية ومعرفة أيها أصلح لذلك فيختارها ويقبل عليها باشتياق وغبطة . وقوة الخطابة والكتابة مظهران يدلان على صحة هذا القول فإن الطلبة فيهما بعد النهضة أحسن منهم فيها قبلها

أن مفعول خطبة سعد التي سمعناها منه في نادي سيروس في ٢٣ ديسمبر سنة ٩٢٣ ستمكث في قلوبنا إلى أن تقف حركة تلك القلوب فهو بعد أن شرح الصعوبات التي لاقاها في منفاه في سيشيل والمعاناة التي عومل بها والمشاق التي صادفها والعزم والجلد اللذين قابل بهما كل هذا أشرق وجهه بنور الوطنية ولعلت عيناه بضياء الحرية وقال بصوت رهيب يتسلط على جنان كل انسان وفؤاده قال وهو يستخف بالآلام التي قاساها ويهزأ بها « أي شرف أكبر من الشرف الذي يحرزه من عرض نفسه لفداء وطنه بل أي لذة أشهى للنفس وأحلى من اللذة التي يجدها الوطني في

تعزيزه لمصلحة بلده »

ان نهضة سعد جعلت الكثيرين من الطلبة ينزحون الى الخارج ليتشبعوا بروح الحرية والعلم وجعلتهم يكونون الجمعيات كي يتمكنوا من ان يخدموا امتهم لانها تقوم به الجماعة يفوق ما يقوم به الفرد وجعلت الفرد منهم يحاول دائماً المحافظة على عزته وقوميته لدرجة لم يكن يحاولها من قبل وذلك ليرى الاوربيين والامريكيين ان المصريين لا يقلون عنهم تمدناً ورقياً . كذلك جعلت الآباء يرسلون ابناءهم الى المدارس حتى يمكنهم ان يرقوا الوطن

وجعلت كذلك الطلبة في مصر يحاولون نشر الدعاية بين الاجانب بجميع الطرق

اننا ياسعد نذكر لك تلك المآثر التي أسبغتها علينا وتلك المشاعر التي نفتها فينا وهذا النور نور الوطنية الذي أحياه في قلوبنا وتلك البذور بذور الحرية التي غرسها في صدورنا ، نذكر لك كل ذلك وهذا يجعلنا نتألم كثيراً لفقدك لانتا كنا نود لك الخلود في تلك الحياة ولكن أنى لنا ذلك « والانسان ضعيف والقضاء غالب وكلنا ذاهبون »

هاهي دموعنا تجري مدراراً فاذا حاولنا تخفيفها وجدنا القلوب تسكب دماً فاذا حاولنا منع الدموع وجلس الدماء وجدنا عقولنا توحى اليها فتقول اتركوا عواطفكم تفعل ما تشاء وما تريد فعند ذلك يرتج علينا الامر ونترك العاطفة تفعل ما تريد ونصبح قائلين سنتبع مبادئك ياسعد الا في شئ واحد الا وهو الحزن ، وسنخالفك فيه لا لانتا نريد أن نخالفك أو لانتا نريد البكاء وانما لانتا مجبورون عليه فالعقل والضمير والعاطفة والوجدان والقلب والجنان يأمرنا جميعها بالبكاء وهل يمكن لانسان مهما كان جليلاً ان يقام شعوراً فياضاً تؤيده كل تلك المشاعر . . . ؟!

تطرف سعد واعتداله

مثله الأعلى بين أئمة

للأئمة الفاضل ناصر محمد المصطفى الإسكندري

ما يزال الناس جميعاً في حزن على سعد . وهم كلما شعروا بالفراغ العظيم الذي أحدثته وفاته بينهم . ازدادوا حزناً على حزن . ومصائباً على مصاب . ولا تحسبهم قادرين على ترك أحزانهم والاستشفاء من آلامهم . مادامت قضية استقلال الوطن معلقة بيننا وبين خصومنا أو غاصبي حقوقنا القومية . بل ومادامت هذه القضية الكبرى في حاجة إلى التضحية وإلى أقدام الرجال يهبونها جهودهم وحياتهم غير طامعين في جزاء ولا شكور :

ولقد كان سعد رأس هذه الأقدام العظام في الشعب المصري . وقد ملأ الله هذا الرأس علماً وحكمة ودهاء ورهبة . ثم جعله الله كذلك ينبوع الخلود بين الناس يستقون منه ما يخلدون به دنيا . ويمجزون عليه أخرى ، وما نحسب قارئاً أو كاتباً ، ولا نحسب فاهماً ولا عاقلاً ولا مدركاً من العلم أو الحس شيئاً . ألا ويذكر لسعد كثيراً من الفضائل والافضال . وهؤلاء خصومه الشرفاء الأوفياء الذين اختلفوا معه رحمه الله في الوسائل المؤدية إلى الغاية القومية هؤلاء خصومه الشرفاء الأوفياء قد بكوه أكثر من بكاء أنصاره عليه . وقد مجدوه كذلك ودعوا الناس كافة إلى تمجيده باعتباره مثلاً أعلى للزعامة الوطنية . وباعتباره دعامة قومية في حياته ووماته ، بل ثروة شعبية لا ينضب لها معين ولا يقننها كلالها والأيام . وهؤلاء أعداؤه أيضاً الذين حقدوا عليه في حياته الدنيا طمعاً وحسداً . ما وسعهم أن يشهدوا دموع الأمة الملتهبة وأن يحسوا بأنفسها المثل العظيم مصابها فيه حتى راحوا يعترفون بأفضاله العظيمة وقد كانوا — إلى زمن قريب — ينكرونها عليه !

الحق ان سعداً عظيم خالداً الاثر ، والحق أنه لم يكن لفريق في الامة المصرية بل وفي كل أمة نزاعة الى الاستقلال والحرية دون فريق آخر . وانما كان سعد قوة حذارة تسربت الى قلوب أبناء مصر كافة وأبناء الشرق عامة . فأيقظت هذه القوة القلوب . وقد كانت غافلة أو مستنمية

فسعد والحالة هذه هو الشعب المصرى فى قوته المعنوية الوثابة المتفانية فى العظمة والسمو سبيلاً الى المجد . فاذا ما بكاه الشعب المصرى ، أو إذا ما بكاه الشرق والغرب قائما يبكى الباكون عامة حاضراً مجيداً ويبكى المصريون منهم خاصة مستقبلهم أيضاً خوفاً من أن تصاب قضية استقلالهم بسوء من أثر هذا الفراغ العظيم الذى أحدثته وفاة سعد . وقد كان رحمه الله أشد العاملين جهاداً لدفع مثل هذا السوء المتوقع . فى حالة الغفلة أو الاستنامة الى ما يطلبه خصوم الاستقلال المصرى . وخصوم الدستور المصرى

لقد قالوا ان سعداً كان معتدلاً ، وقالوا انه كان متطرفاً . ولقد وصفوا سعداً بالاعتدال تارة والتطرف أخرى دون ان يقدروا غير ما تمليه عليهم شهواتهم ، وغير ما تصوره لهم مخيلاتهم . ولو أنصف هؤلاء قليلاً لوزنوا سعداً وأعمال سعد بموازن الحكمة التى لا يوجد لها الا العقل الراجح الذى يقدر نتائج كل رأى . كذلك يقدر نتائج كل حكم يصدره زعيم أو تقضى به هيئة يعمل على رأسها هذا الزعيم وإذا كان لسعد ميزة عرفته الى الناس . أو عرفت الناس اليه . بل وإذا كان لسعد ميزة رفعتة الى أعلى درجات الزعامة . فهذه الميزة هى تقديره رحمه الله قدر كل شئ على حقيقته التى يفهمها القاضى النزيه والمهندس الفنى التقدير الذى يبنى بناءه على حساب الأرقام الصحيحة المتفقة مع الواقع

ومع هذا . فليس شك فى ان القدرة على الموازنة الصحيحة فى الزعيم الوطنى الذى يعمل لانهاض بلاد كصر ، ليس شك فى أن القدرة على الموازنة فى هذا الزعيم ميزة للتطرف الحمود العاقبة وميزة للاعتدال المرغوب الناحية . فى كل حالة .

سواء أكانت قومية أم كانت خاصة والزعيم الذى لا تتوافر فيه الميزة لا يستطيع الاحتفاظ بمقام الزعامة الذى وصل اليه بين الشعب . وعلى الأخص اذا كان هذا الشعب لم ينضج بعد نضوجاً علمياً صحيحاً

ومن أمثلة تطرف سعد ما نرويه معجبين لا لكونه غاية فى التطرف المحمود فحسب ولكن لكونه كذلك غاية فى الاعتدال المرغوب . فقد ذهب اليه رحمه الله نفر من طلبة الاسكندرية . قبيل سفره عام ١٩٢٣ الى لوندرا لمفاوضة رئيس الوزارة الانجليزية « مستر رمزي ماكدونالد » . ذهبوا اليه على أثر محاولة احد الطائشين الاغرار اغتيال حياته فأخذ خطيب منهم يبرأ الى الله من هذا المعتدى الآثم ومن ثم قال الخطيب : « ستقصدون الى لوندرا للمفاوضة فى أمر استقلالنا الصحيح وإذا كان للشباب أن يسمع دولتكم كلمته . فليس عند هذا الشباب ما يقوله غير أن يضع أمنيته فى منطوق معنى هذا البيت الشعرى

ونحن اناس لا توسط بيننا * لنا الصدر دون العالمين أو القبر

ثم جلس

أما سعد فقد سمع هذا منشرح الصدر ثم نهض على الفور يقول لهؤلاء الشبان المتحمسين : « سأطلب لكم الصدر . فاذا لم أفز به لكم دعوتكم الى مواصلة الجهاد . ولن أطلب لكم القبر بأى حال »

هذا مثل تطرف سعد . وهذا مثل اعتداله وليس عسير على كل زعيم ان يتخذ هذا المثل من بعد سعد قاعدة له فى جهاده للوطن . انما يطلب الصدر أولاً فاذا لم يدركه . وقد بذل كل ما استطاع من جهد . طلب سبيلاً من سبل الجهاد . وما اكثر هذه السبل وما أفعالها فى غاية الشعب أو غاية الفرد

والآن قد بكينا سعداً وسنعمل على تخليد ذكرى سعد

فلئن كنا نود أن نحى سعداً حياة خلود . فليس اقرب الى ما نوده من العمل

على قياس ما كان عمله سعد للوطن . وإلا فانتا نكون قد أسأنا الى هذا الذى
نمجده من قلوبنا اليوم

أيها المصريون اتحدوا حول ميثاق قومى واحد . على ان تطلبوا حقوقكم كافة .
وإذا أعوزكم للوصول الى هذه الحقوق المقدسة جهاد فجاهدوا . ولا تهنوا ولا تفرقوا
أيها المصريون : ان أردتم حياة سعد الخالدة . فهذه لا تكون فى المرائى ولا
فى البكاء وانما تكون فى تتبع خطواته القويمة طلباً لاستقلالكم الصحيح وحریتكم
الكاملة فليكن مبدؤنا الاول : إما الى الصدر وأما مواصلة الجهاد

كيف كان سعد عظيماً

للأديب المجدد احمد فخرى سعيد المحرر بالانفجار

يبنى العظيم مجده من النجوم ويمضى الى أربته صعداً فوق اشلاء الكوارث
والحن كأنما يضرب بالنصر ويرمى عن قوس القدر

بيان الشاعر والكاتب فى القصيدة الرائعة وفى القصة البارعة وبيان العظيم
فى أعماله ومساعيه واذا كان الشاعر والكاتب يمتاز كل منهما بأسلوبه تسطع فيه
شخصيته فان العظيم يمتاز عن العاديين بشخصيته تتجلى فى أسلوب حياته ونمط
تدبيره وخطته للوصول الى طيبته

حياة العظيم أشبه الاشياء بالنهر يجرى من حيث ينبع الى حيث يتدفق فى
الآذى اللجب لا يبغي فى مجراه عوجاً . وتغير السنون وهذا النهر فى متجهه الفرد .
والعظيم تغلب نزعة لا ارادية إلهية تتصرف فى مواهبه وتوجهها صوب الغاية
التي أصطفاها الله . فمن غالب العظيم كان كمن يتحدى ارادة الخالق . اللهم الا اذا
تحرز العظيم برهة من الارادة العليا . وقد يجتاز العظيم فترات يكون فيها رجلاً

عادياً . وهذا هو تعليل الخصومات التي يلقيها العظيم وهذا أيضاً هو تعليل اجلالة حياً وميتاً لان التوجه الخالد فيه هو انبارز وماهيات العظيم الا كالتجوات الضحلة في التمثال الضخم لا تحيل جماله قبحاً ولا تذهب باتساق أجزائه ولا تزرى بلطف ابداعه ونصاعة فنه

هذا الجثمان الكثيف وما يلازمه من ضعف ازاء مغريات الحياة وهذا الجانب الارضى من كينونة العظيم وهذا الظلام الذي ينبعث من المادة الصفيقة بطبيعتها . كل هذه هي التي تجعل العظيم مهما فطحته السماء وزودته بموحياتها وحاطته بعنايتها فرداً من بني آدم . ولولا هذا لكان العظيم إلهاً أو على الأقل نبياً وان الناس في ا كبارهم العظيمة انما يعبدون القدسي من صفات العظيم فا كبار العظماء من عبادة الله

وانه كلما ابعد العهد بالعظيم كلما أضفى المجهول على شخصيته وعلى أعماله جمالا وسحراً . قد كرى العظيم أبداً يزداد بهاؤها وأبداءً يتضاعف جلالها كصورة أبداعها فن روفائيل أو رمبران كلما بعدت عنها أمعنت المسافة في حسناتها فأن أنت مثلها بالوهم كانت أجمل وأروع

* *

ولقد كان سعد زغلول عظيماً حلقت به همته فوق الجبل وأشرفت شخصيته الجبارة على عصر من عصور الانتقال فاستحث سيره فعاد خيباً طلعه ومامات حتى قطعت مصر مفازة هذا العصر المضطرب القلب وأوفت قوميتها على مقام نعمت فيه بالنضوج واكتمال القوى

كان سعد يسبق هذا الجيل . كان هدية المستقبل المجيد للحاضر السعيد . كان كلمة القومية المصرية الفاصلة وعزيمتها الملهبة . كان يطوى في شخصه احساسات لحظات الانتقال وحقائق المرحلة الاخيرة من مراحل التطور . . . والتطور حالة ثابتة تسوخ جنورها في أعماق الازل . لكنه كان للمستقبل أكثر مما كان للحاضر

أما الماضي فقد أنبتت صلته به وتلاشت أواصره في نفسه ومن ثم التف حول شخصيته المتعددة النواحي جميع المصريين على أن عناده واراادته المسيطرة وخلافة جاذبيته كانت تسوق المتثاقلين عن السير في موكب التقدم رغم أهوائهم ومستظل ذكراه تسوقهم

وان ماهي* لسعد من الاعمال في حياته تنوء تحت عبئه الثقيل عشرات الالوف من الاقذاذ والمهمين ذلك بأن شخصية العظيم جمهرة من الشخصيات اندجحت فصارت كلا متعدد النواحي بقدر تلك الشخصيات الصغرى ولقد جمع سعد في شخصيته الكبرى شخصية الخطيب وشخصية المجاهد وشخصية المجدد وشخصية المصلح وشخصية الظالمى* الى المعرفة وشخصية الزعيم وشخصية القاضى العادل والمشرع الحصيف وجمع الى جانب هذه الشخصيات شخصيات أخرى من جوهر لين ولكنه خير ركبت فيه لحكمة مجهولة ولعلها هي التي أعانتة في احيان عدة على الخروج من الهزيمة الموقوتة مظفراً

فأى صفاته أعلى شأنًا حين نباشر تقديره ؟ !

هل هي قذفه العدل على القوة فاذا هي زاهقة ؟ ! أم هي تسلحه بالحق الاعزل في صراعه الباطل ؟ ! أم هي كدحه المتسق المتلاصق عاكفا على العمل ملتناً بالمتاعب والنصب ؟ ! أم هي جرأته العاتية ام شجاعته المستمرة ؟ ! أم صلابته المتكبرة ؟ ! أم أمه المضى على الدوام وفي احلك ساعات الفجيعة ؟ ! أم سخريته بالحوائل والموانع والقيود ؟ ! أم نفاذ بصيرته الى لباب الامور كأنما يقرأ كتاب الغيب ؟ ! أم رفته انوادة ؟ ! أم سلاسة عطفه ؟ ! أم تفجعه للمصيبة تسحق المنكودين ؟ ! الحق ان صفاته كآلهة اليونان اختص كل منها بميزة من مزايا الفضيلة والخير والقوة ولكل منها معنى ولكل منها مذاق مستطاب

لقد مات سعد وسط المعمة مثل نلسون ولكنه أدى الواجب وأداه عن

امة بأسرها

وان العظمة لتأبى ان تكون المصيبة فى القطر كالمصيبة العادية — هى تصر على ان تكون المصيبة فيه عظيمة وغير عادية وخارجة عن الحزن والألم والفجيرة . وما المصيبة فى العظيم إلا عبرة تلهم فهمها القلوب ودرس ينتظم معانى الحياة وهكذا كانت المصيبة فى سعد عبرة مستفادة ودرسا بالغا

عظمة سعد (١)

استاذ الكبير مكرم بك عيبر سكرتير الوفد المصرى

الوطنية والحب

منطق القلب يأسادة هو الحب . والحب اس الفضائل جميعها . وهو واحد وان تعددت انواعه . وأسماؤه . فحب الله هو الدين — وحب الفضيلة هو الادب وحب الوطن هو الوطنية وحب العشيرة هو القرابة والحب الجنسى هو الذى اصطلح الناس على تسميته حبا أو عشقا — وحب الصديق هو الصداقة — وهكذا كل العواطف يجمعها شعور واحد هو الحب — ومصدرها واحد هو القلب — والقلب من الله والله محبة كما جاء فى التوراة

ان عاطفة الحب فى أسامها عبارة عن تمازج الارواح فقد يكون شخصا ويدخل فى ذلك الحب العائلى والصداقة أو عاما وهو المحبة الوطنية — أو الدينية وغيرهما — ولا تظنوا ياسادتى ان المحبة العامة مجرد عاطفة خيالية — كلا بل هى فى بعض الاوقات خصوصا فى أوقات الحماسة أشد وقعا على القلب وأكبر أثرا فى النفس من المحبة الخاصة — بل أن الانسان كثيرا ما يضحى بالمحبة الخاصة فى

(١) مقتطفة من الخطبة البليغة التى القاها الاستاذ فى حفلة الطلبة

بالاسكندرية فى ١٣ ديسمبر ١٩٢٣

سبيل المحبة العامة فيضعي بمصالحه وأولاده ونفسه في سبيل حب بلاده أو فكرة سامية - أخذت بقياده

ولست أحتاج الى الذهاب بعيداً للتدليل على هذا الحب العجيب - والدرجة القصوى التي قد يصل اليها فمثل الحى قريب منا فى بلادنا ونفوسنا . وان شأؤادليلا ماديا فليبحثوا عنه فى قبورنا وسجوتنا

والواقع ان حب المصرى لاختيه المصرى فى تلك السنوات الاخيرة ليس مجرد عاطفة وطنية بل هو حب المؤمن لاختيه المؤمن (انما المؤمنون اخوة) وحب الجندى لاختيه الجندى فهو اذن حب قوى تجمعهم فكرة واحدة وجيش واحد وقائد واحد وقد ذهب هذا الحب بأبنائنا فسفكوا فى سبيله دماءهم وضحوا من أجله بحريتهم

وان شئتُم مثلاً آخر يدل كم على مقدار هذا الحب العام فهاكم ما جرى لنا فى (ممباسة) عند عودتنا . فكلكم تعلمون ان الهند على اختلاف طوائفهم اكرمونا اكراما عظيما وأضافونا فى بيوتهم بعد أن رفض الانجليز أن يقبلونا فى فنادقهم (لاتنا شرقيون محترقون) وعند ما سافرنا من ممباسة ودعنا اولئك الاخوان . وكانوا يكون وكنا نبكى دموعا حاره كأنما تركنا اعز احبابنا . والواقع اننا أحببناهم وأحبونا لانه جمعنا وياهم جامعة عامة جامعة الشرق الواحد وجامعة الظلم الواحد

ان احسن وصف لهذا الحب العام هو ما جاء فى الكتب المنزلة من أن أصحاب الايمان الواحد أو الفكرة الواحدة . هم اخوة وأقرباء . وكنت قبل الآن أحس . بكثير من الدهشة عند ما كنت أقرأ فى الانجيل الشريف انه قيل للسيد المسيح أن امك واخوتك بالباب يطلبونك . فأجاب بلهجة شديدة قائلاً ما معناه . ان أمه واخوته . وأقرباءه هم الذين يتفقون معه فى رأى والعمل الصالح . نعم . هم الاقرباء الحقيقيون تجمعهم صلة النفوس لا الاجساد

والحب كما تعلمون عاطفة متبادلة لانه يستلزم تمازج الارواح . ولاريب .

أن السبب كل السبب في أن الامة لا تحب العدليين هو انهم لا يحبونها كما أنها
تحب الوطنيين لانهم يحبونها

ولا يغرنكم قولهم ان الحب أعمى وأن الامة قد أعماها حب سعد . كلا .
فلا يعنى البصائر الا الكره والحسد الواقع ان كره سعد هو الذى أعمى بصائرهم ولا
يعرف الصفات أو الفضائل الاساسية فى انسان الا من كان صديقا صدوقا وأمكنه
أن يطلع على دخائل قلبه . ومكان نفسه . أما العدو فلا يرى فى عدوه الا عكس
هذه الصفات - كما ان من يعرفك معرفة سطحية لا يرى فيك الا الصفات
السطحية فالحب اذا بصير لا تخفى عليه خافية من خفايا الناس ولو أنه لا يهتم
لتفصيلات السطحية النافية

عظمة سعد

لعلكم سمعتم انشودة البعض ضد سعد زغلول أنشدها خطباء القوم أخيراً
على كل النغمات الهادئة والهائجة والحزنة والمضحكة ولو كان لا قول العدليين قيمة ذاتية
أو وطنية لتمسكنا بما قالوه فى اطرائه قبيل حضوره وعند عودته فكم قالوا عنه انه
الرجل والزعيم والحكيم (كما مدحونا نحن ايضا قبيل عودتنا من سيشل ليكسبوا
تعزيدنا ضد اعضاء الوفد فى مصر) ولما لم ينالوا من الرئيس مأربهم ولم تجز
عليه خديعتهم قلبوا له ظهر المجن وذموه بغير ما مدحوه استغفر الله بل بعكس
ما مدحوه فكانوا فى هذا الامر كما فى غيره من الامور على أتم التناقض مع
أقوالهم وعلى أتم الاتفاق من طبائعهم وميولهم

غير انى اربأ بسعد ان انزله الى ميدان الجدل فى وصف عظمة نفسه أو
المناقشة فى عظمة عمله كلا فلسنا نمدحه لانهم كرهوه بل لاتنا نحبه

واسمعوا ذا كلمة الحب فى سعد فانها ان طالت لا تخرج عن انشودتكم
العصيرة الحلوة بحياة سعد أنشودة طاهرة لا ريب فيها لانها أنشودة القلب والقلب

لا يداجي ولا يجاني

قد يتهموننا بالتحيز ويقولون كما قالوا ان الحب أعمى وان الأمة مفتوتة بهذا
الحب وليكنه قول مردود ومنقوض من أساسه ان الدليل الذي يأخذونه علينا
هو الدليل كل الدليل لنا

ان عظمة سعد زغلول قائمة في ان الامة أحبته ونولم ينجح سعد باشا الا في
اكتساب هذا الحب الاجتماعي لكفاه ذلك عظمة ومجداً . ان الحب الحقيقي لا
يأتى جزافاً ولا مصادفة انما هو شعور قوى صادر من أعماق النفس ولا تزيده الايام
الا تغلغلا وتوطداً ولو كان حب الامة لسعد شهوة سطحية أو (فتنة) عارضيه كما
ادعوا لا كتسحته أول عاصفة وهدمته أول محنة سيما أن الجماهير أسرع قلباً
في ميولها . وشهواتها من الافراد . ولكن الامر على الضد من ذلك فقد بلغ
حب هذه الامة لهذا الرجل حداً هو الاعجاز بعينه فلم يترك الخصم او الخصمان
وسيلة او حيلة او قوة الا استخدمها لاستئصال ذلك الحب من جنوره . او على
الاقل للتلطيف من حدته وتأثيره ، فما كان منه الا ان زادته الايام استطراداً ،
والشدائد قوة وعناداً . وللتضحية تقانيا واستشهاداً فربطتنا بالرئيس رابطة الدم
بعد رابطة الشعور فأصبح لنا والدا وأصبحنا له أولاداً

اذن فالامة تحب سعداً حباً حقيقاً مطرداً وطيداً ولا ينكر ذلك الا كل مكابر
تعمد أهمال الحقائق فأهملته . أما الارتباط بين حب المجموع وعظمة الافراد .
فتلك حقيقة علمية خالية . لان العظيم هو من أمكنه أن يمثل روح أمته أو عنصره
أحسن تمثيل . والحب هو عبارة عن تماذج الارواح وتجانسها . فلذا كانت الامة
تقد أحبت سعداً فلأنها رأت في روحه أحسن ممثل لروحها . وفي هذا التمثيل معنى
العظمة . والمبقرية

والواقع أنه لا يوجد مقياس للعظمة أو المبقرية الا ذلك الحب أو التقدير العام
الذي لا بد أن يكسبه العطاء ، ان عاجلاً او آجلاً فالكاتب العظيم مثلاً هو من

اجمع الجمهور على استحسان كتبه ، ولو استهجنها كثير من ناقديه ، والواقع ان كثيرين من عظماء الكتاب والعبريين كانوا هدفًا لاشد الانتقادات وأمرها ، ولو ركن الناس الى نقد الناقدين وحسد الحاسدين لما عرفت الدنيا عظيمًا ، ولما اعترفت بفضل الفاضل ولكن للجماهير ادراك عام وتفكير مستقل سليم ، وهذا هو الرجل الوحيد الذى اصطلح عليه العلم والعرف للفصل بين الرجل وناقديه ، والعظيم وحاسديه

نعم ان الجمهور قد يخدع ولكن خديعته لا تطول لانهم ان خدعوه مرة فى أدراكه فان له شعوره الطاهر رقيباً على أدراكه ، هذه حقائق مسلم بها وان انكرنا وجود الرأى العام فى الادب ، والسياسة ، والدين وقد تطورت الحوادث وتقلبت تقلبات مدهشة فى ظرف خمس سنوات طويلة ومع ذلك فالرأى العام المصرى لا يزداد الا استمساكا بسعد وحببه واستهجانا للعدليين وكرها فيهم اذن فلا مناص من الاعتراف بان سعدا مصرى عظيم لان الامة المصرية احبته وثبتت على حبه وثقانت فيه

ولكن قد يسأل ما هى الاسباب التى جدت الامة الى حب سعد أو بعبارة أخرى ما هى العناصر التى تتكون منها عظمة ذلك الرجل الفذ ان لعظمة سعد اسباباً عامة وخاصة ولكنها مرتبطة بعضها ببعض

أما الاسباب العامة التى تتكون منها عظمة سعد السياسية فأولها ، واظهرها تلك المقدرة العجيبة المزدوجة التى اختص بها وهى قياده العام من جهة وتمثيله فى نفسه وتصويره تصويراً صحيحاً من الجهة الاخرى وبعبارة أخرى هو من اقدر الناس على حث الرأى العام اذا توانى وعلى التقدم معه اذا تقدم كلاهما تابع ومتبوع قائد ومقود

فإذا كان القائد يقود بعقله كان فى الواقع مقوداً من الجنود بشعوره فان احس الجنود بحاجة كان القائد أول من يحس بها لانه جندى مثلهم

ينتج عن ذلك التبادل في الشعور ان لنا نحن الشعب المصرى نصيبنا كبيراً في عظمة سعد لانا اشتركنا في تكوينها . وبالتالي فعظمته من عظمة الامة التى يقودها فهى التى نشت فيه من روحها كما نشت فيها من روحه . فاذا شئتم أن تزيدوا سعدا قوة وعظمة وايماناً وتضحية فاعظموها ثم اعظموها الى ان ترتفعوا الى ذروة السماء فيرتفع اليكم وقها ان سعدا لم تبدأ عظمته الحقيقية الا منذ بدأت عظمتكم انتم . فقد كان سعد رجلاً كبيراً قبل سنة ١٩١٨ م فاصبح رجلاً عظيماً بعدها لانه منذ ذلك الوقت استحققت امتنا أن تدعى عظمة بين الامم كما استحق سعد ان يدعى عظيماً بين الرجال . وقد كان لسعد الفخر كل الفخر في انه أول من اوحى الى الامة جميعها - لا انى فريق منها - روح الحرية والنهضة فما كان من الامة الا أن كالت له الكيل كيلين وعظمته فعظم معها

وها كم مثلاً من أمثلة عديدة نفهم منه بطريق المقارنة سر عظمة سعد . ففي ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ تقدم الى ميدان الجهاد الوطنى ثلاثة رجال معروفون سعد زغلول . وعبد العزيز بك فهمى . وعلى شعراوى باشا . سعى مشكور ولكل منهم نصيب فيه . وكان كل من الثلاثة محل عطف الجمهور على التساوى . بل ان مجرى الحديث دفع المرحوم شعراوى باشا الى التفوه بالفاظ جميلة (١) تناقلها الناس وأعجبوا بها أيما اعجاب . تساوت اذن شهرة الثلاثة . وتساوى الاحتمال فى ان واحدا منهم يتولى قيادة الحركة الوطنية فما هو السبب فى أن سعدا تولى زعامة الامة وأصبحت الحركة الوطنية مقرونة باسمه . اشتهر اسمه فى الخافقين . بل أن المرحوم شعراوى باشا عاش ومات رجلاً لا يعرفه الا بعض مواطنيه أين عبد العزيز بك فهمى سنة ١٩١٨ ؟ وأين هو من سعد زغلول . ها كم حكم التاريخ ياسادنى لاحكم الصدقة لان الصدقة كما قلت لا يطول عمرها ولا قوة لها على مصادفة الحوادث

(١) للقارىء الكريم ان يراجع محادثات الوفد ومناقشاته للسير ونجبت فى سجلات الوفد المصرى وفى حوليات مصر لشفيق باشا ص ١٣٧ - ١٤٣ « م »

وليس الامر قاصراً على عبد العزيز بك فهمى بل يشتمل اشباهه من أمثال وزراء الحماية وجماعة المنشقين:

ولا يمكننا أن نفترض ان الزعامة لم تأتهم لانهم لم يسعوا اليها بل هم قد سعوا اليها فعلاً وتصدروا لها جهاراً — وظهروا على مسرح السياسة المصرية ايما مظهر خلاب وما هي الاعشية أو ضحاها حتى انزل الستار عليهم وظهر أنهم لم يكونوا الا ممثلين يلعبون دوراً معيناً ، وزعامة كهذا لم تدم بل اقلبت الى ضدها ، زعامة ثبتت وازدادت ولا تزال في ازدياء ، ها كم النتيجة بعد مرور خمس سنوات بغض النظر عن الاسباب ، سعد فى زروة المجد وهم فى هوته ، سعد يكرم من الامة ، وهم فيها يهانون ، ويهان من الانجليز ، وهم منهم يكرمون ، قسمة عادلة (انى لأتعب من القول أيها السادة) أن السبب فى هذا الفارق بين سعد وعدلى هو أن سعداً أمكنه بماله من عبقرية ان يستشف روح الامة ويمثلها أحسن تمثيل ويتطور معها كلما تطورت بينما جماعة العدليين تراهم على الدوام متأخرين عن الامة بمراحل ؟

فلما فترت الامة من الحماية . كانوا الراضين عنها بل الساعين اليها ، ولما طالبت بالاستقلال طالبوا بالاستقلال الذاتى ولما رفضت مشروع ملئ بقبولها وهامى الآن ترفض بكبرياء وشمم ذلك الاستقلال المهين المبني على تصريح ٢٨ فبراير وهم يقبلونه ويفتخرون به . هذا عن مبادئهم اما عن اساليبهم فحدث ما شئت ! . . . اذا افهمنا تبادل الشعور بين الامة وسعد واقطاعه بيننا وبين العدليين ففهمنا لماذا يلذ للامة ان تعتبر سعداً وكيلها وممثلها وأباها ورئيسها ورمز امانها . وكهذه الالفاظ الحلوة العظيمة الدلالة . ينماهى تدعوا هؤلاء المساكين بالمنشقين والخوارج وغير الوطنيين وما شاكل ذلك من الاسماء غير الحسنى وفهمنا أيضاً لماذا يسخط العدليون فى دورهم على الامة فيرمون الشبيبة بالطيش والتزق والجاهير . بالغوغاء وفساد الاخلاق . ومجموع الامة بالفتنة وعدم النضوج فيهرعون من اجتماعاتها وهتافها

واقتخاياتها وجميع مظاهرها وطنيتها بينما سعد زغلول يعتبر نفسه انه فتى في هذه الامة كما قال في مجال رهيّب أو (انه في الامتوالامة فيه) كما قال لنا في سيشل وهو بعيد عن الامة بعد اسحقاً لقد تكاسفت عليه الطبيعة ويد الظلم القاسية. اذا فهمنا كل ذلك امكنا ان نفهم لماذا أصبح سعد رجلاً عظيماً . وزعيماً كبيراً بينما المنشقين ليسوا عظماء ولا زعماء. كلتكم عن السبب الرئيسى في عظمة سعد السياسية الا وهو تبادل الشعور والقيادة بينه وبين الامة غير ان هناك اسباباً أخرى (مثل ايمانه الثابت وتضحيته العظيمة وكلاهما معروف للامة) وهى في الواقع متفرعة من السبب الاول لانه كلما ازداد تبادل الشعور بين القائد وجيشه ازداد ايماناً بالنصر وضعى كل شىء في سبيله وهذا الايمان وهذه التضحية هما في ذاتهما من عوامل العظمة

خطب سعد

وهكذا قل عن قدرته الخارقة للعادة في اثارة الحماسة بين الجماهير الخاصة منهم والعامّة على السواء — بواسطة تلك الخطب التى تتدفق تدفقاً من منال لم تله تلك الفصاحة النارية ولم يخرق قلبه ذلك الصوت المتهدج صوت ذهبي جار ذو رنين ورجفة هي رجفة الحماسة الفنية لا الشيخوخة الواهنة صوت تشترك كل أعضاء الجسم في اخراجه من مكنه فتكاد تسمع فيه أزيز نفسه وخفقان قلبه وغليان دمه وتساقط دموعه . ونصيحتي لأهل الشك الذين شاخت قلوبهم فتجلت خمر الحياة في عروقهم واطفئت نار الحماسة في عيونهم — نصيحتي لهم أن يروا ذلك الشيخ يتحمس فيخطب ويتأثر فيبكي ويضطرب فيضحك . من منكم رأى « سعد باشا » يضحك ؟ عينيه وكل اشارير وجهه تشترك مع نفسه الطروبة في ذلك السرور الظاهر الصريح . واذا بكى وكثيراً ما تفيض دموعه ليفيض شعوره — حرك القلوب والأشجان واذا تحمس رأيت الحماسة تصعد الى وجهه دما وتنبعث من عينيه ناراً . ورأيت كالأسد المصور يشير برأسه ويهدهد قبضة يده ويبرز صدره واكتافه الى

الامام وتفخر فيه الفاظاً جارحة قوية واضحة صريحة حازمة قاطعة رنين التنوين فيها
كرنين لهجة القائد الذي تعود أن ينتصر وخطابه فصل الخطاب

غير أن خطب سعد مظهر من مظاهر عظيمة فلا تتجلى فيها روحه فقط بل
روح الجمهور الذي يسمعه فلذلك هو أيضاً خطيب عظيم إذا خطب فيهم وبالتالي
فالشرط الاساسى والاول فى الخطيب أن يستمد الروح من سامعيه ويبادل الشعور
معيهم ويندمج فيهم حتى يندمجوا فيه

ولم أرفى حياتى أقدر من سعد زغلول على التشرب بروح الجمهور واستكشاف
شعور سامعيه أو سامعه بقوة غريزيه

ولذلك نرى كثيراً من خطبه العظيمة يخطبها على البديهة وقد قال لى الرئيس
مصادقاً لهذا ان أجمل عباراته جاءت بداهة أثناء الخطابة

عظمة سعد الشخصية

كلتكم عن عظمة سعد السياسية . بقى على أن أشرح ببعض الإيجاز عظمته
الشخصية أو الفردية . بطبيعة الحال مرتبطة تمام الارتباط بعظمته السياسية . لما بين
الصفات القامه والخاصة . من التفاعل والصفة المشتركة . وعندى أن أظهر الصفات
الشخصية التى تتكون منها عظمة سعد هى قوة خلقه ورقة قلبه . وصراحته وحماسته
المتناهيات وشجاعته وقت الخطر ، وشجاعته الادبية فى الاعتراف بالخطأ ،
او اعتماده على نفسه وميله الغريزى الى الحرية . وتراه يكره الخضوع . لاستبداد مستبد
سواء كان المستبد شخصاً ام عادة أم تقليداً

وأنى أذكر أنه قبل نزولنا من السفينة الى عدن جاءنا أحد الضباط وكلم سعد
باشاً بلهجة الامراتيه يجب عليه أن لا يحدث أى واحد من الاهالى على ظهر السفينة
فلما شعر الرئيس بهذا القيد على حريته تأثرت نفسه واحتج على ذلك الضابط بلهجة
الامراتيه فمماور فسقط فى يد الضابط وكأنه شعر بعظمة أسيره فاضطر هو ورئيسه

طالى الاعتذار لسعد باشا ، وغير ذلك كثير من الحوادث حدثت فى اثناء منفانا
 وكان الرئيس لا يَحتمل الضيم فيها ويحتاج لاقْل اهانة تقع علينا
 أما عن رقة قلبه فانى والله لا أدري كيف جاز لاؤلك المنشقين أن يقولوا عنه
 ما قالوا فقد كان الرئيس والدا لكل منا يحسن علينا فى امراضنا ويبيكى لبكائنا
 وكان كل من عرف سعد باشا من الاجانب يحدثنا عن رقة شعوره وسحر حديثه
 حتى ان الضباط فى السويس كانوا يصرحون ان لسعد باشا اخلاقا ساحره
 اما صراحته فمعروفة للعام والخاص والامثلة انعامه منها (مثل حادثته الشهيرة
 مع ملتر) معروفة للجميع تدل على نفسه وكذلك يعرف الاخضاء تلك الصراحة
 فى حديثه ، ويكره فى محدثه الغموض والابهام فيما اذا كان الابهام مقصورا عندئذ
 ترى الغضب يصعد الى عينيه ويقول (كن صريحا فانى احب الصراحة) واكثر ما
 يكرهه الرئيس هو حديث اولئك الاشخاص (المتحدثين) المتفلسفين الذين
 يدعون العلم ويشكون فى كل شئ ولا يجزمون بشئ . أما شجاعته فى وقت الخطر فهى
 من أعجب الصفات فيه . فاذا حل الخطر رأيت الرجل يرتفع الى مستوى الخطر بل
 يعلو عنه فتبرق عيناه . وتحمّر خدها كانه على اهبة المصارعة وقد خبرنا بأفئتنا تلك
 الصفة النادرة فى سعد باشا وعرفنا شيئا من سر عظمة الرجل فعند ما أعلنوه بأمر
 السفر من السويس ومن عدن ومن ميشل كان رابط الجأش للدرجة القصوى . وعند
 سفره من عدن . كنا جميعا متأثرين جدا وكان يطيب خاطرنا بكلمات هادئة لطيفة
 ويندكرنا بقول الشاعر

وقد يجمع الله الشتين بعد ما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا
 وكان يتكلم بثبات عظيم كانه الطود الراسخ هذه بعض صفات سعد التى
 تتكون منها عظمتة وحاشا لى أن أقول انه معصوم من الخطأ اذ كان خطؤه شريفا
 وفى هذا كل الفرق بين عظيم النفس وحقيرها . كلاهما يخطئ ولكن خطأ العظيم
 زلة ، وخطأ الحقير خسة

سعد زغلول (١)

هيكل مصر المقدس ورمز البطولة

للسايب الاجتماعي الكبير سبر محمد خليل بالزيتون

مسكينة مصر، ومسكين شعب مصر. وما زال الزمن الجائر يعبث بها، مات (مصطفى كامل)، فانصرم عقد الامة وخمد لهيب الوطنية، ووقف حزبه عن السير بنفسه، ذلك الحزب الذي تخشاه إنجلترا، وتحرك الفلك فشتت ما بقي قول الامة، وليس من شأنى أن أتعرض لما يدين به الحزب الوطنى والاسباب التى انتهت به الى هذه الحالة والتطورات التى حاقت بالحزب، أو الهدف الذى سعى نحوه ولكن الحقيقة التى اريد ايضاحها واثباتها، فقد قضى (مصطفى) وبكاه أبناء الامة ما شاءت نفوسهم الحزينة وقلوبهم المكسومة، وبين عشية ليلة وضعها خفت صوت الوطنية التى دقت نواقيسها فى البلاد، وبقي النفس الاخير من أنفاسها يتردد فى وناء وضعف، وانتظرنا وانتظرت الامة طويلا حتى طفرت الامة وتمخضت الايام البصيرة فولدت (سعدا) وحتى آذن الله لمصر أن يرفض عنها الوهن، وأن تسرى فيها شعلة الوطنية فهبت الامم المستعمرة كبركان هائل أو اتون محرق اندلع لهيبه ليكسر قيود الاستعباد، واندفعت تيارات الشعوب الجارقة أمام من استعبدوها وسطا على حريتها لتكون ضحية لاستقلالها المقتصب فاستعرت نيران الوطنية فى جنوب أفراد كل امة واشتدت نيرانها وسعيرها تريد تحطيم الاغلال تريد تحرير مصيرها تريد أن تحكم بلادها تريد أن تحتاج أصل بلادها ومن هضم حقوقها، لتبزع شمس الحرية زاهية فوق كل شعب فتبديد وحشة الاستعباد التى خلقتها دناءة

(١) مقتطف من مقال طويل نشره الكاتب بصحيفة الكوكب الغراء

الاستعمار وفي هذا الوقت أشرقت حياة جديدة على ربوع النيل معقل الشرق ،
بلاد القراعة ومن شخصية سعد كان ملاذها وغنايتها ومن مبادئه كان بقاؤها
وأنبعاثها فتكاثف الشعب المصري بعد أن دب في شرايينه ديب الحياة ونهض
نهضة مباركة أفاض عليها وسقاها بعزيزته ليقودها نحو ما يريد لها من كمال. سينقش
اسم سعد وسيسجل حياته الدهر في صحائف نشوء وارتقاء مصر الذهبية
الخالدة ، سيتغنى بها تاريخ الشرق الذي ردد صدى نهضة مصر ، فأيقظت ما بقي
من شعور أبنائه الخامل ودفعت نفوس شعوبه الخاضعة لتصفع الاستعمار
وتغضب غضبة لم يسجلها التاريخ من قبل ، لطلب الحرية ، وتطاولت أعناق الشرق
إلى نهضة مصر ، وتجمعت قلوب العالم اجمع حول (سعد) وانجهت العقول
لدرس تطورات مصر ، وترسم خطوات (سعد) وأى شعب مصر الذي يريد
الحياة الحرة .

* *

وصرخت الامة اليوم وهو على فراش الموت تتناوبه حمته القاسية صرخة من
أعماق أربع عشرة مليون نفس رنت في الفضاء وحملها الاثير الى عنان السماء .
فعجزت الامة وعجز الطب الحديث عن ان يهب سعدا حياته ويعيد اليه روحه
عجزت المعجزات من انتشاله من يد الموت القاسية . ولم تبلغ قلبه الجاحد صرخة
أمة مسكينة وأنه شعب بائس . تراكت عليه مصائب الدهر حلوها ومرها .
فاقشعرت أبداننا ورجفت فرائصنا واذا بروحه تصعد الى خالقها . واذا بالموت
يكسبه منا .

انا لله واذا اليه راجعون مات (سعد) . مات زعيم مصر . مات ابو البطولة
مات رمز الوطنية . قطر بأجمعه يبكيه ويندبه ولو شاء الموت لاشترينا منه حياة
(سعد) بثمن غال . لاشتريناه بـ مليون نفس ، لاشتريناه بأموالنا ، بدمائنا .
باعز ما لدينا .

ايه أيها الدهر ، وايه أيها الموت ، لقد عرفت حقيقة معنى الانتصار أهذه
النهاية ، يمتص الموت حياة أبي الشعب وحارس الوطن وعماد الامة يفجئنا في
حياة أئمن ما نتحلى به صدر مصر ، وأعز ما نفخر به وتفاخر اذا أصابتها مله
أو اتانها نكبة ، أهذه الفاجعة هي رمز الحياة المظلمة ، والدهر القلب ،
والدنيا الغادرة ، والقضاء الماكر . اهكذا تتلاعب بنا الايام ، قههم موضع آمال
الملايين من النفوس

عهدنا بسعد قويا أمام ملات الحوادث ، عهدنا به راسخا أمام داهيات
الكوارث ، واكنك زعزعت أيها الموت وضعضته أيها القدر ألم تجدا من تختطفاه
سوى زعيمنا الجليل أحقنا بالحياة ، ألم تجدا سوى قبسنا الوضاء تطفئان نوره ، وتبا
للحياة ما أقساها وما أرداها ، ورقها أيها الدهر ، ماذا تخبئه لشعب مصر في
صفحاتك المقبلة ، وماذا تخفيه لنا في صفحات القدر بعد أن رقد (سعد) رقدته .
الابدية

حقا لقد قسوت علينا ، أيها الموت وسلبت مصر اعز بنينا : وسخرت منا
وخدمتنا ولكن أهلا بك . أيها الموت خيم على قوتنا باجنحتك ، وانشر أشباحك
فوق مصر . اقدم بصواعقك ، واتقض على من تشاء من أهل مصر ، فلم نعد نخشى
بأسك ولم يعد بيننا من نخشى عليه ، ففي كل بيت ماتم ، وفي كل كوخ مناحه ،
وفي كل قصر جنازة وفي كل طرق صراخ وعويل وبكاء ونحيب

ابك سعدا أيها الشعب . فهل يا ترى سننوق الامرين ، انديه أيها الامة
صغيرك وكبيرك حضريك وصعيديك ، وهل يا ترى سننوق بعده كأس كل
هوان ، ابكوا ماشقتم ، نكسوا الاعلام والبسوا السواد وجللوا منازلكم بسواد الحداد
عسى أن تخف لو عتنا ، وهل في مصر من نهبه ثقتنا الغالية بعد سعد ؟ اقيموا المآتم
وانصبوا الجنازات واملاؤا بيوتكم بالمناحات ، وافتحوا القبور عسى تزول تلك
الوحشة وعسى ان ينطفئ مافي القلب من حزن وألم وأى قلب لم ينكسر بعد أن

فقد للسهم ابن مصر الرئبال وأى عين لم تجد دمعاً غزيراً جمده الاحزان
وسط المحاجر ??

ولكن ماذا أعد خلفاؤه للمستقبل لتطمئن هذه القلوب الكثيرة
وهذه العيون الدامعة وهذه الافئدة المتحسرة التى نكبت فى سجد التى
نكبت فى اسمه . شخصية رفضت طعم الهناء وارتمت بين أشد حالات الآلام
لأتمام الواجب فظفرت بأكليل النصر ومجيد الذكر ، وإلى ماذا نحن صائرون
وإلى أى طريق نحن مساقون ?? أى طريق متوعر المسالك أم فى طريق ترفرف
فوقه روح سعد !! تأملوا أيها القادة فهل تترسمون خطوات الفقيه وتقتفون آثاره
لتجسّنوا إدارة الدقة وقد استودعكم السفينة بإحاطها قترسى حيث أراد
لها سعد . .

افرغوا فى سبيل ذلك جهدكم فهى وصية سعد فأنتم بعض آمالنا الباقية ، لقد
خيم الظلام علينا (يافتح الله وسقطت دموعنا مدراراً ، لقد انقطعت نياط قلوبنا
(يا صفيه) حزنا وأسفا أيها الشعب ان فى كل بيت نائحة ، تبكيه الاطفال وتندبه
السيدات وتنوح عليه الرجال . والشباب يموت على فراش الحزن ، قل لاصحاب
سعد أنتم امال الامة لتجنى ثمار ما غرس « سعد » فنحلى رؤوسكم بأكليل
الانتصار كما مات سعد وفوق رأسه أكليل الغار ، قل لهم اذكروا أن سعدا قضى
فى فترة تحيط بنا خلالها مؤامرات استعمارية عجزت عن هدم الامة فى حياته ،
قل لهم ولا تخش لومة لائم حذار من مواقفها الرهيبة . حذار من مسالكها السياسية
اذكروا أن عيون الغرب خائفة اليكم وعيون كثيرة من عيون أعداء الامة ترمقكم
مهنرا ، تنتظر أن تراكم بعد دفن (سعد) ساقطين من درك التأخر مستعبدين
وأنت يا أم المصريين ، أريهم أنه لو مات سعد فعقيدته باقية متغلغلة فى النفوس
ومبادئه خالدة باقية ، ما دامت الحياة تنبض فينا ، برهنى لهم أنه لو مات (سعد)
عاش ايمان سعد ، الذى يرقبنا فى جنته من وراء حجاب ، فحققوا أمانيه ليستقر

فى قبره فى هدوء وسلام . فى سعادة وغبطة ، ليعلم أنه خلف بعده من ينهض بالشعب
من يغذى نهضة الامة من يرد حسادها خاسئين ، من يقطع يد اليأس الحديدية
التي تريد الفتك بنا وسعد فى غيبته الابدية

أما أنت أيها الشعب فأقسم بحق سعد ، على مذبح الدماء الجارية ، على
قبور الشهداء على الارواح الطاهرة ارواح الأبرياء وأقسم مرة أخرى بمبادئ
سعد ، أمام القوة الكامنة قوة الدموع الجارية ، قوة الاحزان المائلة قوة القلوب
الكسيرة ، قوة النفوس الحزينة وأقسم مرة ثالثة بروح سعد ، بنفسه النبيلة ، بإيمانه
الراسخ ، بمبادئه الخالدة ، أن تكون خير خلف خير سلف ، ولتكن حليفتنا
الشجاعة لدى البلية ، والحزم لدى الرزية

ففى ذمة الله ياسعد ، انا لله وانا اليه راجعون

ما أوجع الذكري للقلوب

للطبيب الفاضل حسين شفيق المصري

جرى القضاء ونكد الدنيا بأن نعيش بعد سعد اربعين يوما ولا حاجة للبلاد
فيما وحاجتها اليه شديدة وانا ليحزنا وبحزن اكبادنا ان نذكره ذكر الحى للميت
وقد تعودنا ان نذكره ذكر المشتاقين الى القادم من السفر ونتلقاه كما يتلقى الابناء
اباءهم وهيهات اليوم ان يكون لنا منه ذلك وليس سعد الذى ينسى فنساه او تصير
عنه النفوس فتسلوه فتحن نبكى سعدا بكاء الايتام ومن ابن ليتيم ان يشعر بفقد
كما تشعر مصر بفقد سعد

ما أوجع الذكري للقلوب

انى لا ذكر سعدا وقد اشرق على الناس بوجهه السمخ وثره البسام وقد

ازدحم بهم الرحب ليسمعوا منه ففاض منه مثل البحر العجاج من الخطبة التي تسبح
النفوس في معانيها وقد اقتبسوا من روحه حماسة وقوة ثم انصرفوا في ثياب كل
واحد منهم سعد زغالول بقوة يقينه وصدق عزيمته واقدامه وغيرته على البلاد

• اذ كر سعدا وهو يخطب فيققه الشجاع ويشجع الجبان وتزرع الحياة من صدر
الخائن ويظهر قلب المخادع ولا يسكت حتى يواخي بين العدو وعدوه ويجعل
الجمهور الكبير كالفردي الواحد باتحاد النفوس والعقول والميول

• اذ كر سعدا وهو يمر في مركبته فيجتذب الابصار وتشعر به القلوب حتى من
وراء الجدران قزدحم بين يديه الطرق والنوافذ وليس للالوف المؤلفه من تلك الجموع
ما رُب الا ان تراه

اذ كر سعدا وهو في اوربا وقد علت مصر سحب الكآبة وتمشى في مسالكها
الحمول وخملت الحركة كما يخمد بدن المريض الذي فارقت العافيه

واذ كر سعدا وهو عائد من اوربا وقد انتفضت الامة من الطرب وقامت
لاستقباله رجالا ونساء واطفالا واهتزت الارض تحت اقدام الموكب

وادور بعيني فلا أرى سعدا ولا من يقول سبجىء سعد ولا يقع بصري على
غير الباكين على سعد فتتقصف الاضلاع من الحسرة وتنشق الكبد من هول
الحزن وتسير النفوس دموعا تبلل الثياب

هذا اليوم الاربعون وكأنه اليوم الأول في شدة ما نلقى من الجزع وكأنه العام
الاربعون من طول ما نلقى من الشوق (واوجع) الشوق للقلوب الشوق الى راحل
لا يعود ..

مات لنا ميتون من ذوى القربى والاحباب فلا والله ما حزنا عليهم حزنتا
عليك ياسعد وما هو الا ان جزعنا حتى وجدنا العوض وانت لا تعوض وليس منك
بديل فحزنتا عليك متصل بآخر اعمارنا وبكاؤنا عليك مستمر مع افئاسنا حتى
تخمد هذه الافئاس . . .

ولم لا نبكي على سعد وقد كان سعد يبكي علينا كلما اصابتنا مصيبة ولا يمسح
دمعه بيده الا ليتناول بيده الاخرى قلما يكشف به الغمة وينقذ الامة ،
لا والله لا تنسى هذا ويعز علينا ان تذكره بعد ان حيل بيننا وبينه وكل
المنى لو ينفع القمى ان يكون بيننا نملاً منه الابصار والاسماع . .
هاتوا كحلونى من تراب المدفن . .

هاتوا داووا اذنى برجع صدى الباكين فى القراقة وهل فى هذا غنى عن سعد
ولا بد من سعد ولا وصول الى سعدوما هو الا الفراق الى الابد ولا يفيد التأوه ولا الانين
ومن الذى لا يبكي والرزء رزء البلاد كلها والمصاب مصاب الكبير والصغير
والبلية بلية الجليل والحقير والداهية داهية البدو والحضر والريف والمدن
وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهتما
اجل . . بناء تهدم ونعمة زالت وتعمة حلت فارفع اللوم عن الاشمت الا شيب
اذا بكى بكاء المرأة او الصبي وهو يضاعف الحزن ويزيد اللوعة والحسرة ان الخطب
الكبير يعتقل الالسة فتضج بالبكاء ولا تهر على النطق بالرثاء.

الذكرى

للمربي القمى الراج احمد طاهر الطناحى

خمسة أيام مضت على فراقك أيها الراحل العظيم الذى أدخل من الدنيا مكانا
تمضى القرون بعد القرون ولا يشغله فى الحياة سواه ، وتمر الاجيال بعد الاجيال
ولا تنجب من يبلغ مجده وعلاه ، ويتفانى طلاب الأمانى ولا ينالون ما حاز من
عظمة وجاه

خمسة أيام مضت على غروب شمسك التى كانت للابصار نوراً وجمالاً ، وللقلوب

وشاداً وجلالاً ، وللنفوس حياة وآمالاً ، ولمصر نفراً وكمالاً ، وللشرق ضياءً بدد جيوش
ظلامه ، وأعاد له مجده في سالف أيامه ، وبرهن للغريبين على أن الشرق انتبه من
رقبته ، وصحا من غفلته ، وحي شعوره وانتصر على الظلام نوره ، وأنه هو الذى
ملأ زال مطلع الكواكب النيرة والشموس الساطعة التى ملأت الأرجاء نوراً ومجداً
وعمت الدنيا فضلاً ورشداً

خمس أيام مضت على اختفاء سحابك الصبب أيها الزعيم الذى كان نعم الفرج
عند الشدة ونعم الغيث عند الجذب ، ونعم الأمل عند اليأس ، ونعم القوة التى يستعان
بها فى مدهمات الكوارث ووثبات الخطوب

خمس أيام مضت على صمتك الرهيب الذى استسلمت فيه للقدر الغالب والقضاء
المحتوم ، وما كنا نعهدك صامتاً أيها الزعيم الجليل الذى ملأ الدنيا دويماً بحججه
البالغة فى مجال الكفاح ، وطالما جاد بنفسه وماله فى سبيل نجاة أمته من قيود الذل
ودركات الهوان ، وطالما سعى سعيه العظيم رغبة فى حرية وادى النيل واستقلاله ،
وحباً فى مجده وارتقائه ، وأملأ فى بلوغه غاية الرقى ونهاية الكمال

خمس أيام مضت عليك ياسعد وأنت فى مضجعك الأخير فهل سمعت أمتك
ترفع بالنحيب أصواتها بعد ما ترفعها إلا بالهتاف لك بالحياة والدعاء لك بالبقاء
الطويل ، وهل دريت بمهجها الوارية ، وعيونها الدامية ، وصدورها الزافرة ، ونفوسها
الهالعة وأكبادها التى عسفت بها الحشرات والاحزان ، وفؤادها الذى سكن نبضه
بسكونك ، وضاع أمله عند اليأس من بقاءك ، . وهل علمت ان الامة التى كان
يشغلها سماع صوتك العذب فى المحافل الجامعة والنوادر الزاهرة قد أصبح يشغلها
الأنين ، والذكرى الحارة ، والاسف البالغ والحزن الدائم ، والبكاء الطويل

خمس أيام مضت على بعادك ياسعد والناس هالعون تأنهون ما بين بيت الامة
الذى خلفت فيه أنوار آثارك الخالدة ، وبين قبرك الذى ضم جثمانك الطاهر ،
ورقاتك الكريم يذهبون الى الاول فيحجبهم الاسى والحزن العميق عن رؤيته

فيرجعون بالحسرات القاتلة والعيون الدامية ، يذهبون الى الثانى فيشتد هولهم ،
وتعظم عبراتهم وترفع أصواتهم بالانين والنحيب ، وبودون لو سمح المقدار بإيابك
فاختلطوك من مرقدك ورجعوك الى بيتك تسمعهم من حكم قولك ما كانوا يستمدون
منه نعيم الحياة ، وهناءة العيش ، ويهتدون فى ظلام الامور

خمس أيام مضت على حمل جثمانك الطاهر أيها الرئيس الجليل بين الجموع
الزافرة النى طأطأت الرؤس لوفاتك ، وأسبلت الدموع الساخنة لمصابك وأرسلت
الزفرات الحارة لفراقك وتقطعت أنفاسها أسى وحزنا ، وذابت نفوسها كمدأ ووجدأ
وتفتت أفئدتها حسرة ووجيبا ، وبحت أصواتها أنينا ونحيبا

خمس أيام مضت عليك يا مصر فى هذا الخطب الفادح ، والحديث الجلل ، والمصاب
العظيم فكم دموع سكبت . وكم عبرة أرسلت ، وكم حسرات أصابت ، وكم زفرات
صعدت من أعماق فؤادك إلى السماء تشكو فداحة الخطب ، والمصاب وكم أصوات
ارتفعت منك بالنشيج والنحيب ، وكم عيون لا يرقأ دمعها دهاها القذى وعسفت
بها اقروح ..

وأى خطب فادح قذى به العيون مثل خطبك ياسعد ، وأى حادث جلل
تجرى له الشؤون مثل حادثك ياسعد ، وأى رزء عظيم تهلع له النفوس مثل رزئك
ياسعد ، وأى مصاب تأسى عليه القلوب مثل مصابك ياسعد — .. أجل أى
خطب فادح ، وأى حادث جلل نزل بك يا مصر وأنت أحوج ما تكونين الى
زعيمك الاكبر ، وقائدك العظيم ، لقد اختطفته منك يد القضاء القاهر فقلت
اليوم بقادة على رجوعه ، ولقد حالت بينك وبينه أستار المنون فليس لك إلا بقية
من نوره ، ولقد والله كاد ينال منك اليأس مثالا لولا ما خلفه لك من مآثر جليلة
وآثار باقية تستمدن منها النور فى حياتك ، وتستعينين بها على صلاح مستقبلك ،
وتزودين منها فى ميادين الجهاد ومجال الكفاح

أجل لولا مآثر جليلة قفى الدهور وهى حية خالدة ، وتذيل الايام وهى

زاهرة فاضرة ولولا أشبال من صحبه الكرام ساروا على سننه لكان لليأس
منا مكان . . .

وقد تقرب الشمس المنيرة للورى * ويبقى سناها فى الكواكب والبدر
فالحمد لله الذى فغننا بسعد حياً وميتاً

ذكري سعد

للطبيب الحزيبه البائس محمد السبر محمد

فما بين يوم وليلة صوب الموت الى الكنائة يده فاخطف سعداً فأذهل
العقول فراقه ، وروع القلوب اختطافه ، وأضحى الرزء فادحا والمصاب جسيما .
وفما بين يوم وليلة نعى النعاة الزعيم قهدمت آمال الامة لقد رمز الامانى ، وباعث
النهضة ، ورسول الحرية ، واللسان الناطق ، والقلب الحى
التحق بالرفيق الاعلى « زعيمنا » ونعم فى فسيح جناته قلنا معشر الشبان
فى « تاريخ الزعيم » عبرة وذكري لنا ان نرسم خطة الزعيم وأن نسير على مبدئه
فلا شباح تموت ، والاشخاص تفنى . ولكن المبادئ تبقى مابقى الدهر

كان « سعد » يناضل أ كبر دولة فما أرهبته المدافع ولا أقنعه قنف البنادق
وانما أثاره شئ واحد هو « دم الشهداء » فقد أسال دموعه وأدعى قلبه ولكنه
شد من عزمته فوهب روحه « لمصر » وحبها قلبه فأودى فى سبيل وطنه ونفى
من أجله وشرده . ولحقه من ظلم الغاصبين وقهر المستعبدين ما يقف القلم عن وصفه

أما بيان الساهر ، وأسلوبه الرائق القند ، وبلاغته النادرة فكانت تحيى ميت
الشعور وقوى روح الشباب وكان لصداها فى الشرق أكبر أثر وحسبك « بالزعيم
الراحل » انه المثل الاعلى « للوطنية والحرية »

فيا مصر اندي حظك ، وارنى شقاءك ، وطوفى حول قبر الزعيم واهتفى بذكره
واعمل على مبادئه فى مبادئه حياة مصر وفى ذكره آمالها وأمانها

ابكى يا مصر مضاء العزيمة والنظر البعيد

ابكى الدعاة الحلوة المهذبة والحكمة السياسية

ابكى زعيما قل ان يجود الدهر بمثله

ابكى الديموقراطية الحققة ، والعصامية القند

انديبه « يا مصر » فهو الذى ما عاش لنفسه وانما عاش لك ومات فى حبك

* *

آه لقد مات سعد ونحن أحوج ما نكون الى شخصيته البارزة وعقله الراجح
ونبله الذكى وتجاربه الحكيمه وعواطفه الكبيرة وشجاعته الفائقة ونزاهته البالغة
وبطولته القند

مات سعد فاذكروه فى صبح اليوم وضحوته

مات سعد فويل لنا بعدك يا أبا الشعب

مات سعد فواحسرة الشباب عليك

آه توارى سعد ذلك الذى ملأ الزمان وعم المكان فلقد امتلأت بطلعته

النفوس ووسعته على الرحب القلوب وانتهجت بلقىاه الارواح

مات سعد وترك عالم المظاهر واللجب الى عام الخلود والبقاء

رحم الله ساعات قضيناها بين يديك أيها الرئيس تسمعنا نذكرك الغوالى

وخطبك النارية فكنت حقاً خطيب المشاعر والقلوب وكان لصوتك الشجى

المهوب روح وقوة للوجدانات والمشاعر . وكان لفظك الرصين البليغ مذكى حرارة

الحماسة في نفوسنا

آه رحلك الله أيها القائد

لقد كنت شيخاً بعزيمة الشباب وقوة الجبابة وكنت « فتي الشيوخ »
مسلحاً بقوة الحق وتأيد الله. وكنت شجاعاً ثورياً تتورع على الباطل ولا تخشاه
وتنصر الحق أينما كان فالحق عندك فوق القوة

كنت حملاً لهمومنا تحمل العبء وحدك فلا تن ولا تشكو ولا تتبرم
كنت عدة لمحن الدهر ونوازله فقدرنا الدهر فيك وتأدنا الزمن باختطافك اذ
الدهر قاس و « الموت جبار لا يرحم »

* *

والآن وقد ذهب القائد . ذهب الطبيب المؤاسي ذهب العصامي الفذ
ذهب رجل مصر . ذهب أمل الامة
الى أين ذهب ؟ الى لقاء الله . . .

الآن يا مولاي ذهبت لحل « المعضلة » . ذهبت الى من بيده تصريف
الامور فأبسط له مسألة مصر وأعرض عليه ظلامتها « فهو بها خير » به شكاية
مصر وحزنها وخبره بان مصر الاسيقة تحب الحرية ونعيمها والاستقلال وجماله
قل لربك يا مولاي « ان في مصر شعباً لا يملك غير قوتين قوة القلب وقوة
الايمان فارحم هذا الشعب الراسف في الاغلال وازح عنه ظلم العتاه ، حتى ينوق
طعم الاستقلال والحرية

ولكن خبروني هل سعد بعد مفاوضاته يعود ??
آه : ليس لعودته من سبيل . . . فالى قلوبنا الدامية والى فكبتنا الفادحة عزاء

يا بني الشرق

نوحوا على سعد ففي النواح اشارة الوجدان

ابكوا عليه فى اليكاء طهارة الضمير
اسيلوا عبراتكم فى العبرات اذكاء الوطنية
اندبوا سعدا وارثوه فهو فى « منازل التقديس »
لا تنسوا سعدا واذكروه فان الذكرى تنفع المؤمنين
اذكروا سعدا فى حكم وترحالكم . فى مقامكم وقعودكم فى نومكم ويقظتكم
اذكروا سعدا فذكراه تثير الحمية وتهز القلوب وتقوى الارواح
اذكروا سعد وتبعوا خطاه وسيروا على مبدئه
اذكروا سعدا واحفظوا تاريخه ولقنوه لابنائكم واحفادكم فيه المثل الاعنى
للتضحية وحب الوطن وانكار الذات
يا أبا الشعب

هذه أرواحنا قد وهبناها فداء للوطن وللغاية التى تنشدها . وهبنا ارواحنا
« لحياة مصر » فلا حياة الا بحياتها ولا امل لنا الا بنجاتها

اي مولاي الهاجع

لقد برك ابناؤك فسرت الى طريق الخلود تجتاز عبابا زاخرا من الدموع
والعبرات وسول جسمائك الطاهر جفون باكية ، وعيون ، مقرحة ، وافئدة موجوعة ،
وقلوب مكلومة ، ونفوس حزينة ، ورعوس مطرقة ، وقد تصاعدت من هاتيك
الصدور تهديدات وتأوهات

يامولاي : سيقوم لك التاريخ بواجبة الاسمى وستكون آلامك وتضحياتك
وفيك وتشريدك . ستكون حصاتك وحنكتك . ونضوجك السياسى ومرانك
العملى أكبر مثل « خلفائك » والناجين على مبدئك

يامولاي . لئن حببك الردى عنا فان مبادئك وتعاليمك امامنا وبين طيات قلوبنا
سأذكرك يامولاي ما حيت . وستذكرك مصر الحزينة وسيدك التارىخ
مثلا حيا للمستقل وذكرا خالدا للماضى المجيد

أحرى بمن وهب الحياة لقومه ألا تمس حياته بزوال

الخطب

خطبة معالى مصطفى النحاس باشا

رئيس الوفد المصرى

فى حفلة التأين الكبرى

بسم الله الرحمن الرحيم افتتح الحفلة
حضرات أصحاب السمو . حضرات أصحاب الدولة والمعالي
سيداتى . سادتى

أتقدم والخشوع يملأ جوانحى . والاجلال يفعم قلبى . باطيب التحيات
المباركات الزاكيات لروح سعد فى جوار ربها تنعم فى رضوانه ، وتتقلب فى
احسانه وتنعطف عليها ملائكته ، وتستقبل من صالح العمل ما قدمته . وأستلهم
منها الحكمة وفصل الخطاب
سيداتى . سادتى

يطوى الموت اعمار الرجال ، وينغيهم فى اطباق الثرى ، ويبقى لهم فى مضر
القلب ود ، وحب ، ولوعة وادكار فتقام الحفلات تنويعها بشأنهم واشادة بذكرهم
يذاع فيها ما كان كامنا ، وفاء لهم ، وبقيا على آثارهم . لكن اجتماع اليوم لم يكن
لإذاعة محمده فحامد سعد ذائعة ، ولا لاشهار قبيبه فنقائب سعد حديث كل انسان ،
وماذا عسى ان يقال فى سعد والدنيا تهتف باسمه ، ويكتب الخلود اسطار تاريخه .
اتما اجتماع اليوم — فى الحق — وفاء لافسنا وغذاء لارواحنا وادكار لفضائل سامية
وغرائز نامية تهفو لها النفوس وتقبس من سنائها . وتغنوها الوجوه وتطرق فى حضرتها
ثم تحفظ منها وتنقل عنها

سيداتي . سادتي

انا الان في ذكرى سعد الكبير القلب . العبقري العقل . العظيم النفس .
ولست أمثله الا كالطود الشامخ ترتد امامه الاحداث منكسرة متداعية وفي
ثناياه عيون يفيض سلسالها ، ويزلزل هديرها ما استحجر من بغى وطغيان وفي
جنباته مروج ناضرة وجنات الفاف . فسعد من كل نواحيه روعة النفوس وسكينة
القلوب باعث لرهبة والجلال

خرج سعد من صميم الامة المصرية . وتدرج في يثاتها وتعرف مواطن ادواتها ،
واكبر الحيف النازل بها فاقنى نفسه في حبها واعظامها مفتخرا بها ممجدا حقوقها
متشرفا بزعامتها

ثم قدر ما يتطلبه الدفاع عنها من جهود مضنية وهموم ناصبة واحتملها باضطبار
وجلد . . .

ما روعه خطب ولا زحزحه وعيد . ولا انساه السرور المفاجئ عظم التبعات
ولا شدة المسئوليات

سمع وهو في مالطه نبأ الافراج فاستبشر هنية كما حدثنا ، ثم تمثلت امامه
الغاية الكبرى والامانة العظمى فغرق في التفكير محصنا بالعقيدة الوثيقة معلنا ان
حق مصر غالب على كل امر وانها لا تخلد الى ضم يراد بها . فشهد العالم اجمع على
جلال الوطنية المصرية وحمله على الاعجاب بالحكمة والحزم اللذين كانا ومازالا شعار
الامة لتحريرها . وها هو موته أبان عن قوة الايمان الوطني وتكشف عن عقيدة
سعدية جمعت الامة حول قبره تؤدي شعار الاخلاص ونسك الوفاء ، جزاء وفاقا
وتقطع على نفسها العهود ، والمواثيق لتصبرن على ما ابتلاها ، ولتعملن
لاتمام مبتغاها

سيداتي . سادتي

لقد رأينا قلوب الامة تتحرق يوم منتهاه وزفراتها تتصعد امام مشواه ولا تزال

تمجيد ذكراه . وأشهد الله ان سعدا وهب امته من نفسه وعقله وقلبه وصحته وصدق جهاده مالا قبل لها بشكره . انما جزاؤه الاوفى عند ربه الاعلى ولسوف يرصى . . .

ان سعدا صدق ما عاهد الامة عليه فكان امينا في رسالتها بليغا في التعبير عنها يخشى خديعتها ويحذر الشر ان يحقق بها ويقنع نفسه . يجبرها اولا ثم يقنعها بقبوله آخرآ .

نجلت تلك الحقائق في اسلوبه السياسى الصريح يوم قام مدافعا عنها في بلاد الانجليز فكانت حقائق مهيبة عظيمة تصدر من ممثل الامة الذى التفت حوله القلوب وحققت بروحه الارواح ومتى شعر سعد بروح الجماعة او تمثلها قم ما شئت من قوة ورهبة وعظمة

لقد كانت ارواح الجماهير تجدد في نفس سعد مجتمع آمالها ومستقر سعادتها . وملتقى ما تصبو اليه من محمود كال

وسعد تنسع نفسه لتلك الارواح ثم تغمرها وتتأثر منها ثم تكبرها . وما زال سعد يتطلب روح الجماعة ويسائل عنها

جاءه رجل حج بيت الله فسأله سعد : اى اثر شديد احسست به في الحج فسكت الرجل فقال له . لعل مشهد عرفة . فقال الرجل نعم . فسأله لماذا : فما استطاع كلاما . فقال له سعد انها روح الجماعة تهز النفس وتثير كل المعانى الكامنة فيها .

نعم هى المعانى التى اختصت بها نفسه وانطوت عليها جوانحه حتى ليضحى بكل عزيز بالراحة ، بالمال ، بالصحة ، بالنفس ، ليحقق لبلاده استقلالاً فديته الإقذار له وشغلت قلبه به متذوقا قسوة الآلام ، صابرا على فداحة الخطوب

تلك التضحية من فضائله المتأصلة فطرة الله التى فطر سعدا عليها . فلقد آذنت الهدية ان تقعد والجوا كلف والسماء تبرق وترعد وحقوق البلاد نهب مقسم

فكنا نحن الشبان فكر في رجل يتقدم الصفوف ويؤدي رسالة الامة ويلفت
العالم الى مصر . مصر المكبلة في الاصفاد المأسورة في حدود البلاد فهدانا التفكير
الى سعد ورأينا مفتاحه في الامر الجلل . لكننا رأينا سعدا يسير على فطرته ويعد
مع جماعة من رفاقه للامر عدته سياقا الى الغاية . فما نهنا غافلا ، ولا ذ كرنا ناسيا ،
ولكننا اتبعناه ، واقتدينا بتفانيه في الفكرة الوطنية

سيداتي . سادتي

لقد بهرنا هذا التفاني في خدمة البلاد من شيخ تكافحه الامراض وتتعبه
الاحداث . لقد كان يحدثنا في سيشل : سأموت هنا رضى البال وتعودون انتم ولكن
موتى بعيدا عن مصر سيد كي نار الوطنية في قلب الامة ويقفها صفا واحدا تدافع
عن حقوقها

ان سعدا في تفانيه كذلك الجندي يستقبل الموت في سفر ممر تذهب نفسه
معه اشلاء واوصالا ليحيى امته ويدفع عنها عدوها

نلمح ذلك المعنى السامى في نفس سعد من قبل . يوم خيروه بين امرين
احلاهما مر :

اما ان يدفع هو عن مشروع القتال في مقابل ان يكون رأى الجمعية العمومية
فيه قطعيا ، واما ان يابى ذلك ويضيع ذلك الحق . فما تردد في ان يكسب امته
ذلك الحق النبائى مستهدفا للنقد الخاطى . والعالمون بدخائل الامور يعلمون علم
اليقين ان سعدا بهذا الفناء في خدمة بلاده انالها اختصاصا جديدا واقطع لها حقا
عزيزا و صار رأيها في الامر قطعيا

سيداتي . سادتي

ما كانت عظمة سعد وليدة السفين الاخيرة لكنها عنجبتة ناشئا ولازمته
شبابا وقارنته شيخا جليلا

من اظهر صفات تلك العظمه التى بدت مخائلمها على سعد وهو طالب في الازهر

حبه للحرية الفكرية وقمته على سالبها

كان سعد في حداثة ممتازا بالفطرة السليمة له نفس حرة كريمة وذهن خصب وهو بين اقوام يحافظون على تقاليدهم ، ويتوارثون طريقة تفكيرهم ، كره سعد تلك الحالة فجمع اخوانا على شاكلته ، وطلب اليهم ان يعاونوه على نبذ تلك الطرق الدراسية المتلوية التي نفى الاعداد وتغرق النفوس عن كمالها ، كتبوا تلك الدعوة في منشورات خطتها ايديهم ورفعوها على اعمدة الازهر ليلا فكانت اول صيحة فيه هتفت لحرية الرأي وحدثت ثورة فكرية هادئة ما كان لغير سعد الشاب العظيم ان يهب بها لان الحكم قساة والعقاب قادح والناس احباء ما الفوا ، اعداء ما جهلوا . . .

سيداتي . سادتي

لقد ادك سعد مرارة الاسر في نفسه يوم سجنوه عقب الثورة العرابية ، واجدر بمن ذاق تلك المرارة ان يستشعرها في غيره ، ويستبشعها في الامم والشعوب ، وتجد الحرية في اعماق نفسه قداسة ، وحياسة ، ووقاية ، اشد ما يزعجه العدوان عليها وانتهاك حرمتها

كنا ونحن محوطين برجال الحفظ في منقانا . نلج على سعد الالم الموهن والمرارة اللاذعة عند ما يعتلج في نفسه معنى الاسر فيتمثل تلك الحقيقة القاسية :
سعد مأسور سعد يتبعه جندي !

سيداتي . سادتي

لقد صحبنا سعدا وشاركناه في حلوه ومره وبلغنا من نفسه منزلة الابناء وبلغ بنا مرتبة أير الاء كان يتوسطنا وستمع الينا ويصفي لحجبنا فيستجلى صوابها ويمضي الى لبابها كارها للمنطق المعقد والحديث المهوش لان له ذهننا كالمرآة المصقولة ترسم عليها الصور ناصعة جليلة وترتد عنها القطع الداكنة المبهمة يحضرك ما غاب منك ويظهرك على ما خفي عنك ويتبع البرهان الواهي فاما قويته واما تركته

ثم لا يدعك الا مقتنعا راضيا واشد ما يعجز به خصمه ان يتخذ من حجته دليلاً عليه . وستارا لرأيه فشدد سعد عند مناقشة لورد ملتر في ان ينص على الغاء الحماية فقال له اللورد لماذا هذا التمسك بالالفاظ والاستقلال نفسه منصوص عليه . فبدهه سعد : ولماذا لا نريحنا بلفظ لا يضركم ولكنه ينفعنا . فاقطعت الحجة وانتهى الكلام .

لقد كان سعد في رهبته وقوة عارضته له قلب رحيم . طبع على الخير فاختره الله مجالا للحب والرحمة والاشفاق والبر . يمرض الواحد منا او تلم به نائبة فلا والله ما الوالد الشفيق ببر قلبا ولا احنى عاطفة امام وحيد من سعد امامنا يواسينا ويتعجل شفاءنا ويتعهد راحتنا ويفيض علينا احسانه العظيم تلك المودة والرحمة اكبرت عنده الحياة الزوجية وحاطها بالاجلال العظيم ووجد من أم المصريين مصابرة على الشدائد ومدافعة للخطوب ومشاركة في بأساء الحياة فكانت معها مثالا أعلى لانبيل العواطف وصور الملائكة الاطهار سيداتي . سادتي

تلك الملائكة التي تجلت في سعد أرتنا كيف كان يترفع عن النقائص وينفر من الصغائر واذا كان في حقوق بلاده شديدا رائعا فهو في حقوقه الشخصية مسامحا كريما فمتى سكنت الفتن وئاب الرشد وتعرضت الشؤون العامة للاخطار رأيت في سعد العظمه المتظامنة تفيض وتخفض جناحها متوسعة بالفضل متطولة بالعفو تستل الضغائن وتشر الائتلاف نصرة للحرية وعصمة للدستور سيداتي . سادتي

لقد كانت الرقة القلبية والعاطفة الرحيمة التي امتاز بها سعد من فضل الله الذي يسبغه على افذاذ الرجال وقادة الامم ثم يمدهم بالايمان العميق فيدركون من قدرة الله أعمها وأشملها ويسلمون النفس في الشدائد لله الواحد القهار فما رأيت سعدا الا وجلال الايمان يلوح على وجهه وأسرار الطمأنينة تبدو في كل مظهره

سيداتي . سادتي

تلك اثاره حضرتي من بوارع سعد والفكر مشرد واثيب خائر والنفس تنوء
بالتبعات اتقدم الى بها حضرات الخطباء والشعراء ثم ادع لهم مجالا هم احق
به . واهل له .

يا سعد !

قد عشت لخير الانسانية وندبك الوطن لاشرف غاياته فافنيت في طلب
الكمال حياة ما كان اطيها واغلاها وانزلتلك امتك منزلة ما تطلعت لمنزلة سواها
واحاطت بك في اشد الازمات فصدمت عنها عيوفا كريما وقلتها كلمة خالدة رافعة
لا ابغى باستقلال بلادي بديلا

يا سعد !

لقد شهرك ربك بفضلك واسبع على ذكراك رداء مجدك فهنئا لمن كان الله
فاشر فضله وناسج مجده
اللهم رب سعد الثاوي في رحمتك ، النازل في جنتك ، ادخل عليه روحا
منك وسلاما منا .



خطبة دولة عبد الخالق باشا ثروت

رئيس الوزارة المصرية

في حفلة التأين الكبرى

أيها السادة

في هذا الجمع الحاشد الذي يريد كل فرد فيه ان يؤدي حق قعيدنا العظيم عليه وعلى البلاد اما باللوعة الصامته والذكرى الباقية واما بالزفرات يرسلها كلمات وبحياة القعيد يحملها مناقب وعظمت، اردت ان يكون لي نصيب في الوداع الناطق للراحل الكريم

ولكن سعداً ليس كغيره من الرجال فكل عظيم ناحية من العظمة ولسعد منها نواح متعددة ، والعظيم يملأ فراغا في جانب من الحياة وسعد قد شغل الحياة المصرية عامة ، فقد اجتمع فيه تاريخ مصر الحديث وانتهت اليه نهضتها الكبرى فلا غرو اذا جلت مصيبتنا في قديمه وكثرت وجوه القول وتعددت شعاب الذكري فيه

لذلك لست ادري ايها السادة فيم احدثكم عن سعد . أأحدثكم عنه محاميا وقد كان في المحاماة رحمه الله علما ظاهرا وكان من غير مثال يحتذيه نابغ ذلك الفن الخطابي الجديد واحد كبار مؤسسي نهاليد تلك المهنة الشريفة وكان فوق ذلك سباقا الى اغانة الملهوف ونصرة المظلوم

أم احدثكم عن سعد قاضيا وقد كان التماس الحقيقة وتوخي العدالة عنده غاية هان عليه في سبيلها بالرغم من اكمال رجولته وسلامته . مليقته وتفوقه على غيره من القضاة ان يعود طالبا ياخذ باسباب الطلب والتحصيل

أم احدثكم بآثره في القضاء وعالم القانون وقد كان فيه حجة ومرجعا تشهد له احكامه وبحوثه باصالة الرأي وامتانة العلم

أم احدثكم عنه ، زيرا قبل قيام الحرب وتاريخه ناطق بفضله بما ادخل من الاصلاح في وزارتي المعارف والحقانية حافل بما لقي من العنت في سبيل استقلاله في الرأي وشجاعته في الحق . وليس اوجب على الوزير . وبلاده تتطلب شتى وجوه الاصلاح وهو ادري الناس بحاجياتها من سواء واعلمهم بموضع الداء وطب الدواء من ان يكون محترم الشخصية مستقل الفكر حر الارادة اللهم الا فيما يحددها من سلطان دستور البلاد

أم احدثكم عنه مصلحا في الشئون الاجتماعية وقد اقترن اسمه باسماء كبار المصلحين في عهد مصر الحديث سائرا في الطليعة او مؤيدا وظهيرا

أم احدثكم عنه خطيبا وكيف بلغ من الخطابة غاية تتقطع دونها الاعناق وليس فيكم من لم يسمعه ويعلم ما اجتمع له من صوت ممتع آخذ بمجامع الحواس نافذ الى النفس ومن سهولة وترسل وفيض في الفكر والقول وبراعة في السياق وقدرة على التصوير الى غير ذلك مما جعله يجز عواطف سامعيه ويصرف عقولهم من حيث يشاء والى حيث يريد

أم احدثكم بمواهبه الفكرية ومناقبه العامة والخاصة مما سمعتم وستسمعون ؟ واني لاعلم ان الحديث في سعد محبب وان التكرار فيه لا يمل اذ يكتسب من ذكره روعة وطلاوة ، ولكن الوقت ضيق والخطباء كثيرون ويكفي ان احدثكم عنه صديقا وزعما سياسيا

اما الصديق وعهدي بصداقته طويل ، فقد الفيت منه طول هذه المدة خير ما يجد الصديق لدى الصديق ، طيب اخاء ، وصدق عهد في المشهد والمغيب ، ووفاء على القرب والبعد ، وصراحة في غير جفاء ، واخلاص نصيح وسداد رأي في المشورة وان أنس لا أنس سعدا محدثا قد كان متاعا لا يمل ، وذخرا لا يسلى ، فما

شئت من حسن محاضرة ، وحلو فكاهة ، ولطف مدخل . وبراعة تنقل .. وسحر .
حديث فاذا جادل او ساجل فهو البحر تدققا واندفاعا . هذا الى خصوبة في الفكر
ومتانة في التدليل كان فيها لا يجارى

واذا كان الدهر قد ضرب بيننا بضرباته حيناً من الزمن ، فان احب سلوة
وأفضل عزاء على ما القاه من الحزن على قهقهة ، اتنا بعدنا كما بدأنا ونسينا تلك
المحنة وطابت الصداقة بيننا وصفا الاخلاص

وانى لا ذكر في اعجاب لاحد له ، ولكنه اعجاب ملؤه الحزن والاسى قاءنا
بعد ان توحدت كلمة الامة واجتمعت احزابها بفضل حكمة الفقيه العظيم وما اظهره
من قنآن في المصلحة العامة ، قد كان سعد يومئذ كما عرفته دائماً كان رقيق القلب
وفيا للاصدقاء حريصا على مصلحة مصر

ولن انسى تلك الساعة العذبة التى لقيت فيها سعداً فى ذلك الظرف من ظروف
حياتنا السياسية — لقدجد سعد فى محو الخصومات وازالة الفرقة وحمل الامة كلها
على الائتلاف واتحاد الكلمة حول المصلحة الوطنية المقدسة فوق الى ما أراد
التوفيق كله

وان قلبي لينفطر لوعة حين اذكر اللحظة التى لقيت فيها سعدا منذ اشهر
قليلة اودعه قبيل سفرى الى اوروبا بعد ان لقيت من معوته وتأيبه ما يملأنى
اعجاباً به واكباراً له ، وتقديراً لفضله على امته وحرصه على فوزها فى هذه
اللحظة ايها السادة كان زعيم مصر يقدر حق القدر ان قضية مصر تقطع طريقا
من أصعب الطرق وأشقها وكان يقدر العبء الذى يحتمله بحكم زعامته كما كان
يقدر العبء الذى احتمله بحكم رياسته للحكومة ولكنه كان يضحى بكل شئ فى
سبيل قضية البلاد فانطلقت من عينيه حينئذ دموع تمثل هذه العواطف كلها
تمثل هذه عظمة الرجل الذى يلتقى المصاعب فى غير ضعف ولا وهن

أما سعد زعياً سياسياً فكأنى بسعد إنما خلق لذلك والواقع ان الزعامة فى

في سعد ليست جديدة فقد كان زعيماً في المحاماة والقضاء والوزارة مقدماً في كلها ذا أثر بعيد وطابع خاص وشخصية بارزة فيها جميعاً ولكن الله لم يرد أن يقبضه اليه حتى تم له كبرى الزعامات زعامة في نهضتها الى الحياة وتقرير حقها في الوجود والاستقلال ولكن كيف نهيات له تلك الزعامة

ليس من ينكر ما كان لسعد من المهابة والجلال ، وليس من يجهل ما كان له من المقدرة على استثارة الهمم واستنباط النفوس طوراً بحديثه الآخذ وطوراً بخطبه الفياضة بحرارة الشعور وشدة الايمان بالوطنية ولكن سعداً جمع الى ذلك قوة روحية خصه الله بها

ولقد كان للعواهب النادرة التي حباها الله قعيدنا العظيم أثرها البالغ في نهضتنا الحاضرة من تنبيه الشعور القومي وقيام البلاد على بكرة أبيها للمطالبة باستقلالها ثم رأينا الزعيم الراحل رئيساً لمجلس نواب مصر المستقلة فكان في عدل القدر دوساً آخر عظيماً لكل مضح بنفسه في سبيل امته فكأنما أراد القدر أن تكون تربية البلاد تربية دستورية وتأسيس التقاليد البرلمانية فيها على يديه . ولقد شهدتم جميعاً كيف كان يدير جلسات مجلس النواب بحكمة ولباقة واصالة رأى شهد له بها القريب والبعيد معطياً لكل متكلم قسطه من حرية الرأي وحرية القول في حكمة واعتدال وتبصرة وسداد فلندكر نعمة الله عليه وعلى مصر شاكرين أيتها السادة

ان ذلك الجسم الذي غالب الامراض فقلبها الى ان اختطفه الموت وأخذته غيلة قد أصبح معنى ان يفتأ يطالعكم من وراء السنين والحقب هو معنى الوطنية العاملة التي تقضى على كل فرد أن يقوم بواجبه ساعياً في سبيل الكمال ، وان ذلك الخطيب الذي سحر حقولكم ببيانه مدى حياته ، يلقي عليكم بموته ابلغ خطبة . خطبة الفناء في سبيل خدمة الوطن ونصره وقضيته

ان حزننا على قعيدنا عظيم ، ولكن يجب الا يكون عقيباً ، وخير مايلد هذا

الخزن هو حسن التأمي، فلنتأس بسعد في جهاده للحق وصبره على المكاره ودعوته
الى ضم الصفوف. ايشار المصلحة العامة

واني لأعلم اني لا انب غافلا ولا أوقظ فأما فان سيرتكم منذ مات سعد
ناطقة بان روحه لا تزال معكم، ولا اشك انكم لن تزالوا سالكي هذا الطريق في
توفيق من الله وتأيد من صاحب العرش وأوقن انه ليس شيء احب الى سعد في
تبره من ان تشاروا على المضي في هذا الطريق الحكيم حتى تبلغ غايتنا جميعا

وأنت ايها الراحل الكريم

نم هادئا مطمئنا فان البذر الذي بذرت من خلال حسنة ودعوة صالحة سيؤتي
ثمره ان شاء الله وستحفظ لك مصر اكبر الذكري واذا كان لمحزون ان يتعزى
فان هذه الجموع التي تنوه برزئك الكبير بعض العزاء لشريكك في الحياة، التي
شاطرتك المتاعب والالام، والتي جمعت الى صفاتها الممتازة انها كانت خير مثال
للحب والوفاء، كما ان في الروح التي بعثتها في الامة بعض العزاء للصديق الذي فقد
بموتك العضد البار الوفي الامين
فرحة الله ورضوانه عليك

خطبة دَوْلَة رَشْدِي باشا

رئيس مجلس الشيوخ

في حفلة التأيين الكبرى

لا استطيع ان ادع هذه الحفلة الشعبية نحتم من غير ان التقي فيها كلتي
لقد كانت خسارتي في سعد مزدوجة ومصابي فيه مضاعفا . فانا ابكيه بصقتي
مصريا وابكيه بصقتي صديقا حبا اذ كانت صلة الود والصداقة بيننا مدينة قديمة يرجع
عهدنا الى اول مرة تقابلنا فيها وكانت تلك الصداقة قائمة على الاحترام والثقة
المتبادلين ولهذا فانها كانت ثابتة كالصخر

وكان من شأن التقلبات السياسية لاسيما ابان المفاوضات الرسمية ان اوجدت
سحابة في جو تلك الصداقة ولكن هذه السحابة ما لبثت ان تبددت . وكان
مما أثر في نفسي تأثيراً عميقاً قول سعد لي « لقد اذرفت العبرات يوم علمت بنبأ مرضك
في لندره »

نعم لقد اذرف عبراته سخينة لان الخلف السياسي لم يكن ليؤثر فيما كان
بيننا من الصداقة والاحترام ولاتنا نحن الاثنين كنا نتجه بكل مافي نفوسنا من
قوة و يقين الى غرض مقدس واحد الا وهو استقلال مصر التام . وكان من الطبيعي
ان يقوم بيننا الخلاف على احسن الوسائل والسبل المؤدية الى تحقيق تلك الغاية
السامية اما الغاية نفسها فهي هي لا تتغير

لم يولد سعد مجازفا . ولكن حب الوطن جعل من هذا الرجل الحريص بفطرته
لينا كاسرافصار في اتم استعداد لتضحية ماله وحرية بل لتضحية حياته في سبيل وطنه
وقد رحل هذا الرجل العظيم عنا قبل ان يرى بعينه ولكن روحه تهتز فرحا

وهو في مرقده الابدى يوم تتحقق هذه الامنية وهى ستحقق فى القريب العاجل
وانا رشدى الواقف بين ايديكم اؤكد لكم هذا بقوة اليقين ومتى اكنت
لكم شيئاً فلكم ان تصدقوه

واذا كان سعد قد رحل عنا بجثمانه فانه خلف وراءه زوجة نبيلة شريفة وزملاء
اكفاء ممتازين وحكومة دستورية جديدة بكل الثقة وأمة متهاضكة متضامنة تشبعت
روحها بالوطنية الصادقة وبرلماناً ممثلاً للامة احسن تمثيل يعمل بوجها ويشعر بشعورها
وسيجاهد الجميع بكل قواهم فى ايام عمله العظيم فى ظل ورعاية مليكنا الدستورى
صاحب الجلالة فؤاد الاول حفظه الله

قم يا سعد هاتنا هادئاً وثق ان كل من خلقهم وراءك سيعملون على تحقيق
الغرض الذى وقفت عليه كل ايام حياتك وكل قوى نفسك الكبيرة

خطبة معالى محمد محمود باشا

وزير المالية ووكيل حزب الامراء الدستوريين

فى حفلة التأسيس الكبرى

سيداتى وسادتى

أقف بينكم والاسى بملأ جوانحى والحزن يملك مشاعرى لهذا المصاب الجلل
الذى دهم الامة بفقد زعيمها ورمز نهضتها والذى حرماها من تلك الرأس التى كانت
تفيض حكمة وذلك القلب الذى كان يفيض اخلاصاً لمصر وتلك النفس التى بعثت
روح الوطنية فى البلاد وأججت نارها ورفعت علمها . وتلك الشخصية الفذة التى
كانت عنواناً لمجد مصر وفخارها ومحطاً لآمالها ودعامة لحريتها واستقلالها

سيداتى وسادتى :

ان مصاب الكنانة فى زعيمها وهى فى اشد الحاجة الى جرأته الحكيمة والى آرائه الموقفة لما يعز معه العزاء لولا ان ذكراه قائمة فى نفوسنا تشدمننا العزائم وترشدنا الى معالم الوطنية الحققة فاذا كان سعد قد قاد هذه الامة فى حياته الى مواطن النجاح والفلاح فى جهادها الوطنى فان ذكراه اليوم بعد مماته تكسبنا قوة على قوة وايماناً على ايمان فباسمه ، وقد غيب اللحد رسمه تجتمع اليوم احزابنا السياسية وهى اشد وفقاً من كل عهد مضى . وبمناسبة ذكراه الطيبة وقد اصبح رهين رسمه تتعاهد جماعات هذه الامة وطوائفها على التمسك بائتلافها واتحادها وقد ادركت جميعها حق الادراك انها بفضل هذا الائتلاف وحده واصله ان شاء الله الى تحقيق الامانى القومية القائمة على صيانة الحياة الدستورية والوصول الى استقلالنا التام

ومامشولى ايها السادة فى هذا المحفل الموقر الذى ضم شيوخ الامة ونوابها وحكامها واعيانها واهل الراى والمكانة فيها الاتوكيد هذا الاتحاد باسم الاحرار الدستوريين ودعم ذباك الائتلاف الذى كان من اجل آثار سعد فى حياته وهو اليوم انتصار جديد وارضاء لروحه الطاهرة بعد مماته رحمة الله عليه

ولا يخفى ان النصر فى بعض المعارك السلمية قد يكون اصعب منا لا من النصر فى المواقع الحربية فلاول يقتضى رجاحه فى العقل ومموا فى القلب وتضحية بالعواطف فى حين انه يكفى فى الثانى قوة الساعد وشدة المراس والتضحية ببعض .
• مئات من الجنود فالبطولة فى معارك السلم أسمى واشرف منها فى معارك الحرب وانكم لتعلمون جميعاً ان سعدا كان ذلك البطل الحكيم والثائر الهادئ بل قد يكون الزعيم الاوحد الذى قامت زعامته ، فى امة عزلاء ، على قوة اليقين ومضاء الحجة والاستمسك بالحق فى حين أن الزعامة فى الشرق والغرب قديما وحديثا من معاوية الى مصطفى كمال ومن يوليوس قيصر الى موسولينى استندت كلها الى القوة المسلحة فقامت وتوطدت بها

تمهت طريق الزعامة لفقيدنا الجليل بفضل ما أغدق الله عليه من شخصية بارزة ومواهب عالية وقفها على خدمة قومه وبلادهم وقد انقادت له تلك الزعامة تارة باختيار الامة اياه زعيما ورئيسا وتارة بدافع من نفسه كان يوقفه موقف الزعيم كلما تخرجت الحالة وادلهمت الخطوب

كان سعد زعينا بدافع من نفسه يوم نهض في جمعية التشريع والاقتصاد السياسى يناضل عن حقوق هذا البلد الامين ، كما كان زعيما يوم ندبته الامة جمعا للدفاع عن تلك الحقوق

كان زعيما يوم سار الى دار الحماية (اذ ذاك) مع صديقيه الكريمين المرحوم على شعراوى باشا والاستاذ عبدالعزيز فهمى باشا رافعا صوت مصر — كما كان زعيما يوم اجتمعت حوله الجموع قنادى باسمه وباسم الوطن

كان زعيما فى الجمعية التشريعية الضيقة الرحاب كما كان زعيما يوم انتخب لرئاسة مجلس النواب — وهكذا كان الزعيم تدعوه الحوادث الآخذة بناصية الزعامة مدفوعا بعامل الوطنية كما كان الزعيم يوم يهتف كل مصرى باسمه ويعترف الشرق طرا بزعامته .

أما أثر تلك الزعامة فلم يكن سوى الاثر الطيب الخالد — تجلّى ذلك الاثر أولا فى إيقاظ الامة من رقبتها وانهاضها من سكونها ثم فى جمع كلمتها وضم صفوفها على المطالبة بحقوقها — وأخيرا فى تدعيم حياتها الدستورية وتوطيدها ولو لم يكن لزعامة سعد ما يحمل الاحرار الدستوريين على تمجيد تلك الزعامة والاشادة بفضلها العظيم —

بدأت هذه الزعامة بما يلازم كل نهضة من فيضان للعواطف وثورات فى الشعور حتى اذا جاء دور تنظيم الامور وما يقتضيه من حكمة وتؤدة واصالة فى الرأى تجلت جميع تلك الصفات بمظهرها فى سعد زعيما للثورة وفى سعد رئيسا للحكومة ورئيسا لمجلس النواب — فكانت ثورتنا بفضل زعيمنا من أجل الثورات حامية واندفاعا

وكان برلماتا هو أحدث البرلمانات عهداً يسير بفضل رئيسه في سبيل الحكمة والسداد.
أيها السادة

هذه بعض آثار زعامة سعد في حياته أما آثارها بعد مماته فحسبنا ان تبينها في
في هذا الاجتماع وقد تمثلت الامة بمختلف عناصرها وطبقاتها تنصب مصابها في
الفقيد العظيم الذي لا تعوض خسارته على ان ذكره تزييد القلوب ارتباطا والمساعى
اتحادا للنود عن الوطن العزيز وحقوقه المقدسة
أحسن الله ثواب من أحسن إلى قومه حياً وميتاً .

والآن أيها السادة وقد قلت كلمتي عن الاحرار الدستوريين في الزعيم العظيم
بقدر ما يسمح به المقام لا يسعني الا ان اشير بكلمة عن علاقتي الشخصية به
وقد شرفني بصداقته عشرين سنة كان لي فيها أباً عطوفاً وصديقاً ودوداً
واذا كانت قد هبت علينا عاصفة السياسة الهوجاء فدفعتنا حيناً من الزمن في
طريقين مختلفين فاتنا ما لبثنا ان التقينا حيث افترقنا على ثابت الود ومالف
الوفاء والاخلاص

ان عهد تلك الصداقة حافل بالذكريات العذبة تمر بخاطري فتزيد في حزني
على كل ما فقدته في شخص الراحل العظيم — فقد كان رحمه الله صادقاً في وده
وافياً في إخائه عظيماً في صداقته شأنه في كل صفاته

وكان رحمه الله يتنوق الشعر ويطرب له كل الطرب وكان لشعر الباوردي
أثر بليغ في نفسه أذكر أنه كان يردد منه بنوع خاص هذه الايات

خلقت عيوفا لا أرى لابن حرة * على يدا أغضى لها حين يغضب
واني اذا ما الشك أظلم ليله * وأمست به الاوهام حيرى قلب
ضربت حفا في طرية بكوكب * من الرأي لا يخفى عليه المقلب
ان هذه الأيات التي كان رحمه الله يرددها انما هي في الواقع صورة حقيقية

لنفسية بعد قاليت الاول صورة لما تجسم فيه من الالباء والشمم وعزة النفس —
والبيتان الآخران صورة لما تحلى به من سداد رأى وبعد نظر وحكمة حلاله للمعضلات
وإذا ذكرنا سعداً وما أثر سعد فلا يسعنا الا التنويه بفضل من كانت شريكة له
فى جميع أطوار حياته ورفيقة صادقة له فى جهاده — وقد وضع مصايها به اليوم
إكليلا على مفرقها تنحنى له الرؤوس اجلالاً واحتراماً — قالى تلك السيدة الجليلة
الفاضلة أوجه كلمة العزاء وهى كلمة تختلج بها جميع الشفاء وأتوجه إليها بعاطفة الحزن
والاسى وهى بحمد الله عاطفة ممزوجة بعزم صادق على ان نسير سيرة سعد لنكمل
بنيان ما وضعه من أساس لعظمة مصر ومجدها
رحم الله سعداً عداد مآثره وخدماته لهذه الامة الاسيفة بفقده ووقعها الى
تحقيق آماله وآمالها وأجل لها فيه العزاء

خطبة الاستاذ مكرم بك عبيد

سكرتير الوفد المصرى

فى حفلة التأين الكبرى

واذن قد مات سعد . . . وهذه الحفلة الحافلة هى حفلة الزعيم فى موته ، أى
وربى وحفلته الاولى . . . وهذه الجموع الحاشدة قد جاءت لتسمعه خطيباً محدثاً —
لاوربى ، بل حديثاً يروى . . . وهذه العيون اللوامع قد ألهبها بريق ناظره —
لاوربى بل حرقه الذكرى . . . وهذا السكون وهذا الخشوع ، وهذا الجلال إن
هى الامظاهر العزة والعظمة للعزير العظيم فينا — لاوربى ، بل ضريبة الموت فرض
على كل مصرى أن يؤديها مرة بعد أخرى . . .
قد مات من كان حيا فى كل قلب وأصبحت حياته شيئاً يبلى . . . وقد

سكت من كان ناطقاً في كل لسان ، وأصبح الكلام فيه دمعاً يسجى . .

مات سعد

سيداتي وسادتي

لقد دارت دورة الشؤم فشأت أن أرثي سعداً يا كياً نائجاً وقد اعتاد لساني
ألا يذكره إلا شادياً صادحاً فسامحونا إذا ألح بنا الألم فضاقت عنه مآقينا قد
حرمتنا حتى سلوة البكاء عليه في منيته وحتى نظرة الوداع الى جثته وحتى خطوة
التشييع في رحلته . وقد كان والله يحنو على أشخاص في محبته ويبكي على أمراضنا
في رحمته ولا ينبغي بنا بدليلاً في غربته

ولكن قضى الله ان يموت سعد فلم يبق لنا من حياته الكثيرة الغزيرة المهمة
سوى قطرة ماء تجود بها العيون فتسكب حتى تبل بها الا كف فتحجب
إذن قد وقعت الواقعة التي طالما هادنا عليها القدر وانتزع الموت في لحظة من
ضنت به الاجيال متعاقبة وتعبت في صنعه وصوغه العظام والعبر فكان لها عوناً
على الدهر وكان هو المدخر

إذن قد نفذ السهم وحمل القدر في ذلك الذي كنا الى الامس نتادى أنه اذا
انطلق اليه السهم رد وانكسر واذا التطم الموج بصخره عجز وانحسر واذا امتدت
اليه يد الحوادث ارتد القدر

عجباً هل تطاول القبر الى من كان فوق هامات البشر أم أن تلك العظمة
الشاحخة لما لم تجد علواً ترفع اليه قد تواضعت فتدانت حتى ذاك المستقر سبحانه
ربي ، بل قد أردت قدوت ، فمنك الوجود واليك المفر

كيف يرثى سعد

أيها السادة

ان أبلغ ما يرثى به ميت دمة كريمة تبدى له خفية لا كلمة منمقة تبذل للناس
جهرة فتلك للميت العزيز وحده وهذه للاحياء من بعده ولكن جرت عادة
الاحياء والحياة لا تعرف يأماً — أن يغالبوا الموت حتى بعد ظفروه ، عسى أن
ينتزعوا بعض الحياة من الميت العزيز ولو في قبره فاذا لم يظفروا ولن يظفروا بحياة
قصيدهم ظفروا بحياة ذكره . وبهذا تنتقم الحياة لنفسها وتسترد بعض حقها وفي
هذا رحمة من الله الذي يميت ويحيي ويفجع ويعزى

لذلك لا يليق أن يؤبن في سعد الا ما قدناه فيه ، وهو شخصه أما عمله أما
ذكره أما أثره فهذه أمور ليس الموت سلطان عليها ولا يصح أن تكون محل تأبين
أورثاء بل هي من عناصر الحياة والبقاء وكلما عظم الميت عظم ذكره وضرب
بسهم في الحياة بعد موته بهذا يمتاز العطاء حتى في موتهم فان العظيم هو الذى يولد
من عناصر الفناء في شخصه عوامل البقاء في بيئته فاذا مات لنفسه عاش لغيره

عظمة شخصه

وأعجب ما فى عظمة سعد أن عظمة شخصه امتزجت بعظمة المجموع إلى
حد أصبح من المعتذر معه على بعض الناس أن يدركوا هل هو يعطى أم يأخذ
وهل يوحى أم يوحى اليه غير ان الواقع الذى لا مرية فيه والذى يتمشى مع طبيعة
الاشياء انه كان يتبادل العظمة ، مع أمته ، فكانت ، تعطيه ويعطيها ،
وتنميه فينميتها

غير ان العظمة قتالة لشخص العظيم وان كانت مصدر حياة لبيئته إذ العظيم
من عظمت تضحيته وفنيت في سعادة المجموع سعادته ولقد كان سعد عظيماً فاختصته

العظمة ببلواها كما اختضته بمزاياها واجتمعت فيه آلام أمه كما اجتمعت فيه آمالها

ولم يكن الرئيس بغافل عن تكاليف تلك العظمة وثمنها الباهظ فقد كان والله يدفع ذلك الثمن مقسطاً على سنى شيخوخته ومحتسباً على منيته فكانت لا تمضى سنة إلا ويؤدى ما فى ذمته من تضحية لبلاده ، مقاسياً آلام النفس والجسم من امساء وامتهان وتشهير إلى اضطهاد ونفى ومرض إلى أن حانت منيته فسقط فى حومة الوغى دون أن يسقط علم الجهاد من يده

ولا أرانى فى حاجة إلى التدليل على عظمة سعد فقد أحنى الخصوم قبل الإصدقاء رؤوسهم لها ، واعترفوا له ميتاً بما أنكروه عليه حياً . ولا بدع فلموت ميزان الحقائق لان حقيقته هى الحقيقة البشرية الوحيدة التى يصح أن تسمى مطلقة لا تشوبها ريبة ولا تحوطها شهوة

وليس أبعد عن قصدى من أن أحاول تحليل عظمتة فالعظمة لا تحلل إلى عناصر أولية كالمادة إذ من مقتضيات التحليل أن نرجع الامور إلى نصاب مشترك ومستوى واحد بينما العظمة هى التفرد والنبوغ والخروج عن نطاق المألوف والتسامى عن مستواه

ثم ان العظمة قيس من نور الله لا يفترض لانه يوجد ولا يفهم بل يرى ولا يفكر فيه بل يحس به وقد كان يكفى أن نرى سعداً ونسمعه لنحس إحساساً يكاد يكون مادياً بتلك الشخصية العظيمة المنبعثة من كل حاسة فيه فتارة يبرق بها نور عينيه وأخرى تسكن بها كبرياء ملامحه وتارة يهدر بها صوته ويثور بها غضبه وأخرى يجل بها صمته ويلين بها عذب ابتسامته وتارة تتدفق بها حماسه وأخرى تضن بها وداعته وتارة يجيش بها قلبه وينطلق بها خياله وأخرى يدق بها منطقة وبستوى بها اعتداله وتارة يجللها مشيب رأسه وأخرى يزينا شباب قلبه وصفوة القول فقد كانت عظمتة نارا ونورا وفكراً وشعوراً وقوة فى وداعة وسكوناً فى حماسة

هذه مظاهر عظمتها أما العظمة في لبها وجوهرها فهي سر الهى إذا تكشفت
لأعين الناس جميعاً لم تعد سرّاً وإذا كانت في متناول كل انسان لم
تعد عظيمة

ولكن إذا لم يكن كل إنسان عظيماً في مقدوره ومن واجبه ان يكون أميئاً
وإذا لم يكن نبياً فمؤمناً وإذا لم يكن قائداً فمجاهداً وإذا لم يكن كل مصرى سعداً
فمن الشرف ان يكون مصرياً

قوة الخلق وقوة العاطفة

أيها السادة لا يتسع وقتكم ولا يمتد بي بفكرى الى الالمام بشخصية سعد في جميع
نواحيها ولكنى اقتصر على سرد بعض صفاته البارزة التى كان لها الاثر الفعال في
حياته العامة شعبيه كانت أم حكومية

ان أظهر ما فى سعد انه جمع بين قوة الخلق وحماسة العاطفة إلى حد يكاد
يكون معجزاً مع ان الذى ألفه الناس في الحياة انها تضن بهاتين الصفتين النادرتين
ولا تجمع بين قوتين هما في حكم المتعارضتين فإذا ما حبت الحياة شخصاً بقوة العاطفة
لم تعطه من قوة الخلق ما يعادل القوة الأخرى بل ترجع الواحدة على الأخرى
حتى لا تصطدما. فتتلاشيا هذه قسمة الحياة. وقد اجتزأ الناس بها وقنعوا بنصيبهم
منها فاعتبروا عظيم من اختص بقوة العاطفة وسموا الخيال. أو من اختص بقوة الشكيمة
ورجاحة الرأي

ولكن سعداً جمع بين العظمتين ووازن بين القوتين المتعارضتين فكانت
عاطفته تشور وعقله ينظم وخیاله يصور وفكره يدبر وحماسته تبذر وسياسته تمحص
واننا اذا نظرنا الى أى صفة من صفات سعد ، وتبعنا تطوراتها رأينا هاتين
القوتين المتعارضتين في غيره متساندتين في شخصه ، يشد بعضهما بعضاً

شجاعة قلبه

خنوا مثلاً شجاعته لقد كان شجاعاً في عاطفته شجاعاً في رأيه
أما شجاعة عاطفته أو شجاعة قلبه فلم تكن الشجاعة الشعرية التي يولدها
الخيال شعراً فتحسبها النفوس شعوراً ولا تلك الشجاعة الموسيقية الطروبة التي
لا تستحث

الا اذا دق لها المطبلون وتحمس حولها المتحمسون
كلا بل كانت شجاعته هادئة ، مطمئنة بصيرة بعواقب الامور تقدر الخطر
قبل وقوعه ، وتقدم عليه مفتوحة العينين ، ثابتة القدمين من غير ماخلاء ولا حذر ،
فاذا ما وقع الخطر فعلا تسامت فوق الخطر
وانى لا ضرب لحضراتكم مثلين من أمثلة عديدة ، تصور لكم تلك الشجاعة
التي بلغت حد البطولة

عند تكوين الوفد كانت الحركة في عنقوان قوتها ، وكان الوفد على رأس
الحركة ، وسعد على رأس الوفد فكان إذن موضع الشرف والخطر ، وبين الصدر
والقبر ، ولم يكن سعد ليجهل هذا الخطر القريب إذ لم يكن خافياً على أحد ، فتقدم
الى زوجته وشريكة حياته ، وعلى شفثيه ابتسامة تلوح هازئه لولا جد عينيه ، وقال
لها « اتى باقداى على ما أنا مقدم عليه قد وضعت رأسى فى يمينى » فأجابته :
« وضع رأسى أنا فى شمالك »

منذ ذلك اليوم الذى تعاهد فيه الزوجان الحبيبان على حب مصر والموت من
اجل أبنائها منذ ذلك اليوم الذى تحركت فيه أحشاؤها لذلك الحب المقدس
أصبح الزوج أباً والزوجة أماً فكان هو ابو الشعب وكانت هى أم المصريين
أما المثل الثانى الذى تجلت فيه بطولة سعد وشاركته فيه أيضاً شريكة مجده
والآله فكلكم تعرفونه وقد قرأتم وصمتم عنه . أعنى به نفيه الى سيشل وقد كنا

كلنا متحمسين للرفض والنفي من بعده أما هو فكان يسمع ويفكر ويزن ولا عجب فقد كان النفي بالنسبة لنا نحن الشبان أول خطوة الى المجد أما بالنسبة له فقد كان آخر خطوة الى القبر وكان يعتقد وكننا نعتقد معه انه لن يرجع من فيه حياً وبالرغم من كل ذلك قبل سعد طائفاً مختاراً أن يتحمل النفي وما يأتى به النفي وما أن قيل حتى انطلقت حماسته يغذوها قلبه ويحدوها فكره وأمل على التاريخ تلك الكلمات الخالدة « سأبقى في مركزى مخلصاً لواجبى وللقوة أن تفعل بنا ما تشاء أفراداً وجماعات »

ثم قلنا المعسكر البريطانى فى السويس فوجدنا الرئيس فيه ثابتاً كالصخر ضاحكاً كالقدر ، بينما كنا هناك جاءه خطاب من حرمه المصون وتصادف أن كنت واقفاً بجواره ورأيتَه يقرأ خطاباً والدمع يتفرق من عينيه فغادرت مكاني احتراماً لحزنه ، ولكنه استوقفنى وقال : « أتعرف ما تقول انها ترى واجبها نحوى ونحو مصريضى عليها أن تبقى فى مكاني لتواصل عملى وتحتفظ باسمى وتسعى الى غسل الالهانة التى لحقت البلاد بنفىي فما قولك فى هذا » ولكنى لم أجبه مباشرة بل تخيلت تلك الزوجة المحبة التى كانت تدفع الجنود عن زوجها وترجو فى لهفة أن يأخذوها معه ، ثم تخيلتها تكتب ذلك الخطاب لزوجها وهى تقطع بيدها نياط قلبها وتشرب الكأس حتى تمالتها حباً فى زوجها وأملاً فى تقرب عودته واستبقاء مجده ...

أحبست بكل ذلك فأكبرت تلك التضحية التى لا تقدر عليها سوى المرأة وأجبت بدون تردد محبداً قرارها مكبراً تضحيتها ولا زلت أذكر الى الآن ذلك النور الذى شعت به عيناه الدامعتان وقوله فى حزم وشجاعة « نعم حسناً فعلت وسأكتب لها محبداً رأيتها »

مرحى أيها البطل فقد كنت أهلاً لها وكانت أهلاً لك
انتقل بكم الى سيشل واذكر لكم مثلاً ثالثاً وان وعدتكم أن لا أعدو المثليين

ولكن الحديث ذو شجون وان لنا في الذكرى عزاء وإن كان عزاء مرأ . كنا في ليلة من ليالى بولية سنة ١٩٢٢ وكان الرئيس متعباً مريضاً منذ أيام وكانت قلوبنا هلوعة عليه فتركنا بعد طعام العشاء على أن ينام مبديراً عسى أن يختلس لنفسه ساعة من الراحة إذا كان لا ينام أكثر من نصف ساعة طول ليله وبينما نحن نتأهب لدخول مخادعنا اذا بالرئيس يخرج الينا فاقد النطق محتبس التنفس وهو يكاد يشرف على الموت . ولا تسل كيف قضيناها ليلة سوداء تغالب الموت فيها ويغالبنا حتى انجلي وجه الصباح وبدأ الرئيس يسترد بعض قواه فاذا به يطمئنا على نفسه ويؤكد لنا انه لا يخشى الموت في سبيل بلاده ، وأن في موته في منفاه حياة لاحقة ولم تكن هذه مجرد ألقاظ ، إذ ما لبثنا أياما حتى وزنت الفاظه بميزان الحوادث وامتنحت شجاعته امتحاناً ما كان أقساه لولا انه لاقى صخرة لا يلين جامدها

قد كان سعد لا يزال مريضاً وقد جاءه تلفراف يعرض عليه أن يتنازل عن الاشتغال بالسياسة في مقابل نقله الى فيشى بأوروبا في أقرب فرصة
صودوا لانفسكم ما كنا فيه وما كنا نعانيه ونخيّلوا شيخاً مريضاً في منفاه يرى في هذا النبأ باب الفرج بل باب الحياة ثم تأملوا جوابه فقد كان جوابه أخيراً جوابه أولاً ، وهو الرضى باباء وكبرياء

ان للقوة أن تفعل به ما تشاء وقد فعلت والمنية أن تهدد حياته وقد هددت ولكن للامة كرامة وقد حفظت وديوناً وقد أدت

شجاعة رأيه

بقى لي أن احدثكم عن شجاعة رأيه وهي أيضاً ظاهرة من قوة اخلاقه وحماسة عاطفته وقد تجلت هذه الظاهرة في صراحته وصلابته وهما صفتان متلازمتان لسعد في جميع أدوار حياته وعليهما بنيت أسس مجده

لقد كان رحمه الله حراً في رأيه حراً في ميوله حراً في كل شيء فيه كأن الحرية جزء من طبعه وكان يكره التصنع في الحديث والتكلف فيه يكره أن يتقيد بنظرية دون العمل بها أو بعمل دون النظر ، بل كان يتخير من النظر والعمل ما تمليه عليه حرية رأيه وما يراه صالحاً لخطته

ولا أحدثكم عن تلك الصراحة المتدقة في أحاديثه وخطبه وأعماله فقد كانت تتدفق في كل شيء حتى في ضحكته وفي نظراته وكنت تحس أنه يحب الصراحة ولا يخشاها أي انه صريح لأنه حر ولا أنه شجاع

ولقد كان صراحته وحرية رأيه وصلابته في الحق من الهبات التي حباه الله إياه فوهبها لأمته خالصة لوجهها ولذلك إذا تتبعتم سعداً في حياته انعامه وجدتم أن الشاب الذي قاده صراحته إلى السجن في الثورة العراقية هو الوزير الذي كان يقف بالموظفين من الانجليز وقفه الرجل الشاعر بكرامته حتى قال عنه اللورد كرومر تلك الكلمة الكبيرة « ان سعد باشا علمني كيف أحترمه » وهو الزعيم الوطني الذي وقف في جمعية الاقتصاد والتشريع تلك الوقفة الرهيبة معلناً في صراحة الحق بطلان الحماية المفروضة على مصر وهو هو الرجل المسئول الذي كان في مفاوضاته مع الانجليز يخاطبهم مخاطبة الند للند والحر للحر

ولا حاجة بي لأن أعدد مواقفه في ذلك الصدد فهي تبجل عن الحصر وأغلبها منقوش على قلوبكم ولكني أذكر لحضراتكم موقفه الأخير مع المستر ماكدونالد مما قد لا يكون معروفاً للجمهور ومما يصح اعلانه وقد أصبح في حوزة التاريخ . . .

ذهب سعد الى لندن مدعواً للمفاوضة معه وقبل الميعاد المحدد بيوم واحد وصله خطاب من المستر ماكدونالد يشير فيه إلى أن المفاوضات ستدور بين الطرفين على أساس تصریح ٢٨ فبراير وانه من الواجب ان لا تتعدى النقاط المحتفظ بها في ذلك التصريح فما كان من الرئيس إلا أن رد عليه بصراحة وشمم أنه يرفض أن

يدخل أى مفاوضة مقيد اليدين وأنه يجب أن تكون المفاوضات حرة من كل قيد أو شرط فانتهى الامر بقبول المستر ماكدونالد ذلك المطلب العادل ودارت المفاوضات بالطريقة التى عرفتموها

أما عن بقية صفاته وأخصها قوة ايمانه وثباته ونزاهته وأمانته فى القول والعمل ووفائه لآخوانه وغفرانه لخصومه ودمائه أخلاقه وجميع ما أتصف به الراحل العزيز من فضائل فهى كلها أو جلها متفرعة من الصفتين البارزتين فيه أى قوة خلقه وقوة عاطفته وليس فى الوقت متسع لتفصيلها

مقدرته السياسية

ولكنى استمىحك عذراً فى الكلام عن مسألة وضعها بعض الباحثين من الاجانب موضع البحث وهى مقدرته السياسية

هل كان سعد رجلاً سياسياً أم كان مجرد زعيم شعبى أو وطنى . . . وبعبارة أخرى هل كان سعد قديراً فى السياسة كما كان قديراً فى غيرها

أما عن السياسة الكبرى فنعم وأما السياسة الصغرى فلا

لقد كان سعد رجلاً حكيماً مدبراً وزائناً للامور بصيراً بعواقبها وكان ككل رجل قوى يسيطر على الحوادث ولا سيطرة لها عليه وفى هذا كان سياسياً كبيراً ولكنه كما قال عن نفسه لم يكن رجلاً دس من يعملون فى الظلام ولا رجلاً متقلباً ممن يميلون مع كل ريح ولا رجلاً خنوعاً مما ينتحنون أمام الامر الواقع ويستسلمون لحكم الحوادث ولا رجلاً هلوغاً ممن تنحصر مهارتهم فى مجانبة الصدمات دون ملاقاتها وجهاً لوجه ، وفى هذا كله لم يكن سعد سياسياً صغيراً ، فكان لا يقيم وزناً لامر وجب ، ولم يكن لينتظر الحوادث بل كان سباقاً اليها ، ولم يكن ميالاً مع كل ريح ، بل كان هو العاصفة التى تكتسح ما فى طريقها ، ولم يكن رجلاً مخائلاً ، بل كان يحارب خصمه وجهاً لوجه ولا يأنف أن يمد اليه يد الود

إذا أنس منه وفاة

هذا هو سعد السياسي الكبير الذي اعترفت له الصحافة الانجليزية بالفضل
الاكبر فيما فآلته مصر الى الآن من حرية ودستور ، والذي أدار دفة البرلمان
والحكومة بحكمة ومهارة فآقتين ، وكانت كل كلمة تصدر منه في بيت الامة يرن صداها
في الدارين وتخترق البحرين

فهل لا يعد سياسياً كبيراً ذلك الذي تحطمت منذ ثمان سنين على صخره كل
سياسة فكان اذا تكلم يقول « انا الامة والامة انا »

الائتلاف

غير أن أشهى ثمرة من ثمار سياسته هي ثمرة الائتلاف ، ان تاريخ الائتلاف
لم يكتب بعد ، ولكن مما لا ريب فيه أن سعداً كان مركز الدائرة فيه ، وان كان
الفضل فيه موزعاً على المؤتلفين جميعاً

ولقد عرف سعد بحكمته وسياسته ، التي اتفقت في ذلك مع سياسة الاحزاب
الاخرى ، أن يجمع بين الاحزاب دون المساس بمركزه ومركز حلفائه من الوجهتين
الشعبية والسياسية

والمعروف في كل ائتلاف انه يبنى على التوفيق بين المصالح المتناقضة وعلى
شئ من المساومة في المبادئ أما ائتلافنا فقد بنى على المصلحة المشتركة بين
الاحزاب التي لا تحتل مساومة أو مناقشة ، وهذه المصلحة هي التي لاحياة للامة
من دونها وهي الدستور

لست أغلو ، فانه اذا كان الاستقلال هو مظهر وجودنا أمام الاجانب ،
فالدستور هو مظهر وجودنا أمام أنفسنا ، واذا جاز لنا من باب التجوز أن نسكت
على عدم احترام الناس لنا ، فلا يجوز مطلقاً أن نجرد من احترامنا لانفسنا . . .

كيف يبكي الناس سعدا

أيها السادة: مات سعد فبكيتموه أحر بكاء، وبلغتم في أحزانكم الى أعماق لم تصل اليها أفراحكم، فأى شئ عجيب هذا الذى تضيفونه الى سجل عجائبكم!... ليس عجيباً أن يبكي سعداً أولئك الذين اتصلوا به صلة القرابة والود، فقد بكوا فيه أباً رحيماً وصديقاً حميماً، ولكن سعداً لم يبكه أصدقاؤه فقط بل بكته أمة بأسرها فكيف أولئك الذين لم يتصلوا به ولم يعرفوه حتى ولم يروه رأى العين،... ما الذى أوجع هؤلاء الاطفال الصغار وهم بعد فى مرح الحياة فأبكمهم. ومن ذا الذى لقنهم انهم قدوا أباهم... وما ذا دهي أولئك المارة بالعين فاندفعوا الى نعش سعد يحتضنونه ويختطفونه، وما الذى أوحى اليهم أنهم يحبونه وقد كانوا من قبل لا يعرفونه... لعلمهم بكوه لانه كان عظيماً فى أمته؟ كلا، فالعظيم يعجب به، ويصفق له وقد يؤسف له اذا مات ولكن لا يبكي عليه، بل لا يبكي الناس الا حبيباً أو قريباً اذن لا مناص من القول بان الناس بكوا سعداً لانه كان لهم حبيباً، ولكن كيف أحبوه؟

انما أحب المصريون سعداً لانه فكرة سامية هى فكرة الوطنية المقدسة قد تغلغلت فيهم ورسخت فى اذهانهم، فصارت حبيبة الى قلوبهم، ثم تماثلت الفكرة فى سعد، وانتهى الامر بان أصبحت الفكرة شخصاً يحب فى حياته ويبكى عليه فى مماته

ان الامة التى بلغت بها الوطنية مبلغ الحب فبكت على الفكرة فى شخص ممثلها، لى أمة عظيمة حقاً، كما أن الشخص الذى رؤى أهلاً لتمثيل تلك الفكرة السامية هو عظيم حقاً، فاذا مات ممثل تلك الفكرة بقيت حية فى الامة التى أوجدتها

ان سعدا لم ينته

ولكن ما ذا أقول ؟ أن لو عتينا على الانسان في سعد قد انستنا سعداً في خلوده
وهو الذي احببتموه وجاهدتم تحت لوائه

ان سعداً هذا لم ينته ، بل قد بدأت لانهايته ، ان سعداً هذا لم يموت ولن يموت
الا اذا قتلتموه بأيديكم

فلا تسفكوا الدمع ياسادتي ، ان سعداً الذي احببتموه حي في قلوبكم لانكم
لا زلتم تحبونه ، وحي في ذاكرتكم لانكم ما فتقم تذكرونه ، ولكنه يموت حقاً
في اليوم الذي يموت فيه حبه وذكره في نفوسكم حينئذ — ويأويلنا ان حان هذا
الحين — حينئذ غطوا وجوهكم واندبوا سعداً واندبوا معه انفسكم ، فقد قتلتموه
وقتلتم الخلود فيكم

ولكن قد يقال ان المصريين احبوا سعداً وسيحبونه دائماً فلا محل للتخوف من
موت ذكره بعد ان بكاه افرادهم ، ورثته جرائدهم ، وأبنه خطباؤهم ، وخلص اسمه
تاريخهم . . . فأي دليل أبلغ من هذه الأدلة على مبلغ حبهم له . فاذا كان هذا مبلغ
حبكم لسعد فدعوني اطمئنكم بانه في غنى عن مثل هذا الحب الهين الذي لا يكلفكم
سوى دمة تسفكونها وكلمة تهولونها ونصب تقيمونها ، دعوني أصارحكم بأنكم
بمثل هذا الحب لا تحبون سعداً بل تحبون زهوكم فيه ولا يبيكم فقد قد
سلوكم فيه

تخيّلوا رجلاً له صبية صغار يتضورون جوعاً وعرياً ، وبدلاً من ان يسعى
لكسب قوتهم لا يجد برهاناً على محبته لهم الا أن يقعد معهم ويبكي بينا الاولاد
يجوعون ، انه يبكي وغداً يموتون

لا ياسادتي ان الحب الحقيقي يبكي ولا يعرف قهلاً ، ويتألم ولا يفقد أملاً ،
ويدرك فيحيي بالذكرى عملاً ، فمن أحب سعداً فليتم عمله ، بهذا يخلد سعد في

ذكره ، وبهذا تضمّن عظامه في قبره

ان الوطنية الحقّة هي الوطنية العاملة ، ولقد قيل لكم قولاً كريماً ان الاعمال بالنيات وهذا هو حق ، ولكن من الحق أيضاً أن تقول ان النيات بالاعمال ، فالحياة جهاد لا يعيش فيها إلا الباقون الى العمل ، فمن نوى وعمل عاش وتضاعفت همته ، ومن نوى ولم يعمل مات واحتسبت عليه نيته

الى العمل

أيها السادة : ان وطنيتكم ، بل ورجولتكم في ميزان القدر . لقد مات سعد فهل مات رجل في الامة أم ماتت الامة في رجل ، وهل أصبحتم بعد موته حيارى ، فرادى ، لا يستقر لكم أمر ، ولا يجمعكم شمل . . . وهل بلغت نكبتكم في سعد مبلغاً نكبتكم معه في أنفسكم وهل كنتم به عظماء أم كان عظماء بكم ؟ تلك أسئلة يرددها خصومكم بل وأصدقائكم وينصت التاريخ لسمع بشأنها جوابكم . ولقد أجبت أجابة الانفة والكبرياء بلسان وفدكم فكانت اجابته حازمة بجدكم ، رصينة بحكمتمكم مطمئنة بثباتكم ، قالى العمل ، إلى العمل ولتكن حماسكم عملاً لا كلاماً وليكن شعاركم سلاماً لا استسلاماً .

... مات سعد فعزاء لك ياميدتى (مخاطباً حرم الرئيس) فقد عوضك الله عن زوجك بأولادك ، وعزاء لك أيتها الامة الكريمة ، فان نهضتك التي سرت اليها ماء الحياة من عروق الصغار من شهدائك ، لن تزداد إلا حياة في موت شهيد ، هو أعظم الشهداء فخراً ، وأصفاهم طهراً ، وأكبرهم أجراً

سلام على سعد في قبره ، سلام عليه في ذكره ، سلام عليه في شريكته ، سلام عليه في خليفته ، سلام عليه في أمته

خطبة الأستاذ عبد الحميد بك سعيد

وكيل الحزب الوطنى

فى حفلة التأين الكبرى

قضى سعد ولا مراد لقضاء الله ، قضى الزعيم الكبير ، قضى القائد العظيم
قضى فقيد مصر والشرق فصبر جميل وانا لله وانا اليه راجعون . « ولنبلونكم حتى
نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم » مضى رجل الكفاح مضى الخطيب
الذى طالما هز أعواد المنابر وتملك القلوب ببلاغته وسحر بيانه فجذعت مصر بل
جزعت شعوب الشرق المظلومة من هول المصاب . فقد كانت نهضتنا القومية
موقظة الشعوب منبهة للوحدة القومية فى كل بلد مهضوم حقه مغلوب على أمره فانا
الله وانا اليه راجعون

لقد اجتمعت فى الفقيد العظيم صفات يندر أن تتوفر فى زعماء الامم وقادتها
لذلك كان رزء مصر عظيما ومصابها جلا . فقد كان رحمة الله عليه خطيبا لا يبارى
متوقد الذكاء قوى الارادة جبارها كبير النفس مهيأ صبوراً على الشدائد قوى
التأثير جذابا

ابتدأ الفقيد العظيم جهاده العنيف فى سبيل قضيتنا المقدسة من يوم أن
وضعت الحرب أوزارها واستمر يكافح ويناضل بعزيمة لا تعرف الكلال ولا
يتسرب اليها اليأس حتى اختاره بارى السموات الى جواره ورجعت نفسه المطمئنة
الى ربها راضية مرضية

هبت مصر على بكرة أبيها بعد الحرب العامة تلك الحرب الضروس التى أكلت
الاخضر واليابس . هبت تنادى بحقها المغضوب لما ان يئست من عدل خصومها

فأصبحت الامة بركانا يقذف بالحمم . تقدم سعد فنظم الصفوف وجمع القوى . وكدنا نصل الى غايتنا وندرك غرضنا لولا فتنة أيقظها خصومنا فلما تحققوا أن الامة جادة لا هازلة وان الحملة صادقة والرمية مسددة أخذوا يعالجون الامر باللين طورا وبالشدة أحيانا . وقد نال سعداً من الاذى شيء كثير ولكنه تحمل ذلك بكل شجاعة وصبر فلم يهن ولم يضعف وتكملت جهود النهضة الوطنية بكثير من النجاح تلك النهضة التي أنبتها مصطفى وتعهدها فريد وغذاها سعد فكانت سلسلة حلقات متصلة بعضها ببعض وستمند بمشيئة الله قوية مثينة الى أن تظفر الامة بكامل حقوقها وتنام خريتها

انتخب سعد لرئاسة المجلس فكان رئيسا حازما خبيرا بتصرف الامور وقد ضرب المثل الاعلى في المثابرة على العمل بقوة قفل الحديد . ورغم من اعتلال صحته وكبر سنه كان يبدي من النشاط في الجلسات خصوصا جلسات الصيف الطويلة المملة ما يستحق الاعجاب ويبعث الهممة والعزيمة في نفوس النواب لقد فقدت مصر سعدا وهي أحوج ماتكون الى آرائه الثاقبة السديدة وهمته الوثابة وخطبه التي كانت تركز نار الوطنية في القلوب وأن ننس لانفس نداءه الذي يقول فيه

« يحاول الاقوياء بجميع الوسائل أن يأخذوا منكم رضاء بحمايتهم ليزدادوا قوة الى قوة ويزيدوكم ضعفا فلا تنخدعوا اذا خدعوك ولا تخافوا اذا هددوك وابتثوا على التمسك بحكمكم في الاستقلال التام فهو أمضى سلاح في أيديكم وأقوى حجة لكم »

« انكم متأكدون ان حكمكم سيعاوى على باطل خصومكم وانكم ستفوزون باستقلال بلادكم وسيكون فوزكم فوزا كريما وما دام هذا المصير مصيركم فكل تعب راحة وكل ألم لذة وكل فداء رخيص »

« انكم أنبل الوارثين لا قدم مدنية في العالم وقد حلقتم أن تعيشوا أحرارا

أو تموتوا كراماً فلا تدعوا التاريخ يقول يوماً فيكم أقسموا ولم يبروا بالقسم فلنسر إذاً
بقلوب كلها مطمئنان ونفوس ملؤها استبشار . شعارنا الاستقلال التام أو الموت الزؤام»
سادق

لقد كان الحزب الوطني متفقاً مع الوفد تمام الاتفاق في الغاية ولم يكن هناك
خلاف إلا في الوسائل أما ما كان يقع من المشادة بيننا أحياناً فلم يكن مطلقاً أساسه
العداوة والكراهية وليكنها المصلحة العامة والدليل على ذلك أنه كان ينصر
سعداً كلما وقع عليه اضطهاد، كما أنه أيد به بكل قوة يوم رشح نفسه للجمعية التشريعية
وأعلنت عليه السلطات حرباً عواناً ولما رأى الحزب الوطني اعتداء الحكومة على
الدستور وعلى حقوق الأمة المقدسة مد يده إلى باقي الأحزاب للدفاع عن تلك
الحقوق وعن كرامة الأمة

سادق

إن الساعة رهيبة وجو السياسة مكفر وإن الخصم لقوى عنيد وسيعجم عودكم
عن قريب مرة أخرى فحذار من أن يجد فيه مغمراً أنه لاسيبل للفوز في جهادنا
المقدس إلا بتوحيد الكلمة وضم الصفوف ونبذ كل خلاف شخصي
« واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » وليكن شعارنا ما وصى به الزعماء
الراحلون: الاستقلال التام لمصر والسودان

وإن الحزب الوطني ليقدم خالص العزاء لأمرة الفقيد العظيم ولاخوانه
السعديين. ويشاطرهم الحزن والأسى فإن المصاب مصاب الأمة جميعها . وفي الختام
أبتهل إلى المولى سبحانه وتعالى أن يتغمد الفقيد العظيم برحمته الواسعة وأن يجزيه
عن الأمة المصرية خيراً الجزاء أنه هو السميع المجيب

خطبة الاستاذ ابراهيم بك الهلباوى

في حفلة تأييد الفقير العظيم في الجيزة

نسألك اللهم يا من اقتضت حكمته أن يجعل لكل أجل كتابا وكتب على كل نفس الموت اذا جاء أجلها أن تمد برحمتك روح فقيد مصر وزعيمها وأن توفق خلفاءه الى السير في الطريق الذي اختطه لوصول هذه البلاد الى تحقيق غايتها

أيها السادة

تشر نفوس الاحياء عند ما تمر بمقابر الموتى بين تلك الخلائق الصامتة بمجو مملوء بالرهبة والجلال ونحن اليوم وان كنا مجتمعين في بقعة من الارض على بعد من ضريح الفقيد نحس جميعاً باننا محاطون بهذا الجو المملوء رهبة وجلالا وفي ظني أن هذا الجلال مخيم على رؤس جميع الذين يجتمعون في هذه الساعة في بقع مختلفة من أرجاء القطر لتخليد ذكرى الفقيد والتوجع على فقدانه وليس غريباً أن نرى أنفسنا محاطين بهذا الجولانا وان بعدنا عن ضريحه المؤلف من بضعة الاحجار نحس كأن قلب كل منا تحول الى قبر استقرت فيه نفس الفقيد بطهرها وجلالها فهما كنا وأينما سرنا نيق متصلين بهذه الروح واذا طلبنا لها مرة الرحمة والرضوان نلتبس منها الف مرة أن تمدنا بتلك القوة التي كانت عوناً لكل مصرى على تحمل مشاق الجهاد في خدمة الوطن والاستعداد لتضحية كل غال في تحقيق مطالبه

أيها السادة

وصلني نعي الفقيد بعد ظهر يوم الاربعاء ٢٤ أغسطس وانا في بلاد نائية (نيويورك) وقد وجدت القوم هناك من صحفيين وسياسيين يذكرون في صحفهم ومجامعهم سيرة الفقيد بما يستحق من التعظيم واعتباره من عظماء رجال هذا

العصر حتى أن نحو المائتي صحيفة من صحف الولايات المتحدة الكبرى خصصت مقالها الافتتاحي بطبع صورة الفقيد ونشر ملخص من حياته وقد بعث لي في اليوم التالي صديق الفقيد المستر كرين سفير الولايات المتحدة في الصين سابقاً ومن محبي علماء الشرق وأدبائه وبالاخص السيد جمال الدين الافغانى وتلاميذه بقصاصات من معظم تلك الجرائد

كذلك كان عندي دعوة للشاي لبعض أصحابي من نيويورك ومحدداً لها الساعة الخامسة من يوم الاربعاء ٢٤ اغسطس قبل أن يصلنا نبأ المصاب فاعتذروا عن الحضور حداداً على الفقيد وحضرت سيدة واحدة من بين المدعوين في الموعد المحدد لآخذ الشاي وعبرة تقيمها وعبرة تقعدها . وقالت أتيت لاعزى في شخصكم الامة المصرية على نكبتها بوقاة زعيمها ولاعتذر بعدم امكاني آخذ شاي اليوم أولاً حداداً على الفقيد . وثانياً لآتي في حاجة إلى العودة عاجلاً الى منزلي لا كل قصيدة بدأت فيها رثاء للفقيد كي أتمكن من نشرها في جرائد المساء

هذه السيدة هي ابنة رئيس جمهورية الولايات المتحدة السابق المستر روزفيلت . شكرت لها هذه العواطف وقبلت عذرها وتحولت حفلة الشاي التي كانت مقامة مني ومن أصحابي هناك الى حفلة عزاء اجتمع فيها نفر القليل من المصريين في نيويورك ومنهم قنصل مصر في هذه المدينة وموظفوا القنصلية

أيها السادة

ان حياة فقيدنا جديرة بان ترسم على قلب كل مصرى كصحيفة يهندي بهديها ويستضاء بنورها . .

وان أبناء الجيل الحاضر وان طارت قلوبهم جزعاً وحزناً على أفول هذا الكوكب الساطع فلن يستطيعوا الوفاء بما عليهم نحو روح الفقيد إلا اذا عملوا على اتباع سيرته والاستمرار في الجهاد على تحقيق غاية الوطن التي كانت غاية الفقيد

أيها السادة

سار سعد باشا بهذه الامة شوطا كبيرا في طريق تحقيق رغباتها ولو لم تصب هذه الامة بفقد قائدها أثناء الطريق وخصوصاً في صيف سنة ١٩٢٧ لم على يديه بعد مدة قليلة من الزمن . وربما كان قبل انقضاء هذا العام . كثير من آمالها المحققة لتنام استقلالها وحريتها . ولولا ان شرح النتائج السيئة التي قد تصيب هذه الامة بسبب تلك الخسارة قد يشجع خصومها على الاستخفاف بخلفاء سعد السياسيين وأصحابه لاسهبت في بيان مقدار هذه الخسارة

خسارة الرجال السياسيين في كل عصر وعند كل أمة تقضي الحكمة بعدم استعظامها بل وعدم كثرة التحدث بها الا بقدر معلوم وفي ظروف خاصة ولذلك الفت الناس في كل عصر انه عند ما يموت ملك أو عظيم من عظماء الرجال يقترن الاعلان عن موته بالنداء بحياة خليفته

أيها السادة

فريد مصر تولى زعامتها من أواخر سنة ١٩١٨ وبقى يجاهد من ذلك العهد هو وأصحابه بكل ما أعطى من قوة في الجسم وحكمة في الرأس وبلاغة في اللسان حتى انتقل الى دار النعيم في ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢٧

والناظر الى هذا البلد من جهة الحالة السياسية عند ما يقارن ما كانت عليه في أواخر سنة ١٩١٨ وما سارت اليه في أغسطس سنة ١٩٢٧ يرى الفرق شاسعاً والتقدم واضحاً جداً

نعم بدأت حركة سنة ١٩١٨ وجيش الانجليز يحتل البلاد وانتهت حياة الزعيم ولا يزال هذا الجيش رابضاً في بعض حصونها ولكن أوجه الرقي ودعائم الإصلاح التي تأسست في هذا العهد القصير أمست سلباً ثابتاً لازالة العقبات الباقية في طريق الغاية الاخيرة .

أيها السادة

ان هذا المقام لا يسمح بتفصيل ما نالته مصر في عهد هذه الزعامة ويكفى أن أشير الى الاصلاح الروحى الاجتماعى الذى تشرب نفوس المصريين أفرادا وجماعات وكان بدونه يتعذر الوصول الى تحقيق الامة واستقلالها

أيها السادة

أرض الشرق معتبرة منذ عصور طويلة مهد التعصبات الجنسية والدينية وأرض الفراغنة كان لها نصيب من هذا الداء الدفين لا تزال بلاد الشرق ملعباً لهذا الصراع الجنسى والدينى فبحكمة سعد وحسن سياسته اقتلعت هذه الشجرة الخبيثة من أرض مصر من نوفمبر سنة ١٩١٨ وأمسى سكان مصر على اختلاف نزعاتهم ومعتقداتهم الدينية اخوة يعملون تحت لواء وطن واحد يحمل رايته سعد زغلول باشا

ولاول مرة فى تاريخ مصر فتحت المساجد والكنائس لآبناء الطوائف المؤلفة لتلقى على منابرها كلمة طالب تحرير مصر واستقلالها

جرت عادة الناس أن ما يشكون منه من العمل ويستعظمونه بعد البرء منه يستصغرون قيمته : فالنزاع الذى اشتد سعيه بين أبناء مصر من الجهة الدينية خصوصاً من سنة ٩١٠ الى سنة ٩١٨ أو شك أن يكتسح امامه كل مادة من مواد التعبير التى تصلح لاقامة بناء استقلال مصر وحريتها ولكن بفضل حكمة الزعيم الكبير تطهرت البلاد من أدران هذه العلة فى مدة وجيزة ورفعت الاعلام منقوشاً عليها الصليب معانقاً لللال

كرستوف كلومب لما اكتشف قارة أمريكا وبين للناس كيف اهتدى اليها قامت طائفة كبيرة تصغر من هذا الاكتشاف وتزعم انه كان فى مقدور كل راغب فيه أن يصل الى ما وصل اليه كرسstof كلومب ولكن أهل الانصاف لا يزالون يقدرون هذه الحكمة التى أضاءت أمام البشر قارة يشترك فى التمتع بخيراتها

عند قد يبلغ عاجلاً أو آجلاً ربع سكان المعمورة
كذلك أزال سعد بحكمته تلك العلة التي تعاصت في كل العصور السابقة على
رجال الإصلاح من أهل العلم والسياسة وتلك يد لسعد يجب أن نخلد ذكرها .
ولو كنت من أهل الرأي في الصفة البارزة التي يرمز بها في تكييف تمثال سعد
لاشرت بأن يوضع متمماً لهذا التمثال شيخان متعاقدان ويبد أحدهما الهلال والآخر
الصليب والراية المصرية بيد سعد تظلهما وتبارك في تأخيها
أيها السادة

هذه الوحدة أثار في نفس المصري روح المعزة والكرامة فجعلته يستخف
بالآلام في سبيل تحقيق هذه المعزة وهذا الشرف الوطني . والاجانب الموجودون
هنا وفي الخارج ابتدءوا يؤمنون بأن وقت استعباد هذا البلد قد انقضى وان تركهم
وشأنهم في طريق حكم أنفسهم أمراً لا ريب فيه ان عاجلاً أو آجلاً

كذلك أيها السادة مما يجب أن يخلد في سيرة سعد السياسية تلك الروح
السامية التي قضت على الاختلافات والمنازعات الحزبية وضمت تلك الاحزاب
المؤتلفة الى جماعة واحدة مؤتلفة تحت زعامة سعد ورياسته فاذا ذكرنا لسعد
في أول حياته السياسية توحيد المصريين على اختلاف معتقداتهم الدينية فيجب
أن يخلد له تلك الحسنة الثانية وهي توحيد الاحزاب السياسية واقامة صرح شامخ
منها للوصول به الى ذروة استقلال مصر ومجدها وان يوم ١٣ فبراير سنة ١٩٢٦
يوم اجتمعت الاحزاب بدار محمد باشا محمود بأعضائها ورؤسائها تحت رئاسة زعيمنا
الجليل لمن الخواث الكبرى التي تقلده تاجاً ويبقى سناء ساطعاً كلما تذوقت
مصر طعم الشرف وطعم الحكم النيابي

أيها السادة

أما حياة سعد وهو سبي وحياته وهو شاب في معاهد التعليم وحياته وهو موظف
أو محام أو قاض أو وزير فتحتاج الى مجلدات

سعد باشا لم يرزق من صلبه لا بذكر ولا أنثى ولكن ما قدمه من التضحية
لمصلحة الامة وما أسداه من المعروف لبناتها وبناتها وما أثاره في قلوب شيوخها
وناشدتها من الحماسة والغيرة والاستعداد للتضحية صير ملكا له قلوب الجميع
ذكورا وأناثا وشيوخا وشبابا وناصارا وحنوهم اليه وتعلقهم بذاته أشد من ارتباطهم
بآبائهم وأمهاتهم الحقيقيين وان ما شاهدتموه من الحوادث العديدة التي ظهر فيها
الولد بجانب سعد ضد ارادة والده التي سارت فيها البنت أو الزوجة من جنود
سعد وأنصار سعد على خلاف ارادة أمها أو أبيها أو زوجها لا كبر شاهد على
ان سعدا ملك قلوب الجميع وكان الاعتزاز به يشبه اعتزاز الولد بأبيه والزوجة بزوجها
واليوم وأنا أختم كلمتي في هذه الحفلة أشير وأنا أشكر رجال اللجنة التي قامت
بها بأنهم صنعوا خيرا خصوصا وأن لهم نصيبا خاصا في شطر قليل من أيام حياة
الفقيد فقد جاء الى مديريتهم وهوفي شرح شبابه في أوائل سنة ١٨٨٢ رئيسا لقلم
قضايا المديرية ويخال لي ان روح الفقيد وهي ترفرف علينا الآن في هذا المجتمع
نحن الى تلك الايام التي طالما مرت بها في هذا الطريق ذاهبة وعائدة من القاهرة
الى مديرية الجيزة

نم لا يفوتني وانا اختم هذه الكلمة أن أقدم بخشوع واحترام الى تلك
الذات التي رافقت زعيمنا في سرائه وضرائه مدة تربي على الخمسة وثلاثين عاما
وهي ذات العصمة حرمة المصون السيدة صفية هاتم زغلول

خطبة الاستاذ جعفر بك فخرى

في حفلة تأييد الفقير العظيم في الاسكندرية

حضرات أصحاب الدولة والمعالى ، سادتي اخواني
ما ارتهبت موقفاً أرهب من موقعي هذا لأخطبكم رائيماً زعيمنا الاعظم ،
بالامس كنا نحتفل بتسكريمه وتبجيله وكانت البلاد من أدناها الى أقصاها فرحة
مسرورة برفع لواء نهضتها . في كل بيت وفي كل ناد سرور وحبور . وكانت لا تمر
فوصة على أبناء وادي النيل دون أن يظهروا شعورهم نحوه . فمن وفود تخرج الى
داره لاعتقادهم ان هناك رمز أمانهم والمجاهدين سبيل الدفاع عن حقوق بلادهم .
ومن جماعات يحتشدون في الطرقات وكل أملهم أن يتمتعوا بتلك الطلعة البهية .
فان رؤيته كانت تبعث في قلوبهم الآمال وتقوى عزائمهم وتمجد فيهم روح النهضة
الوطنية ومن نسوة يحتشدن في داره حتى اذا ما طلع عليهن أنشدن قول القائل :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعى الله داع

أيها المبعوث فينا جئت بالامر المطاع

فيؤلمنا كل الالم أن ينقلب هذا الفرح ترحاً وأن يصبح نشيد السيدات وهتاف
الشباب والشيوخ عويلاً وبكاء . ولكن ما الحيلة وقضاء الله لا بدنا قد حتى اذا
جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون

تاريخ سعد

سادتي : ان الناظر الى تاريخ سعد من مبدئه الى منتهاه يعلم انه في كل أدوار
حياته كان زعيماً في الوسط الذي كان يعيش فيه فقد دخل الازهر الشريف ومكث

فيه مدة تلقى في خلالها العلوم الشرعية والمنطقية وكان موضع حفاوة وإعجاب الجميع من أساتذته ألا وهم رحمهم الله : الشيخ محمد عبده ، والسيد جمال الدين الافغانى أشهر فلاسفة الشرق في عصره كما انه كان محبوبا بين زملائه كل المحبة .
ثم عين محرراً بجريدة الوقائع المصرية تحت رئاسة الشيخ عبده وان مقالاته الاثرية التى كان يحررها لتدل على نبوغه وبعد نظره وبعد ذلك عين معاوناً فى نظارة الداخلية فناظراً لقلم قضايا الجيزة وكان فيها مثال الهمة والنشاط — ثم حدثته نفسه الكريمة أن يشتغل حراً فأنخرط فى سلك المحاماة التى رفع رايتهها وشيد أركانها والكل يعرف مواقفه المشهورة فى الدفاع عن الحق والاخذ بناصر الضعيف وفى هذه الاونة اتهم سعد بلاشتراك فى جمعية سرية (سموها الانتقام) واضطهد وسجن من أجل مبادئه السياسية كما سمعتم من حضرة الخطيب الفاضل الاستاذ الشيخ بشير الشندى

وبعد ما زاول مهنة المحاماة بتلك الاستقامة التى يضرب بها المثل وتلك العبقرية النادرة عين مستشاراً فى محكمة الاستئناف العليا وكان فيها عنوان العدل وقواماً للحق بين الناس . ولا تزال احكامه الى يومنا هذا مرجع قضاة العدل والمشرعين . ولم يلبث مده طويلة حتى ترك منصة القضاء الى مسند الوزارة فعين ناظراً للمعارف العمومية وفى عهده بلغ التعليم اوج المجد وقمة الكمال .
ثم جاءت حياته البرلمانية فكان وكيلاً منتخبا للجمعية التشريعية وله فيها مواقف مشهودة يشهد بها الملوان ولا يزال يثنى عليها لسان الزمان .
ولما قامت الحرب العالمية أوقفت أعمال الجمعية فاخذ رحمه الله يفكر فى مصير امته والهوض بمصر حتى تنال مركزها بين الامم الحرة . فلما اختمرت عنده الفكرة فى عام ١٩١٨ وساعده على ذلك تصريحات الرئيس ويلسون الشهيرة قام سعد ينادى بالحق فى وقت كان النصر فيه للحلفاء ومع هذا لم يثنه النصر عن عزمه بل ظل يطرق أبواب المراجع السياسية والكتابة الى ممثلى الدول الاجنبية . فعز على القوم

هذا فنفوه وزملاءه الى جزيرة مالطه

ولكن ما لبث الشعب ان غضب غضبه المشهورة تلك الغضبة التي كانت سبباً في الافراج عنه وعن رفاقه الكرام . وظل رحمه الله يجاهد جهاد الابطال في الناخل والخارج . ولم يكد يسترح قليلا حتى قضى مع صحب كرام الى جزيره سيشل ومنها منفرداً الى جبل طارق ، فعز على الشعب ابعاد زعيمه وظل ينادى بأعلى صوته ألا راسة في البلاد وهو بعيد عنها حتى اضطرت القوة أن تعيد لمصر رمز أمانها

الانتخابات النيابية والوزارة

عاد سعد الى مصر وقد أعلن في البلاد الدستور . وهنا لك جرت الانتخابات النيابية وفاز مرشحوا الوفد بأغلبية ساحقة فلم يكن بد من توليته رئاسة الوزارة نزولا على حكم الدستور القاضى بذلك . تولى سعد اوزاره ، وما أدراك ما وزارة سعد . انها وزارة كانت تنظر الامة اليها نظرة الجيش الى القائد لا نظرة الطير الى الصائد سار رحمه الله في تلك الوزارة وكانت با كورة أعماله أن تمكن من إطلاق سراح المسجونين السياسيين الامر الذى أدخل السرور على نفس الامة . وظل في دست الوزارة يدير دقتها بحكمته وحزمه المعروفين عنه الى ان اضطرت الوزارة الى التخلي عن الحكم لامر يؤسف له كل الاسف

ائتلاف الاحزاب ورياسة مجلس النواب

ثم عطلت الحياة النيابية فرأى قادة الامة وساستها انه يعد من الاجرام ان يعطل الدستور في البلاد ففكروا فيما يحى ذلك الدستور بعد تعطيله ورأوا أن أحسن وسيلة لحيائه والتهوض بالامة هو تكاتف الاحزاب وتوحيد كلماتها وسرعان ما كان . . .

وعليه عقد المؤتمر التاريخي في الكوئتيننتال وخرج الجميع منه والكل مقسم على حفظ الدستور من يد العابثين به ثم جرت الانتخابات وقد فاز فيها مرشح كل حزب من احزاب الائتلاف ولما اكتمل عقد الاجتماع انتخب رحمه الله رئيساً للمجلس بالاجماع

سار سعد بالمجلس سير القائد المحنك وكنا نراه حافظاً للدستور عن ظهر قلب مواصلاً العمل ليل نهار، وكان رحمه الله متحلياً بصفات يندر اجتماعها في رجل، منها الحرية التامة في الرأي ومنتهى الصراحة في القول، كان شديداً في الحق، وله عزيمة وإرادة وقناة لاتلين لغامز، وكانت آراؤه الاجتماعية والسياسية تناسب كل عصر وجيل.

وكان فوق كل ذلك أبلغ خطيب في الشرق وقد وهبه الله عبقرية غريبة يرتجل خطبه الرنانة وهي دائماً آيات في البلاغة وسحر في البيان وبعد أن انتهت الدورة البرلمانية بسلام قصد الى بعض الاقاليم لترويح النفس من عناء العمل والاستعداد للدورة القادمة ولكن وافاه القدر المحتوم فاختره المولى لجواره . فانا لله وانا اليه راجعون

موقف الوزارة

ما كاد النعي يشاع في البلاد حتى رأيت الامة عن بكرة أبيها مجتمعة في صعيد واحد تبكيه بدل الدمع دماً وقد شاركتها الحكومة في أحزانها وقامت بالواجب نحو قعيد الوطن خير قيام . إذ كنت تراها سبابة الى تخليد ذكره . ولا عجب في ذلك فان حكومتنا هذه من الشعب والى الشعب

موقف السكندريين في الحركة الوطنية

للسكندريين مواقف مشهودة في الحركة الوطنية وكانوا دائماً في مقدمة القائمين

بها ولذلك أطلق على مدينتكم هذه اسم (حصن السعديين المنيع) فكانت
لكم يامعشر البكندريين مكاة خاصة في قلب رئيسنا المحبوب . بهذه المناسبة
مأثلو على مسامعكم بعض مراسلات وتلغرافات كانت ترد . فقيدنا العظيم الى
من يتشرف بخطابتكم

باريس في ٢١ ديسمبر سنة ١٩٢٠

حضرة الاستاذ الفاضل جعفر بك نخري .

وردني كتابك المؤرخ ٦ ديسمبر ثم تلغرافكم وابتهجت بما دل عليه
من شعور ووطنية صادقة وهمة عالية فاشكركم واخوانكم الذين انضموا اليكم
وتناصروا على السعى في اعلاء منار الوطنية ورفع كلمة الامة واني على يقين بأن
هذه الروح الشريفة ماداة منبثة في الامة فلا بد أن تصل الى تحقيق مطلبها
الاسمى من الاستقلال التام . وان التلغرافات التي تردني متتالية من جميع جهات
القطر بالاحتجاج على وضع الحماية والتمسك بطلب الغائها قبل الدخول في أية
مفاوضة رسمية تملأ قلبي شجاعة واقداما على الاستمرار في الخطة التي سار الوفد
عليها لغاية الآن وأمل في الله قوى أن تقهى هذه المآسى بالوصول الى الاستقلال
التام انشاء الله
سعد زغلول

هذا وتذكرون الحركة الوطنية اقتضت تشكيل لجان فرعية في عواصم
المديريات والمحافظات لمعاونة الوفد في مهمته العظمى فكانت الاسكندرية كعادتها
في مقدمة القائمين بهذه الحركة وتشكلت فيها على الفور لجنة مكونة من رجال تعرفونهم
قطعوا على أنفسهم عهدا بالقيام بكل ما يتطلبه منهم الوطن من الخدمات بالطرق
السلمية المشروعة . وعلى أثر ابلاغ ذلك للرئيس الجليل شرفني رحمه الله بهذا الخطاب
الذي أتلوه على مسامعكم :

مسجد وصيف في ٣ أغسطس سنة ١٩٢١

حضرة صاحب العزة الاستاذ جعفر بك نخري

وصلنى اليوم خطاب حضرتكم المؤرخ ٣١ يوليو سنة ١٩٢١ مع كشفه
ببيان أسماء أعضاء اللجنة التى تشكلت فى مدينتكم لمساعدة الوفد فيما يطلب
المساعدة فيه وتأيد مبادئه وترويجها وانى أشكر جميل الشكر جميع حضرات الذين
أبدوا رغبتهم فى الانضمام اليها والاشتراك فى مهمتها . والله أدعو أن يوفق جميعنا
لخير العمل وتحقيق الامل
سعد زغلول

مكانة السكندريين عند سعد

تذكرون ان المغفور له رئيس الوفد ورفاقه الكرام كانوا مقيمين فى باريس
يدافعون بكل ماأوتوا من قوة قضيتنا المقدسة ثم صرحت لهم السلطة فى أواخر
شهر مارس سنة ١٩٢١ بالعودة الى الوطن العزيز . فجاءتنا الاخبار التلغرافية بان
سعداً وصحبه سيعودون الى مصر عن طريق بورسعيد . ففر علينا نحن معشر
السكندريين ان يعود سعد الى الاوطان من طريق غير طريق نهرنا الباسم وحصنه
المنيع فأخذنا نرسل له التلغرافات تلو التلغرافات حتى فرنا بتغيير خطة سفره وزف
الىنا البرق التلغراف الآتى

باريس ٢٥ مارس سنة ١٩٢١

نخري بك اسكندريه

انه يعد من نكران الجميل عدم تلييتنا دعوة السكندريين الصادرة من
قلوب ملؤها الحمية الوطنية والاخلاص واننا نقدر ما لهم من الفضل على قضيتنا
المقدسة ويسرنا جداً ان نتهمز هذه الفرصة السعيدة لنجتمع بهم وهناك نبر لهم
بأنفسنا عن عظيم اعتبارنا واعترافنا بجميل صنعهم

سعد زغلول

ثم أتانا بعد ذلك تلغراف آخر أكد لنا سفره من ترستا الى الاسكندرية

هذا نصه

تريستا ٣١ مارس سنة ١٩٢١

سنركب الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم الباخرة فينا باسم الله مجريها ومرساها
سعد زغلول

ولا يمكننى أن اصف لكم ما حمل أهل الاسكندرية من الفرح والسرور
وكلكم تذكرون ذلك الاحتفال الفخم الذى استقبل به رحمه الله يوم وطئت
قدماء أرض مصر المباركة فكنت ترى المدينة فى ذلك اليوم كأنها قرية من
قرى النمل فلا تجد فيها موضعاً لقدم من كثرة الوافدين من جميع أنحاء القطر حتى
يتمتعوا بطلعته البهية .

خلو رئاسة الوفد

وانتخاب مصطفى النحاس

بعد ان ارتحل زعيم البلاد الى دار الخلد شعرنا جميعاً بفراغ هائل تركه لنا رحمه
الله فلم نفكر من هول المصاب فيمن يحمل علم الجهاد بعده . ولما افادت الامة من
سكرتها اجتمع وفدنا الامين وأجمع كلمته على اختيار أحد أعضائه الكرام وهو
معالى مصطفى النحاس باشا . ولم يقف الامر عند هذا الحد بل اجتمعت الهيئة
الوفدية البرلمانية وواقفت بالاجماع على ماقرره الوفد ولنعم هذا الاختيار .

ان رئيس الوفد الجديد هو عامل فى الحركة الوطنية من فجر النهضة الى يومنا
هذا بصدق وإخلاص وكان ناموساً للوفد وعضد سعد الايمن فى كل آن وحين . وان
من حسن حظ هذه الامة ان يشبه الراحل الكريم فى كثير من صفاته فهو شديد
فى الحق قوام للعدل محافظ على الدستور ناسج على منوال الرئيس المحبوب وان
أعدل شاهد على صدق تلك الصفات هو ذلك البيان المشهور الذى عاهد
الامة عليه وجعله خطته التى يسير عليها . فنسأل المولى القدير أن يثبت موقفه وأن
يكون ناشراً له فى الملأ وأن يوفقنا جميعاً الى خدمة الوطن العزيز حتى

ينال استقلاله كاملاً .

وفي الختام نسأل الله من كل قلوبنا أن يلهم أم المصريين شريكة سعد في
جهاده الصبر الجميل والساوان وأن يصب على قبر الفقيد الرحمة والرضوان . فيا روح
سعد الطاهرة تمتع في نعيم الخلد مع الأبرار « يا أيتها النفس المطمئنة إرجعي إلى .
ربك راضية مرضية . فادخلي في عبادي وادخلي جنتي »

خطبة معالي فتح الله بركات باشا

القاهرة مصرية نحمد بهي الدين بك بركات

في حفلة التأيين الكبرى

صاحب السعادة الرئيس

أصحاب السمو الأمراء

صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء

صاحب الدولة رئيس مجلس الشيوخ

أصحاب المعالي الوزراء

حضرات الشيوخ والنواب

سيداتى وسادتى الاجلاء

إن ذلك الصوت الجمهورى ، إن تلك النبرات الرنانة ، إن ذلك البيان الساحر
بيان سعد ليقوم لهذا الحفل العظيم الممثل لجميع هيئات الامة الرسمية وغير رسمية
بواجب الشكر على تلك العواطف المتدفقة التى لا تترك لحظة تمر من غير ان تظهر
فى كل ناحية ومكان

فالجميع سواء فى بكاء الفقيد ، فى الاشادة باسمه ، فى تمجيد ذكره وفى تجديد

ألهد على استمرار العمل الذى بدأه ، فالمصاب بقصد سعد . مصاب امة ، لا مصاب اسرة . . .

ولقد كان فرضا على اسرة الفقيد ان تتقدم بواجب الشكر لحضراتكم وهى تبكى عظيمها قائما يخفف عنها هذا الواجب ان الامة باجمعها هى اسرة الفقيد الكبرى ، وان ابنه اليوم الخطباء والشعراء ورجال السياسة والصحافة والمحاماة والقضاء فلقد كان لجميع هؤلاء الضوء الذى يستضيئون به والنبراس الذى يهتدون بهديه ، وكانوا له اسرته الثانية التى اختارها لنفسه

ايها السادة : لئن كان لى اليوم شرف الوقوف بينكم لاداء واجب الشكر فذلك ان صروف المرض القاسية اضطرت والذى كبير اسرتنا ان يتخلف عن اداء هذا الواجب بنفسه فخرمته الاشتراك معكم وهو اشد ما يكون توقا اليه ليسكب نصيبه من الدمع غزيرا .

ايها السادة : لقد شهد العالم قلب مصر يخفق مرة واحدة يوم وفاة الفقيد فقامت كلها رجلا واحدا ، شعبا وحكومة مصريين ونزلاء رجلا رسميين وغير رسميين تشيع رفات الفقيد وتفضل جلالة الملك فاصدر امره الكريم بجعل الاحتفال بجنائز الفقيد احتفالا رسميا عسكريا ، والامة اليوم كلها تقوم رجلا واحدا لحياء ذكراه فلحضراتهم جميعا اوفى الشكر على ما تفضلوا به من انواع العزاء والمواساة

ايها السادة : انكم اليوم باجتماعكم العظيم وبجهودكم القوية واتحادكم المتين تعملون على تحقيق الغايات السامية وتنزلون على روحه السكينة والهدوء ، ولئن قصرنا نحن فى شكركم وفى اداء الواجب نحوم فان الله وحده قادر على ان يجزيكم خير الجزاء فاسأله جلت قدرته ان يتولى جزاءكم ويسدد خطاكم فى السير بالامة الى طريق السعادة والعلاء

خطبة الاستاذ نسيم صبيحة

في حفلة التأين الكبرى

الى أم المصريين الى الامة المصرية الكريمة ممثلة بوفدها وامرائها ووزرائها
واحزابها وهيئاتها النيابية تبعث الامة السورية مع النسيم تحية وسلاما . وترى من
الواجب في هذا الموقف الرهيب أن نعلن على رؤوس الملائة اعترافها بالجميل لذلك
المحامي القدير الذي ترك قضايا الافراد ليتولى الدفاع عن حقوق الامم الشرقية المظلومة
في أشد ليالى سوريا حلكا كان وجه سعد اول الطالعين عليها وكانت يد
سعد اول يد مدت لتضميد جراحه الداميه وكان صوته الجمهورى اول صارخ بان
الظلم لا يصح السكوت عليه

وحيث لم يكن في مقدورها ان تجزى هذا الاحسان بغير العرفان وحيث انها
لا تملك اليوم غير ايمانها بالله وغير قلوبها المريدة المتألمة فلا اقل من دمة سخينة
تذرفها ولا اقل من كلمة صادقة اتشرف بالقائها في هذا المقام

في اعلى جبل لبنان وفي ظلال الارز الخالد وفي بطون الوديان وفي رياض
الفيحاء والشهباء وفي نجاد شرق الاردن وفي هضبات فلسطين وفي الحواضر والبوادي
وفي جزائب سوريا وكافة البلاد العربية ردد الناعون صدى الفاجعة الاليمية التي
اصابت الشقيقه الكبرى مصر بوقاة الزعيم العظيم والرئيس الجليل المغفور له سعد
زغلول باشا . هناك قام كل « ابي من امية فيه عتق » يذكر مواقف سعد ويعدد
من مناقب سعد وهناك بكى الناطقون بالضاد بكاء مرّاً اذ ترى لهم سعد حاملا لواء
وطنه مستقبلا ربه الكريم وقائلا للذين يسرون وراء نعشه : هذه هي الامانة
المقدسة التي جاهدتم في سبيلها لتكون سليمة من الاذى فاحرصوا عليها وارفعوها
ووحدها على ضفاف النيل

يخيل لمن يقرأ البرقيات والجرائد والرسائل التي تنهال على مصر من كل حذب
وصوب ان سعد زغلول لم يعد اسما لمسمى ولكنه صار رمزا لآمان قومية وتعوينة
يحملها الشرقيون في اغناقهم بل منهم من ذهب الى ان سعد زغلول تيمعة تنفع اذا
أنشب الاستعمار اظفاره في جسم امه ضعيفة تريد ان تستعيد مجدها الغابر وان تعيش
حرة في ارض اباؤها واجدادها

ايها السادة — مهما كان وقع الموت شديدا في النفوس فالمصائب البشرية لا
تؤثر في نواميس الكون والخيال لا يجب ان يتعدى حد الواقع
الواقع ان زعيما عظيما في هذا الشرق الواسع الارحاء الضيق الحياة قد مات
فكان لموته في كل قلب شرقي رنة . وفي كل عين شرقية مدمع . والواقع انه لم يعط
لشرقى لاجيال مضت ان يحرز المبكاته العالية التي احرزها سعد في قلوب معاصريه
وان يتمتع بالثقة الغالية التي اولته اياها امته وان ينظر لكل كلمه قالها كآية من آيات
الوطنية وان يجمع الشرق على تعظيمه ميتا كما كان يعظمه حيا وما هذه الحفلة الحافلة
بكرام الامة المصرية ووجوه الجاليات الاجنبية الامظهر من مظاهر الاعتراف بالفضل
لنبيه . لنكرم سعدا بان تنصفه فقد كان قاضيا نزيها يحب الانصاف . ليس من
الحكمة ان نضع سعدا حيث لا تتناوله الناشئة التي ينتظرها الوطن بفارغ الصبر والتي
نرى في الزعيم الراحل المثل الاعلى وليس من المصلحة الوطنية ان نحيط سعدا بهالة
من المجد يرقد عنها الطرف وهو كليل بل يجب ان يراه الآخذون عنه كما هو عصاميا
متفائيا في خدمة امة عرف كيف يكتسب قلوبها وكيف يتصل بطبقات الشعب
العميقة التي ما خرجت مرة الى ميدان العمل الوطني الا وارجعت الحق الى نصابه
يجب ان يؤمن كل مصري بما يقوله وفده . ان الشجرة التي اثمرت سعدا لا تزال
باسقة تؤتي اكلها كل حين باذن ربها وهي هي الشجرة الطيبة اصلها ثابت وفرعها
في السماء

سعد بما خصه الله من عقل وعزيمة مصرى آمن بحق بلاده في الاستقلال

فهب للمطالبة به وسار على بركة الله تحوطه قلوب بنى عشيرته العامرة بحب الوطن
وهى اشد وامنع من الصدور فرغ عليها الزرد وقد اعترضته طرق موصلات
امبراطورية فقال لاصحابها مروا ولتكن طريقكم محاذية لمصر لا مارة فوق صدرها
قيل له لنا مصالح حيوية فقال لا تنكر على احد حقه ولكن هذه المصالح لن
تكون بوجه من الوجوه مشروعة اذا تعارضت مع حياة مصر . قيل له تريد حماية
الاقليات فقال ان مصر للمصريين بلاميز او فرق بين دين ودين . العدل اساس
الملك ولنا كما لكم قضاء يحكم بالقسط بين المتخاصمين . قيل له كن معتدلا فقال
كونوا عادلين . انا راض لقومى بما ترضون لانفسكم . نريد أن تتبوا مكاننا تحت
الشمس فلا تحجبوا عنا نورها فهو ملك مشاع وهو منحة من رب السماء

هذا كل ما اراده سمدوخدا كل ما ارادته وتريده الحكومات المصرية الرشيدة
تؤيدها الامة بلسان رئيس الوفد الجديد حين يقول اننا لانحمل لامة من الامم
بغضا ولا نضمر لها غدرا ولكننا نقدر عزتنا القومية ونحمي كرامتنا المصرية
كرامة الامم ان تكون اوطانها لها وعزتها ان تكون هى المهيمنة على مقومات
حياتها

ان ابعاد سعد عن وطنه ورجوعه اليه مرفوع الرأس موفور الكرامة وموته
وهو متوسد اعلا مناصب الدولة لدليل صارخ انه كان على حق وان حقا وراءه
طالب ان يموت فحياة سعد سفر جليل للشرق والشرقيين ملخصة . طالبوا بحقوقكم
ثم طالبوا ثم طالبوا

هذا هو شعار الامم الشرقية قاصيها ودانيها لا ادري فى اى يوم تصل الواحدة
بعد الاخرى الى غايتها ولا اتكهن عن الادوار التى ستمر عليها ولكنى اراها
سائرة على الدرب وارى بعين الايمان انها واصلة . فى ذلك اليوم ، واطلب من الله
ان لا يكون بعيدا ، سيكتب رجال الشرق سيرة نهضتهم وسيسجلون للحقيقة
والتاريخ بان لسعد فى نهضة الشرق القدح الملى واجرا المجاهد العظيم

كثيرة هي العوامل التي تعطى الامم الشرقية حقا بان تشارك الامة المصرية
الكريمة في آمالها وآلامها وكثيرة هي الاسباب القاهرة التي تحمل الامة السورية
على بكرة ايها لان نرسل الى ام المصريين والى ساكنى وادى النيل المبارك كل
ما اقبلت يد الزمن فى رياض الشام وهضاب لبنان من نرجس وخزامى واقحوان
لتنشر مع دموعها الحارة على قبر الراحل الكريم
رحم الله سعدا واعز الكفانة بابنائها المخلصين اللهم آمين

خطبة حفى بك محمود

فى مقلنة تأيىن الفقبر العظمى بالجيزة

قد كان ماخفت ان يكونا انا الى الله راجعونا
وما كنت اخاف على سعد . وهو الرجل الذى تحدى اشد القوى ، ووقف
يدافع اهل السطوة ، وصبر على ما لون له الاقوياء من الاذى فما وهن ولا تجلجل ولا
تتعتع بقول الحق بل كلما الحوا عليه بالعذاب . الح عليهم بنقد الخطاب وكما ارسلوا
اليه الانذار ، ارسل عليهم الحجة شواظا من نار . حتى اذا اهابت الجيوش المدججة
والاساطيل المدرعة باسم الحديد والنار : انى ادعوك الى اعتزال السياسة : اجابها
من فوزه : وانى باسم مصر العزلاء لا استطيع ان اسكت الا اذا اومأت الى امنى
بهذا . فان لها وحدها هذا الحق

نعم ما كنت اخاف على سعد غير الموت ، فليس من قوة من غير الموت تستطيع
ان تظفر بسعد وان تسكت صوت سعد

ايها السادة

لقد سكت صوت سعد ، ولكن التاريخ بدأ يتحدث عن سعد وسيكون

حديثه فيه جليلا ، فما في كل يوم يظفر التاريخ بمثله ، بل انه لمن اولئك الذين تظل الاجيال تتناول اليهم وتستشرف العصور لترقب مطالعهم ، حتى اذا آن بهم باهى بهم عصرهم سائر العصور ، وتنايه زمنهم على عامة الايام لان التاريخ ما كان طعاما ولا شرابا ، ولا غدوا ولا رواحا وانما التاريخ حياة العظماء .

ايها السادة

لست اخطبكم اليوم لابين الكثرة العظمى في فقد سعد ، فقد ارنجت وما برحت ترنج لها مصر ، وقد نبضت لها كل عين ، وغص بها كل حلق ، وانخلعت شعب كل قلب ، فاثمهم الصبر الصبر ، والاهم العزاء العزاء . وانما احدثكم عن شئ من عظمة سعد ، وهيئات القول ان يرتفع الى تصوير تلك العظمة التي حيرت الناس في حياته ، وستحير التاريخ بعد مماته

عقله ولسنه

لقد اوتى سعد عقلا جبارا حقا . تأبى عليه عزته ان يخضع لما تخضع له العقول من التسليم بكل ما تواضع عليه الناس وجرى به تفكيرهم فكان اذا عرض له الامر جذبه الى عقله وارق عليه من بصيرته ذلك الشعاع القوي الذي آثر الله به قليلا من عباده . فما هو الا ان تنكشف جميع نواحيه ويتبدى منه اخفى خافيه وكذلك تبذل الحقائق من نفسها لجسارة العقول ما يتعاصى على سائر الناس - والذي وهب سعدا هذا العقل كله . قد وهبه ما يكافئه من الحجج وقوة البيان حتي يستطيع ان يبين للناس ما يرتفع على افهام الناس كان قوى الحجة فما ان دخل في جداله انسان الاصرعه سعد عند الصولة الاولى مها تدرع ذاك لرأيه وتمنع لحجته . وسعد هذا الذي لا يغلب على رأى ولا يتجلجل بحجة . شجع الناس في الرجوع الى الحق متى بداهه وكان بيد اضعف الخلق

شجاعته وإيمانه بالمبدأ

نجم سعد في عصر أظهر مافيه المداراة والمصانعة طلبا للمنافع ودفعاً للمكاييد فعُكِّن أول من رفع كلمة الحق . وانتزع الايمان بالمبدأ من يد الهوى اقتزاعاً — لقد كان سعد أبلغ درس في الشجاعة ورسوخ الايمان والجرم بالرأى . لا يسأل ابن يقع هذا الرأي من أهل السطوة . فكان طالبا أشجع الطلاب وكان محاميا أشجع المحامين . وكان قاضيا أشجع القضاة . وكان وزيرا أشجع الوزراء . وكان نائبا أشجع النواب . وكان زعيما أشجع الزعماء .

أيها السادة .

ان هناك شيئا أصلب من الصخر ومن الحديد والفولاذ ذلكم هو قلب الشجاع وان تلكم لتتكسر وتصدع . اما هذا فلا يتقلص ولا ينفزع وكذلك قلب سعد زغلول

أخلاقه ولطفه

ان من يسمع باسم سعد وبزعامته ، ويطلع شدته في الحق وسطوته على أهل الباطل ، ليظن انه رجل يأبى الطبع ، شامس الخلق لا يلقي الناس الا عابسا ، ولا يطلع عليهم الا عاتيا متكبرا — لا والله ما كان أحد في الدنيا أطيب منك يا سعد نفسا ولا اخف روحا ولا احلى مجلسا ولا اعذب حديثا

فحق كائن عذب الروح لامن غضاظة ولكن كبيرا ان يقال به كبير نعم سعد «متكبرا» ولكن تكبره كله كان على النقائص وسعد يرى في كل رذيلة هوانا وسعد لا يرضى الهوان ولا يطيقه — افرأيتكم أيها السادة كيف كان هذا التكبر عصمة . وكيف كان عتادا لمختلف الفضائل . لقد كان من تكبره ان يبالغ في اكرام ضيفه ، وكان من تكبره ان يبالغ في الترفية عن جليسه ، لانه يخشى ان سعدا تمنعه عظمته من أن يتدلى الى اكرام الضيف ومؤانسة المجلس

أطواره السياسية

كان سعد في الفتوة يوم شبت الثورة العرابية فكان من الاقذاذ القلائل الذين هدتهم بصيرتهم الى انها اذا جرت في طريقها اتت بما لا تحمد غايته على انها اذا وجهت توجيهها آخر جاءت باجل المنافع للبلاد من التمتع بالدستور وايتار ابناء مصر بمنصب الحكم ومعالجة جميع مرافق الحياة بالاصلاح حتي تصبح مصر حقيقة يحمل تاريخها العظيم . ولقد حاول هو واصحابه معالجة هذا ولكن المحنة كانت قد عمت ، والقضاء قد حم فعصفت الرياح العوائى بتلك الاصوات . وكانت هذه اولى جولات سعد في السياسة

وجاء دور الاحتلال الانجليزى وانخذلت الطباع وتهافتت الاخلاق واصبح كل لنفسه ولا احد لمصر . فقام سعد وصحبه بالدعوة الى شد هذه الطباع المنخذلة وامساك تلكم الاخلاق المنحلة . فان امة هذا شأنها هيئات ان تطمع الى عظمة ولا استقلال ، وكان شعاره في دعوته « الصدق في القول والاخلاص في العمل » وقد نجح سعد نجاحا غير قليل في ان يعيد الى الناس الثقة بانفسهم والايمان بحق وطنهم وكان هذا ثانى اطواره في السياسة

وقامت الحركة السياسية في مصر وعلى رأسها المغفور له المرحوم مصطفى كامل باشا تطالب بحل الجيش الانجليزى فكان سعد وهو موظف حكومة « وبخاصة في ذلكم العهد » يغذيها برأيه وبقوله وبماله ويحى ظهرها ويشد ازرها . ثم كان وزيرا فكان عجباً في تلك الوزارة العجب لم يكن للموظف المصرى يومئذ ايراد ولا صدر ولا شأن ولا خطر ولقد كان ضعف السلطان يقاس بنسبة المناصب فكما علا المنصب انحط الشأن وتلاشى النفوذ ووجب عليه ان يكون اعمى فلا يرى واصم فلا يسمع وابكم فلا يتكلم . حتى اذا بعث في الوزارة سعد ابى الا ان يكون على العاهل الانكليزى عاهلا . ابى سعد الا ان يكون وزيرا حقا

يقضى في الامر كله ولا يقضى في امر دونه وبني في سنة واحدة ما هدم دنلوب في ثلاثين سنة . .

ثم كان نائبا في الجمعية التشريعية فما زال ينتزع السلطان لها اقتزاعا حتى اصبحت على قصر عهدها اشبه بمجلس نيابي منها بهيئة امارة لشارية لاحول لها ولا قوة ثم كان زعيما لامته يقودها كلها الى طلب حقها في ارية والاستقلال وكلنا شهد زعامته وكلنا طالع سعدا في موطن الجلى . وثاقة عقل ورجاحة رأى . وقوة تدبير وطلاقة بيان . يسيرها عزم تزلزل الجبال ولا يتزلزل . وقلب تتحول الافلاك عن مدارها ولا يتحول

أرايتم كيف كان سعد زعيما من يوم خلقه الله الى يوم ان اختاره لجواره ؟ اعرفتم ان سعدا لم يخلق الا للعظائم ؟

ولقد قال فيه بحق بعض كتاب العصر « لو حاول سعد بكل جهده ان لا يكون رجلا عظيما ما استطاع وهيئات لامرئ ان يملك عن نفسه ما اراد لها الله » . . .

ولقد عجب بعض الباحثين من شأن سعد اذ كان زعماء النهضة السياسية في العالم كله لا تزيد اعمارهم على الاربعين في حين قد اوفت سن سعد على السبعين ذلكم ايها السادة ان الله تعالى قد ميز سعدا في الزعماء ايضا فوصله في شيخوخته من شدة النفس وفتوة العزم بما لا يتها للشباب فكان سعد كذلك واحدا في الاحاد فذا في اولئك الافذاذ !

وخلة اخرى لم يألها التاريخ كثيرا فيمن سلكوا فيه من عظماء الرجال وتلكم ان قياد الثورات قل ان يصلحوا لمعالجة المرافق الدولية في الحياة المطمئنة المنظمة وقد رأيتكم كيف ان سعدا في السنتين الاخيرتين قد راض شئون الدولة وسان سلطتها التنفيذية والتشريعية كامر سياسي يقدر الظروف ويوازن بين الاحوال الواقع أيها السادة ان سعدا الطالب ، هو سعد المحامي ، هو سعد القاضي

هو سعد الوزير وهو سعد الزعيم . وفي كل هؤلاء سعد لم يتغير من شأنه شيء وإن تغيرت من حوله الاجواء : هو قوة عظيمة أرسلها الله في هيككل رجل ليتم بها ما اراد الله تعالى لمصر — هو قوة عظيمة بعثها الله في هذا البلد لتزرع به الى حياة العظمة والمجد فحيثما كانت تطلعت الى هذا الطلاب ، وتلست متعاجله من الاسباب . فسعد القاضي يعمل لمجد مصر من طريق القانون وتقويم الاخلاق وسعد الوزير يعمل له من طريق التعليم والتثقيف وسعد النائب يعمل له بتحقيق سلطة الامة . وسعد الزعيم يعمل له بقياده الامة الى طلب استقلالها التام

سادتى : لا تنسوا ان اكثر من اخرج التاريخ من عظماء الرجال مدينون في نجاحهم واسباب عظمتهم الى هؤلاء اللأى شاركهم في حياتهم وانسهم في وحدتهم وواسيتهم في محنتهم ، ومنعهم القوة في ساعات ضعفهم . وحان بينهم وبين التردد في موطن الاقدام فاذا ذكرتم سعدا . وأنتم ذا كروه على وجه الزمان فلا تنسوا التى استشعرت يوما ان قوما يسعون ليجيئوا بسعد من جزائر سيشل عن طريق الرجاء والاستعطاف . فهايت بهم « ان كنتم تصنعون ذلك لان سعداً زوجى فذلك آخر ما أتمناه لسعد ، وان كنتم تعملون لحساب سعد الزعيم فخير وأبقى أن يموت هذا الزعيم في منفاه مكرماً وعزيراً » نعم لا تنسوا أيها السادة أمكم شريكة سعد في حياته ، ومعينته في جهاده وآسية جروحه وعضده على الصبر كلما ازدحت الارزاء ، وسنده على الثبات كلما تحكم القضاء فوارحته ثم وارحته لنا يا أمه أيها السادة :

لا يئسناكم موت سعد . فسعد قد أصبح في حياته ومماته من أعظم ميراتنا القومى . قادنا الى الاستقلال حياً . وسيقودنا الى الحياة ميتاً ؟ لم تكن امتنا لاهية اذ ولت سعدا قيادها لان سعدا لم يكن رجل لعب وانما كان رجل جد شعاره في الحياة « الاستقلال التام أو الموت الزؤام » وان مصر المعناة التى قايت ما قاست في سبيل طموحها الى عزتها وكرامتها لا ترضى ولا تسلم قط بان تستغل بموت سعد

بل ان مصر لنا بي الا ان تستغل سعدا حيا وأن تنأى بسعد ميتا
عاشت ذكرى سعد . فعاشت آمال مصر

خطبة الأستاذ أحمد رمزي بك

في حفلة تأبين الفقيه العظيم بسمنود

فدينك لو أن الردى يقبل الفدا * وخليت لو كان السكال مخلدا .
ولولا اتهام بالتضعف للأسى * وقول الاعادى ماعرفنا التجلدا .
ولا كفكف الدمع الهتون واضمرت * ضلوع براهنا الشوق حزنا مسهدا .
هذه أربعون ليلة أو أكثر لم يسمع فيها العالم صوتا طالما لذ سماعه لمصر
والمصريين بل للشرق أجمع والشرقيين . ذلك صوت الوطن العظيم والزعيم الجليل
والنايفة الفرد أبي الوطن وحبيب الوطن المرحوم المغفور له سعد باشا زغلول ! مضى
هذا الزمن فخلناه قرونا لان صوت سعد كان للنفوس التواقه للحرية غذاء وللقلوب
التي تصبو الى الاستقلال شفاء . وباتت مصر في دياجير الحيرة تتقلب على مهد
الاجاع والآلام ينازعها الشوق الى ذلك الوالد الشفيق الذي حرّمته أحوج ماتكون
الى نصرته وارشاده وقد تشعبت أمامها السبل فضاقت على تشعبها ، وجد ياله من
وجد وأحزان ياله من أحزان وأسى فرق بين الجفن والوسن ولوعة لا تنطفىء
جمرتها وان طال الزمن

اخواني : قضت ارادة الله ولا راد لقضائه ولا اعتراض على حكمه ان يختار
لجواره ويستأثر برحمته أسد العرين ومدرّة الحمى ورافع علم النهضة ونخر العبقرية
قائده الركن الشامخ وماد الطود الراسخ ولا حول ولا قوة الا بالله
وما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنّه ببيان قوم نهضنا

نعم مات سعد ولولا التقى وأوامر الدين بالامل والعمل لحسبنا البلاد قد قضى عليها ولولا لطف الله والامل في وجه الله لاخذ منا اليأس كل مأخذ ولكن الدين ينهى عن القنوط من رحمة الله وروح سعد الذى علمنا مقارعة الخطوب في حالتي بعده وقربه في سيشل ومالطة ومصر هذا الروح يأمرنا بأن لا ندع علم الجهاد يسقط من أيدينا حتى نتم مابدأه فيهدأ روحه الكريم في جنة النعيم

أقول مات سعد . ويعز على أن أنطق بهذه الكلمة التى تحرق شفتي وينفطر لها قلبي وقلبك ومما يزينا ويهون علينا بعض الشيء ان نرى ان سعد مبادئه فتمت باقية ما كان سعد غير فكرة سامية وشعلة حامية تخرم نار الحماسة في " صدور وتبعث نيران الهدى في سقوف فتقودنا إلى مواطن الكرامة الوطنية والعزة القومية . وقد انغرست هذه الفكرة فينا وستنتقل من بعدنا الى ذرارينا حتى ينهض الوطن من كبوته وينطلق في بحبوحة الحرية والمجد ونحن في كل هذا إنما نستهدى بمبادئ سعد فنعمل لها وننتعش بذكري سعد فتقوى على صروف الايام والليالي ونستصغر كل عظيم كما كان يفعل رحمه الله حتى نبلغ الغاية التى ما وراءها غاية

سعد والحماية

ألا تذكرن كيف أضاء الراحل الكريم سبيلنا وأوضح نهجها . أذكروا إذ قام في جمعية الاقتصاد والتشريع والبلد محكوم بالاحكام العرفية يرسف في اسار الذل والاصوات خافتة والنفوس ترقب الموت لأهون سبب وسيف بريطانيا العظمى وصلت فوق الرؤوس وهى ثملة بنشوة النصر والفوز

في الحرب العظمى تمل على أعدائها وأصدقائها ماتشاء وتعطى ماتشاء وتأخذ ماتشاء فوقف سعد وقد اجتمعت جمعية الاقتصاد والتشريع وعرض فيها أحد المستشارين الانجليز بمحكمة الاستئناف الاحكام التى يجب اضافتها الى قانون العقوبات المصرى لمن يعتدى بالقول أو الكتابة على ملك الانجليز أو يطعن في

الحماية . وقف سعد وقل كفى يا هذا فما كانت تلك الحماية التي أعلنتموها الاحماية
باطلة لم تقرأها البلاد ولم تعترف بها وقد انقطعت علاقتنا بتركيا تلك العلاقة
الضعيفة الواهية وصرنا أحراراً في ديارنا ثم انقض الجمع وكل من فيه دهش لهذه
الجرأة المتناهية والجسارة التي تتحدى العقاب وهو مطل من فوق الرقاب
فعلام كان يعتمد سعد في هذا الموقف ؟

انه لم يكن يعتمد على الامة إذ لم يكن خبر قوتها ولا اتصل بمجموعها بل كان
يعتمد على الحق ونفس كبيرة تأبي الضيم والهوان . وقد كانت هذه الحادثة أول
قنبلة ألقتها سعد الجريء على القوة الغاشمة وما كانت تصنع لتكبل البلاد بقيود
الذل والاستعباد . ولقد أسمعت هذه القنبلة كل من لم يكن يسمع فزالت الغشاوة
عن العيون ورأى الانجليزان في اللقمة شوكا وفي الطعم حسكا

سعد يوم ١٣ نوفمبر

ثم جاء يوم ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ فسار سعد الى دار الحماية ومعه اثنان من
أنصاره هما علي شعراوي باشا وعبد العزيز فهمي باشا يطلبون رد الحرية الى البلاد
وكان ما تعلمون بينهم وبين السيرونجت . ولكن الانجليز قوم لا يفهمون بسهولة
فضل سعد واخوانه الذين حصلوا على التوكيل من الامة يجدون للسعي الى الاستقلال
التام حينما وجدوا اليه سبيلا

• ولما طلب سعد وبعض صحبه الى دار الحماية للاقلاع عما يفعلون أبوا وكان
جزاؤهم ان قبض على سعد وثلاثة من أنصاره ليلة ٩ مارس سنة ١٩١٩ لنفيهم
الى مالطة فشبت الثورة مبتدئة من القاهرة ومدارسها في صباح ذلك اليوم ثم
اندلع لهيبها الى جميع انحاء البلاد بسرعة البرق واشتد أوارها . وصارت هذه الفتنة
التي كان يقول فيها المستشار القضائي مستر برنيات انه يطفئها ببصقة منه تلك التي لا
تهوى على اطفائها السيوف والمدافع . وكان لكلمته أنها صادفت في الامة قلوبا كريمة

ونفوساً هالها أن ترسف في قيود النل فهبت هبة رجل واحد تطلب الخلاص لتحكم
نفسها بنفسها .

سعد والائتلاف

اخواني : اذكروا ثبات سعد على مبادئه الوطنية وبالرغم مما قاسى . ولو أنى
أردت أن أسرد تاريخه السياسى لوجب أن أذكر تاريخ مصر فى السنوات التسع
الاخيرة فكله تاريخ سعد وهذا غير مستطاع ويكفى ان تذكروا مالمطة وسيشل
وجبل طارق . ثم تحول الزمن ورئاسته للوزارة وما أحاط به من المهالك ثم انقلاب
الوزارة وحل مجلس النواب بعد مقتل السردار ثم محاربة سعد وأنصاره فى
الانتخابات تلك المحاربة الظالمة العاتية وكيف وقتم وقعة رجل واحد تذودون عن
مبادئ ورجال سعد حتى نصركم الله على حكومة سنة ١٩٢٥ نصراً مبيناً ثم حل
المجالس فما زدتم إلا ثباتاً وأحسن اخواننا الدستوريون وأحسننا نحن أيضاً بالحاجة
الى الائتلاف فصفت القلوب وتماقت الايدي على إنفاذ الدستور والسير بالبلاد
فى طريق التقدم والاستقلال وشعرنا جميعاً بما ذقناه من مرارة الخلاف وندمنا على
زمن اشتغله خصومنا فى الداخل والخارج لتعطيل الدستور والاصلاح حيناً
وإبعاد أمد الاستقلال . ومات سعد قريح العين بما كان يشاهده فى مجلس النواب
وفى كل جهة من جهات الحكم من دلائل الصفاء والنشاط فى خدمة الوطن رحمه
الله ونفعنا بمبادئه الخالدة

والآن ماذا تطلبون منا ؟ نعم ماذا تطلبون من نوابكم غير ان يسيروا على
منهج سعد للمحافظة على الدستور والسعى الى الاستقلال البلاد حيناً وجدوا للسعى
سبيلاً مقتفين أوامر الوفد المصرى فالوفد هو التراث الذى تركه لنا سعد وهو مساك
الوحدة الوطنية وجماع آمال الامة المصرية . يجب أن نبذل النفس والنفيس لنصرته
والائتلاف حول لوائه حتى لا تتفرق شيعاً ونضيع فى أعاصير الحوادث فنذهب
نسياً منسياً لا قدر الله

خطبة ابراهيم بك سيد احمد

رئيس نقابة موظفى الاسكندرية

فى حفلة التأبين بالاسكندرية

سيدانى . سادتى :

أرجو أن تسمحوا لى بأن أشرف نفسى وأعرب فى الوقت ذاته عن أساها
وحزنها بافتتاح حفلة التأبين هذه التى تحييها نقابة موظفى الحكومة فى الاسكندرية
تكريماً لذكرى بطل مصر الخالد وعميدها الماجد ما كن الجنان المغفور له
سعد زغلول باشا

أيها السادة : لم يكن فضل سعد بالفضل المحدود حتى كان يتسع لوصفه قدر
من الكلم معدود غير انى لا أشك فى ان مجرد ذكر اسمه يجلو لبصائركم صورة
واضحة من تلك الشخصية العظيمة وما ازدانت به من السجايا الكريمة فإذا صدق
يقينى هذا ومثل لاذهانكم ما شهدتم من آثار ذلك الفضل وما سمعتم أو قرأتم من
ذلك المنطق الفصل ودعو الله أن يطيب ثراه وأن يجعل الجنة مثواه أنه
مجيب الدعاء . .

أيها السادة — ان ما أصاب المصريون من خير بفضل سعد ظاهر الآثار
مستفيض الخير . فهو الذى نشر علم الجهاد فى هذه البلاد . وأعلن الحرب على دولتى
الاستعباد والاستبداد . وهو الذى الف بين الصليب والهلل وهدى التوهمين
جميعاً إلى سبيل الحرية والاستقلال . لهذا كانت فجعة المصريين فيه عظيمة
ومصيبتهم أليلة . بيد أنى لا أعدو الحقيقة حين أقول أننا معاشر الموظفين قد
نكينا بموته نكبة مزدوجة فنحن كبضعة من الامة فقدنا بفقد زعيمنا موفق

الخطرات مسدد الخطوات معواناً على الملمات مفرجاً للضائقات ونحن كموظفين قدنا بقلبه رئيساً صادق العزمات مبدداً للشبهات فلا غرابة أن يجلب فيه مصابنا ويتفاهم خطبنا وانا الى الله راجعون

أيها السادة — في مساء ٢٣ أغسطس الماضي فوجئت البلاد بنعي سعد فوجئت واشتد حزننا لما كان للفقيد في نفوس أهلها من المكانة السامية ولأنها قد تدهت في وقت كانت فيه بأشد حاجة الى حزمه وحكمته . فقد كان صاحب الدولة رئيس الوزارة ثروت باشا قد انتهز فرصة مرافقته لحضرة صاحب الجلالة الملك في زيارة إنجلترا فجمع أعياد الانجليز ووقف على آراء ولائهم في تسوية المسائل المعلقة بيننا وبينهم ثم أوشك أن يعود للاتفاق مع الزعيم الكبير على الخطة التي تكفل نجاح قضية البلاد وتحقق أمانها القومية فلما نزل قضاء الله بالفقيد ريع الناس وخافوا انشقاق العصا وتصدع الصفوف وتفرق الكلمة ولو أن شيئاً كهذا حدث — لا قدر الله — لكانت ضربة قاضية على جميع الآمال ولعادت هذه الامة خطوات بل مراحل طويلة بدلا من أن تتقدم في سبيل الرقي وتصعد في مراقى الحرية والاستقلال على أن الله جل شأنه وقى الكنانة كل سوء فان المصيبة بفقد الزعيم الكبير قد اشعرت أهل مصر جميعاً مسيس الحاجة للاتحاد والتضامن لابل الواقع أنها زادت القلوب تآلفاً على حد قول الشاعر الحكيم « عند الشدائد تذهب الاضغان »

وناهيك بفقد سعد من شدة تضيق بها الصدور وترزخ تحت عبئها الكواهل أيها السادة — لقد كانت حياة سعد حافلة بالعظام التي ليس بينكم من تخفى عنه خافية منها . وها قد رأيتم كيف انه رحمه الله نفع البلاد بموته كما نفعها بحياته . وذلك هو شأن العظماء في كل زمان ومكان . فالعظمة شعلة لا يطفئها الموت بل لعله يذكها ويزيدها ضوءاً وضراماً وعندى أن الامة كلها قد أدركت هذه الحقيقة الراهنة ووجدت فيها شيئاً من العزاء ان صح أن شيئاً ما يمكن أن يعزيها في هذا المصائب كذلك وجدت الامة شيئاً من العزاء وقدرأ من الطمأنينة فيما أظهره زعماء

الاحزاب المؤلفة من التضامن وعقدوا عليه النية من المحافظة على الائتلاف فأتكلم احد منهم بعد انتقال الزعيم الاكبر من دار الفناء إلى دار البقاء الاحزب على هذه النعمة وأكده هذه النية . ومن حسن الحظ أن هذا الشعور لم يقف عند حد الزعماء — فمن عداهم من الخاصة والعامة كلهم سواء في التثبيت باهداب الائتلاف والتواصي بتقديسه كيراث للزعيم الراحل وكعدة للمحافظة على الحكم الدستوري والفوز بالحرية والاستقلال

أيها السادة : ان مجال القول ذو سعة وان شق على القائل مهما طنب أن يفضى بالقليل مما يحسه في هذا الخطب الجليل . ولكني أوتر أن أعصى هوى النفس في الاسترسال وأرى خيراً منه ان أستاذكم في وقف الحلقة عشر دقائق ايذا ناباعلان الحداد ، ولكي تطلقوا لانفسكم في هذه الاثناء أعنة الخيال ، فتروا من محاسن سعد وما عهدتم فيه من محامد الخلال وكرائم الخصال ، وما يعجز عن وصف بعضه المقال واذا كانت لي قبل ذلك كلمة أخيرة فهي انتهاز هذه الفرصة لتعزية صاحبة الصون حرم الفقيد في مصابها الاليم . أسأل الله أن يلهمها الصبر وأن يسكن الراحل الكريم فسيح الجنان في دار المقامة والرضوان

خطبة الاستاذ حسين السيد المحامي

في حفلة تأبين الفقير العظيم بمأوى

بينما نعيم الحياة يغمر أهل الكنانة وبينما الامال الغالية تفيض على النفوس طمأنينة واستبشاراً اذ أيد الموت النادر تهدم آمالنا وتذكر كرن حياتنا ، واذا النعاة ينعون سعد في مثل تلك الليلة فتطيش من هول ذلك الرزء الابواب فرقا ويلبس النيل الحداد عليه ويندرف الشرق عليه الدمع دما

أى سعد

يامنقذ النيل ونحر الوجود يامنبر الحق ولسان الصدق يا أبا الامة ورجاءها في
كل ملة أكذا تغيب عنا شمسك الساطعة وطلعتك البهية فتترك في كل قلب
مأتماً وفي كل نفس لوعة وحسرة أكذا تفارقنا الى دار السكون فيخمد ذلك
الصوت الذى عجزت عن اخماده النار والحديد ولم يسكنه النفي والتشريد . أكذا
تترك بيت الامة مركز الجهاد والنضال ومنبر النور والحرية أكذا تصرع العظمة
التي قهرت الجبروت وزلزلت الاستعباد

أى سعد

يا رسول السلام وامام الخطباء يا علم الجهاد ومجد التاريخ أكذا يطوى
صحائفك الردى فيضحى العالم ينعيك والحياة تبكيك أكذا تسكن الثرى بعد
أن كنت منار الهدى فاصبحت المنابر تندبك والمحافل تندبك

أى سعد يا رمز الوثام ومعجزة العصر سنت لامتك طريق الحياة الحق
وضربت لها مثل الاخلاص والصدق والفت بين الصليب والهلل وغرست في
النفوس كرم الخصال وأقت بناء الاتحاد المتين ليكون عدة المستقبل وسلاح
الشعب الاعزل . .

رزؤك يا سعد فت الحجر الصلب وأضنى النفوس وأدمى القلب رزه أصعق
القلوب فاذا هي ذاهية . وهذ الاجسام فاذا هي ذابلة واقهر المهج فاذا هي ذائبة
رزه فوق جميع الارزاء ونسكة دونها النكبات رزه يعر عن كل عزاء .
ويجل عن كل رثاء

تبالك أيها الدهر الغادر أقبض قائد نهضتنا ونحن في اشد الحاجة اليه
أطوى علم جهادنا وسفينة استقلالنا فيما بين اعاصير الزوابع وامواج اليم انغمض . تلك
العين التي كانت ترعى ذاك العلم مطلة على صرح الاستقلال انك ياموت لم ترحم
شعب الكنافة فتحرمه من والده الرؤوف الوقور ولم ترأف بأمال الشعب وآمانيه

فتحطم تلك الآمال في طرفة عين ولكن لئن مت يا سعد وطوتك الخطوب فلا
تزال في الافئدة وبين الجنوب ولئن غلب عنا جسمك الطاهر فذكرك خالد عاطر
ولئن حرمتنا من جهادك فروحك ترفرف فوق الرؤوس تفيض على الكون قوة
ونوراً وتبعث الى النفوس حياة وعزماً وتوحى الى الزعماء من بعدك اقداماً
ورشداً ...

أنى لى أن ارثيك يا سعد وقد كنت أمير البيان. وأين ذلك العقل الذى يستطيع
أن يستوعب ذلك السفر الحافل بجلائل الاعمال. ألا يكفيك أنك سكنت الصدور
بديل الدور والافئدة بديل الاعمدة

يبكيك يا سعد كل شئ تبكيك مصر وسودانها . شيوخها وشبانها، نساؤها
وأطفالها ، أرضها وسماؤها . تبكيك المحامة أبد الدهر لانك كنت مفخرتها ورافع
شأنها فمن لها بمثلك حجة وسحر بيان . ومن لها بالقدوة الحسنة فى الامانة والوفاء
والمحامة من بعدك يا سعد تكلى دامية القلب . مجروحة الفؤاد ولطالما تنعيك ما
دامت الارض أرضاً والسماء سماء :

٢ — تبكيك دور القضاء أمر البكاء فقد أقمت للعدالة ركناً وسنت لها
مبادئ وسننا وأخذت الحق للضعيف من القوى فملت الجزاء السرمدى

٣ — تبكيك كراسى الوزارة وتنعى استقلالك فى رأى وقوة حجتك ونضارة
قربحتك وبغضك للظلم ونشرك للعلم وصمودك صمود الجبابة لاعداء البلاد
٤ — تنعيك يا سعد منابر الجمعية التشريعية حيث ناديت بصوتك الدوى
بسلطة الامة فوق الحكومة فتدانت لك الرقاب وفزت بالوكالة عن الامة وفى
الرياسة بالقدح المعلى

ألم يكن يا سعد صوتك القوى هو أول صوت طالب برد حقوق مصر المنصوبة
وبحريتها المسلوبة يوم أن قام برونيات ينشر برنامج الحماية وبنود الاستعمار
أأنت أنت وزميلك أول من دخل عربن الدولة المحتلة بين أسنة الحراب

ودوى المدافع مطالبين برفع الحماة الباطلة .
أنسينا يا سعد يوم أن تسلل الجند لفراشك واختطفوك أنت وزملاءك الى حيث
لا تعلمون . فقابلتهم بجنان قوى وقلب ثابت وفؤاد مفعم بحب مصر
مالطة ، ما اشرف أرضك وترابك وما أعذب ماءك وأطيب هواءك اذ كنت
للزعيم مقاماً وللعظيم مضيعة وللرئيس أنيساً
عز على أمتك يا سعد ذلك الاضطهاد فى سبيل المطالبة بتحرير البلاد فقامت
تفديك بالهيج وثار الشعب ثورته بشد ازر زعيمه فى غربته واستشهد الشهداء
ولطخت الدماء الثرى فأنقط العدو فى يده وتقهقرا امام قلب الرئيس وشدة فافسحوا
له طريق الجهاد الى فرساي حيث مؤتمر السلام مشاد فلم يياس عند ما سدت
الابواب وظل يجاهد جهاد الابطال
فعزيز علينا يا سعد ان يكون اجتماعنا اليوم اجتماع حزن وأسى وقد كانت
النفوس فى مثل هذا اليوم مهالة مستبشرة
عزيز علينا ان قيم لك اليوم مراسم المآتم وقد كانت تقام لك أقواس النصر
وحفلات التكريم .
عزيز علينا أن نسمع البكاء والنحيب بدل صيحات الاستقلال والجهاد التى
كانت تشق الصخور وتبعث الحماس
عزيز علينا ان نعلو أعواد المنابر لرثائك وقد كنت تلقى من فوقها جواهر
الحكم وآيات الوطنية فتتجاز بها الاصداء
إيه لك أيها القلب العظيم الذى قهر قوة الحديد والنار
إيه لك أيها العقل الحكيم الذى قاد سفينة الاستقلال لبر السلامة فصد عنها
زوابع المكر والخداع وقتل دونها عوامل الضعف والاستسلام
جاهدت يا سعد فايضت الثمرات وفتحت عهد الحرية والدمستور بفتح دار
النيابة التى جمعت ساسة البلاد وأقطابها واستويت على عرش المجلس تحرك دفته

ونظم حركته وترتب سياسته فأين منا تلك الايام العظيمة التي كان يملأ صوتك
مجلس النواب دويًا ويفيض من منابره على النفوس جذوة وحرارة ويدفع القلوب
للجهاد ويبعث الحياة في البلاد أين منا تلك الآيات البيّنات والحكم الساطعات
لقد كنت يا سعد تلقى دروس الوطنية على جنودك وتبث فيهم من روحك
تعاليمك النبيلة ومبادئك القويمة وهامهم يا سعد من بعدك على العهد باقون وبمبادئك
عاملون ولتعاليمك حافظون لقد كانت آخر كلمات فاه بها الزعيم العظيم « أنا انتهيت »
نعم انتهيت من اداء أقدس واجب في الحياة — نعم انتهيت من دفاعك في
أكبر قضية الاستقلال ولكن لم تنته يا سعد من الدنيا فان صفاتك وأعمالك لا
تفنى ولا تموت .

فيا أبناء الوطن لا تتفرقوا فتذهب ربحكم والتفوا حول راية سعد ومبادئه
كما كنتم حال حياته لان أعاصير السياسة قد آذنت بالهبوب فبرهنوا على انكم
أحق بأن تكونوا أبناء سعد البطل العظيم رحم الله الراحل الكريم وأسكنه جنات
الخلد ووهبنا نعمة الصبر والسلوان

خطبة الوطنية الفاضل على محمود المحامى

في حفلة تأبين الفقيه العظيم بغيره (عاصمة الرئيس)

في ٢٣ أغسطس الماضى أفل نجم مصر الوقاد ، واندكت دعامة مجدها التي
كانت تناطح كبد السماء عزة ومنعة ، وفي هذا اليوم هوى طود الاستقلال
الشامخ ، وتلاشى رمز الحرية الجميل من أرض الفراعنة فجزع النيل من هول
الخطب ، ألبأ ، وخر ابو الهول من فداحة المصاب صعقا ، وفي هذا اليوم غاض
ينبوع الوطنية من مصر فاضحت مغانيها يبابا بلقعا بعد ان كانت زاهية تنساق

إليها الحياة من ذلك ينبوع الفياض في كل صباح ومساء ، وفي هذا اليوم هصرمت يد المنون القاسية ذياك الغصن الرطيب المورق الذي يتأرجح إصلاحا ويزهو شمما وإياه ، وفي هذا اليوم الاسود هتف الهاقون بان سعداً قدمات ؟ فاصبحت مصر كأنها بحر زاخر عصفت عليه أعاصير هوج فلم تعد ترى الجماعات الوالهة المكبودة هناك وهي تحمل على الاكتاف عرقها النابض ، وقلبها الخافق ، ومجدها الخالد ، إلا وهي غرقى في بحر الدموع وسكرى تموج ذات اليمين وذات الشمال ولكن من فرط الألم وشدة ثوران النفس

ولئن اكتب النيل على قيده فان دجلة قد سالت حشرات ، والفرات قد فاض زفرات ، ولئن قضت عين مصر بالدمع السخين على سعداها فان روح العراق قد ذهبت شعاعا وقلبه قد تقطع إربا . لم يكن سعد رجل مصر وحدها وانما كان رجل الشرق بصورة عامة ، ورجل العرب بصورة خاصة . وما كانت القضية التي يناضل عنها في مصر إلا عين القضية التي تناضل عنها ونحن في العراق ، وما كانت القوة التي ينازلها ويقارعها على ضفاف النيل إلا القوة التي لازلنا تقارعها وننازلها ونحن على ضفاف الرافدين وما الحقوق التي كان يطلب بها ابن النيل الأبي الا الحقوق التي يطالب بها ابن العراق الحر . فلئن جزع الرافدان من مصاب النيل قائما هما يجزعان لحرمانهما تلك القوة المؤثرة التي كانت تنهض من هممة العراقيين وتوقد فيهم روح التضحية والاخلاص للوطن ، وانما هما يجزعان لخسرانها تلك الشخصية البارزة التي كانت تدافع عن نظريات يؤيدها العراقيون ويقولون بحقيقتها وانما هما يجزعان لفقدانها تلك الشعلة المضيئة التي كان العراقيون يأنسون بسناها ويقتبسون من نورها ، فاذا ابن العراق سعداً شاطر مصر الشقيقة آلامها وأحزانها وهو يقوم بالواجب لما بين البلدين من أواصر الارتباط الوثيقة ومن مماثلة في الوضع السياسي ، ومن تشابه في نظريتهما في المطالبة بحقوقهما المهضومة وكراماتهما المهانة ومن تجانس في الألم الذي يشكونه أبنائهما البائسون ؟

ليس في وسع فرد واحد ان يحيط بروح سعد السامية وما يمكن فيه من آمال وآلام أن يسبر غور ذلك العقل الكبير وما يحوى من آراء صائبة وأفكار ناقبة ، ولا في وسع أحد أن يلم باطراف تلك الشخصية النادرة التي يضمن بها الزمان كمااته ليس من الرجاحة في شيء أن يسبر المؤمنين حياة سعد ، وسعد شاغل كل قلب خفاق ، ومرقوب من كل عين كريمة ، ومعروف عند كل مخلص ينبغي لبلاده حياة وضية واستقلالاً كاملاً وإنما لكل منهم ان يبحث ناحية من مناحي سعد العديدة ويقرأ صفحة من صفحات حياته الخافله بالمكرمات ؟

انى ياها السادة . لمن المؤمنين برعامة سعد لانها كانت زعامة حقة وانى لمن المعتقدين بمبادئه لانها كانت مبادئ سلمية نامية ، أصلها ثابت فى الارض وفرعها فى السماء ولئن كان كل مافى سعد جميلاً ونبيلاً ، فان زعامته الحققة هى التى بهرت العقول ، وأعجبت النفوس ، وجذبت اليه القلوب ؟

ولد سعد فى العقد الخامس من القرن التاسع عشر ومن ينعم النظر فى تاريخ حياته يستنتج منه على الفور أن سعداً قد شب فى وطن يئن من تحكم الاجانب فيه ، وتفسهم باهله وقد سايه هذا الانين الصادر من أعماق القلوب ، فى جميع أدوار حياته ، لما كان محامياً ولما كان قاضياً ، ولما كان وزيراً ، فعضواً فى الجمعية التشريعية ولكن ربح الاستبداد قد عصفت وزئير القوة قد صم الآذان فى سنة ١٩١٤ عند ما أعلن الاجانب حمايتهم على مصر من دون حق وقد دامت هذه الرمح عاصفة ، وطال أمد ذلك الزئير الى نهاية سنة ١٩١٧ فكان من المنتظر ان يتمخض هذا التحكم الاجنبى الذى دام نصف قرن تقريباً عن زعيم يأخذ بيد الأمة المظلومة وينقذها من مخالب وحوش الاستعمار فكان سعد ذلك الزعيم المنتظر ، وكانت وقفته فى ١٣ نوفمبر ١٩١٨ حينما طالب الانجليز برفع حمايتهم عن مصر أول مظهر من المظاهر التى خلد بها المصريين فخراً وصيناً فى الخافقين

لقد خلق سعد للزعامة ، وقد خلقت الزعامة لسعد وقل من الزعماء من توفرت

فيه سجايه وفضائله فقد كان جريئاً مقداماً وقد يلبس المتتبع لحياته أنهما في كل موقف من مواقفه ، في المحاماه وفي القضاء وفي المناصب الوزارية وفي رئاسة الوفد ولو لم يكن رفضه إلاذعان للأوامر التي كان قد أصدرها اليه اللورد اللني في ١٩٢١ القاضية بمنعه من الاشتغال بالسياسة وإلزامه بالسفر الى ضيعة ، واجابته له بأن ليس لاية سلطة في العالم أن تخليه من القيام بواجب الدفاع عن حقوق أمة وضعت ثقتها فيه ، برهاناً ناطقاً على جرأته ؟ لم يهرب الموت في حياته ، ولم يثنه عن عزيمته في جهاده البطني السيوف المرفهة ولا البنادق المسددة ولا الجحافل الجرارة من الجنود المحاصرة بيته ولم يخضد من شوكة تلك الروح الوثابة التبعيد المتكرر والتفسير المتعدد لان سعداً خلق ليخدم مصر ، ولانه كان يعتقد انه انما عاش لموت في سبيل مصر ، فكيف يهرب الموت ؟

كان سعد جواداً كريماً لا يبالي من صرف آخر دائق بحويه كيسه في سبيل بلاده ولقد أثبت كرمه وجوده بانفاق جميع ثروته لمصلحة مصر الوطنية وبمفارقة هذه الدار الفانية فقيراً لم يملك من حطام الدنيا سوى بيته . . .

فسعد أيها السادة كان زعيماً حقاً ولم يكن كغيره من الزعماء ، يختطف الكرسي اختطافاً ويبتز أموال الامة التي حنت عليه وأحسننت اليه ابتزازاً وينفذ سياسة الاستعمار في بلاده من دون قيد ولا شرط !

وكان رحمه الله خطيباً مفوهاً ، إذا لمست قدماء المنابر اهتزت أعوادها جذلاً وإذا نطق عنت اليه الوجوه وتكهربت من تأثير منطقه النفوس ، وكان فصيحاً لا يشق له في ميدان الفصاحة غبار اذا تدفق آنس البحر وإذا أشرق ادرك الشمس بالبدر ، وذهب كلامه بين رقة الهواء وجزالة الصخرة الصماء كان يعتقد ما يقول فلذلك كانت خطاباته ، وبياناته ، تلعب بالارواح كما تلعب الخندريس بالريوس ، ولما كان زعيماً لامة ، كان يحسن استهواء القلوب ، وسحر النفوس بتلك الخطابات ، والبيانات البليغة ، الموشاة بالتوكيد والمطرزة بالتكرار والمتلاثلة بالاطناب البهيج .

وهذه كل وسائل الزعماء في استهواء القلوب وسحر النفوس ، ان أمرهم أو
خطب ادلهم

من المحال أن يلمس المرء في نفس سعد اثرا للتعصب الذميم ، لدين من الاديان
أو لمذهب من المذاهب لان مبدأه : (الدين لله والوطن للجميع) . وكان سقى
الله مرقده من شآئيب غفراته ، محباً للسلام والوئام حتى مع خصومه في السياسة.
أولم يكن سعيه في ائتلاف الاحزاب المصرية خير شاهد على نزعته الاصلاحية هاته
لقد أيقظ أبناء النيل بزئير صوته ، وأزير روحه الوثابة ، فصحوهم من سباتهم العميق ،
واطلعهم على دسائس الاجانب التي فرقهم شيعاً واحزاباً واثبت لهم بحصافة رأيه
وقوه عارضته أن الوطنيين مهما تنافرت قلوبهم وغلت أكبادهم بنار الحقد والبغضاء
مقاه من اليسير أن يأتي يوم تتقارب فيه تلك القلوب المتنافرة وتنطفئ تلك النار
الوارية في الكبود فتتصافح الايدي وتخرج الارواح بالارواح ويتحد الشعور ،
ولكن امتزاج الارواح الوطنية ، وتعاونهم مع الوطنيين لاسعاد الوطن لمن الامور
المستحيلة التي لا يصدقها عقل ، ولا يقرها منطق . فهذه الحقيقة التي تعامى عنها
أبناء الرافدين في هذه الايام العصبية ، قد أبرزها سعد الى المصريين بثوب قشيب
فكان على يديه الاتحاد ، وكان على يديه خير مصر الذي تنعم فيه اليوم !

كان سعد يقدر المسئولية الملقاة على عاتقه ، ويعلم انه رجل دولة قبل كل شيء
فلذلك كمت تجده يعد للسياسة عدتها عندما يتقدم الى المفاوضة مع غاصبي حقوق
بلاده من الاجانب . فانه يسالم من جاءه من طريق المسالمة ولكنه لم يتوقف من
أن يكيد ويخادع لمن جاءه من طريق المكيدة والخادعة . يروى المؤرخون
والكتاب أن « آخيل » وغيره من أمراء الاغارقة القدماء ، تولى أمر تدريبهم
(شيرون) وهو مخلوق نصفه انسان ونصفه حيوان فدربهم وهدبهم وقد
أراد الكتاب بذلك رمزاً معناه أن رجل الدولة محتاج الى استغلال الطبيعتين

الانسانية والحيرانية ، وأن طبيعة دون أخرى لا نفع فيها ولا بقاء لها . فرجل الدولة قد يضطر الى أن يقاتل الاسد ليتقى شر الحبائل التي تنصب حول عرينه ، وأن يقاتل الثعلب ليقاوى الذئب . واذا اغفل رجل الدولة استعمال احدى الطبيعتين فان مصيره الهلاك لا محالة فسعد كان يقدر موقفه وكان يجيد استعمال الطبيعتين ولكن في موضعيهما شأن السامة المحنكين ، ورجال الدولة المدربين . وبالجملة ان سعدا هو الزعيم الحق ، وهو ذلك الانسان الذي كان يقتش عنه « ديرجونيس » حينما كان يحمل مصباحه في ضوء الشمس !

خطبة الاستاذ الدكتور « ادى »

في حفلة تأييد الفقير بالجامعة الاميركية

اجتمعنا اليوم لنحظى بشرف تخليد ذكرى رجل مصر العظيم . وقد يبدو انه ليس لاجنبى حق فى التكلم عن رمز العظمة المصرية ولكن هذا غير صحيح فسعد باشا زغلول لم يكن البطل الوطنى لمصر فقط ولكنه أحد عظماء الرجال فى العصور الحديثة ونحن الاجانب الذين نالنا نصيب مجهوداته نرغب فى الاشتراك فى تمجيد . والامر يكون فى طليعة الاجانب الذين جلسوا فى حضرة زعيمكم ومحموا باعجاب ودهشة صوته وهذا الاعجاب طبيعى لان زعيمكم يمثل ماخلده الامر يكون ومجدوه طويلا

وفى الواقع ان مصر وأمريكا متشابهتان تماماً فى العاطفة الانسانية وألّ اختلافنا فى اللغة والتاريخ وباعدت بينهما الشقة فقد وجدنا فى هذه الكلية أن عند الطلبة المصريين ما يبعثهم على البكاء أو الضحك مثل الذى عند الامريكيين ولقد تعلمت فى شبابى وفى شيبى فى المدارس والجامعات الامريكية أن أحترم

واكبر آراء معينة ووجدت هذه الآراء مجتمعة في شخصية سعد باشا زغلول وأخلاقه . ومنذ خمس سنوات وأنا واحد من أتباعه المخلصين وكثيرا ما كنت اسأل نفسي هل هو أمريكي أم أنا مصري

‘ وهنا في هذه الكلية حيث تضع مصر يدها في يد أمريكا أرى أنه من الواجب على ان احثكم معنى سعد بالنسبة لى وبالنسبة لامريكيين كثيرين قد ابلغ الطلبة الامريكيون الذين زاروا مصر مندوبى الصحف ان أعظم وأشرف تجربة خبروها كانت في مقابلتهم له وفي اجتماعهم به

١ — الوحدة الوطنية

• ان الوحدة الوطنية شئ عظيم جداً عند الامريكيين فقد ألفنا أمة واحدة من مهاجرى اربعين دولة وهذه مصر قد واجهت هى أيضاً هذا الامر وكانت قوات الانقسام قوية فى الجاليات الاجنبية الموجودة فى المدن البعيدة وفى محاربة الاحزاب السياسية بعضها لبعض وفى عدم وجود الصداقة بين المسلمين والاقباط فى وسط هذه العواصف الهوجاء جاء سعد باشا زغلول وصرح بانه لا يوجد غير صنف واحد من الاهالى ، وبوجود قضية واحدة عامة ، وحياة واحدة وبوجود مصر لا غيرها فأخذ المسلم والقبلى سوياً ، والمالك والفلاح معاً ، وجعل منهم جميعاً حزباً واحداً وأبى أن يترك بلاده مشقة الشمل أو ممزقة باختلاف أهلى وضمد جروحها وخلق وحدة وطنية . واذا كان محمد على هو مؤسس مصر الحديثة فان سعد زغلول باشا هو ابراهيم لتكوين الذى خلق الاتحاد وحافظ عليه وهذا الاتحاد الذى خلفه لن يموت

٢ — رجل خلق نفسه

فى بلاد أمريكا هنرى فورد وتوماس إديسون يجب على كل شخص ان يعمل عملهما فليس عندنا ارسقراطية وليس عندنا شرف موروث والفرصة فى انتظار الرجل الذى يخرج الى ميدان العمل من أى بلد ومن أية أسرة ولقد كان سعد

باشا زغلول رجلا من الشعب فصار رجل الشعب وبدأ حياته وليس معه من الملوك
أكثر منى ومنك ولم يكن هناك من يساعده بل هو الذى ساعد نفسه وبكفائته
وقوة ارادته أصبحت مسؤولياته الصغيرة كبيرة وخرج الى عالم الشهرة الذائعة ،
وبنفسه وحده ، بيديه العاريتين وعقله أو جدله شخصية بارزة كانت موضع إعجاب
ملوك فهو لكل واحد منكم مثل حى صادق يدل على ان الزعامة فى انتظار أى
شخص يواجه الحياة كرجل

وان صفة خلق الانسان نفسه ليست احتكاراً للقليلين بل هى امتياز للكثيرين
ولا عبرة بان تكون فقيراً أو من طبقة دنيا فقد كان سعد فقيراً ثم كان عظيماً
وما يعمل رجل يمكن غيره أن يعمله وتعجب أمريكا بتكوين الشخصية وخلق النفس
وهذا ما يبحث عنه العالم أجمع ، وهذا ما وجدته مصر فى هذا الجليل فى شخص
سعد باشا زغلول

٣ - الشخصية المحبوبة

نحن الامريكيين لا نعتبر الرجل عظيماً لانه من أسرة شهيرة أو انه حائز على
رتب وأوسمة بل لانه من طبقة شريفة . وتمجد أمريكا بطلكم لا لانه كان
« باشا » ولكن لانه كان « سعد » وهذا الاسم الساحر يدل على شخصية
محبوبة كان لصاحبها قوة فوق قوة الرجال ولم يكن عنده جيش ولم تكن
لديه ثروة ..

ولقد كانت ملامح وجهه تدل على الدعة مع الجد وكانت له قوة شجر الهنديان
ووداعة الزهر .

وكان إذا ابتسم انتعشت قلوب الرجال وإذا جدوقف تنفس الرجال ، اجتمعت
فيه أجمل عناصر الشفقة والعاطفة الانسانية أقوى صفات الزعامة وكل من عرفه
ذهب إلى أبعد حد فى احترام الانسانية وإلى أبعد حد فى الثقة بالله

لا تظنوا أننا اجتمعناها لنشرف سعداً فليس فى كل ما يمكننا قوله ما يضيف

هيناً الى شهرته ولكن تخليد ذكراه هي التي تشر فناء سيبقى ذكراه حياً حتى نموت .
ان روح سعد زغلول باشا لن تموت ، وعند ما تبلغ أنت وأنا من الكبر عتياً ،
وعند ما تزدحم هذه الابهاء بعصر جديد من الشباب سيكون سعد هنا يبين لهم
الطريق إلى الرجولة ، وإلى خدمة الوطن ، وإلى حب الانسانية
ولقد وضع أساس مستقبل مصر وستبنى فوقه أبنائها وقد رقد جثمانه ليسترخ
ولكن اسمه سيبقى منقوشاً بين النجوم .

ولسنا في حاجة إلى ذكرى مصر القديمة ولا الى الذهاب إلى دار الآثار للتدليل
على عظمة مصر فقد وجدت أسرة جديدة من رجال أحرار . ان مجد الفراعنة ملك
للعاضى وأما مصر الحديثة فقد أنجبت رجلاً اقوى عظمة من أى فرعون
وان تخلد ذكراه باهرام أو مقبرة وإنا بسمو مبادئه وقوتها
واذا كنا نريد ان نطمئنه فها بنا الى العمل الشريف الذى تقدمنا فى عمله
بشرف

وبدلاً من أن نملأ جيوبنا يجب أن نكون خداماً لمصر بلادكم وبلادى ...
ولتكن أخلاق كل ناشئ مصرى كاخلاق هذا الرجل العظيم فى القرن
العشرين سعد باشا زغلول

خطبة الدكتور عبد الوهاب عبد العزيز

فى مظلة تأييده الفقير العظيم فى برلين عاصمة ألمانيا

سادتى واخوانى : ان شكرتكم لحضوركم فقد أمأت اليكم . إذ الحضور
واجب عليكم . وكلكم خير من يقدر ذلك الواجب . حضرتى اليوم لتؤبنوا عظيماً
قد رحل . ونجماً ساطعاً فى أفق مصر قد أفل . ولتذكروا له جليل أعماله وجميل

صفاته وحسن جهاده . حضرتتم لتشدوا ازر بعضكم بعضاً حتى لا تترجح تحت عبء تلك الفاجعة لأن في اجتماعنا تسليّة لنا ورمز لوحدةتنا

اننى والله فى حيرة من أمرى . ما اذا أكتب وماذا أخطب . إذا ما هممت بالكتابة لا يطاوعنى البنان . وإذا خطبت أعوزنى البيان . وإذا مر بخاطرى فيمن أكتب ومن أرى ؟؟ وقف القلم لما له من هيئة وجلال لكن المضطرب يركب الصعب من الأمور لاسيما إذا كان الأمر من الواجبات (ثم انتقل إلى ذكر تاريخ حياة الفقيه منذ نشأته حتى وفاته . . ذا كراً جهاده فى نشر الدعوة وبث الحركة قبل اعتقاله حيث ولى الإنجليز ظهورهم ولم يصغوا إلى مطالب الأمة قائلاً) : « قال سعد يقوم أئمة لها تاريخ مجيد وعز قليد وحضارة سلفت وعظمة مضت يشهد بذلك ما كتب فى بطون التاريخ وما هو شاهد أمامكم من آثار تشف عما كان لنا من قوة وسلطان » فنظر إليه العميد شزراً وقال لست بمصغ إلى ما تقول . وانى قاذف بك إلى النفى فما عساك فاعل وكان ذلك فى (٨ مارس سنة ١٩١٩) قال سعد افعل ما شئت ان ورائى أمة حية سوف تريك عجبا . واذا أخرجتنى من مصر أدخلونى فى القلوب . . ونفذت القوة ما أرادت وانفجر بركان الثورة فكان له دوى وكان له زئير . ووقفنا لهم موقف الند للند . لهم ما يملكون من آلات الهلاك ولنا الايمان بحق مقتصب . والنود عن كرامة مهانة أينما الا ان نفسلها بالتضحيات

لقد خبرناكم يا أبناء التاميز وعجمنا عودكم فاتم لا تطأطثوا الرعوس إلا لعظمة الاساطيل ولا يزعج سمعكم الا طنين الطيارات ولا يعنى أبصاركم إلا بريق السيوف ولا تصافحوا إلا يداً حديدية . وأخذتهم الصبيحة فاذا هم ذاهلون وسقط فى يدهم فما علموا ما هم فاعلون . رأوا أمامهم شعباً تسيل منه الدماء ثم هو عن حقه لا يجيد وتخصده المهلكات فتميد الجبال ولا تميد — فارتد القوم القهقري وذهب العميد إلى قومه غضبان أسفاً قال انى أرى شعباً عتيداً فى الحق عتيداً فانظروا ماذا أنتم

فاعلون — أما سعد فقد أحله المصريون في الصميم . وذهب سعد إلى الجهاد
أشد مما كان وأقوى . فتارة يخطب وتارة يكتب وبيننا هو يدبر الأمور بحكمة إذا
هو يرد كل فرية . وتسمع صوته في الشرق فيتردد صدهاء في الغرب
إيه ياسعد لقد كنت تبكي إذا ماحلو اليك شهيداً . كنت تبكي وانت تعلم
حق العلم الأحرية بغير دماء . وكأنك قد علفت صورة « بسمارك » معبود الألمان
في مكتبك كنت تدين بدينه . كنت تتألم لآلمنا وتشعر بشعورنا . فتبكي لبكائنا
وتفرح لفرحنا فكنت المعبر عن ارادتنا والناطق بلساننا والمدافع عن حقوقنا وكنت
في ذلك الوكيل الأمين لقد أحبيناك ووضعناك في الصميم من القلب ورفعنا لك
ذكرك ونلت مجداً وعظمة لم يسبقك اليها إلا القليلون في التاريخ . وما رفع سعد
إلى تلك المكانة إلا متانة في الخلق وشدة في الحق وصدق في القول وإخلاص
في العمل كائنا من كان خصمه »

خطبة الاستاذ محمد إبراهيم الجزيري

السكرتير الخاص لدولة القصور سعد زغلول باشا

على قبر الفقيد الراحل

سيدي الرئيس الجليل
تعودت ان أقف بحضرتك لتملي علي أولاً أستمع لك . فهأنا الآن مكاني منك
لا أخرج عن عادتي ، ولا أتعدى حرمة الاجلال والتأدب الواجبين علي
هذا مقامك أيها الرئيس فأتق خطابتك وأفض بلاغتك . قل . ولست
أكتب بقلم علي قرطاس . وإنما أكتب بدم القلب علي صفحة القلب
هذه الوفود حاشدة . وهذه المظاهرات متدافعة ، جاءتلك في يوم الكرب

وفي شدة الخطب . جاءتك تفتبس من وطنيتك وتشد أزرها بعزيمتك . نخذ أيها الرئيس مكافئك فوق هذا العلو ولكن رحمة بصحتك لا لاتعب نفسك برفع صوتك . اخطبهم صامتاً فأنت بصمتك اليوم أخطب من سعد بالامس اخطبهم انك لن تسمعهم وخدمهم ، بل أنت مسمع أهل القطر ، من البحر الى منبع النهر

لقد خادعت (١) فيك النفس (٢) جهلاً ارجى موتك النوم الهنيا وما أيقنته إطفاء نور قضاه الله نوماً سرمدياً (٣) فأين اللحظ (٤) تنفذه حديداً نروع (٥) به الخيس (٦) الاروعيا (٧) وأين إرادة صعبت مراساً (٨) على الازمات (٩) تطوين طيا دهاني (١٠) يوم نعيك (١١) مدهاني فجائع (١٢) تهرم (١٣) الحدث (١٤) الصبيا قعدت بكل جانحة (١٥) فؤاد (١٦) أشب به الجوى (١٧) زندا (١٨) وريا (١٩) فأى الرء بعدك أتقيه وأى الخطب (٢٠) محتدما حيا

(١) خادعت : اخفيت (٢) النفس : الروح قال تعالى خلقكم من نفس واحدة (٣) سرمدياً : دائماً (٤) اللحظ : النظر بمؤخر العين (٥) نروع : تفزع (٦) الخيس الجيش لانه خمس فرق المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساق (٧) الاروعى : هو الذى يعجبك حسنه (٨) المراس هو المعالجة ومنه الممارسة (٩) الازمات : الشدائد ولها معان اخرى منها القحط والضييق (١٠) دهاني اصابني (١١) النعى : خبر الوفاة (١٢) فجائع : جمع فجيعه وهى الرزيئة (١٣) تهرم : الهرم كبير السن (١٤) الحدث بفحيتين الشاب (١٥) جانحة : واحدة الجوانح وهى الاضلاع التى تحت الترائب وهى ممايلى الصدر كالضلوع ممايلى الظهر (١٦) الفؤاد : القلب (١٧) الجوى الحرقه وشدة الوجد (١٨) الزند : مفصل طرف الذراع فى الكف وهما زندان الكوع والكرسوع (١٩) ريا : بكسر الراء وفتحها الارتواء من الماء (٢٠) الخطب : الامر الجليل

وأى مصائب الايام أقنى لفجعتها دم القلب الزكيا
قضيت (١) وما المصاب مصاب فرد قهداً من جوى الحزن الحميا (٢)
أدرت الفكر بعدك ألمعيا (٣) لأملاً من كفتيك مقلتيا (٤)
فلا والله ما قلبت طرفى على الف يدانون الثريا (٥)
حملت عزيمة الامر اضطلاعاً وغيرك هابها (٦) أفناً (٧) وعيا (٨)
مكارم أنت واحدها جماعاً كأنك قد بعثت بها نبيا
يذكرنيك آمال كبار غرست فأتت الثمر الشها
(وكانت فى حياتك لى عظات فأنت اليوم أوعظ منك حيا)

خطبة صاحب العزة مشيل لطف الله بك

بسمه بدي ام المصريين

أتقدم الى عصمة ام المصريين وإلى الشعب المصرى الناهض باسمى واسم
هذا الجمع الذى يتمثل فيه شعور سوريا الحزينة معزياً بقتيد مصر والشرق أجمع
المغفور له سعد زغلول باشا وأقول — ان أئمن ساعات كسبتها فى حياتى هى يوم
ان أتيح لى ان اكون من اعضاء الجمعية التشريعية والوفد المصرى فأرى فى
أعمال الزعيم الجليل عن كذب سر البعثة الخطيرة التى سيقوم بها فى هذا الوطن
العزیز . ان تلك الاستقامة المجسمة والثبات الذى يرحزح الجبال والادراك الذى

(١) قضى مات وانتهى (٢) الحميا . حمى التنور حميا اشتد حره (٣) ألمعيا .
الذكى المتوقد (٤) مقلتيا . مثنى مقله وهى شحمة العين التى تجمع البياض والسواد
(٥) الثريا نجم (٦) هابها . من باب ضرب خاف وفزع (٧) الافن بسكون
الفاء ضعف الرأى (٨) العى . بكسر العين ضد البيان

ينفذ إلى أعماق الحقائق جعل هذه المصيبة لا تقتصر على وادى النيل فحسب بل
تتناول العالم العربى جميعاً وفي مقدمته سوريا الدامية . وإن اعظم ما تتحفنا به
العناية هى ان ترسل لنا من يحمل المصباح الذى كان يحمله ابرشينا فى هذا
الظلام الداجى ، نعلم المولى الفقيد العظيم برحمته

خطبة الدكتور عبد الرحمن بك شهبندر

على قبر الزعيم الفقيد

يتوهم بعض الناس ان المرء إذا مات انقطع عمله
ان الذين انقطعت اعمالهم من الموتى هم الذين عاشوا ليأكلوا ويشربوا
ويناموا ، وأما الذين نبضت عروقهم لتغذية الروح السامية التى حملوها فى ادمغتهم
والعبقرية الاثيرة التى تحلوا بها فى صدورهم فلن يموتوا . ذلك لان الموت وقوف
الحركات المادية واستحالة الخلايا الفردية وأما الخلود فبقاء الروح واستمرار العبقرية
لقد ذهب من سعد اللحم والدم والعظم وهذا قريباً سيفنى ايضاً لانه من
العناصر المادية التى تتحول وتبديل وأما الذىبقى من سعد فهو الروح المرفقة ليس
تقط على هذا الجمع الحافل ولا فى هذا الوادى المبارك ولا فى الاقطار الثلاثة
الشقيقة بل حيث فهم الناس مباشرة ومن غير ترجمة لسان حال سعد ينادى من
غير لكنة ولا عجمة « ان من يبنى كيان امته السياسى يبنى اخلاقها الثابتة وميزتها
البارزة وعزها الدائم

ايها الزعيم الراحل بجسمه والخالد بروحه ان العالم العربى الذى اتينا لنمثله
لديك يفهمك فهماً صحيحاً لا لأنه شريكك فى لغة اللفظ فقط — فى تنميق
الجل وصف الكلام وتهجية الحروف بل لانه شريكك فى لغة المعنى ايضاً —

شريكتك في شعورك وشريكك في ألمك وشريكك في أملاك وهذا لعنرى ارقى
انواع التفاهم وأشرف انواع الشركات

اننى كلما تذكرت اجتماعنا الثمين فى مسجد وصيف فى شهر مايو الماضى
انندب فيك الفانى واهنى الخالد ابكى فيك المتحول المتبدل وأحيى الدائم الثابت
فأقول ما قال (كاليماكوس) قيم مكتبة الاسكندرية فى صديقه (هرقل) فى
القرن الثالث قبل المسيح

لقد بلغونى ياهرقل لقد بلغونى انك مت . وجاءونى بالنبا السيئ لاصمعه
وبالدموع الآسية لاسكبها . اننى بكيت اذ تذكرت كم نحن اتعبنا الشمس بمحدثنا
المتبادل وانزلناها من على قمة الفلك . والآن وأنت مضطجع ايها الضيف العزيز
القديم . حفنة من رماد اشهب قد تمتعت بالسكون منذ أمد بعيد . فان اصواتك
المطربة وهى بلابلك الحية لا تزال تصدح . لان الموت يذهب بالجميع ولكنه
عاجز عن الذهاب بها

ايها الزعيم الجليل ! اننى لا اقول على ضريحك ابداً ان تلك الشمعة المضيئة
التي بهرت العالم العربى بنورها الوضاء اصبحت ذبالة تنتشر من حولها روائح
الشحم الذائب بل اننى اقول ان تلك الشمعة الوضاء اصبحت الآن نوراً وهاجا
من غير شمع وحرارة محرقة من غير دخان ومهما بعدت المسافة بين عالمنا الفانى
وعالمنا الباقي فما يشع من هذا النور وما ينتشر من هذه الحرارة سينير لنا
خفئس الليل ويحرك فينا خامل الهمة على ان ابعاد الخلاء ما حالت قط دون
اتصال الارواح

وما بعدت دار ولا شط منزل * اذا نحن ادتتنا الامانى والذكر

خطبة محمد أفندي عبد الرحيم طه

في مفلة تأيين الفقير بربلين عاصمة ألمانيا

اخواني ومواطني الاعزاء . في الثالث والعشرين من اغسطس هذا العام هوى أكبر كوكب ينير سماء وادي النيل . في الثالث والعشرين من اغسطس هذا العام . غربت اسطع شمس في سماء الشرق بأجمعه — في الثالث والعشرين من اغسطس هذا العام مات أكبر زعيم للشرق ووقف عن الحركة أكبر قلب لوادي النيل كان لا يخفق الا له ولا جله وأقسم الا ان يكون قرباناً وفداء للامة والوطن وقد كان . مات الرئيس الجليل . مات الزعيم سعد زعلول . رجل وداى النيل الأ واحد وبطله الاعظم . فوا مصيبتاه ووا حسرتاه ووا حر قلباه . اليوم تندب حظ مصر . اليوم تندب سوء طالع مصر . مسكينة انت يا مصر . الى ان قال « فعزاء وصبراً جميلاً ان كان للعزاء والصبر منفذ . وسلام على تلك الروح الزكية التي فاضت وكتبت مجد مصر في صحيفة التاريخ وأثبتت لمن يأتي بعدها ان الحياة رخيصة في سبيل اعلاء شأن الوطن اذا جدد الامر وعز الفداء . فنامى هادئة مطمئنة أيها الروح الطاهرة الزكية وارجعي الى ربك راضية مرضية وان كان الجسد قد اختفى « سنة الله في خلقه » فانك ستبقين حية خالدة ترفرفين علينا من سماء عليائك لتهتدي بهديك الطريق الذي رسمته لنا وستبقى تلك المبادئ السامية التي خلقتها يا سعد وآياتك اليفينات في الوطنية حية الى الابد وستثمر في المستقبل القريب تلك الدروس البليغة والتعاليم العظيمة التي غرستها في نفوس الامة وستبقى كما قال سعد « إنا أمة عرفت حقوقها وعرفت واجباتها وستدل الامة بمقاومتها لأعمال الغاصبين ان لها ارادة لا يفلها الا ارادة الله سبحانه وتعالى وقد لا يمكنهم ان يتغلبوا على هذا الشعور الالهى الذى بثه الله فينا ، في نساءنا في اطفالنا ولا يمكن احداً اطفاء هذا الشعور » تغمده الله برحمته ورضوانه وأسكنه فسيح جناته آمين

خطبة الاستاذ ابراهيم عبد الهادى

فى حفلة الطلبة لتأيين الفقير

تحية لروح البطل الخالد الذكر . ورحمات تترى على جدث ضم أشجع من
من أنجبت مصر وأبر من ولدت مصرية فى النيل
استلهم تلك الروح الدافعة القوية نجدة على موقفى هذا ، موقف عرفت جلاله
واستشعرت رهيبته وقدرت حرجه ومع كل ذلك لم أفكر فى التنحن عنه ولا التراجع
دونه لانه واجب فى عنقى حتم على أداؤه وليس يبرر لأمري ضعفه عن أداء كل
الواجب ترك كل الوجوب

ولئن تواضع المؤمنون على أن يلموا بجلائل أعمال الراحلين وتعداد مناقبهم
والاحاطة بحياتهم فى صحف قلائل معدودات وكان جلهم موقفاً ان لم يكن كلهم
بالغا حد الكمال فى مطلبه فذلك مالا يطمع فيه مؤمن يذكّر سعداً وعظمته
فلكل جيل افذاذه ورجاله ولكن الافذاذ لا يستوون . واذا علمنا سواد
الناس يخرجون من الدنيا كما سيقوا اليها وليس لهم فى صحف الانسانية أثر ولا ذكر
أدركنا عظمة من يكتب بحياته كلمة طيبة فى سجل البشرية أوسطراً كاملاً وعلمنا
اذن كيف يسهل عد مآثر العظماء من هذا الطراز . . . ولكن كيف بك أمام
حياة لم يقتصر أثرها على سطر أو صحيفة ولكنها خلقت كتاباً ضخماً هو تاريخ
أمة فى مدى أربعين عاماً أو يزيد هو مستودع لكل فخارها وجهادها تبين فيه
صحوها من الخمول فشعورها بذل الرق فتمللها من القيد فأخذها بأسباب فكاه
يقدر مايسرت لها الظروف من نهضة علمية واجتماعية حتى اذا استكملت أهليتها
فزعت من الظلم وأبت حمله وأنكرت الاستبداد وأهله
وانت ترى سعداً وأثره فى كل هذه الادوار واحداً واحداً ليس منها دور إلا

نه فيه قدم صدق وجولة ايمان حتى اذا كانت ساعة الجهاد برز البطل المحنك الى الميدان في يوم شديد الهول ينازل في غير رهبة خصما يحمل في يمينه سيف المنتصر القاهر. خصما هز عروش القياصرة وثل مجدها ، فكان مشهداً عجباً أن ينازل الاعزل مدججا وان يرهب المسلم محاربا . . . وظنت الكثرة ان دعة هذه الامة لن تلد غضبا وان سكيتها جمود دائم لا ينكشف عن قوة وأن شكواها نجوى المستضعفين لا تلبث أن تنقلب أمام العصي ضراعة واستخذاء وتسليما . .

ولكن الرجل الذي سائر حياة أمته بدقة طوال السنين كان يعلم منها غير ما يعلم خصومها منها بل أكثر مما تعلم هي من نفسها انه يعرف في أى مكان من قلبها أودعت تعاليه وتعاليه اخوانه والى أى عمق استقرت هذه التعاليم انه يعرف كيف يستخرج ما أودع وكيف يستثير ما بث . . لذلك أقدم مؤمنا جريئاً وشجاعاً ثابتاً حتى اذا وقعت الواقعة رأيت المترددين بالامس في طليعة الصف يجاهدون لا خوف في قلوبهم ولا هم يضعفون .

انه مهندس ماهر باشر بنفسه مداسلاك الكهرباء يعرف أين طرفها الموجب والسالب ويعرف كيف يضمهما فيجعل من الظلام نوراً ومن البرد ناراً . انه عرف من أين تبدأ الشرارة الاولى وماذا يخرجها لتسير في أعصاب الناس جميعاً . عرف ان لن يخرجها الا صدمة القوة تهوى على رأس الزعماء فتقدم للانجليز حتى اذا تلقى الضربة بالنفي وصمد لها كان من ذلك الشراره المباركة التي لا تزال حرارتها تسرى في اعصابنا وتتغلغل في قلوبنا وستبقى كذلك الى الأبد ان شاء الله .

عرف سعد كيف يحرك الامة فكانت وسيلته التضحية وضرب المثل في الاقدام وانكار الذات . كذلك عرف متى يخرج الفكرة . واذا قبلت ذلك رجعت بذاتى كرتى الايام كنت تسمع فيها « ليتنه بدأ الجهاد فى أوائل أيام الحرب » ??? قبل ذلك . ولكن نسي القائلون حالنا عند بدء الحرب من التنازع والتفرق

أمر أن ما كان لاحد من يد على ازالتهما . فلما نزلت الحرب بظلمها علينا لم تفرق يد القوة بين مصرى وآخر بل بطشت بالجميع بطشة جبار وضربت لهم مثلاً عملياً حياً ودرساً قاسياً مرّاً علمهم أنه مهما اشتد أحدهم على أخيه فهو أرحم به من الاجنبى وكلنا يعلم أنه ليس يجمع بين القلوب مثل اتحاد المصائب .

هنا صرخ الرجل العظيم صرخته أن كلكم فى الوطن اخوان وأن الوطنية ديننا جميعا . كلمات نزلت وراء برهان ساطع من صنع الحوادث قادت القلوب على حق وبعد بينة الى الغاية العليا يسعى اليها الكل صفا واحداً لا ثغرة للخصم منها ولا منفذ للفتنة تنساب من خلاله . وهكذا كان سعد عظيماً فى اختيار الظرف بقدر ما كان عظيماً فى اقدامه وشجاعته وكذلك امتازت قيادته بظاهرتى القوة فى حركات الجهاد والتضحية وتوحيد الصفوف .

وتلك سنة الله قضت ان تنقضى ايام هذا البطل من عالم الفناء الى عالم الخلود فهل من خوف على شمل جمعه ورأى وحده ؟ ! لا خوف ايها المصريون على اتحادكم ولا خطر ! فلقد توحدت ذرياتكم ومفاخركم وأصبح لكم من ايام جهادكم المشترك مجد يتصل بكبريائكم جميعاً

لقد كانت القومية المصرية مزودة بمقوماتها المادية من وحدة فى اللغة الى وحدة فى الجنس الى وحدة فى التقاليد ما كان ينقصها الا المقوم المعنوى ذلك هو وحدة الذكريات وفيها عنصر الحياة الاقوى وذلك ما زودها به سعد فى ايام جهاده وبه تمت لها العصمة من التفكك ، وبه كتب اسمها فى صحيفة الخلود

برزغت شمس الحركة الوطنية الاخيرة ، والقومية المصرية هيكل من الهياكل وصورة من الصور . وما زالت بين يدى سعد ينبفخ فيها من روحه ونفحاته ورهبة مواقفه وخالد جولاته ثم تولى عنها ولها كل مميزات القومية الكامة الا انها تبذ غيرها بحرارة الفتوة وقوة الشباب

وعظمة سعد ليست بصورة فى جهاده الاخير ومجهوده فى سبيل مصر

بل عظمتها بدأت منذ أول حياته . ألم تره كيف كان من الاحرار المضطهدين منذ الثورة العربية ؟ ألم تطالع ما كتب بصحيفة الحكومه في الحرية والاخلاق وما بث فيها من روح حار كلها حياة وغذاء لروح الشعب ومنبه لعزته ؟ أترأه كان في هذا موظفاً يعمل لعيشه فحسب ؟ أم ترأه كان يفكر في هذا العيش وانت تعلم نفسية الحاكمين إذ ذاك لا يعرفون من الطاعة الا فناء الارادة ولا يطلبون من الموظف الا أداة للاخذ برقاب الناس اذا فكروا ان لهم مرتبة غير مرتبة العبد . حياته وما ملكت يمينه لسيدته ؟

لا شك انه كان مدفوعاً بشئٍ أعلى لديه من رضا الرؤساء وعطف الامراء مشغولاً بما هو أخطر قدراً من سلامة العيش ولين الحياة في ظل خدمة الحكومة وهل من يجمل سعداً محامياً يذود عن الحق ويحمي حمى المظلوم وينتقل بالحمامة من درك المهانة الى مرتبة من الرفعة وازت مرتبة القضاء وصمت الى عليائها ؟ سوف لا ينسى له التاريخ ما أورث الحمامة من مجد وما غذاها به من قوة وعزة ، وليس هذا تقديرًا طائفيًا وكفى — على أنه لو صح لكان مفخرة تزدان بها صحف العظماء — ولكن الامر جل عن هذا كثيراً . . .

ان حفظ المحامي وصيافته وحياطته صيانة لحق الدفاع الذي يتولى باسمه المجادلة عن حقوق الشعب ، وكيف يجروء محام أن يذود عنك اذا كان غير مطمئن على نفسه في موقف أغلب ما يكون ضد اقماعين بالامر ؟ هل يدفع الضيم الدليل ؟ كلا لهذا كان عملاً شعبياً عاماً لا طائفيًا محصوراً قيام القعيد باصدار قانون معترف فيه بتقابة المحامين ووضعه نظاماً خاصاً بتأديبهم الى آخر ما فيه مما هو في الواقع صيانة للحقوق وحماية للقائمين عليها قبل ان يكون خدمة شخصية للمحامين ولطائفة من الطوائف . . .

ولقد شهدته القضاء في كرسيه فشهد النزاهة المطلقة والمنطق المستقيم والعدل الرائع والعلم الزاخر والبحث الدقيق كما شهدته كراسي الوزارات شخصية غلبة

تجرف سيطرة القوة التي لا تقوم على القانون وإنما تقوم على هوان نفوس الرؤساء
يضحون بكراماتهم وضائرهم وواجباتهم ثمنا لطول المقام في الحكم ولكن سعداً
كان يفهم الحكم غير فيهمهم وتلقاه على غير ما تلقوه ، تلقاه كحق من حقوق الامة
اثمته عليه فاستشعر مسؤولية هذه الامة

ومضى يؤديها أداء النزيه باخلاص وصدق شبت عليهما نفسه ولم يسترح
لغيرهما ضميره . ورأى هواناً على روحه الكبيرة أن يكون وهو أحد أعلام البلاد
رهني يد قلبه حيث شاءت الالهواء

يومئذ اعتزت مصر لاول عهدا بوزير من أبنائها واحست بان لها في تسيير
أممها أثراً ولا تنسى انه كان أول مصري بكر إلى العناية برغبات الشعب وجعل
لها من احترامه مكاناً قدسيا فحدث الشعب على غير سابقة بخطته في التعليم ورأيه
في إصلاحه دفعا لما ظهر يومئذ من اعتراض على سياسة التعليم وكم من اعتراض
أبدته يومها ومن قبل على اعمال غيره فما فكر في اقناعها برد ولا اعار
ملاحظاتها لفتة . .

وثار الفلك دورته فاذا سعد بعيد عن مناصب الحكم وإذا الامة تعرف رجلها
فتقدم الى الجمعية التشريعية معتمداً على ثقها معتزاً بحبها محوطاً بجلالها وإذا هو
المدرسة الفياض يتولى الدفاع عن حق بلاده بأسرها ويشد جانبيها بما وهب من علم
ورأى وحكمة زادت شجاعته ورسوخ إيمانه قوة على قوتها ومهابة على جلالها . وإذا
مبادئ الثورة الحقة يفيض بها فؤاده يومئذ فيضاً ويقذف بها في وجه القوة ووجه
الاستبداد كانه في عالم والخاوف في عالم آخر . مع انها منه قلب قوسين ولكن المؤمن
بالحق يرى الباطل كانه خيال وهكذا نادى سعد يومئذ بكلمته الخالدة (الحق فوق
القوة والامة فوق والحكومة)

الحق فوق القوة هذا مبدأ جهادنا للخلاص من الغاصبين والامة فوق الحكومة
هو مبدؤنا الدستوري واساس حقنا للخلاص من الاستبداد وهو نفس المعنى الذى

يقرره الدستور الحالى فى صدره بأن الامة مصدر السلطات جميعاً
هذه هى أحلام سعد وأمانيه التى بعثت اليه من فجر حياته أن يخاطب الامة
موظفاً صغيراً ووزيراً كبيراً بلهجة من تلقى الامانة عنها ومن عرف الفضل لها
ومن آمن أن الامر راجع اليها وان المستقبل والفوز لها . فلما حانت الفرصة أطلق
مبدأه كالسهم فى وجه الحكومة وعلى مشهد من نواب الامة وأنه وإن لم يؤت
أكله فى حينه فقد لبث يفعل فى نفس الشعب ويتغلغل فى عقلية حتى أصبح
إيماناً وعقيدة مصرية مألوفة أن انتقلت الى نفوس المتحكمين فآمنوا ان محالا
حكم هذه الامة بغير نوابها فكان الدستور وكانت حقوق البلاد فى الحكم
مكفولة به

آمن سعد بحق الوطن وجعله فى عمله قبلته فما اكتفى من مجهود بما يجدى
على شخصه بسعة فى الرزق وبسطة فى الجاه ولكنه كان دائماً يؤدى فى سكون
فريضة الوطن الكبرى فلا يقنع من عمل بما دون الخلود لذلك ترى آثاره بادية
باقية فى كل عمل تولاه ، لم يؤثر عليها تركه للعمل ولا بعده عنه ولو أنه مجهود خاص
بشخصه لولى من بعده . اما وهو لوجه الوطن فهو خالد كخلوده باق كدوامه
ذلك هو الاخلاص فى العمل الذى يحد ثناعنه الزعيم فى حكمته الماثورة (يعجبني
الصدق فى القول والاخلاص فى العمل)

وما زال الراحل الكبير يضرب لنا فى كل يوم مثلاً . صداقاً لحكمته هذه حتى
انتهى شهيد الواجب والاخلاص له فأزرى بحكمة المتنبي التى يقول فيها
واذا كانت النفوس كباراً تعبت فى مرادها الاجسام
وأصبحت من بعد سعد كلمة الحق فى هذا

واذا كانت النفوس كباراً فنيت فى مرادها الاجسام
وسيحفظ التاريخ فى أطر صحائفه مثلاً ضربه الراحل فى الاخلاص للواجب
ليس أقل روعة من موته فى سبيله ، ذلك موقفه يوم توعده القوة بنوازلها ان لم يترك

معدان الجهاد ويعتزل سياسة البلاد فنادى في وجهها « سألني في مركزى مخلصاً
لواجبي وللقوة أن تفعل بناماتشاء أفراداً وجماعات » حتى إذا أنقذت القوة ماوعدت
به مكث والامة مؤمنين بان الحق فوق القوة حتى ذابت قواعد العسف ورجحت
كفة الحق فاذا به في مركزه مخلصاً لواجبه وإذا سيف الباطل في غمد من الخزي
أيها الراحل الكريم هذه بعض آثارك فينا وذاك طرف من وصاياك بيننا
جئنا اليوم لتذكركها ولنتواصى بها وفاء لك وبراً بأنفسنا التي طالما تعهدتها بالبر. نرى
قضاء لحقك الذي لا تؤديه الدموع ولا توفيه الحسرة على فقدك أن تكون هادينا
للمستقبل، وعهدنا في العمل، وزادنا في الجهاد.

أيها الراحل البطل لقد كنت دوحة فينانة مشرقة مشعة كلما هبت عليها رياح
الحوادث ألفت ثمراً شهياً ونثرت بزور الحياة تغذى شباباً قوياً درج ونشأ بين
عطفك وعصف الحادثات فاعتاد أن يغلب الحادثات على عصفها والشدائد على
نوازها وها هي الشعبية الزاهرة تحيي ذكرك وتحفظ عهدك وتترسم خطاك . قم في
علمين هادئاً مطمئناً تباركناروحك ويهدينا سنا آثارك

أيها الراحل البطل . أن يدكر لك الوطن فضلك عليه وعلى بنيه وكنت فيهم من
الذاكرين فإن لك في عنق فضل المعتق من الاسر المطلق من القيد ، فضلاً يضاعف
شجنى عليك ولوعتى لفقدك لقد والله أحرق قلوبنا التي أعزرت وحيت
أن تخفق ويسكن قلبك الكبير وعقل ألسنتنا التي حررت وأطلقت أن يجرى
عليها القول ويحبس الى الابد منطقك القوى المبين . . .

وانى لاراك في كل ما يصادفنى في الحياة من نعمة وخير لأنك انت الذى أعدتنا
على أحضائها وأطلقت أجنحتنا فى فسيحها تخفق حرة لا تثقلها نعمة مخلوق ولا
توهن منها يد منان

وانت يارافع العلم وخليفة الزعيم الا كبرلك منا كل الثقة والبلاد فيك خير
رجاء . نتق بنزاهتك وجرأتك واخلاصك وغيرتك ونعرف لك كفايتك وفضلك

وعلو همتك .. سر في طريق سعد الذي صحبته طوال السنين ميمون الصحبة
صادق العهد . ونسأل لك التوفيق الجدير بفضلك ونرجو الله ان يكتب السعادة
لقبادتك

وأنت يا أماه . تتوجه اليك من هذا المكان بقلوب تفيض احتراماً لك والمآ
لمصابك مصاب الوطن ، سائلين لك عزاء عن عظيمك بما خلع على بلاده من
عظمة خالدة وما ترك لها من تراث مجيد سيبقى حديث التاريخ الى نهايته ذا كرين
لك فضلك في مشاركته وما كان لك من أثر في عظمته والله نسأل أن يمدك بقوته
وان يطيل لك في العمر حتى يتم عزائك بتحقيق غايه قبيدك فترين عزة مصر
باستقلالها التام

رحم الله سعداً في المجاهدين . والبقاء لله . والمجد للوطن .

خطبة الاستاذ لطفى المسلمي المحامي

في حفلة تأييد الفقير بالزقازيق

سعد ، يا روح البلاد ، وعلم الجهاد ، ورسول السلام ، ورمز الوثام ، وبطل
الشرق ، ومنقذ النيل

سعد ، يا مجد التاريخ ، ونخر الوجود ، ومعجزة العصر وحياة مصر
سعد ، يا أبا الامة ، ورجاءها في كل ملة ، وغايتها الى كل غاية ، وعزيمتها
اذا عزم الامر

سعد ، يامنبر الحق ، ولسان الصدق ، ومنطق الصواب ، وفصل الخطاب
سعد ، يا حياة الحياة ، وهادي الهداة ، وعلاء الغلاء ، وسماء السماء
سعد ، يامن قدتك العناية لوادي النيل وقدرته لك ، فجعلت من سينك

السودان ولعينك اعالى النيل وفي دالك الدلتا
سعد ، وفي سينك للبلاد سعد ، وتحت عينك للشرق عز ، ومن وراء دالك
لها الدوام

سعد ، هل انت كما انت وحيث انت ، أم هل تبد لنا نحن ، ام هل
تغيرت انت

لا ياسعد ، كذبت عيني ، وأخطأت اذني ، وتاه فؤادي واختار قلبي
لا ياسعد ما هذه مظاهر الموت ولا تلك مظاهر الفناء ولا ذاك وداع القبور
ولا تلك تحية الشهداء

لا ياسعد لا انت انتهيت ولا هذه الامة عال على سوادها سوادها ولا على
حدادها حدادها ولا هي تتلمسك فلا تجدك

لا يا..سعد ما ابرك بأملك مصر وما احناك على ابيك النيل وما ارحمك
بأبنائك الشعب فهل تقتلهم وجيباً وتبرحهم نجيباً
لا ياسعد ما هكذا تدك الجبال وتخر الصروح وتصرع العظمة وتفنى
المآثر والآثار

لا ياسعد . انت ابقى على الدهر من جدة الدهر وأطول في العمر من طولة
العمر فان ثويت في الحنايا والجنوب وان طويت في سويداء القلوب
ولماذا ياسعد . تحتجب في الصدور عن الدور وتؤثر سكنى الافئدة عن
الاعمدة وقد علمت ان لك في كل فؤاد مثال وفي كل قلب تمثال وانك الحقيقة
ونحن الخيال

لا ياسعد لا اظنها منك الا مظاهرة اردت ان تستشف بها القلوب وتقيس
بها الايمان وتختبر بها جنودك وتمتحن بها امتك وهي ذاهبة لملاقاة عدوها في
ساعة الفصل

لا ياسعد جئت تبلى السرائر فشقت المرأى وبرحتنا لتعود فمالك الآن

فارقت الوجود

هل صحيح ياسعد ان الحياة باتت قنديلك والوجود أضحي ينعيك والعالم
اصبح يبكيك وان الثريا منك تسكن الآن الثرى

هل صحيح ياسعد ان هذه العبقرية التى شهد بها لك العالم كله وتلك
الفصاحة التى اعترف لك بها حتى خصومك وهذا البيان الذى سحر أسمى الناس
ضميراً وتلك العظة التى استولت على كل قلب قد شلت جميعاً ولم تعد تتحرك

هل صحيح ياسعد ان جبار الخلقاء وامام البلغاء وعلم الساعة وسيد الزعماء
وعظيم العظماء بصمت الآن الى الابد

هل صحيح ياسعد ان الحرية التى لم تشعر بوجودها الا فى شخصك ولم
تجىء الا على لسانك ولم يؤد أمانتها الا قلبك الكبير تنذب حظها فيك وهى
وليدة فعلك وغرس يدك

هل صحيح ياسعد ان المبدأ السامى الذى ربيت عليه الشعب وأحييت
عليه الامة والمثل العالى الذى ضربته فى كل شئ وأعجزت به العالم اضحي الآن
روحاً بلا جسم ورسماً بلا رسم

هل صحيح ياسعد ان الصحائف الغر التى طبقت العالم كله قد انطبقت
الساعة وأن الاعلام التى رفعت لك فى كل مكان قد طويت الآن

هل صحيح ياسعد أن كلمة (يحيا سعد) التى كانت دائماً تدوى فى كل ربيع
وتخرج من كل قلب وتسابق عليها الالسنه وتبارى فيها الافواه قد استبدلت
اليوم برحماك ياسعد يقطعها الانين وتخنقها العبرات ويذيبها الحزن

هل صحيح ياسعد ان الصيحات العالية التى كانت تشق امامك الصخور
وتحمس البلاد وتذكى الجهاد قد اصبحت اليوم بكاء حاراً يفتت الاكباد
ويحرق الاجساد

هل صحيح ياسعد ان الامة التى كانت تلتفك كلها كلما خرجت هاتفة

مستبشرة مهللة مكبرة قد ودعتك منذ أيام الى مقرك الاخير حاسرة حائرة باكية
صارخة ضارعة ضائعة لا تلوى على شئ

هل صحيح يا سعد ان المعتقل الذى سكنته والسجن الذى دخلته والمدافع
التي صوبت الى صدرك والحراب التي وجهوها اليك لم تستطع ان تذهب بك
ولا ان تغير منك وانك من سريرك والامة في يمينك اسلمت نفسك للموت
وقلت لنا والهلع يقتلنا (انا انتهيت)

وهل انت انتهيت

نعم انتهيت الى أرقى سلم في الكمال البشرى
نعم انتهيت من اكل اداء لا قدس واجب في الحياة
نعم انتهيت من أبر وفاء لا رحم أم مصر
نعم انتهيت من أبرع دفاع في اكبر قضية الاستقلال
نعم انتهيت من اصدق اداء لا كمل غاية الحرية
نعم ولكن هل انتهيت من الدنيا وهل مثلك ينتهى
لا يا سعد . اسمح لجندى قاتل تحت لوائك ان يظهر معجزتك على اعين
الناس وأن يقول انك مهما حاولت فلن تنتهى من الوجود وان تنهى بعدك
لقد كانت حياتك مثلاً عالياً وكان فراقك درساً غالياً وان صفاتك وأعمالك
بحيث لا تقنى ولن تموت . يقولون انك نويت الى الخلد ، وتركت العمل لنا
والجد - لا - فانك انت القائل :

وطنى لو شغلت بالخلد عنه * نازعتنى اليه فى الخلد نفسى
يقولون انك الآن بمعزل عن الاحياء كلا أفلم تقل لك :
هذا الوجود وان تعدد ظاهراً * وحياتكم ما فيه الا أنتم
يقولون لك انك الآن فى الحياة الاخرى وأما نحن فى الحياة الدنيا . كلا
او لم يقل الله عز وجل (وان الاخرة لهى الحيوان)

فأنت كما أنت ، أنت الزعيم ونحن الجنود أنت الرئيس ونحن المجاهدون ؛
واللواء في يدك ولن نسله لغيرك . ومن عبث ان نتلس سواك اللهم الا وكيلاً
عنك او نائباً لك يسير على نبراسك ويهتدى بهداك
أولست باقياً ببيت الامة بما فيك ومالك وما عليك وزدناه ساحة للخطباء
ومسجداً للصلاة ومضيفاً للزائرین

أولسنا نحن الذين كنا بين اصابع الموت فانتشلتنا من يد الجلاذ ومن قرارة
السجن ، فكيف تهب الحياة ولا تكون حياً ؟ لا . ان ما يقولون خرافة . ولكن
ما هذا الحداد وما ذاك السواد ؟ خلته أولاً ان السودان وسلخه ونكسه سيادة
القوى الغاشم على الضعيف المسالم . ولكن هذا النحيب وذاك الوجيب وهذا
الصمت الرهيب وهذا الحزن المذيب وهذا الموقف المشيب ، لوعة الشيخ الباكي
وحسرة العجوز المنتحبة ودمع الشباب الغزير ونحيب الصبية العميق وصراخ
الطفل المزعج وأنين الجنين في بطن امه واحمرار مدامع النيل بفيضانه ورعدة
الشرق بالزلازل وبلوى الامة بافتقارها اليك . كل هذا أخشى يأسعد أن يكون
مظهراً لما يقولون . ويا عظم ما يقولون . فان كان حقاً

من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت احاذر

* * *

كذا فليجل الخطب وليفدح الامر * فليس لعين لم يفيض ماؤها عذر
ان كان حقاً فسيبك كل مافي الوجود وكل مافي قاموس الكمالات وكل ما
في عالم الفضائل وسنظل نبكيك ولكن لن يجدي عنا البكاء ولن يعوض رزؤنا
فيك ولن نجد الى السلوان سبيلاً ولا الى الصبر منزعاً ولا الى الحياة بعدك غرضاً
ولا منها مفراً وسنقضها لك وفيك فاللهم ارحم غربتنا بعدك وآنس وحشتنا منك
وألم الامة عنه الصبر وأجزل لها فيه الاجر انك أنت أرحم الراحمين
وأنت ايها الراحل المائل الغائب الحاضر البائد الخالد تربع في كل قلب

واسكن في كل فؤاد

ومن عجب انى أحن اليكم * واسأل شوقا عنهمو وهمو معي
وتبكيهمو عيني وهم في سوادها * ويشكو النوى قلبي وهم بين اضلعي
لا ينتظم جمع الا عليك ولا ينصرف الا فيك ولا ينطق لسان الا بك ولا
يخفق قلب الا بذكرك ولا يفكر أحد إلا من خلال عقلك ولا ترى عين الا
بنواظرك ولا يتنفس متنفس الا بك وابق حياً في كل حي الى ان يرث الله
الارض ومن عليها والسلام عليك الى ان نلقاك ورحمة الله وبركاته . رضوان الله
عليك وتحيته اليك الى الابد السرمدي والخلود الابدی

خطبة محمد افندى شعر اوى

في مفلة الطلبة لتأبين الفقير

في هذا الموقف الرهيب تذكر البلاد زعيمها الاكبر وقائدها الاعظم . اليوم
تبكي البلاد سعدا نعم فقد طوى الموت جثمان سعد وما كانت تلك الصولة العاتية
لتلين لغير الموت . ولكن سعدا لم يكن شخصا يموت فيدرج في كفن . ولا جسدا
يدفن في قبر ولكنه كان ذلك الالهام الوطنى الذى يتصل شعاعه بالقلوب . كان ذلك
التاريخ الذى تتحلى بعظمته سير العظماء من قادة الامم . هو تلك الارادة الجبارة التى
كانت تستخف بآس الحديد . هو تلك الصرخة القاسية التى نفذت الى سمع العدو
من بين رعوده القاصفة وكتائبه المرصوصة . هو الذى وقف مع اثنين من خلصائه
وقته المشهورة يوم كانت الفتنة قائمة والشر ضاربا . فأكبره الاعداء على الاصغاء
الى نداء مصر . وحملهم على تجريد الجيوش للكفاح من جديد على ضفاف النيل .
وكان كيدهم له . وتنكيلهم به . كالخطب يلقي فى النار فيشعل لظاها . ويزيد

استعارها . ولقد نفوا سعدا فاقلمت البلاد وراءه بتلك الثورة التاريخية تطلب نصيبها من الحرية . وتحاول ان تقف في مكانها بين الاحياء . ذلك هو سعد ولقد يشتد بي الجزع حين اشعر بما كان لى منه خاصة فقد كنت اجلس بين يديه فلا يزال يبسط على من عطفه ويشد يدي بتشجيعه . ويؤنسني بحديثه . حتى لا اكاذ . انسى تلك الهيبة المطيفة بأساريه واتى كانت دائما تتمثل عليها اشباح هذه الثورة المخيفة ولقد يزيدني جزعا ما كان يذكره لابي من بلائه معه . ومكانه من نصرته وان العالم ليرقب عن كتب ذلك الفراغ الذي خلا بموت سعد . وان علينا معاشر الطلاب . وقد كنا نحن طلاب جنده وانصار جهاده ان نعيد لهم شبح هذه الثورة في ذكرى سعد وان نجعل هذه الذكرى ميراثا وطنيا تتواصى باحيائه وتتعاهد على الاحتفاظ به ليظل سعد على الابد شاخصا باقيا يثير حفاظ النفوس . ويوقظ نائرة الهمم . علينا ان نحسن الخلافة على سعد وان نمد ايدينا لبيعة انصاره . وان نرابط دائما لتجدة هذا الشعب الاسيف حتى يمتنع حماه . ويبلغ مناه

خطبة عبد المجيد افندى بدر

بمحفلة الطلبة لتأبين الفقير

سادتي اخواني

أنا لا أدري بأى عبارة يصح ان استهل الرثاء ومن أى باب من ابواب هذه العظمة الهائلة يجب ان ادخل اولا لتأبين الفقيد العظيم . فالامر فيما يبدو لى بحرج مترام عميق الغور بعيد القرار فمن أى شرعة نزلت لم آمن على نفسى الفرق ولم اضمن على حوافيها السلامة

فهل ابكيه باعتبارى ولداً من ابنائه يندب اباه الرحيم . وهل ارثيه بصفة

كوني جندياً من جنود الوطن وقف يؤبى قائده العظيم . أم اتفجع عليه كمصرى
روغته المنون فى فقد الزعيم . أم ارسل النفس حسرات عليه لانه كان مناط الآمال
ومعقد الرجاء ومبعث الايمان ومصدر القوة وملاذ الامة ومعاذ الحقوق
كل هذه الاعتبارات توجب له على حق الرثاء فهل انا قادر على ان اقضى
لسعد هذه الواجبات جميعاً ؟ أظن لا . بل أوكد لا . ومبلغ جهدى انى ما كب
عليه دمة سخينة ولكنها دمة من ذوب الفؤاد الكليم وعصارة الروح الوفية
ومن خلاصة النفس الحزينة

كنت فى بيت الامة ليلة انتهى الينا النبأ المشئوم وكنت فى نفر من رفاقي
نرتقب فى لهفة ان يشرنا الاطباء بان سعداً يتمثل الى الشفاء ولكن سعداً أسكت
الطب وأجاب دعوة الله واعلن انه انتهى
يالها من كلمة هائلة يتمت شعباً بأسره . كلمة واحدة أو حش الله بها أنس كل
حى وأنس بعدها وحشة الاموات

لم يكده ينعى الينا حتى رأيت من حولى يتفجرون من البكاء ولكنى أشهد
الله العليم على انى لم أدر ساعتها اين دمعى اذرفه مع الذين خروا من حوالى مجهشين
بكياً والحقيقة انى لم أدر ساعتها شيئاً

لكن أرايت الطير تندبجه فلا يدري من حدة السكين انه ذبح فهو يصيح
صياحه المعتاد وقد يمشى ايضاً مشيته المعهودة وما هى الا برهة حتى يدب الموت فى
اوصاله ويشيع فى جسمه ويطبق عليه من كل نافذة ويشعره انه احتواه فعند ذلك
يضرب الارض بجناحيه وترفعه عنها بقية من الحياة وتخطه اليها يد الموت الغالية .
وكذلك كنت

سعد احلى بسمة فى فم الزمان واينع زهرة فى رياض الامل عبست لنا الدنيا
وزالت الابتسامة وعصفت بنا المنون عصفة عاتية فاذبلت تلك الزهرة اليانعة
الزاهية . ليتها يا سعد طاحت بالالوف منا وابقت عليك

وشيعناه على رغمتنا وأهلنا بأيدينا عليه التراب ونحن الذين كنا ندود عنه
النسيم لو رأى الراحة في ان ندوده ورجعناه رجعة الايام تنفطر قلوبنا من الحزن
العميق وتغمرنا لجة من ماء الشئون واحتوانى شعور اليم بعده . وسرحت في تيه
من الذكريات وجعلت أنظر باحدى عيني موكب استقباله يوم عاد ومشهد توديعه
الى يوم المعاد فاذا عن اليمين وقفة تملأ الدنيا ضياء وعن الشمال رفدة تملأ الدنيا
ظلاماً وهنا جموع زاخرة تعج داعية له . وهناك أمة آسفة تضج باكية عليه .
وهتاف يسمو لا جواز القضاء ونشيج هو صوت تمزيق القلوب . وعيون يشع منها
السرور وآماق تفيض بالدمع الغزير ورقاب تشرئب للطلعة الجليلة وأعناق أمالها
الخطب الجليل . واذرع تلوح في الهواء من نشوة الفرح وايد تدق من فرط
الاسى كفاً بكف . وطريق الى بيت الامة ومسار الى دار البقاء

أنت يا سعد كنت فينا صريحاً ولماذا كتمت عنا الزمعا

رحلة لا رجاء في العود منها كيف تمضى ولم تؤد الوداعا

سبحانك ربى . هو هو موقفى الذى طالما قد وقفته لكن كل شىء فيه قد
تغير وبدلت فيه من قوتى بالكيان المتهدم ومن لسانى باللسان المتلعثم ومن سرورى
بالحزن العميق والعبرة الخائفة ومن جهارتى بالنبرة المختنقة

لو تمثلت اجتماعكم هذا قبل ان اجيب الدعوة اليه ما قبلت ان اليها مطلقاً
لانى اذ أراكم تتساقون الى الذكريات القاسية ولست أقوى على احتمالها
وكأنى أراه الآن مقبلاً بخطبكم . لكنه خيال . وخيال دق حتى تلاشى
فلست أرى الا النفوس الواجمة والوجوه الساهمة والقلوب الدامية والعيون الهامية
وصورة الموت الرهيب

وكأنى أراه الآن زينة اجتماعكم وفريدة عقدكم يصغى الى بكل سمعه فقد كان
عليه رضوان الله يحب ان يسمعنى وكنت أتمنى دائماً ان اخطب في حضرته وأقسم
ان سعداً كان يلقي بالله للوليد إذا خطب كما ينصت للخطيب الجليل الخطر لانه

كان يقر عينه ان ترى ناشئة البلاد كيف ينبتها الله مشربة بروح مبادئه مطبوعة على حب الوطن

وكان يختص الطلبة برعاية سامية ويحلهم من قلبه مكاناً كريماً ويوسع لهم من صدره ويفسح لهم مساحة الرأي لانه كان يطمئن الى براءتهم ويشق باخلاصهم ومنشأ هذا الميل فيه هو اعتقاده بأن المستقبل لهم وانه انما يجاهد لاسعادهم بتحقيق آمالهم

وترى بعضهم من حوله فتعجب لصبره على جدالهم وقرار نفسه اذا أقر في فؤوسهم ما يريد وكان يدور بعينه ليرى ضميراً قلقاً او عقلاً ثابتاً فيظل عليه حتى يتسقى الامر لديه وعندئذ يظهر الرئيس ارتياحه الا ان انصاره انما يناصرونه عن عقيدة مطمئنة ويقين ثابت مكين

وتجلس اليه فيبهرك ما نشره الله عليه من نورانية وجلال ويتحدث اليك فيخلبك ما يلقي عليك من البيان العذب والسحر الخلال وما يطلع به من الرأي الناضج والفكرة البارة

واحسرتاه . أصحیح اننا لن نراه . ولن نسمعه . ولن نلقاه في هذه الحياة مرة اخرى أى وربى انه لصحیح فلم تعد عيوننا لتراه ولا آذاننا لتسمعه ولكن قلوبنا معمورة بصورته مأنوسة بمبدئه مطمئنة بذكراه

ولئن طوى الموت جثمانه لقد نشر الله ذكره كتاباً نقرأه

فسعد هو الذى أيقظ الامة من سباتها وأشعرها وجودها وجدد فيها شعور الكرامة القومية وبعث فيها ميت الآمال . وألف القلوب وكانت شتى وسار بالامة فى اشرف سبيل الى أنبل غاية فى الوجود

وسعد هو الذى قوى العزائم فى محن السيامة وثبت الايمان فى فتنة العقول وأمسك الحق فى زلازل القوة . وبصر الامة بشرك الخداع

وسعد هو الذى احتمل على ضعف صحته عذاب التنفى والتشريد وتمنى ان

يموت في منفاه ليدكى في قلوب المصريين نار الوطنية المقدسة فكان بذلك أعلى
مثل في التضحية من أجل البلاد

وسعد هو الذى حدد لنا المبدأ وعين الغاية وحمل الراية وجاهد الاعداء في
سبيلها وتمثل للامة رمز أمانيتها العالية

وسعد هو الذى دان له الكل بالزعامة وقدموه للامانة . ووضعت الامة كل
أملها فيه وامتزج بدماء الناس حبه فكان ملء العيون ملء القلوب والاسماع
وسعد هو الزعيم الذى غمرت شخصيته كل من عداه ورفرت كل الاعلام
تحت بندة الخفاق

وسعد هو الذى وقف على رأس الائتلاف يرد عن الدستور معاول الرجعية
ويندود عن حوضه غول الاستبداد

وسعد هو البطل الذى عاش لنا ومات في سبيلنا بعد حياة حافلة بجلائل
الاعمال وجهاد طويل في طلب الحرية ورد الاستقلال

. وماذا عسى أقول فيه أبلغ مما قاله هو عن نفسه . اسم رفعه الله فوق الاسماء
ونور نشره على الارحاء

سعد هو كل هذا وفوق هذا . فهل ذهب هذا كله ؟

لا . لم يذهب من سعد الا جسمه . أما اسمه فعطر الافواه دائماً الارح وورسمه
زينة المهج ومبدأه خالد يتحدى سطوة الفناء

لم يكن سعد الا فكرة سامية ولو ذهبت الافكار في أثر أصحابها ما بقى على
الارض ولكن الاديان قائمة والافكار دائمة ومصالح الاشخاص دائماً للزوال

وعظمة سعد لم تسكن عظمة طارئة ولا هى جاءت آخر الزمان اتفاقاً ولكنها
عظمة نشأت بنشأته ونمت بنموه وتطورت تبعاً لاطواره في الحياة

فكان في الطلبة أنجب الطلاب . وكان في الشبيبة زين الشباب وكان في
المحاماة وردة بين الاشواك وكان في القضاء أعدل من حكم وكان في الوزارة خير

من وليها وفي الصدارة أعظم من تربع فيها وكان في الزعماء كابرهم وفي الاموات
أطيبهم ذكراً وأنه بهذه الذكرى لأعظم الخالدين
ومن آثار عظمته بعد وفاته انه كلما عبرت الايام على موته زادتنا الايام حسرة
عليه وشعوراً

ومن آثارها أيضاً ذلك المظهر الجليل الذي بدا يوم البيعة الكبرى فروح
سعد هي التي أملت على الوفد بيانه وثبتت أركانه ووجهت هيئته الى الراى الحنيف
وعقد اجماعها على أحسن اختيار وكذلك اضطلع مصطفى باعباء الخلافة وحقق
الوفد أمل البلاد وخيب ظن الاعداء وأحسن لهذه الامة العزاء وأقر روح الفقيد
العظيم في سماء الخلود

خطبة الاستاذ احمد فهمي ابو الخير

في مفلة نأبين الفقير بالخليفة بالقاهرة

أيها السادة :

هذا الجمع الحاشد أمامي وحولى يدل على الشعور الذي أثارته في نفوسنا تلك
المصيبة الداهية . هذه الوجوه التي تفيض عطفاً وحزناً ، والتي ترنو بإبصارها خاشعة
في جو هذا السراشق مدفوعة بعاطفة واحدة هي عرفان الجميل ، هذه الوجوه تعلن
في صمت أن خطبنا قد الزعيم الذي اختاره الله لجواره خطب جليل ملك علينا
قلوبنا وطبع فيها أثراً عميقاً

ونحن اليوم ما جئنا لنثبت في صحيفة سعد والسعديين أمراً غير معلوم أو
لنلفت الانظار الى شئ خفي وناحية مجهولة وانما جئنا لنقوم بحرمة الصنيعة ونؤدى
مفترض الآلاء نحو زعيم نهضتنا فنحي ذكره

أيها السادة : تعلمون أن سجل الاعمال العظيمة انما هو صدور الناس
وذاكراتهم وتعلمون اننا اذا احتفلنا بذكرى سعد لا بل اننا لو اقمنا له تمثالا عالياً
يتناطح السحاب فلن نبغ ما بلغته تلك الذكريات ولا تلك التماثيل الروحانية
المقامة في صدور الناس والتي نحتتها الحوادث في الذاكرة وعلى الاخص حين
تكون هذه الحوادث لا تزال ماثلة أمامنا ولكن الغرض من إحياء الذكرى انما
هو اظهار تقديرنا العظيم لكبير أبطالنا وبذلك تقدم لمبادئ نهضتنا أكبر اجلال
وأثبت تعظيم واحترام . فالناس أيها السادة . ليست لهم عقول فقط بل لهم أيضاً
خيالات ولهم أيضاً عواطف ومن الامور امور صامته ناطقة هي الدلائل المحيرة
والعبر الواعظة ولن يضيع عبثاً كل ما يبذل في سبيل توجيه العواطف الى الجهة
الصحيحة وفي سبيل فتح ينابيع الشعور الحق في قلوب الناس

وها نحن اليوم نجتمع في ظل تلك الفجيرة التي حزن لها الناس في مصر وفي
غير مصر بما لم نعهد له مثيلاً في التاريخ ففي مصر حزن وحزن في فلسطين ولبنان
وسوريا والعراق والاناضول وبلاد العرب شرقاً وفي طرابلس وتونس والجزائر
ومراكش وبلاد الفرنجة غرباً وفي بيوت العظماء والاغنياء كما في أكواخ المساكين
والفقراء توجع وأنين وتلك نعمة أفاءها الله على سعد ولن يبلغها إلا المقربون ولكن
يجب الا ننسى خلال هذا الحزن الشامل أننا لا زلنا في منتصف الطريق . أذكروا
اننا حتى الساعة لم نحظ بتحقيق آمالنا كلها واعلموا انه ستمر بنا ان عاجلاً أو آجلاً
أيام كتلك التي مرت على كل الامم التي تحررت . فالى سعد وذكري سعد وأعمال
سعد قد تتجه حينذاك أنظار أصحاب العزائم الخائرة والوطنية المزجاة وعندئذ
يتحقق هؤلاء ان رمز نهضتنا بما بث في نفوس الشعب وبما مهد له من الطريق وما
عبد لا يزال قائماً رغم مماته يسخر منهم ويهزأ بهم فيفنيقون من غمرة اليأس والضعف
والتردد . اننا لم نحظ بعد بتحقيق آمالنا كلها فاذكروا ان علينا ان نبقى كما نحن
الان كتلة واحدة ننود عن بلادنا حتى تتحقق تلك الآمال انظروا كيف بدل

الله من حالنا لقد كنا قبيل نهضتنا شيعاً متفرقة فألف الله بين قلوبنا بأن بعث
فينا سعداً زعيماً رفع راية الائتلاف فتوحدت الغايات والمناهج وانتهى الجدل
ومنحنا الله نعمة الائتلاف الاخير لا تقاذ الدستور من الرجعية فأثقتنا الدستور
وسنزيده رسوخاً وثباتاً وسنحظى باذن الله بنعمة الاستقلال

فلكى نحفظ بأملنا الواسع في الحصول على مطالبنا القومية علينا ان نذكر
سعداً وكبير جهوده وجميل صنيعه واعلموا انه لن تستطيع أى قوة في الوجود ان
تمحو من سجل مصر التاريخي ذكر سعده ومجيد أعماله وعظيم تضحياته فاصحه مقترن
بحرية البلاد في الداخل والخارج تلك الحرية التي أشعل لهاها وأوقد لظاها ولهب
ما الحرية إذا اشتعل فانه يبقى مستعراً ولن تستطيع أى الجهود اطفاءه فهو كالنار التي
في جوف الارض قد تتمد إلى حين . قد تغلب عليها مياه البحار قد تكبحها
الجبال الراسيات بالضغط ولكن قوتها الفطرية التي لا تقهر لا بد أن تغلب على
البحر والارض فتثير الماء واليابسة وتنحسر عن بركان تتفجر نيرانه ويرفع
لهبها نحو السماء

أيها المؤتلفون من المصريين : اعلّموا ان الآمال الوطنية أمامكم وان الرجعية
من ورائكم تطعنكم في الاقضية والظهور ، وليس شيء أقدر على تحقيق الآمال
وقتل الرجعية من ائتلافكم فغنوا هذا الائتلاف ما استطعتم ، وليكن لكم في
موت زعيم الائتلاف محك يصقل الهمم ويشحن النفوس وانهجوا في مجابهة
الوجعية والرجعيين نهج الزعيم الراحل ، فلطالما اصفرت من منازلته وجوه الخوة
الآثمين الحاثين في أيمانهم الذين أعنتهم نزوات الرؤوس وشهوات النفوس عن
خدمة الوطن ومصلحة البلاد

وأنتم ايها الوفديون ! كونوا كما كنتم وكما أنتم الآن كتلة واحدة . أطيعوا
زعيمكم الجديد ما أطعتم زعيمكم الراحل ، وكونوا منه ما كنتم من سعد بخضوعا
وطواعية في حدود الشورى ، فالجيش بغير قائد مطاع لا قيمة له ، والجند بغير

طاعة القادة لا يفلحون وان قسم الخليفة الذي يفخر بوفديته وسعديته والذي شرفت أرضه باحتوائها على قبر الزعيم الراحل ولو إلى حين ، ليعلم من جديد تعلقه بالوفد ورجال الوفد ويجهز بالبيعة فباسم لجنة الوفد الممثلة لقسم الخليفة ، بل وبالنيابة عن أهل هذه الدائرة أبايع الزعيم الجديد مصطفى النحاس باشا ، وهذى وفود الحى قد بايعت معى

أيها السادة

لقد مات سعد فاهتفوا من أعماق قلوبكم ليحى النحاس باشا خليفة سعد

خطبة سعادة الاستاذ احمد زكى باشا

فى حفلة تأيىن الفقير بالجيزة

الى السادة المحترمين اعضاء لجنة التأيىن بمديرية الجيزة

سلام عليكم ، وسلام على مصر !

وبعد

فقد كنت اتخذت اهتبي من اجل الحضور اليكم فى الميعاد الموقوت ، لمشاركتم فى الاحتفال المشهود ، الذى ستنجلى فيه دلائل الاخلاص لزعيم مصر على الاطلاق بل زعيم الشرق العربى بلا اعتراض ولا مرء

لكن ظروف تولدت فى آخر لحظة ، فحالت بينى وبين ما اشتهى

من اجل ذلك ، لجأت الى البريد المستعجل ، لاوافيكم بنفثة عن فؤادى ،

وبنبذة من صدرى

ففى سماء الاسكندرية التى تحب « سعدا » والتى كان سعد يحبها ، رأيت

روح « سعد » ترفرف على الجيزة من أعلى عليين ، وهى رافلة فى حلل النعيم المقيم
رأيتها وهى تطل من سماوات الملايك على الاهرام وعلى ابناء بناء الاهرام ،
مفتحة فى قلب النيل شعاعا من الامل ، وقبسا من نور الهداية والتوفيق
رأيتها ، وهى تنهذى بين الملايك بالبشر والسرور ، لبقاء الوفد على العهد ،
حينما ظهرت على يده آية الوطنية الكبرى باجماعه (وباجماع الامة من ورائه) على
اصطفاء المصطفى الذى هو اقوى قدیر على تولى الزعامة ، واكبر جدير باستلام الراية :
لرفعها خفاقة ترمقها العيون وتتجه اليها القلوب ، وتسير الامة كلها تحت ظلها

كأنى بهذا الروح الطاهر يناجى خليفته ويناجى امته باختتام الحداد ،
لاستئناف الجهاد فى سبيل مصر والسودان
ويقيني انهم سيكونون كلهم عند حسن ظنه بهم ، بعد ذهابه الى جوار ربه فى
الرفيق الاعلى وانهم باقون كما كانوا فى ايام حياته الغالية : يتسابقون الى السماح ببذل
الارواح عند اقل تضحية من تضحياته فى مصلحة امته وبلاده
فكيف بهم اليوم ، وقد ضحى بحياته لحياة الوادى كله ؟
ولئن ذهب « سعد » بجثمانه ، فان فكرته باقية : ببقاء خليفته ، ببقاء الوفد
ببقاء الامة كلها .

ايها المصطفى ويارجال الوفد
ان مصر الخالدة تنووا اليكم ، وتنظر الينا ، ونحن كلنا يد واحدة وقلب واحد
انها تنتظر منكم ان تسارعوا وتأمرونا بكل قربان لصيانة الدستور (على ما به)
وهى تترقب صنيعكم وسرى عملكم من اجل استكمال الاستقلال حتى يكون حقيقيا
بكل معنى الكلمة

انها عرفت ماهية ذلك الاستقلال الذى « لاشك فيه » فكان محلا

لكل الشك فيه

ولقد ادركت كنه الاستقلال الموصوف بانه « تام » فاذا هو كلام في كلام
فاما الاستقلال الحقيقي الصحيح . فهو الذي نرجو ان يجي على يدكم في هذه
المرّة ويد الله فوق ايديكم .

قالى العمل !

ونالى الامام !

خطبة الاستاذ تادرس اقلاديوس

في الكنيسة القبطية الارثوذكسية بأسبوط

مات الرجل والرجال قليل . مات سعد ولا يوجد في مصر من استكمل مزايا
سعد . نعم صمت لسان مصر الناطق . وسكت قلبها الخافق فأى لسان غير لسانه
يستطيع رثاءه . وأى بيان دون بيانه يجزأ على وصف مزاياه . فيا لعظم المصاب
على فاجعة لم تترك فؤاداً الا وجرحته

ويا لهول الموقف من فادحة لم تمر على قلب الا ومزقته كيف لا وهذا سعد
الذى يتغنى بذكره الرجل فى مصنعه ومزرعته والسيدة فى خدرها والطفل فى
حجر أمه . وهو الخطيب الذى كانت تهتز لكلماته المنابر وتتغنى من أقواله
المقول

نعم هذا سعد العظيم سطا عليه الموت كما يسطو على أى انسان وضعه القبر
ملتقاً فى الا كفان ووفاه القضاء المحتوم وليس لقضاء الله من مفر
ونحن اذا بكيناه اليوم قائما نبكى أخلاقاً سامية تجلت فى حياته وآداباً راقية
رفعت بين قومه الى السماء . فكان مثلاً أعلى فى قوة ارادته وما قوة الارادة الا

هبة من المواهب الالهية الكامنه فى الانسان وما القوى فى ارادته الا من يكون
لنفسه قانوناً وشريعة ونظاماً .

هو ذلك الذى يعلم علم اليقين انه اذا نزل على رأى غيره وعمل بأمره وخضع
لسلطانه عطل ارادته التى تحركه والتى هى هبة من هبات العزيز الحكيم . من ذا
الذى ينكر على فقيد الامة ان كان فى طبيعة من زكت قوة ارادتهم واشتدت فى
نفوسهم قوة الاستقلال فى الرأى ??

نعم نيكبه لانه كان عظيماً . عظيماً فى عقله . عظيماً فى فعله . عظيماً فى اخلاقه
الوطنية . عظيماً فى كفاءته النادرة . عظيماً فى نزاهته وبعده عن الدنايا التى تعيب
الوجال . حرّاً من النقائص التى تزرى بشرف النفوس . نيكبه لانه كان شديد التمسك
بالمبدأ الذى يعتقد عن اخلاص بانه الحق الذى لا يصح العدول عنه . كان شريف
النفس لم يلوثها بنقص ينقص من مقام الانسانية الصحيحة وقد كانت له أيام بارزة
فى حياته وستبقى كذلك بارزة فى حياة الامة التى جاهد فى سبيل خدمتها تذكرها
له الاجيال المتعاقبة

كان عظيماً فى حياته وكان كذلك فى مماته لأنه يندر أن يقوم رجل بين أمته
تحتفل بوفاته احتفالاً يفوق فى جلاله وتأثيره ما كان لفقيد الامة أو يشابهه أو يقرب
منه وذلك من أعظم الأدلة على ما كان للفقيد العظيم من مكانة سامية ومركز دقيق
ليس له شبيه ولا مثيل .

ويحق لنا نحن جماعة الاقباط بنوع خاص أن نيكبه ونسكب عليه بدل الدمع
دماً لأنه الرجل الوحيد الذى نادى بالوحدة الوطنية لافرق بين مسلم ومسيحي واسرائيلي
من أبناء الوطن وهو الذى سعى جهده فى محو الفوارق الكاذبة (التى لا يسعى اليها
الامن لا يعرف آداب دينه ولا يفهم معنى للوطنية الصحيحة)

متخذاً القومية المصرية علماً للجميع وما كان أشد تألمه حين كانت تبلغ
مسامحه ويأجبذا لو أمهله الدهر قليلاً حتى يرى بعينه ويحس بيديه ثمار ما غرسه

يمينه من غرس صالح

ويعجبني ماقلته عنه جريدة المقطم الغراء في عددها الصادر في يوم الخميس ٢٥ أغسطس في وصف مزايه تحت عنوان سعد والتعصب الديني (إنه كان مسلماً شديداً العقيدة بدينه يفتخر بانتسابه للأزهر ولكنه كان رسول الوطنية أدرك عن حق وبعد نظر ما فعل التعصب الديني في أمم الشرق وفتح الأبواب لتدخل الاجنبي قآلى على نفسه أن يصلح هذا الفساد ويظهر مصر من جرائمه فظهر بالعمل والقول انه لا يميز بين المسلم والمسيحي واليهودي في خدمة البلاد وان مما يذكرك عنه من الاقوال التي تم عما كان يكتنه في قلبه الطاهر ان جماعة من الاخوة السوريين المتصرين زاروه بعد تأليف مجلس الشيوخ شاكرين على تعيينه ثلاثة من السوريين المسيحيين في المجلس فكان جوابه اني لأعرفهم بهذا الوصف بل اني أعرفهم مواطنين مصريين وعليهم أن ينهضوا بعبء العمل كما ينهض اخوانهم من سلاله المصريين القدماء انتهى ملخصاً)

وهكذا جاء هذا المديح والوصف الصحيح في معظم الجرائد نذكر منها على سبيل المثال بعض ما ورد في جريدة كوكب الشرق الغراء في عددها يوم الاثنين ٢٩ أغسطس سنة ١٩٢٧ منقولاً عن جريدة لاريفورم حيث قالت : —

(وكان سعد باشا هو الرجل الذي كانت مصر في حاجة اليه بإيجاد الوحدة الوطنية وتحقيق آمال الامة ولهذا نودى به زعيماً للامة اتدعى أيضاً ملخصاً)

نحن لا نتذكر ان الموت حق مصلت على الرقاب ولا بد لكل ذى حياة أن ينوق الموت ولكن مما لا ريب فيه ان موت العاملين النافعين خسارة لا تعوض ولذلك كان قد الوطن رجلاً نافعاً حكماً قوياً نادراً مثل سعد تمضى الاعوام الطوال حتى يقوم من يملأ الفراغ الذي حدث بموته خسارة فادحة لا تقدر .

الله نسأل أن يعزى الامة المصرية جمعاً على نفسه ويمطر على الفقيد غوث الرضوان ويلهم الجميع الصبر والسلوان ويهيئ لهنه الامة الاسيفه من يأخذ بيدها

في سبيل سيرها الى الهدى ويوحد بين صفوفها ويضم شمل جموعها ويعمل ما فيه خيرا واسعادها حتى نستطيع أن نقول مات سعد فلتحي مبادئ سعد .

خطبة الانبىة امينه السرجاني

على قبر الفقير وبين يدي ام المصريين

في ظلام الليل الدامس نعي الناعي سعدا وما علم انه نعي للامة اعز ابنائها ورافع علمها . فلا كانت تلك الليلة المشئومة التي قادت الامة فيها رمز امانيتها نعي الناعي سعدا . فنعى العزيمة والحزم والعبقريه . مات سعد فياهول المصاب . وبالفداحة الخطب . لقد كان سعد لسان الامة الناطق وقلبها الخافق فهجرها الى مقره الاخير وترك في كل قلب حسرة وفي كل نفس لوعة وفي كل فؤاد حرقة . . . بكته مصر . واذا ما بكته فانما تبكي رمز امانيتها وعلم وطنيتها ورجلها الاوحد وابنها البار وباعث الالباء القومي

فزعت مصر . وكان حقا أن يقابل المصريون هذا النبأ بالفرح الاكبر وأن يعزى كل منهم الآخر فلم تكن مصيبة موته لفرد دون الآخر . بل مصيبة اشترك فيها المصريون على السواء . . الكل اذهلهم الخطب فباتوا واجمين كأن على رؤوسهم الطير حتى اذا ما رأيتهم حسبتهم سكارى وما هم بسكارى ولكن هول الخطب شديد من المصريين سمع هذا النعي ولم يرتجف فؤاده ولم تسل عبراته ولم يذرف دموعه حزنا على هذه الفاجعة التي حصلت في وقت نحن أحوج ما نكون فيه الى من يقودنا نحو الغاية التي نبغيها؟؟

اللهم رحمة بنا وأسبغ علينا صبرا من لدنك إنك أنت الرحمن الرحيم
لقد كان سعد عظيما في منبته فكان المحامد التقدير الذي ينتصر للحق دون

الباطل وكان القاضى العادل الذى رفع لواء الحق وكان الوزير العظيم صاحب
الهمة العالية

تقلد وزارة المعارف فخدم أمته بتحويل الدراسة الى اللغة العربية رغم معارضة
المعارضين فصلح بذلك حال الطلبة والطالبات وعادوا الى لغة بلادهم بعد ان كادوا
يكونون عنها غرباء وكفاه ذلك شرفاً . ثم كان وزيراً للحقانية فلقب بحق ناصر العدالة
فى مصر . ثم وكيلاً للجمعية التشريعية وإذا به سعد زغلول رئيس الامة العظيم حامل
لواء النهضة المصرية وزعيم الحركة الوطنية وقائد الامة فى حركتها الاستقلالية
فما فترت له عزيمة ولا وهنت له قوة ولا لانت قناته لغامز فلا القوة فى غطرتها ولا
السلطة فى غشمتها بمخيفة سعد زغلول أو محاولة إياه عن دفاعه عن حق أمته زلا
ثانية من عزمه فى القول باسمها ولا التصريح بحقها ولا الاحتفالات فى عظمتها ولا
الاستقبالات فى فخامتها وإذا الشعب حاشد ذات اليمين وذات الشمال يحى سعد
وينادى باسمه ويهتف له بدافع الغرور الى نفسه . فهو فى كلتا الحالتين سعد زغلول
ابن مصر البار ورمز الاستقلال التام .

فيا أطباء سعد أخاتكم علومكم فما وجدتم لدائه من دواء ؟ ويا مرض سعد
ألم يكن أمامك أربعة عشر مليوناً من الناس يقدمون أنفسهم فدية عن سعد ؟
فى ذمة الله أيها الراحل الكريم وفى جنة الخلد والنعيم . وإلى أم المصريين
أقدم عزائى بالنيابة عن السيدات على هذا المصاب العظيم الذى تسكل من حمله
الجبال ولكن ما العمل وقد قال الله تعالى (كل من عليها فان) فلنا الله بعنه ذلك
فهو الكفيل واليه مرجعنا فهو . ولانا ونعم النصير



النشادات

نداء أم المصريين

صاحبة القصر صفيّة هانم زغلول

أبنائي وأبناء وطني

لو كان سعد الذي اختاره الله لجواره سعدى وحدى لشكرت لكم جميل العزاء في فقدته ، وحسن المؤاساة في خطبه ، ولكنه كان سعد مصر وابنها وقائدها وأمينها . المصاب فيه مصابكم ، والبكاء عليه بكاؤكم ، فان كان لي من حق الشكر نصيب استقل به قائما يكون ذلك بقدر ما نالني من بره وعطفه ، ومن شرف اسمه وقربه ، وبقدر ما لقيت من التشریف والتكريم منكم ومن حكومة الشعب لتلك الصلة التي جمعت بيني وبينه . فان أذتم لي بهذا النصيب فتقبلوا مني شكراً يضيق القلب بكتمانه ويعجز اللسان عن بيانه .

أبنائي أبناء وطني

ما كان سعد الا فكرة سامية وهي بحمد الله باقية ذاكية فلئن غاب عنا شخصه المحبوب قد بقيت لنا ذكراه الغالية و « الذكري تنفع المؤمنين » ولئن برح بنا الالم لفراقه لتتخذن من هذا الالم حمية وبأساً ، ولنجعلن منه حاجزاً وحصناً حصيناً قائما الالم النبيل قوة تزكي العزائم ولا تخمدنها ، وتستحث الهمم ولا توهنها . ولئن حق له علينا الوفاء فقد وجب علينا أن لا نهجر الامل فهو غراسه ، والا نكون الا عند ظنه بنا ورجائه فينا ، ثم عمله ، وتقيم فوق أساسه ، ونذكر مصر ولا نذكر شيئاً غير مصر . فهي مبدأنا ومنتهانا ، واليها والى الله مرجعنا ومعادنا ، ويومئذ نجد سعداً بيننا بل نجد سعداً في كل عامل لوطنه وكل غيور على حقوق بلاده . فان سعداً الذي نحبه

ونصون عهده هو القضية التي نسهر عليها ، وهو الحرية التي ننشدها وهو الاستقلال
الذي نه نحيا وعليه نموت
أبنائي وأبناء وطني

ان مصر تنظر اليكم فولوها نظرة وأصيخوا اليها بسمعكم وانها لن تضيع عندكم
دعاء . فلا يكن نصيبها بعد اليوم منكم الا كنصيبها في كل يوم من أيامه . لقد مات
سعد فلتحي مصر ، ومات زعيم الامة فلتحي الامة ، ومات رمز الامل الوطنية
فلتحي الامل الوطنية . ولنحمل نحن اللواء مر يحين رافعه غير وانين ولا وكين . والله .
الذي يكفل مصر بعنايته الوافية هو المسؤول أن يلهمنا الصواب ، ويعوض هذه الامة
خير العوض ، ويفتح له باب رحمة ونصره انه خير مسئول وهو خير مجيب
صفية زغلول

بيت الامة في ٢٩ صفر سنة ١٣٤٦ — ٢٧ أغسطس سنة ١٩٢٧

نداء فتح الله بركات باشا

ما كان الفقيد العظيم المغفور له سعد زغلول باشا رجل أسرته بل كان رجل ؟
أمته فان كانت الامة قد حزنت لفقده ولبست الحداد من أجله وهبت رجلا واحداً
لتشييعه قائما شيع كل منها قعيده وليس لأحد أن ينفرد في ذلك بشكر يقدمه لآخيه
ولكن مع هذا أرى واجباً على أن أشكر باسمي وباسم باقي أسرته لهذه الامة
الكريمة انها حملت معنا المصائب كما حملناه . وأبدت لنا من العطف ما خفت عنا
بلواه . وكانت في كل ذلك سامية يشهد لها العالم بالنبل وجليل الصفات
. وأشكر في الوقت نفسه للجاليات الاوروبية وللبلاد الشرقية أنها واستنا
وجاملتنا بأرق أنواع العزاء

نسأل الله أن يلهمنا جميعاً الصبر والسلوان محمد فتح الله بركات

بيت الامة في ٢٩ صفر سنة ١٣٤٦ — ٢٧ أغسطس سنة ١٩٢٧

نداء الوفد المصرى

أيها المصريون :

لقد نفذ قضاء الله جلت قدرته، فمات سعد زغلول ، وجزعتم على فراقه باكين
محزونين ولكن الله فى رحمته أبى الا أن يشرفكم فى زعيمكم ميتا كما
شرفكم فيه حيا، فمات كما عاش مجاهداً فى سبيل الحق وكان له فى الدارين أجر
المجاهدين

مات سعد ، فتساقطت عليه نفوسكم ، وكادت غلبة الحزن تذهب بقلوبكم
وخيل الى البعض أن آمالا كباراً عاشت فى صدره قد ماتت بموته ونزلت معه
الى قبره . . .

ولكن حاشا للأمة ولذكرى الزعيم مما يتخيلون ، فان سعداً بموته قد قضى
مستقبلا وجه البقاء وأن آمالكم التى تمثلت فى شخصه قد خلدت روحه فلم يعد
فيها مطمع لأحكام الفناء .

والوفد المصرى وان تضاعفت نكبته فى رئيس هيئاته وزعيم أمته ليستمد
من روح الفريد قوة يتقدم بها اليكم معزيا ومذكراً ولن يجمل عزائكم الا اذا
أحييتم ذكرى سعد فى قلوبكم وفى أعمالكم

ويرى الوفد من أقدم واجباته أن يتقدم الى أم المصريين وشريكة سعد
فى حياته وجهاده بأصدق عبارات العزاء والولاء ذا كراً لها ما بذلت من تضحية
وعاملاً معها على تحقيق غاية سامية تهدست بموت زوجها الزعيم

ويرى حقاً عليه أيضاً أن يقدم العزاء لأسرة الفريد وأن يشكر للأمة على
اختلاف طبقاتها والحكومة المؤتلفة التى شعرت بشعورها ما تجلى من مظاهر الاخلاص
والأجلال فى تشييع الراحل العزيز الى مقبره وما اتخذ من قرارات لتخليد ذكره

أنها المصريون :

ان الوفد المصرى . وقد كان أول مظهر لتهضمتكم واجراً وثبة الى مجدم لايزال باقياً وسيدقى مقياساً لهوتكم وعنواناً حياً لجهادكم . ونواة لوحدتكم . ولسان صدق لآمالكم وآلامكم

لقد فجع الوفد فى رئيسه ولكنه لايزال حياً قوى الحياة بأمنته . واحداً فى كتلته . أميناً على عهده . وفياً ليومه ولغده . كما كان وفياً لأُمة . باذلاً كل جهد حتى نفسه . ولن يترك ميدان الشرف حتى يتحقق مجد البلاد باستقلالها صحيحاً وحريةً كاملة

ولن يكون للوفد عهد سوى العهد الذى عاش ومات عليه سعد . فاصبح فى عنقه عهداً مستولاً . وهو السعى لاستقلال البلاد حينما وجد اليه سبيلاً .

لقد فصل الرئيس مبادئ الوفد فى برنامجهِ وبياناتهِ وسيعمل الوفد على تحقيقها بكل ما أوتى من قوة ناهجا نهج رئيسه متجها على الدوام الى رأيتهِ . مستعيناً بالله وبالإمة على تأدية واجبه

وستظل خطته كما كانت من قبل وهى الجهاد فى جومِن المودة والصفاء فما كانت الوطنية بغضاً أو خصاماً بل محبة ووثاماً

ان الوفد وهو مثال وحدة الشعب لن يألو جهداً فى توثيق تلك الوحدة المقدسة وتمكينها من نفوس الإمة جميعاً وسيكون لصيانة الدستور وائتلاف الأعراب المكان الاول من نفسه ومن عزيمته

وسيتابع الوفد سياسته فى تمكين صلات المودة بين مصر والامم الاجنبية عامة والإمة الانكليزية خاصة ذا كراً للكثير من تلك الشعوب وجالياتها فى مصر — ولشعوب الشرق على وجه أخص — ما أظهرته من عطف على الإمة فى مصائبها وتقدير صحيح اعظمة رجلها الذى كان عظيماً بإنسانيته كما كان عظيماً بمصريته



أيها المصريون

ان العالم ليرقب قوة نهضتكم ومتانة اتحادكم والحوادث واقفة بالمرصاد لامتحان ثباتكم وروح الزعيم العظيم لن تطمئن حتى تبرهنوا للناس انه كان عظيما بكم
الا أن الشجرة التي اثمرت سعداً لا تزال بأسقة تؤتي اكلها كل حين باذن ربها وهي هي الشجرة الطيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء

بيت الامة في يوم الاثنين ٢٣ ربيع الاول سنة ١٣٤٦ (١٩ سبتمبر سنة ١٩٢٧)
حمد الباسل . مصطفى النحاس . مكرم عبيد . على الشمسي . محمد فتح الله
بركات . مرقص حنا . محمد علوى الجزار . مراد الشريعى . محمد نجيب الغرابلى .
نخري عبد النور . زاعب اسكندر . مصطفى بكير . حسين هلال . ابراهيم راتب .
محمود فهمى النقراشى



نداء رئيس الوفد المصرى النحاس باشا

الى الامة المصرية الكريمة

أيها الامة الحزينة : فجعت فى سعد أبر أبنائك ، حامل لوائك ، ومجمع وحدتك
وناشر عظمتك ، والمدافع عن إقضيتك ، فكنت فى حزنك الرهيب حريصة
على مبادئه حفيظة على ما أورثك من حكمة وحزم ، متلغثة الى وفدك بثقة كاملة ،
ويقين عظيم

ثبات برويه الايمان بقضاء الله ، وتماسك بشدة الاعتصام بجبل الله ، كرمت
أمة أنجبت سعداً ، ومجده حيا مينا

أيها الامة العظيمة : ندينى الوفد المصرى لحمل رايته ، وموصلة السعى معه
لتحقيق غايته ، فاستعظمت مقاماً جليلاً . واستشعرت من نفسى ضعفاً وقصوراً .
ولكنى أمام إجماعه الرائع لم يسعنى إلا النزول على ارادته ، معترأ بقوتك مؤزراً بتعضيد
ممثليك الكرام شيوخاً ونواباً . مستمنحاً رعايتك ، جاعلاً نصب عينى ما أورثنا سعد
من وحدة وثق عراها وكرامة أعزها وحماها ، ودستور كافح الثورة المشبوبة عليه
وحكمة خاطب بها الشعوب ، وود أسكنه جميع القلوب .

أيها الامة الكريمة : لقد أوليتنى فضلاً سابغاً ، وحبوتنى كرماً غامراً ، فهذه
الرسائل الحكيمة ، والبرقيات البليغة ، إنما هى ذوب المواطف النبيلة وعصارة الايمان
الوطنى ملأت شعاب قلبى ، ولا مست مكان الاقدام من نفسى ، وتلك الوفود
الكاثرة التى بعثت بها الى بيت الامة لتعمر جوانبه وتشد أزرى ، وتواسى ام المصريين
فى فجيعتها الفادحة أرتنى الوطنية فى جلالها ، والاخلاص فى سموه . فما أكرمك فى
احسانك المشكور . وبرك المحمود .

أيها الأمة الرشيدة : لقدوجب علينا أن نتواصى بالحق وان نتواصى بالصبر ،
فينصرف كل مصرى الى عمله ، مشكور المسعى ، واسع الامل ، كبير الرجاء ، ثبت
الله قلوبنا وطيب ثرى قهيدنا وكلاً بحياطته مصر الخالدة رئيس الوفد المصرى
مصطفى النحاس باشا

بيت الامة فى يوم الاثنين ٧ ربيع الثانى سنة ١٣٤٦ : ١٣ اكتوبر سنة ١٩٢٧

نداء الاحرار الدستوريين

الى الامة المصرية الكريمة

يتقدم الاحرار الدستوريون الى الامة المصرية الكريمة بأخلص عبارات
العزاء عما دهمها من فجعة بقتد زعيمها العظيم سعد زغلول ، كما يتقدمون بمثل هذا
العزاء الى الوفد المصرى عما حل به من مصاب بوقاة رئيسه الجليل ، وإلى اسرة
القعيد الكريمة عما أصابها بقتد عميدها الكبير ، راجين ان يكون للامة من
المثابرة على العمل لتحقيق آمالها وآمال القعيد الراحل خير عوض ، وللوفد من
تأسيه وقيامه على سيرته أكبر السوى ، وللأسرة من نحر هذه الذكريات عون
على الصبر الجميل



ومجدد الاحراز الدستوريون عهد الائتلاف الوثيق مرسلين صوتهم بين
الامة بتأييد الدعوة الى الوئام ، فإن هذا الائتلاف هو أمضى ما عرف من أسلحة
الحق وأسد ما نلجأ اليه من طريق يثبت لهذا الوطن الكريم حريته
واستقلاله الصحيح

وسيكون الدستور ، وهو الثمرة الاولى لجهاد لم تضن الامة فى سبيله بما

يتطلبه من بذل وتضحيات ، أوفر نصيب من عزيمة الاحرار الدستوريين
وسيفلون حريصين أصدق الحرص على الائتلاف إذ هو وحده الذى يصل
بالامة الى مطمحها الاسمى وضالتها المنشودة

عن الاحرار الدستوريين

محمد محمود

نداء الحزب الوطنى

يتقدم الحزب الوطنى الى الأمة المصرية بواجب العزاء فى القيد الأعظم
والزعيم الأ كبر المغفور له (سعد زغلول) ويرى فى وفاته لاسمها فى هذه الظروف
المرجة التى تقطعها البلاد كارثة وطنية كبرى ويسأل المولى أن يضاعف روحه
العزيزة الثواب جزاء وفاقا لجهاده الخالد فى سبيل البلاد

لجنة الحزب الوطنى الادارية

نداء الشيوخ والنواب

الى صامية العصر اسم المصريين

عزيز علينا أن نتقدم اليوم الى بيت الامة بعد أن خلا من سعد حاملين
العزاء إلى شريكته فى جهاده وعذابه . وشريكة البلد فى حزنه ومصابه
أيتها السيدة الجليلة

لقد وضع سعد الحجر الاول فى بناء القومية المصرية . وجعل النيل أمة
واحدة شعارها الاستقلال التام . وصفها من خلفه صفاً واحداً وهو الامام . فسارت
نحو الناية وهو هادياً وسعت الى النهاية وهو حادياً . قاد صفوف الاستقلال الى
مواطن الشرف . ومهد طريقه وألان صعبه . وجعله غاية قريبة بما بذل من

تضحيات باق على الدهر ذكرها وما وطد من دعائم خالدة في القلوب أثرها
وكان سعد للدستور أباً صانه وحماه . وكلاًه ورعاه

أول فاتح للبرلمان . أول صوت هز أعواد منبره صوته . وآخر صوت دوى هذا
العام في أركانه صوته . فقد أبى القدر إلا أن يجعل منبر البرلمان آخر منبر يرقاه
سعد خطيباً . فقد اعتلى ذروته في ختام الدورة الأخيرة فأرهفت الاسماع . وما
كان يدور بخلدنا أن نسمع منه خطبة الوداع .

وضع للبرلمان تقاليده . ورسم خططه . وسن قواعده . ورفع منبره . وأعلى
ذكره . وأسبغ عليه من جلاله احتراماً . وكساه من وقاره اجلالاً واعظاماً . ففي
أحضان تجاربه وحكمته وفي ضوء المجد الذي كان يشرف علينا من منصته علمنا
منه القول كيف يسدد . والكلام كيف يحدد . والغاية كيف يقصد

كان في منصة الرئاسة ميزان عدل لكل قائل وخطيب . ومثارة للبعيد
والقريب . بعد نظر في بديهته صادقة . وقوة عزم في شيخوخة . وعظمة في مضاء .
قول معجز في لفظ موجز . وحكمة بالغة في حجة دامغة . نور أفاضه الله على جميع
الأنحاء . تختلف الآراء وتنتهي إليه . وتتزاحم الخطباء وتسكن لديه

مبادئ وتقاليد صالحة منها لنا سعد . فلها من عظمت الخلود . ولها من اسمه
السحر تلقيناها عنه صحفاً خالداً مقدسة كودائع القديسين ومخلفات الصالحين .
ومستبقى أبداً نوراً ونبراساً لكل من يتولى شرف النيابة في الاجيال المقبلة
أيها السيدة الجليلة

في هذه الساعة التي يشملك فيها حزن عظيم وبرعى سعداً رب كريم .
نتقدم اليك متبادلين العزاء بمجددين عهد الوفاء . مقسمين أن نعمل لاستكمال
الاستقلال التام ما حيننا ونصون الدستور ما بقينا في صفوف متماسكة ووئام تام
أيها السيدة الجليلة

ما كان سعد لنا ولا لك . ولكنه لله والوطن . ولقد أعطى الوطن ما ملك

من جرأة واقدام . وتضحيات جسام . وعزم يفل الحديد . وظل يسخر كل هذه
المواهب العظام لخدمة وطنه حتى أدركه الموت وهو شهيد
فليطمئن في مستقره ومقامه فبعده أمة لا تنسى له عهداً . فسلام عليه في
حياته ، وسلام عليه في مثواه

نداء الطلبة

قضى سعد . وانتهى مآتم سعد . وضاع أملنا في سعد . وخاب رجائنا من
سعد وانتظرنا سعداً حتى أعيانا الانتظار . يعز علينا ان نصدق انه مات . وأنه
لن يخرج الينا ثانياً . ولن يخطب فينا بعد الآن . ولن نرى وجهه بعد اليوم .
عزيز علينا يا سعد أن نشيعك من بيت الامة مركز الجهاد والكفاح الى مقر
السكون والخلود

عزيز علينا أن نشيع بأنفسنا رمز أمانينا . وندفن بأيدينا محط آمالنا .
ونوارى تحت أطباق الثرى عدة مستقبلنا وعنوان استقلالنا . عزيز على الجنود
ياسعد أن يفقدوا قائدهم . ويصعب على الابناء ياسعد أن يتركوا والدهم وعلى الرغم
من المصريين ياسعد أن يبتروا عضدهم وساعدهم
عزيز علينا ياسعد أن نرى عرين الاسد خالياً بعد أن زلزل بزثيره الحصون
وأرهب القلاع عزيز علينا ياسعد أن يستلب منا سيف الوطن ونحن نشهد استلابه
خاشعين عاجزين عن رده عزيز علينا يا سعد أن يخمد صوت عجزت عن إخماده
النار والحديد ولم يسكته النفي والتشريد عزيز علينا ياسعد أن نفقد لساننا الناطق
وسهمنا الصائب وحصننا الحصين وركنتنا المسكين

تركت الامة ياسعد وهي من اكبر كبير إلى أصغر صغير تشعر بشعور واحد
شعور اليتيم دفن والديه ثم عاد إلى العالم لا يجد له نصيراً

لقد علم ياسعد من لم يعلم انك كنت طوداً عظيماً تصد عواصف السياسة عنا
وهاهي بعد قدك تنذرنا بالهبوب . لقد علموا ياسعد مكانك وقدروا منزلتك
وفهموا مركزك بعد أن توارى شخصك وتوارت معه غشاوة احقادهم لهذا
الشخص الكريم

لو كنت تفتدى ياسعد لقدمت الملايين اليك فداء ولو كنت تسترجع
بالجهاد لكانت دون موتك الارواح وسالت الدماء ، ولو كان المعتدى عليك امة من
الامم أو حكومة من الحكومات لشتتناها ايما تشيت ومزقناها كل ممزق ، ولو أن
أبناء الفراعنة الذين اجتمعوا في صعيد واحد لتشيعك صرخوا صرخة واحدة
لذكوا الاطواد وزلزلوا الوهاد ولو كانت تنفع الضحايا لذبحت أمام نعشك
فلذات الا كباد

تلك امتك ياسعد التي تحبها وتحبك قد جاءتك مناديه اياك متوسلة لك
هاتفة باسمك متطلعة اليك فهل أنت مجيب ؟ . !

اللهم قد أعيانا الصبر وعز علينا الامر وضاع مفتاح ثمرة جهادنا وممسك
أزمة قيادنا

اللهم هذا والدنا قدناه وقائدنا دفناه مكرهين غير مختارين اللهم تولنا برعايتك
واحسانك وتعنده برحمتك وغفرانك ربناذهب درعنا فلم يبق الا درعك ، وانهم
ركننا فلم يبق الا ركنك ، وضاع محط آمالنا فلم يبق لنا أمل الا فيك ، كل سيفني
وما عند الله خير وأبقى
أبناء الوطن

مصابنا عظيم ورزؤنا جسيم ونحن الآن أضيع من الايتام وتلك أعاصير
المستقبل قد آذنت بالهجوم وأبواب الجهاد قد فتحت على مصاريحها ولم يبق لكم
والله إلا الصبر والجلد — من كان يخلص لسعد فان سعداً قد مات ومن كان يخلص
للوطن فان الوطن باق لا يموت ، وان سعداً وان غاب عنا بجثمانه المبجل فلك روحه

الطاهرة ترفرف فوق رؤوسنا ونفسه العالية توحى الى نفوسنا وهذه عينه القوية في غير ما تعصب تنظر إلى أعمالنا فارضوه في مماته كما أرضيتموه في حياته والتفوا حول علمه التفافكم بالامس حول جسمه وها نحن أبناءه وجنوده نعاهدكم عهداً لا نحيد عنه ولا نتحول أن نضحى أرواحنا وأهلينا . وما ملكت ايدينا . في سبيل تنفيذ مبدئه القويم غير محابين في ذلك كبيراً ولا صغيراً . وان نعمل على رفع لوائه من بعده . ملتفين حول وفده المقدس بكل ما أوتينا من قوة . ثم مقومين ما اعوج منه بتضحية الارواح قبل الاموال . وانا لانسى شعارنا الذي رسمه لنا منذ بدء النهضة « الاستقلال التام أو الموت الزؤام » وسيرى سعد في قبره ان كلمته هذه نفذت الى آخر حرف منها . وان وصيته لم تضع سدى . وجهاده لم يذهب عبثاً . .

اخواتنا الطلبة

لقد مضت مدة ارتكنتم فيها على سعد وجهاده وعزيمته . وتركتم له الامر كله يتصرف فيه كما شاء باخلاصه ووطنينه . فعلى من تركنون الآن؟ لقد مات سعد وكل نفس ذائقة الموت فلم يعد لكم الا بدء الجهاد وتحمل اعبائه بانفسكم مؤيدين قادتك . رجال وفدكم . خلفاء سعد الراشدين . لم يبق الا ان تحزموا امركم وتجمعوا كلمتكم ، وتوحدوا قيادتكم وتيقظوا الى سياسة امتكم وتعلموا انكم الجنود المجاهدون وانكم المسؤولين عن نهضة هذا البلد الامين التي قامت على اعناقكم ، وسطرت بدمائكم ، فان قوة النواب مستمدة من قوتكم ، ودعائم الدستور قائمة على تأييدكم ، وهيبة برلمانكم واحترام قراراته لا يكونان الا بيقظتكم وانقباهم وان تستعدوا للتلبية كلما أذن مؤذن الوطن . ان لا يبكم العظيم حقاً معلقاً في اعناقكم ان تحقوا حياتكم على خدمة وطنكم . وان تعلموا ان حياة الافراد قانية لا بقاء لها وحياة الامم باقية لا يعثرها الفناء ان سعداً لم يموت . ولن يموت ما دامت مصر على قيد الحياة . وما رئيسكم المحبوب بالأمس الا رئيس ضحاياكم اليوم . هاهم وسعد

على رأسهم في حياتهم الخالدة ينظرون اليكم . ويلتقون كل الآمال عليكم وكائناتنا
بسعد يكرر لكم نداءه الرهيب :

« مستطلب منكم ضحايا فأدوها بكرمكم وحسن احتمالكم » اللهم لا عزاء لنا
الا الجهاد ولا سلوى الا التضحية . ولن تغيب ذكراه عن قلوبنا ولن تضيع نصائحه
من اذهائنا ولن تزال كلمته ترن في آذاننا . وستبقى صورته ملء عيوننا . وقلوبنا
ستظل دامية . ودموعنا ستبقى جارية : وعزائنا لن تنفك متحدة في خدمة هذا
الوطن اليتيم ما دامت الارض والسماء . والله على ما نقول شهيد
الجمعية العمومية للطلبة المصريين

نداء المحامين

الى حضرة صائبة العصمة اسم المصريين

يرفع مجلس نقابة المحامين لعصمتك بمناسبة انعقاده لأول مرة بعد عطلة
الصيف عزاءه الخالص على تلك الكارثة الوطنية والفاجعة الكبرى التي رزئت
بها البلاد في زعيمها وأبرأبنائها المرحوم المغفور له سعد زغلول باشا الذي خسرت
المحاماه أيضا بفقده خسارة مضاعفة حيث كان رأس أسرتها فرغ من شأنها وأعلى
منارها بأعماله الخالدة وآثاره العظيمة فيها

• واذا كان مما يزيد في فداحة الخطب حرمان أمة بأسرها من رجلها في وقت كانت
في أشد الحاجة للاسترشاد بجميل رأيه وبعد نظره وثاقب حكمته وصادق وطنيته ومضاء
عزيمته تلك الصفات التي امتاز بها فجعلت منه زعيما واماما متبعاً فانه مما يخفف عنا
أن روحه لا تزال تترفد علينا وان تعاليمه ستبقى دستوراً لنا ونصائحه ماثلة أمام أعيننا
من حيث العمل على توطيد الجهود وتوطيد الائتلاف وإتقان الكلمة على ما فيه خير
البلاد والله يتولانا جميعاً بصبره وحسن توفيقه

مجلس نقابة المحامين

نداء الحقوق الى الامة

ان طلبه الحقوق في مصر يكون اليوم رجلا كان حفاظاً للحقوق العامة والخاصة، وموثلاً للامة في أيام محنتها وعزاء لها في أيام شدتها، ونبراماً لها في جهادها الشريف الابدى . نعم يكون العظمة الخالدة في شخصه الخالد والجرأة الوثابة في حزمه التاد والاقدام الماجد في حكمته الغالية . نعم لهم وللامة أيضاً أن تبكى هذا البطل الراحل بكاء مرأً فقد كان رجلاً من ذوى المضاء والعزم . تميد الجبال ولا يميد وتزلزل الارض وتعصف العواصف وهو هادئ رزين ، يدير الامور ويدبر الحلول . نعم هذا واجب عليها ولكن عليها أيضاً أن تحذو حذو الامم الخالدة الباقية وتستقتل في ائتلافها واتحادها . وتتمثل بقول أبى بكر رضى الله عنه بعد وفاة رسول (صلى الله عليه وسلم) يوم وقف في العرب خطيباً يدعو الناس إلى الجهاد في سبيل الله قد قال (من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات . ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت) واليوم نوجه نفس هذا القول فنقول (من كان ينصر سعداً فإن سعداً قد مات ومن كان ينصر الوطن فإن الوطن حي لا يموت)

هذا وانا قدم وافر العزاء للسيدة الجليلة حرم قعيدنا الراحل ونعلن
اتنا نحن الحقوقيين ما زلنا بعبادئ سعد مستمسكين ولنصرة الوطن متفانين
طلبة الحقوق

نداء لجنة الدفاع الوطنى بألمانيا

من كان يعبد سعداً فإن سعداً قد مات ومن كان يعبد الوطن فإن
الوطن باق .

فارق سعد داره الى جوار ربه وودع وطنه بعد تغلب المرض على ضعف جسمه
فكانت كارثة الامة عظيمة ومصيبتها فادحة وصدمتها أليلة، فعزاء أيتها الامة العزيزة
وجزاء للفقيد العظيم والراحل الكريم بمقدار حرصه على حقوق بلاده ، وسعيه
لخلاصها ، وعمله على اتقاذها ونسأل المولى جلا وعلا أن يلفظ بالوطن ويصونه من
شرور المخاصمات والتفرقة بجمع الكلمة ودوام الوحدة واشتعال القلوب بالمودة ما
دامت الحركة والسكون « وأن تقوم المحبة بين الناس مقام القانون »
أبناء الوطن الأعزاء !

الوطن أمامكم يدعوكم للاخذ بيده ويستغيث لنصرته والعدو وراءكم يقبض
على ناصية سيفه لاجئاً الى سافل حيلته ودنى خديعته ، يود سلب عقولكم بالالفاظ
العذبة والاقوال المنمقة ويريد سوقكم الى حيث المذلة والاستبداد والظلم والاستعباد
فخذوا حذركم وأعدوا عدتكم وكيدوا لغاصب بلادكم بالتفافكم حول وطنكم
وعدم التفريط في ضئيل حقوقكم ولا تقبلوا التساهل في ذرة من استقلالكم
مهما استعانت القوة الغشومة بجيوشها الجرارة وأساطيلها الضخمة فان « الحق
فوق القوة »

أبناء الوطن الاعزاء !

أعلنوا مبادئكم صحيحة وانطقوا بمطالبكم صريحة ونادوا بأمانيتكم مفسرة
واضحة لا تحمل تأويلاً ولا تقبل تعديلاً أو تحويراً أو تبديلاً واسهروا على تحقيقها
وجعلوا لنيلها وضحوا بنفوسكم ونفيسكم من أجلها ولا يزعجكم عناد العدو وجبروته
ولا يخيفكم توعدته وتهديداته فانه لن ينال منكم بالقوة حقاً مشروعا وهو أول من
يعرفه باطلا يفتقر الى مصادقكم حتى يصبح نافذاً فيكم ومقيداً لكم

أبناء الوطن الاعزاء :

وحدوا كلمتكم ولا تحدثوا ثغرة في صفوفكم يتسرب منها العدو للتفرقة بينكم
والكيد لكم فتكونوا بذلك قد مهدتم الطريق لاداء واجباتكم كاملة واقامة

فرائض الوطن تامة غير ناقصة

ان نسيتم سعداً فانسوا السودان ، وان أسأتم الى سعد وذكره فآسيثوا الى الوطن بقبول فصل جغوب عنه . لسكنكم لن تنسوا زعيم البلاد ، ولن تتغافلوا عن سودانها ، ولن تسيثوا الى رئيس الوطن في جغوبه ، ان السودان وجغوباً عضوان للوطن لازمان يجب الاحتفاظ بهما احتفاظاً تاماً إذ بغيرهما يصبح الوطن أعرج أجذب . والى الحكومة جم شكرنا أن تمجد سعداً ونحبي ذكره خالدة ، بشراء داريه واقامة تمثالين فوق أرض العاصمة والاسكندرية ، فلعلها تصرح بلا ابطاء باقامة تمثال الزعيم الوطنى الاول المرحوم مصطفى كامل باشا ، وآخر للزعيم الثانى المرحوم محمد بك فريد ، وحبذا لو تم ذلك قريباً حتى تقام كل هذه التماثيل لرموز الأمانى الوطنية فى يوم واحد يصبح يوم الوطن المشهود ومجده المنشود

لجنة الدفاع المصرى بألمانيا



كلمات ماثورة للزعيم الراحل

يجب أن يسقط من حساب الأمة هؤلاء الأشخاص الذين يعضدون كل حكومة ويشايعون كل دولة ويعبدون القوة في أى مظهر ظهرت

ان الروح التى أودعها الله هذه الأمة لا تقوى على مغالبتها أحكام عرفية ، ولا استبداد مستبد ، ولا قوة قوى ، لأن الاستبداد انما يقع على الأجسام ، أما الروح فهي بعيدة عن متناول يده

أفتخر بأن أكون على رأس أمة حية شاعرة مفكرة وهي منزلة لا ينبغي لرجل أن يطلب لنفسه أعلى منها

يجب أن تنقاد للقانون وألا نعتبر الاقياد له مهانة ومنلة بل عزاً وشرفاً

إننى رجل قد وطنت نفسى على الدفاع عن الحق وأن أتحمّل فيه كل مكروه ولو كان آتياً من الذين أدافع عنهم

خطئى مع الحكومة تأييدها اذا أصابت والتفاهم معها اذا اخطأت ، ومع الأمة البحث عن حاجاتها وتعرف رغباتها ومشاورة ذوى الرأى فيها ، ومع زملائى احترام آرائهم والتضامن معهم فى السعى لكل ما فيه خير عام

الحق فوق القوة والأمة فوق الحكومة

لا يفوتكم أن تحتجوا على أمر ترون أن فيه مخالفة للقانون مهما كان صغيرا
في نظركم . فربما كان لهذا الأمر الصغير علاقة في المستقبل بأمر كبير فيستخدم
سكوتكم في هذا حجة عليكم في ذلك

أقبل والسرور يملأ جوانحي أن أكون على رأس أمة لا تساق سوق الأنعام
ولكنها تسير خلف المبادئ لا الأشخاص

لا أريد أن أكون موضع خوف بل موضع احترام

إنا إذا احترمنا أمرا للحكومة نحترمه لأنه نافع للأمة لا لأنه صادر من تلك
القوة المسيطره

كل شريعة تؤسس على فساد الأخلاق فهي شريعة باطلة

قد عاهدت الله منذ نشأت على أن أصرح بما في ضميري وهذه هي لذتي
في حياتي

كل أمر يقف في طريق حريتنا لا يصح ان قبله مطلقا مهما كان مصدره
عاليا ومهما كان الأمر به

الصحافة حرة تقول في حدود القانون ما تشاء ، وتنتقد ما تريد . فليس من
الرأى أن نسالها لم تنتقدنا ؟ بل الواجب أن نسال أنفسنا لم فعل ما تنتقدنا عليه ؟؟

إن كانت الحكومة تريد أن نكون في صفها مدافعين عنها فما عليها إلا أن
تتبع الحق والعدل وتحترم القانون

يعجبني الصديق في القول والاخلاص في العمل وأن تقوم المحبة بين الناس
مقام القانون

نحن لسنا محتاجين لكثير من العلم ولكننا محتاجون لكثير من الاخلاق
الفاضلة . . .

الذي يلزمنا أن نتفاخر به هو أعمالنا في الحياة لا الشهادات التي في أيدينا

لا يكفي أن يتخرج التلميذ من المدرسة لينال الثقة بين الناس بل لا بد له
أن يتعلم أيضا في مدرسة العالم لينال الثقة العامة التي يريدونها



تم الجزء الاول بحمد الله

فهرست

الجزء الاول من عبرات الشرق

صفحة	
	الاهداء
٥	فاتحة الكتاب
٧	موجز عن ترجمة القعيد
٧	مولده ونشأته
٩	اشتغاله بالمحاماه
١١	» بالقضاء
١٤	اختياره لوزارة المعارف
١٦	» » الحقانية
١٦	في الجمعية التشريعية
١٧	أيام الحرب الكبرى
٢٢	الزعيم بين مصر ومالطه
٢٦	» » » وسيشل
٣٣	» ورئاسة الوزارة
٣٥	الائتلاف ورئاسة البرلمان
٤٠	أيام الراحة
٤٢	الزعيم في مرضه الاخير
٤٥	النعي

صفحة

٤٦	بلاغ رئاسة الوزارة
٤٧	كلمة الحكومة
٤٨	» البرلمان
٤٨	تاريخ الوفاة
	لحضرة صاحب المعالي جعفر والى باشا
	» » العزة محمود بك بسيونى
	للاستاذ الكبير السيد سلامه افندى حسن الراضى

المراثى

النثر

٤٩	دموع الرئيس الجديد
٥٢	ساعة الفراق
٥٤	فى ذمة الخلود
٥٧	سعد
٥٩	مأتم الوطن
٦١	سعد زغلول
٦٤	سعد زغلول
٧٥	فى ذمة الله
٧٧	مصر تشيع الزعيم
٨١	أ كانت مصر فى حلم
٨٣	إلى الراحل العظيم
٨٨	سعد
٩٢	بين البيت والقبر
	للكتاب الحزين محمد السيد محمد
	» التقدير عبد القادر بك حمزه
	» الشاعر عباس محمود العقاد
	» الكبير داود بك بركات
	» البارع الدكتور محمد حسين هيكل
	» الفاضل ابراهيم عبد القادر المازنى
	» الكبير خليل بك ثابت
	» الجرى محرر الاخبار
	» المحترم محرر الكوكب
	» القذ مصطفى صادق الرافعى
	» للكتاب الاجتماعى محمد السباعى
	» الفاضل عباس حافظ
	» الشاعر عباس محمود العقاد

- ٩٦ لذكرى سعد
١٠٠ أحقا عباد الله ؟
١٠٤ هجم جبار الوادى
١١٠ مات الرجل !
١١٤ عند قبرى سعد زغلول ومصطفى كامل
١١٧ كلنا نبكى
١٢١ سعد
١٢٥ أسد الوادى وجبار الشرق
١٣٠ لم يمت سعد !
١٣٢ هجم الجبار
١٣٦ « ٢٣ » أغسطس
١٤٠ سعد زغلول
١٤٣ إلى سعد
١٤٥ المدينون بأعمارهم لسعد
١٤٦ فجيعة السودان
١٤٩ أحكامات سعد ؟
١٥١ هذه دموع
١٥٣ إلى الخلود
١٥٤ . فى ذمة الله يا سعد
- للاستاذ الدكتور منصور فهمى
للنائب الجرىء حسن يس
للكاتبة الاجتماعية الآنسة « مى »
للكاتب الفذ حسن الشيخه
للكاتب القدير الأستاذ ادجار جلاد
« البارع حسين شفيق المصرى
« النابه احمد أبو الخضر منسى
لزعيم من كتاب فلسطين
للكاتب المحترم ميخائيل
بشاره داود
« المصرى الصميم عبد السميع هرابى
للكاتبة النابهة عزيزه فوزى
للكاتب الفاضل عز العرب على
للنائب المحترم عبد السلام بك
فهمى محمد
للكاتب الحقوقى حسنى عبده
الشنتناوى
للكاتب السودانى محمد الدين سغان
للكاتبة محررة مجلة روز اليوسف
للكاتب الاديب محرر الفكاهة
للكاتبة السيدة استر فهمى ويصا
للرياضى البارع جهينه

صفحة

لجناب المسيو بيولا كازيللى	١٥٥ الى حرم الرئيس
للكاتبة البارعة بلسم عبد الملك	١٥٦ الى ام الشعب
للشباب الوديع محمود حسن خليل	١٥٨ آهات الاسى
للكاتب الفاضل « عفان »	١٦٠ صوت السودان
« الاديب محرر اللطائف المصوره	١٦١ سعد
« المحترم محمد صالح العرب	١٦٢ سعد
« المسرحى محمد على حماد	١٦٤ سعد قعيدنا الخالد
للفتاة النابه رتيبة . م . ح	١٦٥ الساعة الرهيبة
بمعلومات شبرا	
للاديب الفاضل رشيد الملوحي	١٦٦ رثاء المقتبس
« عيسى بنديك	١٦٩ صوت الشعب
« ناجى اديب	١٧١ الف باء
	<u>تحليل شخصية الزعيم</u>
للكاتب القدير عبدالقادر بك حمزه	١٧٣ الزعيم الاكبر فى حياته الخاصة
« الاجتماعى عباس حافظ	١٨٠ شخصية سعد
للاستاذ الكبير عبد الحميد حمدى	١٨٣ سعد زغلول فكرة قومية
للمؤرخ الاديب الدكتور محمد أبو طائله	١٨٦ صفحة الديمقراطية فى حياة سعد
للكاتب الفاضل ا . ط	١٩٠ سعد والصحافة
للمؤرخ الاجتماعى الدكتور محمد أبو طائله	١٩٣ سعد والرأى العام
للاديب المحترم محرر الكوكب	١٩٦ عصامية سعد
» » » »	١٩٩ سعد كشرع
للصحفى الكبير محرر المقطم	٢٠٢ » والانظمة البرلمانية

صفحة

للاديب محرر الكوكب	٢٠٦ سعد وكفاءته الخطابية
للاستاذ المجدد أحمد خيرى سعيد	٢٠٩ » خطيب الثورتين
للكاتب الاديب عباس محمود العقاد	٢١٢ البطولة على ذكر سعد
» الاجتماعى محرر الكوكب	٢١٩ بساطة سعد وتواضعه
» المؤرخ الدكتور أبو طائله	٢٢٢ صفحة القومية فى حياة سعد
» المحترم محرر الكوكب	٢٢٥ سعد وترقية مستوى التعليم
للاديب عبد الحليم رافع بالحقوق	٢٢٨ أثر سعد فى ترقية الطلبة
للاستاذ حامد المليجى الاسكندري	٢٣٢ تطرف سعد واعتداله
للكاتب المجدد أحمد خيرى سعيد	٢٣٥ كيف كان سعد عظيما !
للاستاذ الكبير مكرم بك عبيد	٢٣٨ عظمة سعد
للكاتب الاجتماعى سيد محمد خليل	٢٤٨ سعد زغلول

الذكريات

للكاتب الفاضل حسين شفيق المصرى	٢٥٢ ما أوجع الذكرى للقلوب
للاديب التقي طاهر أحمد الطناحى	٢٥٤ الذكرى
للكاتب الحزين محمد السيد محمد	٢٥٧ ذكرى سعد

الخطب

خطبة معالى مصطفى النحاس باشا فى حفلة التأبين الكبرى	٢٦١
» دولة عبد الخالق ثروت باشا » » »	٢٦٨
» حسين رشدى باشا » » »	٢٧٣
» معالى محمد محمود باشا » » »	٢٧٤
» الاستاذ مكرم بك عبيد » » »	٢٧٨
» الاستاذ عبد الحميد بك سعيد » » »	٢٩٢

- ٢٩٥ خطبة الاستاذ ابراهيم بك الهلباوى فى حفلة تأبين الفقيد بالجيزة
- ٣٠١ » صاحب العزة جعفر بك نحرى » » » بالاسكندرية
- ٣٠٨ » معالى محمد فتح الله باشا بركات » التأبين الكبرى
- ٣١٠ » الاستاذ نسيم صبيعه » » »
- ٣١٣ » حفى بك محمود » تأبين الفقيد بالجيزة
- ٣١٩ » احمد بك رمزى » » » بسمند
- ٣٢٣ » ابراهيم بك سيد احمد » » » بالاسكندرية
- ٣٢٥٠ » الاستاذ السيد حسين المحامى » » » بملوى
- ٣٢٩ » » على محمود المحامى » » » ببغداد
- ٣٣٤ » » الدكتور ادى » » » بالجامعة الامريكية
- ٣٣٧ » » الدكتور عبد الوهاب » » » ببرلين

عبد العزيز

- ٣٣٩ خطبة الاستاذ محمد ابراهيم الجزيرى على قبر الزعيم
- ٣٤١ » مشيل بك لطف الله بين يدى أم المصريين
- ٣٤٢ » الدكتور عبد الرحمن شهنندر على قبر الزعيم
- ٣٤٤ » محمد افندى عبد الرحيم طه فى حفلة تأبين الفقيد ببرلين
- ٣٥٥ خطبة الاستاذ ابراهيم عبد الهادى فى حفلة الطلبة لتأبين الفقيد
- ٣٥٢ » » لطفى المسلمى المحامى » تأبين الفقيد بالزقازيق
- ٣٥٧ » محمد افندى شعراوى » الطلبة لتأبين الفقيد
- ٣٥٨ » عبد المجيد افندى بدر » » »
- ٣٦٣ » الاستاذ احمد فهمى ابو الخير » تأبين الفقيد بالخليفة بالقاهرة
- ٣٦٦ » سعادة الاستاذ أحمد زكى باشا » » » بالجيزة

صفحة

- ٣٦٨ خطبة الاستاذ تادرس اقلاديوس في حفلة تأبين الفقيه بالكنيسة بأسيوط
٣٨١ » الآنسة أمينه السرجاني على قبر الفقيدين يدي أم المصريين

النداءات

- ٣٧٣ نداء أم المصريين
٣٧٤ » معالي فتح الله بركات باشا
٣٧٥ » الوفد المصري
٣٧٧ » رئيس الوفد المصري
٣٧٩ » الاحرار الدستوريين
٣٨٠ » الحزب الوطني
٣٨٠ » الشيوخ والنواب
٣٨٢ » الطلبة
٣٨٦ » المحامين
٣٨٥ » الحقوق
٣٧٦ » لجنة الدفاع الوطني بألمانيا
٣٨٩ كلمات مأثورة للزعيم الراحل

فهرست الصور

أمام صفحه

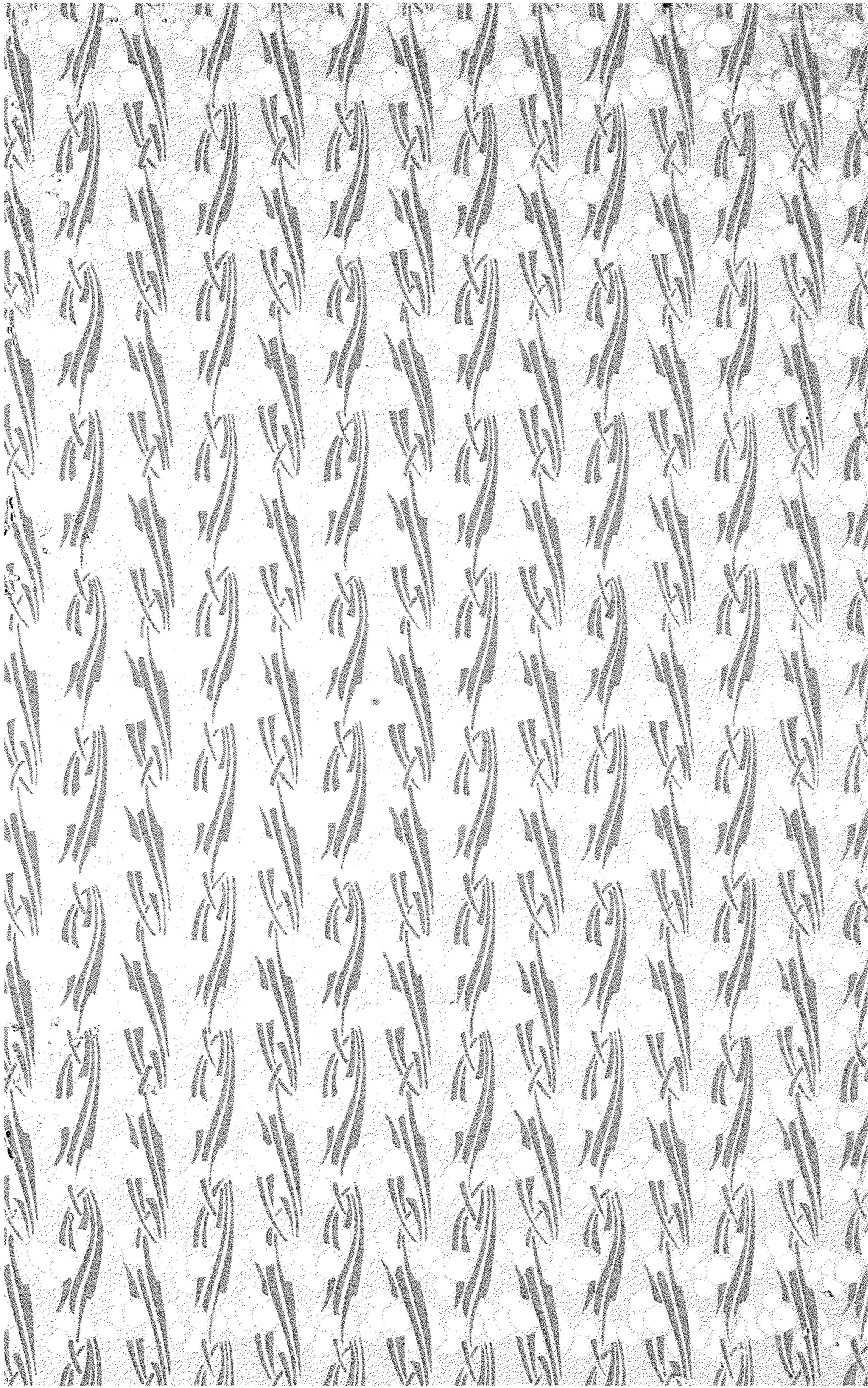
	صورة الزعيم الراحل
٩	» » في الحمام
١١	» » في القضاء
١٣	» » وهو مستشار
١٤	» » وهو وزير المعارف
٢٢	» » وصحبه في مالطه
٢٤	» » في بدء الحركة الوطنية بباريس
٢٦	» » وصحبه في سيشل
٣١	» » في جبل طارق
٣٣	» » في رئاسة مجلس الوزراء
٣٥	» » في مجلس النواب
٣٨	» » مع عدلى باشا وثروت باشا قبيل انعقاد المؤتمر الوطنى
٤٠	» » في بساتين بركات
٤٢	» » وهو يعانى آلام المرض
٤٤	» » صاحبة العصمة ام المصريين
٤٩	» » الرئيس الجديد معالى النحاس باشا

تمت الفهرست

الى القارىء الكريم

سيظهر قريباً الجزء الثانى وموضوعه دموع الشعراء ورسائل الكتاب التى
قاتنا ان ندرجها فى هذا الجزء ومنشرح فيه بمشيئة الله تعالى قصائد الشعراء
شرحا يسهل على القارئ مطالعته بما يقنيه عن البحث فى مراجع اللغة وقواميسها
ومنوضح فيه ايضا ما يرد من اعلام وتراجم. مرجعنا أوثق المصادر وأدقها مستعينين
فى كل ذلك بعون الله وقوته ،





BOOKBINDING
J. W. B. B. B.
CAIRO

